مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها

تأليف

السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي
خريج الكليه العسكريه في إستانبول

سنة ١٣٢١ هجريه

(الجزء الاول)

(الطبعة الاولى)



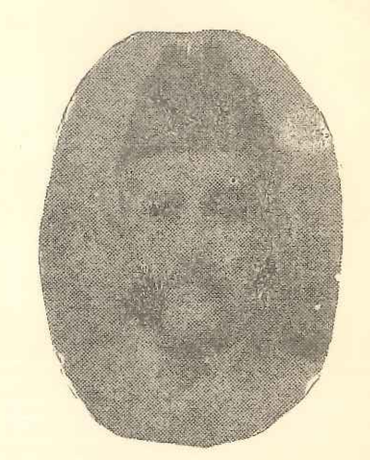
مطبعة البصره - بصره

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م



صورة المؤلف ببزة المدرسة الحربيه العسكريه فى إستانبول قبل تخرجـــه برتبـــة ملازم ثاني وإن تخرجه من المدرسة العسكريه كان فى سنة ١٣٢١ هـ .

إهـداء المـؤلف



الى إخواني وزملائي المحاربين القدماء وجنودنا البواسل المعاصرين أهدي رحلتي هذه .

محمد رؤوف الشيخلي

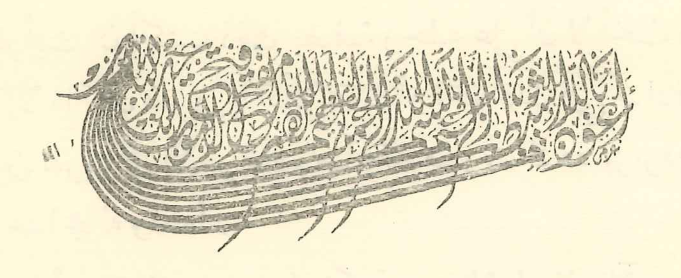
إهـداء النـاشـر



الى روح أبي الطاهرة - أمرتمونا بطبع الكتاب فامتثلنا الى إخوتي السيد قاسم والسيد يوسف .

المهندس

أحمـد محمد رؤوف الشيخلي



الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين !

مقدمـــة المؤلف

أول ما فكرت في كتابة هذه الرحله التي أسميها (مراحل الحياة) ذلك حينما كنت في الكلية العسكريه في الإستانه وكان قصدي ان أضمنها كل ما صادفته من أحوال المدرسه منذ طفولتي . وربما أدخلت فيها مسائل دراسيه وكذلك أضمنها ذهابي الى الإستانه وعودتي منها ولكن هـذه الفكرة كانت في دور النضوج ولما تخرجت من الكليه وجابهت الحياة العامه تهذبت هذه الفكره بعض التهذيب ولم تزل في اطراد ونمو وكلما زادت تنقلاتي في البـلاد ومشاهـداتي الكثيرة للاحول الاجتماعيـه والاخلاقيه ظهر التبدل في الترتيب والتبويب ولم أجرأ على الكتابه بعـد الى أن جائت الحرب العالميه الاولى سنة ١٩١٤ فدخلت غمارها وأسرت وتنقلت خـلال الاسر في البلدان الهنديه ومقاطعة برما المجاورة للهنـد الصينيه وكذا البـلاد المصريه كما أني قبلهـا كنت قد شاهـدت كثيراً من البـلاد الاخرى وسـافرت في البحر مرات عديده وكـان اكثر ذلك في

ذاكرتي فرأيت ان أكتب ذلك بصفة رحلة على أن لا أبحث فيها عن شخصيتي إلا ما كان ضرورياً كالإنتقال أو الحوادث التي صادفتها وبعد مرور سنتين تقريباً في الأسر خصوصاً وقد صارت المادة غزيرة والترتيب والتبويب غدا مجاله واسعاً .

فاتحت أحد أصدقائي وبينت له فكرتي من الاول الى الآخر فحبذها وشجعني على التدوين وكذا إستشرته عن اللغة التي يجب ان اكتبها بها وطبعاً نيتي الاولى كانت اللغة التركية فكان رأيانا يتأرجحان بين التركية والعربية ولم نجزم بواحدة منهما وأخيراً رأى صديقي أن أكتبها باللغتين حتى يتيسر طبعها بإحداهما - فلم اوافق لأن ذلك يستدعي كتابتها مرتين وفي ذلك من الكلفة ما فيه . فلا تكفي الترجمة بل يجب أن تكتب كل على حدة لإختلاف أساليب اللغتين فربما يقتضي كتابة بعض المواضيع في لغة مفصلا وفي الاخرى موجزاً . فتركت البحث في ذلك منتظراً إنتهاء الحرب فربما يتاح لي كتابتها باللغة العربية فقط .

فخرجنا من الاسر وبقيت أنتظر الفرص وأرسم الخطط وأكتب بعض الفصول وأجمع المواد الى أن تمكنت من الأخذ بخناق الموضوع من جميع جهاته . فبوبته وكم من مرة غيرته وبدلته الى أن جاء وفق رغبتي وهو كما موضح في الفهرست خمسة أقسام أو كتب .

الاول - في حياتي المدرسية وضمنته دراساتي في الكتاب وفي المدرسة الرشدية والاعدادية والكلية العسكرية الى حد التخرج برتبة ملازم ثان والوصول الى بغداد .

الثاني - في حياتي العسكريه وضمنته دخولي الطوابير (الافواج) النظاميه الى حد النفير العام وإعلان الدوله العثمانيه الحرب على الحلفاء .

الثالث - في حياتي الحربيه وضمنته السفر الى جبهة الحرب والاحوال الحربيه الى حد الوقوع في الاسر .

الرابع - حياتي في الاسر مدة أربع سنوات ونصف السنه .

الخامس - في حياتي الاهليه ويشتمل على ما بعد الخروج من الاسر بالبصره والاشتغال بالبيع والشراء أحياناً والخدمه في بلدية البصره . وامانة العاصمه في بغداد . وفي دائرة الاشغال العامه .

وكل كتاب من هذه ينقسم الى عدة فصول فيها تفصيلات وافيه عن ماشاهدته وسمعته وكل ما تأكدت صحته وأكثر ماعنيت الجهة التأريخيه والجغرافيه الوصفيه اي إني ذكرت المدن التي رأيتها ووصفتها حسب المدة التي بقيت بها منها مختصراً جداً ومنها مفصلا الى آخر حدود التفصيل .

وإن كنت استعنت ببعض المراجع فلم آخذ منها غير ما يتعلق بالموضوع مما فات عن ذاكرتي وقد عنيت ايضاً بالاحصاء .

ولم أعلق على أي مسأله من المسائل بل أذكرها على علاتها إلا قليلا وأدع التعليق للقارىء .

هذا وسيجد القارىء في بعض الاوصاف أشياء معلومه مما يراه أمامه كل يوم فلم نوضح ذلك عبثاً لأنه سوف تزول هذه الاشياء أو الحالات أو تتغير . فيتمنى الخلف أن يعرف ماذا كان يجري قبل مدة من الزمان كما إنا في الوقت الحاضر نفتش الكتب لعلنا نصادف ولو عرضا كلمة

واحده أو أكثر عن حالة من الحالات أو عادة من العادات التي عليها أهل المدينة الفلانيه أو القطر الفلاني وهلم جرا. وها أني الآن أقدم هذا الكتاب للرحله راجياً من القراء الكرام أن يسبلوا ستار العفو على الهفوات أياً كان نوعها إذ العصمة لله وحده.

السيد محمد رؤوف طه الشيخلي

ملاحظه :-

ذكرنا الكلمات الغير عربيه على أنها هي الاصل لإستعمالها ودلالتها على المراد في هذا الوقت الذي نؤرخه وما يقابلها من العربية الفصحى بين قوسين.

وكذلك العاميه إستعملناها في الاماكن التي تكون فيها مستوفيه للمعنى أكثر من الفصحى لأنها مألوفه أكثر منها.

بسم الله االرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

مراحل الحياة . . . او . . . رحلة الحياة . . . او مذكرات مؤلف ... او رحلات جغرافيه وتأريخيه لمن أراد الاطلاع الى احوال البلاد ومن يرغب ان يستوعب احوال الماضي القريب في البلاد او من أراد الاستشهاد بالبحوث الجغرافية والتاريخية والاجتماعيه او من اولع بالقصص او من كان مغرماً بالروايات التاريخيه فعليه مطالعة كتاب (مراحل الحياة) الباحث عن الفتره المظلمة فهو قد سد ثغرة من التاريخ كما يقرب من نوعه رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطه ولا ثالث لهما وصاحبي الرحلتين المذكورتين من المغرب الاقصى مراكش والاندلس .

فنقدم هذا الكتاب لأول مرة الى حضرات القراء وهو الاول من نوعه في حياة العراق الحديث .

لقد توفى بأجله المؤلف والدي محمد رؤوف طه الشيخلي رحمه الله في صباح يوم الجمعه المصادف ١٩٦٥/١١/٥ . ولم تفتح خزانة مكتبته الا في المدة الاخيره والتي تشمل كتباً كثيره وكثيره جداً وعند التفتيش والتدقيق وجدنا صندوقاً كبيراً من الخشب مغلقاً ومحكم التغليف واذا به مؤلفات

كثيره منها هذا الكتاب الباحث عن الفترة المظلمه . ويبحث ماشاهده وسمعه في حياته منذ طفولته حتي كهولته سنــة ١٩٣٨ من الوظائف والاسفــار والتجوال والعادات وقد شرح ما امكن شرحه، الى القــارىء بكل سهولة واضحه للمواضيع الكثيره والعديده من ناحية تاريخية وجغرافيه وأثريه .الخ التي تثير في نفس كل عراقي هوى وعلماً ، وقد اصدر في حياته رحمه الله كراس الاول ووزع على المكتبات العامه العراقيه في سنــة ١٣٧٥ هـ الموافق (١٩٥٦ ميلاديه) وقد نفدت الطبعه المذكوره وأخـذوا القراء يطالبوننا بالاجزاء الباقيه .

وجاءنا وفد مؤلف من ثلاثة اشخـاص من الموصل وآخر من بغداد من المولعون في التاريخ ، التمسوا اصدار البقية الباقيه من الاجزاء وحيث انه كتاب ضخم قررنا اصداره مجدداً بما فيه الجزء الاول الصادر آنذاك دفعة واحده ـ رغم انه يحتاج الى وقت كبير لطبعه ومصروفاته ونسأل الله (س) جلت قدرته ان يوفقنا لإكمــاله وتقديمه الى القراء الكرام .

ونرجو ان يكون قد سد فراغاً طال امــده الى الكثير من المؤرخين والله المستعان ومنه التوفيق .

المهنــدس

أحمــد محمد رؤوف الشيخلي

(القسم الاول - حياتي المدرسيه)

الفصل الاول

في المـلا (الكتاب)

في سنة ١٣٠٥ هجرية باشرت بالدوام في الملا (الكتاب) وكان عمري ست سنوات تقريباً في جامع الحاج فتحى وكان الملا (المدرس) هو ابن عمتى (وكنت ادعوه عمى) السيد حسين بن السيد علي السيد مال الله ويلقب بالحافظ وهو الإمام و الخطيب في الجامع المذكور وفي الوقت نفسه كان اماماً لمحلة الحاج فتحى حسب ترتيب ذلك الوقت . إذ كان في كل محـلة إمام ومختار أول ومختار ثان وهؤلاء الثلاثة يعملون وظيفة المختار ــ اليوم وتحت يدهم رجل يقال له قروجي (بفتح القـاف والراء وسكون الواو) كلمة تركية محرفه عن اصلهـا (قوروجي) اى محافظ او حارس الغابة وهذا يعقب المعاملات عند الحكومة مثل تسجيل النفوس واستصدار الاذن بعقد الزواج وبيانات الطابو وما أشبه .

أما الإمام والمختاران فلا يذهبون الى دوائر الحكومة إلا نادرا وما عليهم إلا ان يختموا ما يقدمه لهم القروجي من الاوراق وكان الذي يباشر تعليم الاطفال فعـلا شقيقه السيد عبد الحميد وهو امام محلة السنك حسب الترتيب المذكور فتعلمت لديه (القرآن الكريم) والكتابة وشيئاً يسيرا من الحساب وكان للاخوين المذكورين وظيفة اخرى في جامع السيد عبد الكريم الجيلي وهو واقع في الطريق الذي بين جامع الحاج فتحى وجامع السيد سلطان على وكان يسمى (عقد الجاموس) فكنت اذهب مع عمى السيد عبد الحميد عصر كل يوم الى جامع السيد عبد الكريم الجيلي فيتفقد نظافة المحل وحالة الاشجار من نخيـل وغيرها لان الجامع المذكور كان متصلا ببستان صغيرة أو قل الجامع هو داخل البستان .

وكان في شريعة السيد سلطان علي يرفع المآء من دجلة بواسطة كرد خـاص فتؤمن حاجته من المآء اولا ثم تستمر الساقية في طريقها تحت الارض الى جامع السيد عبد الكريم الجيلي فتسقى البستان ومن هناك الى جامع الحاج فتحى فتؤمن حاجة السبيل الموجود فيه .

وكنت اذهب مع عمى السيد عبد الحميد بعض ايام الجمعة للصلوآة في جامع السيد سلطان علي وكان الخطيب الملا مصطفى الشيخلي الشهير المعروف بالطويل رحمه الله وذلك قبل تجديد

بناء الجامع برمته حوالي سنة ١٣١٠ . وكان المنبر كالمنابر الموجودة في الجوامع الاخرى يشغل قسماً من المصلى من جانب المحراب ويفصل الصفين الاماميين ولكنه وضع بعد تجديد بناء الجامع ضمن الجدار يصعد اليه بسلم من باطن الجدار ويكون هو بصفة مقصورة صغيرة ذات أطناف بارزة قليلا نحو المصلى وهو بهذا الوضع لايشغل حيزا من المصلى والصفوف الاماميه تكون متصلة تماماً وهذا رأيت مثله في جامع التكيه الخالدية وفي جامعين آخرين أحدهما في (الهفوف – مركز مقاطعة الاحساء من نجد) والآخر في (القسطنطينية في جامع العرب) الذي يقع قريباً من رأس الجسر في جهة إستانبول في الطريق الذاهب الى محلة السركه جي وفي أكثر أيام الجمع كان عمي السيد حسين يعمل (ذكر رفاعي) في جامع السيد عبدالكريم الجيلي فيجتمع هناك المشايخ اذكر منهم الشيخ ممش (بفتح الميمين وسكون الشين) والشيخ سبع وكان القصاد جمع (قاصد) يترنمون بالقصائد مع النقر على الدفوف منهم السيد جعفر من أهالي الاعظمية كان يجلس في جانب وبقية ضاربي الدف تجاهه فيضربون اولا جميعهم بضربتين متواليتين يكررونها ببطء ثم يزدادون بالسرعة ويشتدون بها ثم يضعون الدفوف وهذه تستغرق دقيقة او دقيقتين . وبعد إستراحة قليلة يبدأ القاصد بقصيدة في مدح الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم بنقر خفيف لوحده وعند انتهاء كل بيت يكرر الباقون مطلعها مع الضرب على دفوفهم وهذه القصائد كثيرة ومتنوعة اذكر منها الآتيه على علاتها وعاميتها :–

صلوا على خير الورى	الهاشمي الانورا
من معجزات المصطفى	من كفه ألماء جرى
ألف أصلى ع ألنبي	ألهاشمي ألعربي
اسماؤه في الكتب	مسطورة لمن قرا

واخرى مطلعها :–

صلوا على محمود	راعي الكرم والجود
يارب سامحنا	يوم إليك نعود

وكان المريدون (جمع مريد) وهم كل من اخذ طريقة من احد المشايخ والطرائق المذكورة هى الرفاعية والبدوية والقادرية وغيرها .

لكن الرفاعية هنا هى الغالبة يأخذون الطريقة وكيفيتها — ان يأتي طالبها بقدح مآء (شربة) يقدمه للشيخ فيأخذه بيده ويقرأ على المآء وينفخ فيه ويعيدها الى الطالب فيشرب المآء كله فيكون مريدا اى تلميذا لذلك الشيخ في الطريقة المذكورة .

فالذين كانوا يشربون الطريقة عندما يسمعون القصائد بذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم تحصل عندهم غيبوبة فيشيخون يقال شاخ فلان اى صار شيخا او لزمه الحال فالبعض منهم يبقى يتكلم بكلام غير مفهوم يقول عنه البعض إنه السريانية او الهندية فيخرج من فمه زبد ابيض كالحليب ينسكب من فمه وهواما قائماً اوقاعدا وفي كلتا الحالتين يأتي بحركات غير إختيارية كأنه يترنح واقفا او يتمرغ على الارض فتسمع من بعض الحاضرين اصواتاً مكرره قائلين شاهدوه (— (اى شهدوه) قولوا كلمة الشهادة في أذنه فيقوم احدهم فيمسكه وهو لايرضى وينفلت منه بقوه فيتحامل عليه بقوة مثلها ويلقنه كلمة الشهادة في أذنه مراراً الى ان يقولها . وعند إدائها تذهب عنه الغيبوبة رويداً رويداً ويجلس كأن لم يحدث به شيء والبعض منهم لا يمكن احداً من تلقينه الشهادة بل يبقى الى ان يتوجه الى احد الجدران كأنه يبارزه ثم يأتي راكضاً فيضرب رأسه بالجدار ويقال في هذه الحالة إنه (يضرب كله) فالضربة الاولى تكون خفيفة ثم تشتد بدرجة ان يكون لها صوت مسموع فيبادر اليه اكثر من واحد ولا يتمكنون من تلقينه الشهادة إلا بشق الانفس .

وكان المشايخ يسقون ماء الحية أيضاً وذلك ان احد الاشخاص يأتي الى الشيخ بقدح ماء فيقراء عليه فيشربه الشخص المذكور وبعد ذلك يقال أنه يتمكن ان يمسك أي حية يراها فلا تؤذيه . فطلبت من عمى شرب مثل هذا الماء فأحالني على احد المشايخ فشربت كأس ولكني لم اتجاسر على تطبيق ذلك حتى الآن .

وفي أواخر النهار بعد إكمال القصائد ويشيخ من يشيخ ويشرب ماء الطرائق وماء الحيه من يشرب . يعملون (ذكر مصري) وشيخ الذكر المصري هو الشيخ ممش لا غيره فيشكل الذكاره أي المشتركون في الذكر حلقة فيمسك أحدهم بيد الآخر وهم وقوف والشيخ ممش تارة يده بيد أحدهم مشتركاً معهم في الحلقه وأخرى في الوسط يصفق بيديه ويحثهم على الإتقان وهم يذكرون الله تعالى بنغمات مختلفة يستبدلونها كل مرة بإيعاز

الشيخ وهم يترنحون يميناً وشمالا على هيئة القفز الخفيف وبعضاً يتمايلون كأن يلتوي كل واحد منهم من الأمام الى الجانب الايمن أو الايسر فيواجهه الجالسين خلفه فتسمع منه أنيناً منسقاً ومنتظماً ويصدح بعضاً أحدهم بأعلى صوته وبنغم خاص يضمنه أبياتاً بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بين آونة وأخرى كما ان أحدهم تكون وظيفته قراءة مقام الصبا فيضمنه قصيدة في مدح الرسول أيضاً ويستغرق هذا الذكر ساعتين تقريباً .

وكان قسم من المريدين في بعض ايام الجمع يضربون سلاح وذلك أنهم يخلعون البستهم الفوقانية بحيث تتدلى على القسم التحتاني ويمسكها الحزام (النطاق) وتعطي لهم خناجر أو دبابيس فالخنجر معروف وأما الدبوس فهو قضيب من حديد بغلظ الخنصر رأسه حاد ومثبت من رأسه الثاني في قطعة من الخشب مدورة قطرها من خمس الى عشرة سانتمترات تقريباً حسب حجم الدبوس والدبوس بأحجام مختلفة كبير ومتوسط وصغير فتقدم الخناجر والدبابيس الى احد الشيوخ فيقرأ عليها ويرصدها كي لا تضر مستعمليها وبعد ذلك يأتي المريدون بالهيئة التي ذكرناها فيقبل كل منهم يد الشيخ ثم يأخذ خنجرين أو دبوسين ويحضرون في ساحة الجامع فيتمشون مشية خاصة على نغم الدفوف التي تكون قد باشرت بالنقر ثم يقفون هنيهة ويبدأون بالضرب برؤس الخناجر او الدبابيس في جهتي ابدانهم والمحل الذي يضربون عليه هو جهتي البطن تحت الاضلاع ويكون ضرب الدفوف في تلك الحالة سريعاً كما ان ضرب السلاح سريع وبعد التمشي ثم الضرب مرتين او ثلاثة يتركون الساحة باشارة من الشيخ ثم يأتون ويضعون الآلات المذكورة أمام الشيخ وهو يبل يده بريقه ويمسح فوق الجروح ثم يرفعون البستهم المتدلية ويلبسونها ويذهبون الى مكانهم ويعملون بالسيف أيضاً وذلك ان احدهم يأخذ السيف الذي كان قد رصده الشيخ ويذهب الى الساحة فيضعه على بطنه وينحني عليه قليلا فيكون السيف قد غاب في طيات بطنه ويكون قد جرحه قليلا بخط مستقيم ثم يذهب الى الشيخ فيبله من ريقه وتنتهي هذه العملية ايضاً .

وعدا ذلك كانوا يوقدون ناراً عظيمة على الارض ويضعون فوقها (صاجاً) من الحديد الى ان يمسي بدرجة الاحمرار وبعد أن يأتي عمي السيد حسين فيقرأ على النار وعلى الصاج يقال انه يرصدهما يأتي أحد المريدين واضعاً عباءة فوق رأسه فيأخذ الصاج بيده ويمسكه

بأسنانه ويبقى يدور فيه بين الحاضرين الى ان يأخذ بالأسوداد .

اذكر مرة كان عمي حاضراً في احــد البيوت الذين نذروا الاحتفال بالذكرى الرفاعي وكان الملا مصطفى الشهير بالطويل حاضراً وهو من العلماء والعلماء لا يوافقون الشيوخ على اعمالهم هذه . فأمر عمي حامل الصاج ان يضعه فوق عمامة الملا مصطفى فوضعه وضغط عليه بيديه فخاف الملا من احتراق عمامته ولكن عند رفعه لم يحدث شيء مطلقاً وأنا شاهد عيان لهذه الحــادثة .

وكانوا يأتون (بجاون) مثقوبة من قعرها فيضعون بداخلها خرقاً مبلولة بالنفط ملفوفة على نفسها تسمى (كبيرة) فيشعلونها ويضعونها داخــل الجاون او يشعلونها بعد وضعها ولا ادري كيف يحملونها وما يعملون بها حيث خفت رؤية ذلك وانا طفل .

وهذه العملية وسابقتها عملية الصاج لا تكون الا ليلا . وكان عمي في كل ذلك جالساً على كرسيه والشيوخ الآخرين على الارض ولا يتداخل في الاعمال كلها انما تكون بايعازه فقط الا رصد النار والصاج والجاون فانه يقوم بنفسه فيرصدها . وكان يعمل ذكراً قادرياً بنفسه ويكون الذكر القادري بتشكيل حلقة كالذكر المصري ولكن ليس فيه الترنح او تمايل الا الانحناء قليلا في بعض الاحيان وفي آخره يجلسون على الارض ثم ينتهي فيقومون .

وكانت المسائل الحربية تدخل في الامور الروحانية ففي حرب الدولة العثمانية مع اليونان سنة ١٣١٣ هـ نظمت قصيدة عامية يذكرونها في الذكر الرفاعي سمعتها من فم القاصد السيد جعفر الاعظمي في جامع الشيخ الشبلي في الاعظمية اذكر مطلعها .

الاسلام اهل الغيرية افنوا دين اليونانية

ويذكرون في الاشغال (التنزيلات) في حفلة المولد النبوي قصيدة قيلت عند اشتباك الدولة العثمانية في حرب مع الروس (المسقوف) في سنة ١٢٩٣هـ حصلنا عليها كاملة نذكرها هنا برمتها :

يا ربنا صلي على المختار واجعل لنا نصراً على الكفار
شرقي قبرص نسمع حنين الطوب والسيف بيد اهل العبا مجذوب
اصبح عقيد أهل الشرك مرعوب برأس الجنــا والصــارم البتار
يا ربنا بالمصطفى الموصــوف تنصر حزب طه على المسقوف

شجعاننا فوق الخيول صفوف	ما يرهبون الطوب لمن ثار
وينك يابوبكر شديد البأس	فاروقنا يدعى العدا كرداس
عثماننا يوم الحرب لاباس	لكن علي تشهد له الكفار
حان الجهاد وثار حس الطوب	دم الاعادي عالوطا مسكوب
شجعاننا فوق الخيول ركوب	شبه الاسود الهدت من زوار
ياباز وما تحضر على الدشمان	هـذا محلك بين البرهان
جودوا بنظركم يااهل عدنان	كونوا على دين النبي حضار
ياربنا انصر عسكر الاسلام	بام الكتاب وسورة الانعام

واخرى وفيها الدعاء للسلطان :

حمداً لرب العالمين	قد قرب الفتح المبين
صيحوا وضجوا عالياً	ياربنا كن واقياً

عبد الحميد الغازيا

عبدالحميد فاز بالعلى	داعي البشير داعياً
ياربنا كن واقياً	عبدالحميد الغازيا

ولنرجع للبحث عن الكتاب وانظمته في ذلك الوقت فيتلخص في جلوس الاولاد على الارض فوق حصير من القصب (بارية) الواحد بجانب الآخر وظهورهم على الجدران في الجهات الثلاثة من الغرفة اما الجهة الرابعة التي قرب الباب فيختص بها الملا وحده على محل مرتفع وكل تلميذ له صندوق صغير أمامه يضع فيه القرآن والورق والاقلام والمحبرة والمبتدئون منهم التنكة ايضاً وهي قطعة من التنك (الصفيح) الجديد بقدر طبقة الورق المقطوع تقريباً فيكتب له الملا سطراً وهو (رب يسر ولا تعسر رب تمم بالخير آمين) لاغيره فيتمرن التلميذ على النقش مثله مالئاً الفراغ الباقي من التنكة بالحبر والقلم هو من القصب وبعد ان يراه الملا يأمره بازالته وابقاء السطر الفوقاني الذي له ثم يملاها ايضاً ويغسلها وهكذا .

وقراءة القرآن تكون اولا في جزء النبأ ثم جزء عم وجزء تبارك وجزء قد سمع وجزء الذاريات

ثم المصحف فالدرس يكون اولا حرف واحد ثم حروف وكلمة ثم كلمات وسـطر ثم سطور وصحيفة ثم صحائف الى ان يكمل قراءة القرآن جميعه فيعمل له عند ذلك ختمة (وكيفية الاحتفال بها تجده في الفصل الرابع من هذا القسم تحت مادة الافراح) وهؤلاء خاتمي القرآن يعطيهم الملا سطراً على الورق فيكتبون تحته ويحثهم على الاجادة ثم يعلمهم الاملاء فيملي عليهم صورة رسالةاوسندوماشبه ثم يعطيهم من الحساب الاعمال الاربعةفقط .

ومن جملة التعامل عندما يأتي احد الرجال بولد له يوصي الملا بأن يؤدبه وطبعاً بالعصا قائلا اللحم لك والعظم لي اى اضربه حتى يذوب لحمه ويبقى عظما فقط وكانت آلة العقاب عند المـلا هي الفلقة وهي خشـبة مدورة بطول ثلاثة أرباع المتر تقريباً وفيها ثقبين في وسطها بين الواحد والآخـر قدر ما يكفي لحصر رجلي التلميذ بينهما وقد عبر حبل من رأسيه في الثقبين وعقد فيبقى الحبل متدلياً من الجهه الثانية فتوضع في رجلي التلميذ بإمرار رجليه بين الخشبه والحبل ثم تلف الخشبه على نفسها فيضغط الحبل على الرجلين ويمسك تلميذان رأسي الخشبة فترفع الرجلان ويبدأ الملا بالضرب على أخمص القدمين حسب الذنب وحسب هوى الملا ورقته او غضبه والتلميذ خلال ذلك يبكي ولا يجد من شفيع .

ومن جملة نظام الـكتاب يوجد لوح بقدر الكف معلقة بخيط في مسمار بالجدار بجانب باب الغرفة من الداخل بحيث يقع نظر الملا عليها مكتوب على وجه منهـا (راح) وعلى الوجه الآخر (جاء) فإذا طلب احد التلاميذ رخصة لقضاء حاجـة يرخصه الملا على أن يكون الوجه الذي فيه لفظة (جاء) بارزاً ولفظة (راح) مواجهاً الجدار فيذهب اليها التلميذ ويقلبها لتكون لفظة (راح) بارزة حتى اذا ما رأها تلميذ اخـر لا يتجاسر على طلب الاذن لانه يوجد تلميذ كان قد راح اى ذهب ولا يمكن لاثنين ان يغيبـا معا فإذا جاء ذلك التلميذ يذهب توا الى اللوح فيقلبه فتبرز لفظـة (جاء) فيحق لغيره حينئـذ ان يطلب الاذن وهكذا . وطلب الاذن يكون بالوقوف في محله او محل يمكن للملا إذا رفع رأسه ان يراه ويكون ماداً يده اليمنى ومثنيا اصابعه عدا الخنصر فعندما يراه الملا يؤشر له بالموافقة بعد نظره الى اللوح ورؤية لفظة (جاء) اولا اما لاجل شرب المـآء فالاشارة تكون

بالسبابة لا بالخنصر .

ومن انظمة الكتاب أيضاً ان الملا ينهى التلاميذ ان يسبحوا بالشط (دجلة) صيفا فلديه قطعة خشب مدورة محفور عليها كلمات لا ادرى ما هي فيحبرها ويختم بها على فخذ الصبي حتى إذا جاء في اليوم التالي يلاحظ الملا وجودها بالدقة الكافية ولا تسئل عن حال بعضهم إذا زالت او طمست بسبب آخر غير السبح بالشط فيكون جزاءه الفلقه طبعاً بخلاف الذين يحتالون فيدهنون موضع الختم بمادة لا ادرى مـا هي ويسبحون بالشط ولا يزول الختم فيخالفون وينجون من العقاب .

وكان والدى مع اصدقائه يذهبون في ربيع كل سنة الى سلمان باك وانا معهم فيأخذون معهم خيمـة او خيمتين ومؤنه كثيرة للطعام وطباخا فنبقى هنـاك عشرة ايام او اكثر نصطاف فيها فترى هناك كثيرين من اكثر محلات بغداد كل قد حمل ما قدر عليه من السلاح وهي السيوف والخناجر والقامات والمسدسات والبنادق يحملونها للزينة والمباهاة ولا يستعملونها مطلقا الا المسدسات والبنادق فيذهبون زرافات الى طـاق كسرى فيطلقون عدة طلقات في داخل الطاق وهم وقوف في جهة منه .

والطاق (ايوان كسرى) كان كما هو الآن محافظاً وضعه الحالي الا في سـنة من السنين وجدنا قد سقط من اعلاه قسم وملأ الساحة حوله وفي السنة التالية وجدنا الاتربة قد غطت الانقاض ونبتت الاعشاب هناك كان الطبيعة أرادت ان تستر ما عملتـه من التهديم وكان ذلك السقوط بين سنتى ١٣٠٦ و ١٣٠٩هـ وكأن الناس في بغداد عنـد السفر الى سلمان باك يتقدمهم طبل بشكل مخصوص يقال له دمام يحمله أحدهم ويضرب عليه آخـر والناس خلفه الى ان يخرجوا من بغـداد كانهم ذاهبون الى حرب ويضربون عليه كذلك عنـد الوصول الى سلمان باك .

لم يكن في سلمان باك غير الجامع الذي فيه قبر سلمان الفارسي رضى الله عنه — وخان لربط الحيوانات ودار واحده او داران فقط وكان في الجامع المذكور عدة غرف كل غرفة امامها ايوان فيستأجر البعض من هذه الغرف ويقيمون بها واكثرهم ينصبون خيامهم في خارج الجامع وكنا نذهب لزيارة حذيفة اليماني وعبد الله الانصاري في مسجد خاص يقـع على

دجلة تماماً ولنفوذ ماء النهر في الجامع فقد نقل الصحابيان الى محل شيد لهما في جامع سلمان باك بتاريخ ١٣٥٠ هـ .

وهناك عدا الالعاب المختلفة يعملون هوسات تناسب الحال مثل (رمضان شهر الطاعة لله صمت) و (ياحلوين الشوارب وين هالنيه) هذا لما كانت الشوارب تحل المكانة اللائقة بها وكان يقسم بشرفها فإذا اريد الاطمئنان من كلام احد قيل له مد يدك الى شاربك فإذا امسك بشاربه انتهت المسئلة فكان حكم لايمكن نقضه بحال . وإذا كان يتردد في وعده او كلامه فلا يمد يده اليها مطلقاً .

ويحصل تزاور فيما بين المصطافين وضيافات وحفلات وغيرها . وفي بعض السنين عمل بعض الزوار الايرانيين هناك (إخباري) والاخباري هو تمثيل في أبسط حالاته يضعون خيمه في الصحراء ويجلس المتفرجون على الارض بشكل حلقة تبتدىء من جانب الخيمة وتنتهي في جانبها الآخر اى ان الخيمة تكون مشروكة في الحلقة وذلك ليلا فيضعون فوانيس متعددة في جوانب الحلقة من الداخل فيخرج رجل ثم غيره وغيره حسب الادوار التي يراد تمثيلها وكل قد غير زيه كأن ضخم بطنه وسائر بدنه ووضع صورة مضحكة من الورق المقوى على وجهه وبيده سوط او عصا وفي الساحة يضعون منضده وكراسي وغيرها وبعض الادوات اللازمة للرواية يتكلمون فيها بينهم على هيئة السؤال والجواب بنكات مضحكة فهو القوميدي بعينه ولكنه في حالة بسيطة وفي وسط المتفرجين لا في جانب منهم كما هو في المراسح وعلى كل حال ما كان فيه من البذائة في القول كما في اخباري ابن الحجامة الذي سيأتي وصفه في الكلام عن حالة بغداد — في الفصل الرابع من هذا القسم تحت مادة التمثيل .

وفي سنة من السنين لم نتمكن من الذهاب الى سلمان باك بسبب فيضان دجلة (تجد تفصيل الفيضان في الفصل الرابع من هذا القسم) وانقطاع الطريق الى هناك نعولنا ان نذهب الى ديالى اي الاراضي التي حول جسر ديالى فاتفق الجماعة ووالدي وكان احدهم يدعى احمد ولقبه (دكه) من اهالي فضوة عرب وهو له غنم كثيرة ولها رعاة فاوعز للجماعة ان يذهبوا الى محله فأخذنا معنا خياماً ومؤناً كثيرة تكفي لمدة شهر على ما اذكر .

ولكن المواد المذكورة — بقيت في بغداد على ان يأتي بها احمد دكه في اليوم التالي .
والسفر كان من الباب الشرقي بعد عبور الدفره (وهو الماء المحيط ببغداد حـول الخندق كأن الماء يدفر الضفة في اعالى بغداد فيفيض الماء حتى يحيط ببغداد) في القفف وكان في الجانب الآخر من الدفرة دواب تنتظرنا فتحركنا وقت الغروب وكان معنا دليـل يعرف الطريق الى العرب المذكورة فمشينا مدة ثلاث ساعات او اكثر وضللنا الطريق اذكر اننـا كنا نخرج عن الطريق الى اليمين ونبقى نمشى الى اليمين فنشكل نصف دائرة كبيرة ونرجع الى محلنا وهكذا الى ان انتهى اكثر الليل فوقفنا ونزلنا عن الدواب للاستراحة ثم ركبنـا وسرنا فرأينا هذه المرة نارا على بعد فتوجهنا اليها ووصلناها وإذا بنا امام خيمة من الشعر فخرج منها رجل سلمنا عليه وسالنـاه عن العرب التي نقصدها فقـال وصلتم وهذه باصطلاحهم ان المحل الذي تقصدونه هو هذا فجاء آخرون معه وإستقبلونا احسن إستقبال وانزلونا عن الدواب وأخذرها الى محل تستريح فيه ودخلنا نحن المضيف (خيمة الضيوف) فأوقدوا النار حالا وعملوا القهوة فلاح الفجر ثم اشرقت الشمس فقدموا طعام الفطور وهو (خميعة) (اللبن والحليب مغلى مع السمن) والخبز الحار فاكلنا وشربنا القهـوة لان في تلك الايام ما كان للشاى ذكر حتى في بغداد — نفسها إلا شايخانة (مشرب الشـاي) واحدة قرب الجسر من جهة جامع الآصفية ولا يستعمل في البيوت الا في بعضها نادرا ثم ذبحوا الذبيحة وعملوا الارز بالسمن وقدموا الغذاء وبعد الطعام قالوا لنـا ان العرب الذين تقصدوهم هم هؤلاء واشاروا الى ناحية فرأينا الخيام التى نقصدها قريبة جداً لاتزيد المسافة عن كيلو مترين فقلنا إذن لماذا لم تذكروا لنا ذلك فكنا ننزل رأساً هناك . ولماذا نحرم انفسنا من التشرف بكم فاكبرنا صنيعهم وشكرناهم ومضينا الى محلنا فبقينا مدة شهر كامل ثم رجعنا الى بغداد ودامت هذه الحالة اى الاصطياف في الربيـع في سلمان باك او محل آخر من سنة ١٣٠٥ او قبلها الى سنة ١٣١٢ اى الى ما بعد دخولي المدرسة الرشدية العسكرية والانتهاء منها والدخول — في المدرسة الاعداديـة العسكرية لان هذه كانت ليلية (اى داخلية) فلا يمكن التغيب عنها لاى سبب كان .

الفصـــل الثاني

في المدرسة الرشدية العسكرية والسفر في اثنائها الى البصرة والرجوع الى بغداد

بعد أن تعلمت قراءة القرآن الكريم والكتابة بصورة بسيطة وشيئاً من الحساب طلبت من والدي الدخول في المدرسة الرشدية العسكرية وذلك لاني رأيت اثنين من رفاقي قد دخلاها فتقدمت في سنة (١٣٠٩ هجرية) (١٣٠٨ مالية عثمانية) واديت الامتحان في القرآن الكريم والكتابة فكان جوابي جيداً ولكن طلب مني ان اقرأ الجريدة وهي تركية فلم اتمكن ولم اقبل وقيل لي يجب ان اذهب واتعلم قراءة التركية ثم آتي في السنة التالية فذهبت وكلي شوق لتعلم ماطلب مني فداومت عند احد المعلمين وهو الملا جابر في مسجد صغير في محلة الهيتاويين في بغداد يدعى مسجد (حادي بادي) (وهو موجود حتى الآن) وكان الملا المذكور يعرف القراءة التركية فقط ولا يحسن التكلم اوالكتابة بها الا قليلا جداً وذلك لمدة سنة كاملة تعلمت في اثناءهـــا قراءة الجريدة التركية وهي كانت جـــريدة الزوراء الوحيدة في بغداد كانت تصدر في الاسبوع مرة واحدة ذات اربع صفحات نصفها باللغة التركية والنصف الآخر بالعربية كان أول صدورها يوم الثلاثاء ٦ ربيع الاول ١٢٨٦ هـ توافق (١٥ حزيران ١٨٦٩ م) وجرايد استانبولية اخرى ثم اتيت المدرسة في سنة ١٣١٠ هجرية (١٣٠٩ مالية عثمانية) فقبلت ولكن ليس في الصف الاول بل في صف الاحتياط وكانت العادة ان من لم يقدر على قراءة التركية يكون في صف الاحتياط (المخرج) ومن قدر عليها في الصف الأول وكان الواجب ان اقبل في صف الاحتياط عند مراجعتي الاولى أو في الصف الاول عند مراجعتي الثانية ولكن هكذا كان وبعد دوامي مدة شهر او اقل جاء مدير المدرسة يوماً القول اغاسي (الرئيس الاول) امين فيضي افندي الى والدي في دكانه وكان صديقه فراني ثم استفهم عن الصف الذي انا فيه فقلت في صف الاحتياط قال لوالدي لماذا لم تخبرني كنت اسجله في الصف الاول ولكن لابأس دعه يدرس ليكون أقوى أساساً ولم يستفسر مني اذا كنت احسن قراءة التركية املا فيفهم من ذلك انه كان يريد ادخالي في الصف الأول بصرف النظر عن مقدرتي ومن هنا فهمت لاول مرة في

حياتي ان الاصول لايعبأ بها عند اللزوم وان المقدرة وحدها لاتفيد .

ومع ذلك بدأت بالدرس بشوق زائد فما انتهت السنة الدراسية الا ونجحت نجاحاً باهـراً فكنت الاول في الصف الاول الذي رقيت اليه وفي هـذا الصف في موسم القيظ اصابتني الحمى فغبت عن المدرسة مدة شهرين تقريباً ثم عدت اليها وبعد الامتحان النهائي نجحت الى الصف الثاني وانا في دور النقاهة وفي عطلة هذه السنة اى في رمضان من سنة ١٣١٢ هـ (يوافق شباط ١٣١٠ مالية عثمانية) سـافرت الى البصرة لتبديل الهواء حسب اقتراح الطبيب فبعد وصف السفر الى البصرة والعودة منها سأعود بالقارىء الى وصف المدرسة الرشدية العسكرية .

السفر الى البصرة والرجوع منها الى بغداد

كان السفر مع والدي بناء على توصية طبيب البلدية (لازار) (كانت بغداد منقسمة الى ثلاث بلديات في ذلك الحين الاولى للنصف الشمالي من الرصافة ومحلها أمانة العاصمة الحالية والثانية للنصف الجنوبي منها والثالثة لجانب الكرخ) . في الباخرة النهرية (فرات) والبواخر التي كانت تسير في دجلة اربعة لاغير (فرات ، موصل ، رصافة ، بغدادي) وسيأتي التفصيل عنها وعن الادارة التابعة لها (في الفصل السابع من القسم الثاني من حياتي العسكرية) وربانها اذ ذاك كان عباس الدرة والنوخذة (الدليل) وكانوا يسمونه (فلاغوز) واسمه (ضيف) فبعد ان مررنا بالصيرة ورسمياً كانت تدعى الجزيرة .

يقول الامير شكيب ارسلان في اسفل صفحة ١٠٩ و ١١٠ من كتابه الحلل السندسية ان الصيرة تحريف (الجزيرة) اما الان قد جعلت الصـويرة لتوقي الالتبـاس بين الصيرة والبصرة في البرقيات خاصة . ثم وصلنا الكوت وخرجنا اليها لقضاء بعض الحوائج وكان ماء النهر يصل قريباً من المقاهي والسوق الموازي للنهر وقدظهر الشاطىء (السيف) الموجود الان بعد ذلك . وبعد ان تزودنا بما نحتاجه رجعنا الى الباخرة ثم وصلنا العمارة وكذلك فعلنا . وكان ماء النهر يضرب في المسناة التي امام الدور واندمجت المسناة الان مع الشاطىء ثم وصلنا شطرة العمارة (قلعة صالح) ويجب ان نذكر ان الطغيان في هذه السنة كان زائداً عن السنين الاخرى بحيث ان المسافة من قلعة صالح الى القرنة كنا قطعناها والنهر لايرى

له ساحل لان الماء قد غمر الساحلين والباخرة كانت تسير بالنهار فقط وترسو بالليل خوفاً من الولوج في غير المجرى وكانت تتعرف الساحل بواسطة النخيل وبعض الاشجار او الاعشاب فتمر من بينها وعند وصولنا الى العزير وبعده بقليل رأينا ماء النهر ينفصل عن ماء البحر بزرقة هذا وحمرة ذاك لما كان يخالطه من الطين بسبب الطغيان .

وفي مرورنا من المحل المدعو (ابو روبة) وهو أضيق محل في دجلة كانت الباخرة تمشي متئدة وحافتها تلاصق الساحل تماماً فخرج كثير من المسافرين يتمشون في البر وكانت الاعراب تنتظر الباخرة هناك كعـــادة متخذة من قبلهم ومعهـــم الدجاج والبيض واللبن الرائب وغيره لبيعه على المسافرين .

وهذا المحل الضيق لم يتغير وضعه على مـر السنين فيظهر ان ساحلي هذا القسم مؤلف من طبقات صلبه وقعر النهر هناك عميق يقال والعهده على الرواة في سنة من السنين المتقدمة اتى حوت من البحر ومضى في النهر الى ان وصل هذا المحل فسده لجسامته وقد فاض الماء الى الجانبين واتت احدى البواخر فلم تتمكن من الاستمرار في المجرى الى ان قتلت السمكة واخرجت من النهر .

ورأينا بعض الاعراب الساكنين بالقرب من الساحل في بعض الاماكن تتعرض الباخرة مستجدية فكان الاولاد منهم مرتدين الفضاء ومتنعلين الارض الا الرجال فكانوا مشتملين بعباآت فقط وأيديهم بمثابـــة الازرار وكانوا ينادوننا رافعين ايديهم مفتوحة ممثلين بها دوران الكرة قائلين (هيلك هيلك) اى هكذا . يقصدون ان نرمى لهم ليمون او رمان وما أشبه فكنا نرمى لهم ما يتيسر من التمر والخبز واحيانا الليمون وغيره وكنا نعتمد رميه في المـاء فالاولاد منهم يرمون انفسهم في المـــاء بكل سرعة حيث لايوجد ما يعيقهم وهم (رب كما خلقتنى) واما الرجال فيرمون العباءة وبعد ان يغوصوا قليلا — يخرجون وفي ايديهم التمر او قطعة الخبز وغيرها والموسم كان الشتاء والماء كدر بسبب الطغيان .

وصلنا البصرة وقيل لنا ان القادم اليها يجب ان يشرب من ماءها عند الدخول اليهـــا ويأكل البصل للوقاية من الحمى التي اشتهرت بها فشربنا الماء واكلنا البصل وغير البصل ولم نصب بالحمى لا لفضيلة المـــاء والبصل بل ان الموسم لم يكن موسم الحمى (الملاريا)

وهي تصيب الغريب والقريب على السواء في الاشهر مايس فما بعده الى ايلول .

وقد رأينا اصحاب الدكاكين صفر الوجـوه ضعاف الابدان من تأثير الحمى فكنا نسمع ان صاحب الدكان إذا اتته الحمى يقول لزميله الذى لم تأت بعد او الذى إجتازها ارجوك ان تلاحظ دكاني ريثما اذهب الى البيت فاحم وارجع .

وانك لتعجب كيف انتخب لنا الطبيب البصرة لتبديل الهواء فنحن اعترضناه قبلك عند اقتراحه ذلك فقال اني ارسله ليس لتبديل الهـواء بل لتبديل المنظر وكلما كان السفر بعيداً كان له افيد ومـا دمتم لاتلبثون ان ترجعوا سريعاً فلا ضرر من البصرة وغير البصرة خاصة والموسم شتاء .

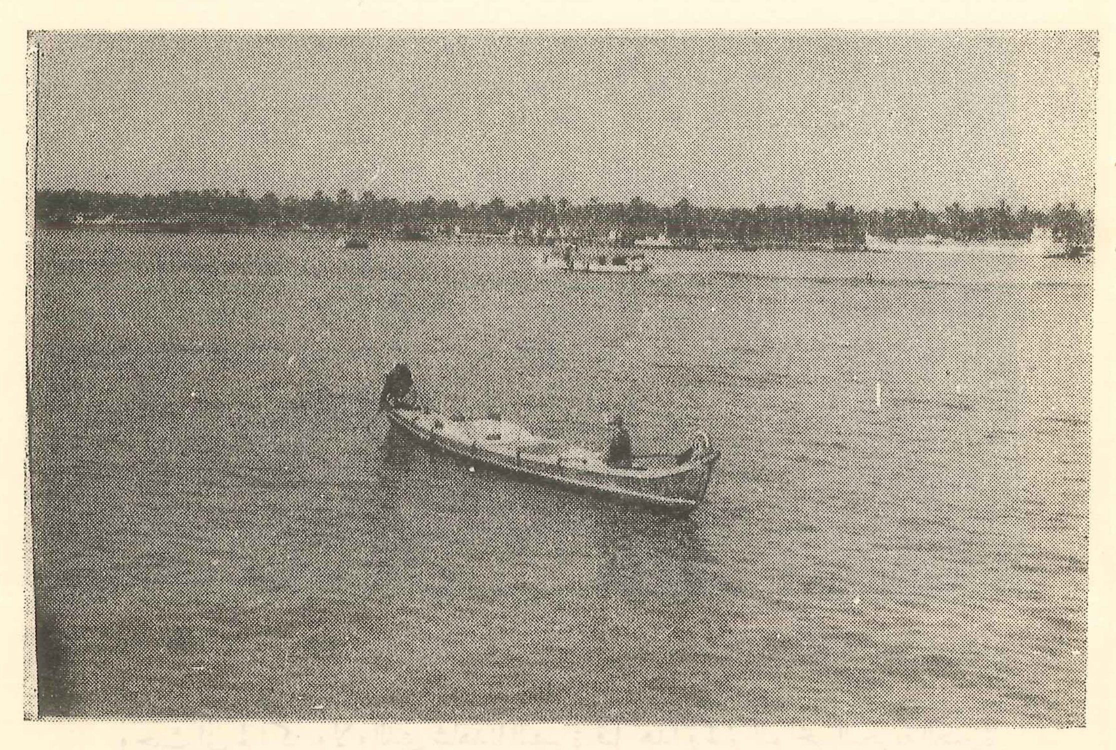
والبصرة منقسمة الى قسمين كما هي الان نفس البصرة والعشـار الا ان القسم المسمى بالعشار وكان يسمى على الاكثرية في ذلك الحين بالمقام نسبة الى الجامع المعروف بمقام علي عليه السلام كان صغيراً جداً لايتعدى جامع المقام والسوق الذى بقربه وبعض الدور اما الدور المهمه والبيوتات المعروفة فكانت في قسم البصرة حيث لاتزال كذلك للآن .

وكان الذهاب من العشار الى البصرة على طريق البر والواسطة فيه الحمير لاغير وكان مبدؤه في الضفة المقابلة للعشار عند رأس الجسر المسمى بجسر العشار الذي لم يزل في محله ذاهبا بين البساتين التي على اليسار والاخرى على اليمين والتى كانت مطلة على نهر العشار حيث رفعت بعد ذلك وصار الطريق لايفصل بينه وبين النهر المذكور شيىء .

وطريق النهر بواسطة الزوارق المسماة عشارية واحدها عشارى ويسمونه البلم (والبلم لفظة هندية) ونوتيتها يعملون وهم وقوف (وقـد ذكر ذلك ابن بطوطة بقوله والنوتية يحرفون في هذه البلاد وهم قيام) بواسطة رماح طويلة تسمى (مرادي) واحدها مردى وعملهم يسمونه دفع لانهم يقف احدهم في مقدم البلم والثاني في مؤخره فيغرزون اطراف الرماح في ارض النهر ويدفعونها بكلتا يديهم الى الجهـة المضاده للسير فيسير البلم وعند تكامل المد لم تعد الرماح تكفى للدفع فينصبون المجاذيف واحدها مجذاف . والسفر بالبلم يستغرق ثلث ساعة تقريباً .

وكان في البصرة في ذلك الحين الفريق محسن باشا والياً وقائداً للجيش .

ومدينة البصرة كانت كما هي الآن لم يزد فيها شيىء من حيث جسامتها الا ان المباني تغيرت وبدأت تأخذ طرازاً جديداً غير الاول .



بلم عشاري في شط العرب

فكنا نمر بالاسواق بالنهار ونبيت في الباخرة غرفة (قمـــرة) اعدها لنا الماكينست يوسف وكان صديقاً لوالدي وكنـــا ننوي الرجوع في نفس الباخرة (فرات) ولـكنها تأخرت في التعمـــير اكثر مما اوعدونا ان تبقى وقد تقرب انتهاء شـــهر رمضان ولاجل الوصول الى بغداد قبل العيد اضطررنا ان نرجع في الباخرة (خليفة) التابعة لشركة لنج اخوان وكان كاتب الباخرة صديقنا فرج افنـــدي يوسف فرج فوجدنا منـه من ضروب المساعدة الشيىء الكثير .

وبعد مسير ستة أيام تقريباً وصلنا الى بغداد .

ولما كنا في البصرة طغى ماء شط العرب يساعده المد من البحر بدرجة ان غمر قطعة الارض التي بين جامع المقام والكمرك في العشار .



منظر لاسكلة البصرة والكمرك بمدخل نهر العشار

وحيث اني لم اكن ولا والدي شاهدنا البصرة قبل هذا ولم نر البواخر البحرية الكبيرة وكان من حسن التصادف ان الباخرة التجارية المسماة (عبد القادر) راسية ، ذهبنا اليها بواسطة الماكنيست صاحبنا فصعدنا اليها وتجولنا فيها ساعة ونزلنا الى اسفلها وتفرجنا على محركاتها وكان في البصرة من الاماكن المشهورة سراى الحكومة وسوق السيمر وهو عامر بجميع انواع البضائع وسوق كاظم اغا فيه انواع الاقمشة والخردوات وكان لايوجد شيئ في ساحة سوق الدجاج سوى صريفة (كوخ) فيها ثلة من الضبطيه (الجاندرمة) وكان البيع بالمزاد يجرى ليلا وذلك في شهر رمضان ، كنا مرة في سوق العشار فرأينا الدكاكين مفتوحة ليلا والمزاد يجرى وكانت الزبنات جمع زبون (الرداء المعروف في العراق) تلمع لما فيها من الحرير والكلبدون (القصب) فسألنا صاحب الدكان لماذا يجرى المزاد في الليل

فقال لان السلع لها نظرة في الليل غيرها في النهار فرأيناها نهاراً فاذا هي ليس لهـــا ذلك اللمعان وهذه اول مرة شاهدت غش الانسان لاخيه الانسان .

والمحلات العامرة كانت محلة الباشا والقبلة والقطانة والسراى ويحيي زكريا والمشراق والسيمر . وفي المحل المسمى بالسنية بجانب قصر قاسم باشا الخضيري على ساحل شط العرب كانت خيمة تحتها ماكنة ناماليت لرجل هندي وهى اول ماكنـة من نوعها في البصرة وفي جميع العراق والناماليت لفظة اجنبية محرفـــة عن لامنيت الانكليزية (*Lemonad*) اى شراب الليمون .

ومحلة السيف الان قامت مقام محـــلة السراى وسبب تسميتها بالسيف كان هناك محل لبيع الاطعمة اى الحبوب وكان السيف عبارة عن دكه مرتفعة عن الارض المجاورة لهـــا بمقدار ثلاثين سانتمترا كانت في محل المباني القائمة الان وهى المدرسة الاميريـة فما بعدها الى حد مقهى البلدية وعرض الدكه بمقدار خمسة اوستة أمتار فوقها السقائف وتحت بعضها الطواحين جمع طاحونه يدور بها البغل لطحن الحبوب .

وعند رجوعنا الى بغداد وصلناها قبل العيد بيومين على ما اذكر ، وبعد انتهاء العيد باشرت بالمدرسة وكنت إذ ذاك في الصف الثاني .

نعـــود بك الان الى إستئناف وصف المدرسة الرشدية العسكرية ، وكانت المدرسة الرشدية ذات أربعة صفوف وصف الاحتياط والدروس كانت كما يأتي :ــ

في الصف الاحتياط	قراءة تركية	احمد أفندي	يوز باشي
	اسماء تركية	فايق أفندي	ملازم ثاني
	مكالمة (محادثة)	« «	« «
	امـــلاء	عاصم أفندي	ملـكية
في الصف الاول	قراءة تركية	علي أفندي المان	ملازم اول
	اسماء تركية	« « «	« «
	علم حال (دين)	محمد كامل أفندي	من العلماء
	امـــلاء	عاصم أفندي	ملـكية

	خط تركى (رقعة)	عبد الرزاق أفندى	ملكية
في الصف الثاني	صرف عربي	أمين أفندى	من العلماء
	صرف تركى	غير واحد من المعلمين	
	قواعد فارسى	عبد الله أفندي	من العلماء
	الافرنسية	صالح أفندي شميل	ملكية
	تاريخ	معروف أفندي	يوز باشي
	حساب	سعيد أفندي	ملازم اول
	املاء	عاصم أفندي	ملكية
	رسم	غير واحد من المعلمين	
	خط تركى (رقعة)	عبد الرزاق أفندي	ملكية
في الصف الثالث	نحو عربي	عبد الغنى أفندي	من العلماء
	صرف تركى	غير واحد من المعلمين	
	كلستان	عبد الله أفندي	من العلماء
	الافرنسية	على المان	ملازم اول وغيره
	التاريخ	معروف أفندي	يوز باشى
	الحساب	علي صائب أفندي	»
	جغرافية	علي زكى أفندي	ملازم اول
	املاء	عاصم أفندي	ملكية
	رسم	غير واحد من المعلمين	
	خط فرنسوي	علي أفندي المان	ملازم اول
في الصف الرابع	قواعد عثماني	أمين فيضي أفندي	بيكباشي
	الافرنسية	» » »	»
	تاريخ	معروف أفندي	يوز باشي
	حساب	زكى أفندي	يوز باشي

جغرافية	علي زكى أفندي	ملازم اول
اصول دفترى (مسك الدفاتر)	زكى أفندي	يوزباشي
هندسة	علي زكى أفندي	ملازم اول
منطق	ملا رشيد أفندي	من العلماء
امـــلاء	عاصم أفندي	ملكية
رســـم	رائف أفندي	يوز باشي
خط فرنسوى	أمين فيضي أفندي	بيكباشي

والمدرسة عسكرية صرفة ، مديرها ومأموروا الإدارة والانضباط فيها والمعلمون ، كلهم من الضباط الا بعض الدروس مثل الصرف والنحو العربيين وعلوم الدين واللغة الفارسية ، والافرنسية فمعلموها من العلماء والمتخصصين من الملكيين، يشتغلون بالراتب، وأما الضباط فراتبهم العسكري فقط .

وكانت الدرجة التامة هي ٤٥ لجميع الدروس ، إلا الخط والرسم فهي ٢٠ والنجاح يتوقف على نوال نصف مجموع الدرجات ، وليس نصف درجة كل درس على حدة والصفر هو ٤ فما دون فمن حصل من بعض الدروس ٥ ومن البعض الآخر بين ٥ و ٤٥ على شرط ان يكون المجموع يتجاوز النصف ولو بدرجة واحدة فقط فهو ناجح وتوجد بعض الاستثناآت مثلا درس الاملاء التركي في الصف الرابع ، يشترط أن يحصل الطالب منه على نصف الدرجة أى ٢٣ ، ودرس الحساب في الصف الثالث يشترط الحصول على درجة ١٦ منه وما عدا ذلك فالجميع كما قدمنا .

وهذا مما يشوق الى الاختصاص لان البعض يميل الى الرياضيات والآخر الى اللغات وغيره الى الاجتماعيات وغيره الى الآداب ، وهكذا إذ من المتعسر ان يكون التلميذ نشيطاً في جميع الفنون على السواء وعليه فإذا أخذ من الدرجات اعلاها في الفنون التي يميل اليها وفي الباقي درجات متوسطة أو دونها وهكذا في جميع الصفوف فيتخرج وهو ملم بالفن الذي كرس له أوقاته وغير محروم في الوقت نفسه من الوقوف على مبادىء الفنون الاخرى مما يفيده في الحياة العامة وما أدراك إذا تاقت نفسه بعد تخرجه الى احد الفنون التي لم يتخصص

فيها فيشتغل ويبرز فيها بعد أن ألم باصولها .

أما إذا أخذ درجة متوسطة من جميع الدروس فيتخرج وهو لم يتقن أى درس منها .

ومن رسب في درس واحد أى حصل دون الخمسة والمجموع كاف يعد إكمال ويعاد إمتحانه. أما إذا رسب في أكثر من درس واحد فليس له ذلك الحق وإن كان المجموع واف .

والرشدية العسكرية هذه تعادل المدارس الابتدائية الآن او تزيد عليها على وجه التقريب .

والامتحان النهائي كان يجري آخر السنة يبتدىء من ١٠ شعبان تقريباً وينتهي في أول رمضان من كل سنة بصرف النظر عن موسم الحر والبرد فقد يصادف في أبان الشتاء أو في حمارة القيظ .

وفي السنين التي كنت فيها في المدرسة كان شهر شعبان يصادف في أيام الشتاء . وفي الحر الشديد كان الدرس مستمراً ولكن الدرس في أثناء ذلك ساعتين فقط واذكر في السنة الثانية أو الثالثة من المدرسة كان الحر شديداً جداً فأعطونا عطلة مقدار شهرين ثم نتابع الدرس وجرى الامتحان بميعاده .

والعطلة السنوية تكون شهر رمضان فقط .

وبعد عيد الفطر مباشرة نستأنف الدرس للسنة الجديدة .

وكانت تجري إمتحانات اخرى خلال السنة اذكر كان يجرى إمتحان واحد في سنة وامتحانان في السنة التى تليها وهكذا .

وهذه الامتحانات تحريرية والدرجة فيها كانت ١٥ فقط لكل درس ولا تأثير لها على الامتحان النهائى قط بل هو وحده الذي عليه المعول .

وطريقة الامتحان النهائي كانت الدرجة ٤٥ تقسم الى ثلاثة أسئلة تحريري ودرجته ١٥ وشفهيان ودرجتيها ١٠ و٢٠ وكان يجري بطريقة القرعة كان معلم الدرس ينظم بروغرام (فهرس) للأسئلة ويخصص السهل البسيط منها بدرجة ١٠ والصعب والطويل بدرجة ٢٠ . والأسئلة لها ارقامها متسلسلة من ١ الى الاخير فعند دخول الطالب يقدم له الكيس الاول ذو الاسئلة التي درجتها ١٠ وبعد ان يحرك المعلم الكيس لتختلط

الاسئلة ببعضها تماماً لتوقي المحاباة . يمد الطالب يده فيسحب واحداً منها ويسلمه بيد المعلم (وهيئة الامتحان المعلم نفسه وشخصان آخران من معلمى الدروس الاخرى احدهما يقال له مميز والثاني مفتش) والقاعدة ان يكون المميز والمفتش من معلمى الدروس او الصفوف الاخرى في الرشدية ومن معلمى الاعدادية العسكرية أحياناً أما في الاعدادية العسكرية فيكون المميزون والمفتشون من الخارج اى ضباط من الجيش أو من الموظفين الملكيين أو العلماء ممن اشتهر في ذلك العلم أو الفن فيفتح المعلم رقم السؤال ثم ينظر الى الفهرس ويقراء السؤال الخاص به ويبدأ بالسؤال من الطالب هو وحده أو يتدخل المميز أو المفتش أو كلاهما وبعد ان يعطى الجواب يقدم له الكيس الآخر وفيه الاسئلة ذات الدرجة ٢٠ فيسحب منها واحداً ويسأل



بناية المحاكم المدنية ببغداد

التي كانت مدرستي الرشدية العسكرية والاعدادية العسكرية سابقاً أخذت الصورة سنة ١٩٣٠م

عما يتضمه السؤال فيجيب والاسئلة المذكورة هى أوراق صغيرة فيها أرقام الاسئلة ملفوفه على نفسها وموضوعة داخل أنبوب من الصفيح رأسها الواحد مسدود والثاني مفتوح وبعد خروج التلميذ يتذاكر الثلاثة فيقررون السؤال الاول ضمن العشرة درجات وللثاني ضمن العشرين درجة ما يستحقه منهما وبعد الانتهآء تجمع هذه مع التحريري فتكون الدرجة ضمن الخمس والاربعين .

وهذه الطريقة هى التي كانت مستعملة في الاعدادية العسكرية وفي المدرسة الحربية أيضاً وأما درس الخط والرسم فهذان لايكونان شفهيا بل يقدر لهما درجات ضمن العشرين فقط .

وكانت المدرسة الرشدية العسكرية والاعدادية العسكرية كلاهما في بناية واحده هي (المحاكم المدنية الآن) وفي السنة التي دخلت الرشدية كانت قد شيد لهـا بناية خاصة هي (المدرسة الثانوية المركزية الآن) وبعد أن داومت إسبوع واحد فقط صدر الأمر بانتقال الرشدية كلها اليها وبقيت بناية المحاكم خاصة بالأعدادية العسكرية .

والصلاة في هذه المدرسة الرشدية إختيارية لان اكثر الطلاب دون البلوغ وقد خصصت غرفة اطلق عليها إسم جامع فمن اراد الصلاة يذهب ويصلى فيهـا منفرداً وأحياناً كنت ارى احد الأئمة يصلى بالتلاميذ .

والخروج من المدرسة كان يجري بإنتظام تام يصطف الجميع في الساحة التى في القسم الخلفي من المدرسة ويكون ذلك بموجب المحلات وليس بموجب الصفوف فتكون المحلة البعيدة في الاول ثم الاقرب منها ثم الاقرب وهكذا فتخرج محلة باب الشيخ أولا ثم بنى سعيد ثم رأس القرية وغيرها ومحـلة البقجة وما يجاورها القريبة من المدرسة تخـرج في النهاية .

وفي السنة الاولى أو الثانية من دخولى المدرسة الرشدية العسكرية أتانا الامر القاضي بإستعمال النداء (پادر شاهم چوق يشا) (ليعش سلطاننا كثيراً) ثلاث مـرات كل يوم عند اكمال الاصطفاف وقبل الانصراف من المدرسة فيدق البوريزن (البوقي) نقطة فنصيح بصوت واحد النداآء المذكور داعين للسلطان بطول العمر ودام هذا الوضع في المدارس الاخرى الاعدادية العسكرية والمدرسة الحربية .

وفي الجيش أيضاً لا ادرى إذا كان الامـــر شملهم في ذلك الوقت أو كانت مستعملة عندهم قبل ذلك التاريخ والمظنون أنهم كانوا ينادون به مرة واحدة فجعلت ثلاث مرات في التاريخ المذكور .

وكان في المدرسة بقال ، يبيـــع انواع المأكوت الجاهزة ، الفاكهة بأنواعها والـكبة والبيض والكاهي والبقلاوة وغيرها فكان الجميع تقريباً يشترون منـه ويأكلون في أوقات البايدوس (التنفس) لانا لانذهب الى بيوتنا عند الظهر .

وكان البقال في زماننا اسمه (عبد الله بن الحاج فليح) .

وكان المعلمون يرغبون التلاميذ بإجادة الدروس فيفحصون البعض منهم ويمنحونهم مكافآت وهي ورقة مربعة أو مستطيلة قدر نصف الكف مكتوب عليها آفرين (احسنت) يذكر فيهـــا إسم الطالب واجتهاده في الدرس الفلاني ولمـــا يكون يوم الخميس عنـد الاصطفاف يأتون بها وهي كثيرة لجميع الدروس وجميع الصفوف ومعها دفتر فيه أسماء التلامذه الذين استحقوها فتقراء الأسماء جميعاً درساً درساً وصفاً صفاً ثم تقراء البطاقات وتسلم ليد أصحابها بحضور الجميع ثم يصرفونهم ومن إجتمع لديه أربع بطاقات من هذه ولو من دروس مختلفة يعطيها الى مدير الادارة فيعطيه بدلها ورقـــة اخرى خضراء مكتوب عليها لفظـــة (تحسين) وهي أكبر من الاولى وإذا اجتمع لديه ثلاثـــة تحسينات يستبدلها بواحدة (حمراء مكتوب عليها (تقدير) والتقديران يستبدلها باخرى برتقالية اللون مكتوب عليها (تلطيف) وإذا اجتمع تلطيفان وذلك نادراً جداً تؤخذ منه ويستعاض عنها بشريط قصب (كلبدون) يخيطه على متنه الايسر ولكن طيـلة بقائي في الرشدية لم اشاهد أحداً ناله أما التلطيف فقد ناله اثنان على ما اذكر .

(الفصــل الثالث)

ـ في المدرسة الاعدادية العسكرية ـ

وبعد ان تخرجت من المدرسة الرشدية العسكرية جعلوا لنا الخيار في دخول الاعدادية العسكرية فكان والدي يرجح ان اكون موظفاً في احدى دوائر الحـكومة بصفة كاتب (لان الموظف كان يقال له كاتب) وخاصة كان دخولي الرشدية رغم إرادتـه لانه كان يريدني أن اتعلم القراءة والكتابة فقط لأنحو نحوه في صنعته وهو كان استاذاً لمعمل نسيج الأزر الحرير وكان امياً تقريباً يقراء القرآن الكريم ويعرف من الحساب الجمع والطرح فقط ولا يتمكن من كتابة او قراءة غـير القرآن .

فهنــا بقيت المسألة في أخذ ورد بيني وبينه الى أن وافق أخـيراً بدخولى المدرسة الاعدادية فقدمت طلباً بإسمه لهيئــة المدرسة المذكورة وقبلت. وهذه المدرسة ليلية (أي داخلية) بعكس الرشدية فهي نهارية ولكننا بقينا ندرس فيها نهاراً فقط ونذهب للمبيت في بيوتنا لمدة ثلاثة أسابيع أو اربعة على ما اذكر .

وفي تلك الاثناء ذهبنا جميعاً أى طلاب المدرسة كلها مـع الضباط والمدير ولباس التلاميذ هو الرسمى الخارجي (لان في داخل المدرسة كان اللبــاس بسيطا ومتنوعاً واما الخارجي فأبيض في الصيف ولاجوردى في الشتاء وله ترتيب خاص) اما نحن الذين كنا نهاريين . ولم نرتدى البدلات الرسمية بعد ذهبنا بلباسنا الاعتيادي لتدشين جسر الخـر الحديدي الموجود الى الان وقد دعى له جميع الموظفين الكبار وأعيان بغداد وقسم كبير من الجنود المشآة والخيالة والمدفعية فكان لذلك رنة فرح و اغتباط .

ثم دشن الجسر بامرار بطرية (سرية مدفعية) مركبة من ستة مدافـع كبيرة بخيلها ومهماتها عليه بصورة سريعة الواحد تلو الآخر ذهاباً واياباً ثم تليت الادعيــة بطول عمر ودوام عافية السلطان عبد الحميد الثاني ثم وزعت المرطبات وانفض الجميـع ورجعنا الى بغداد .

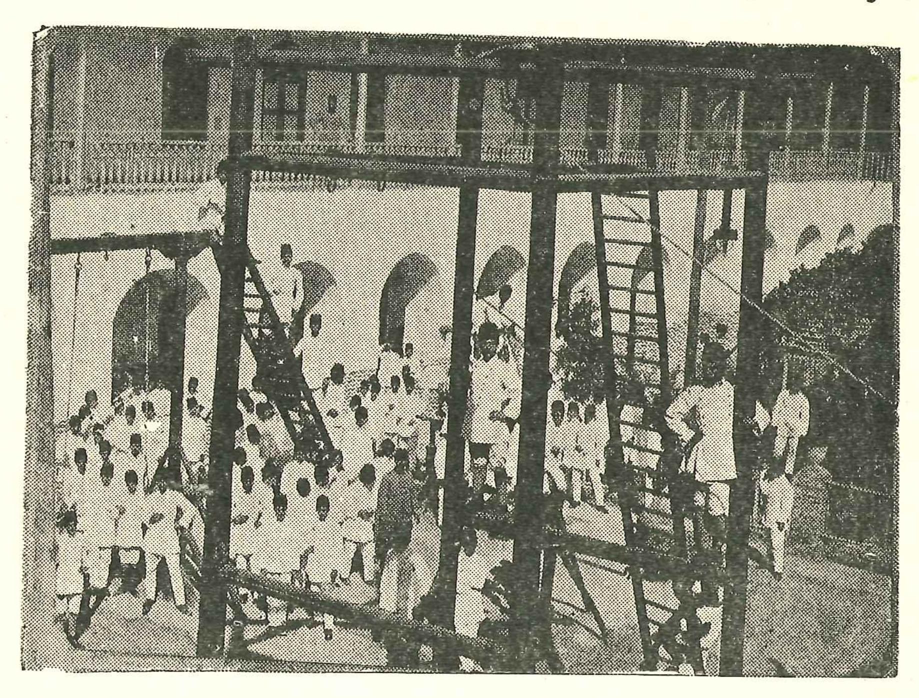
ثم امرونا بالمبيت وخصصوا لكل منا قريولة (سرير حديدي) وفراش جيد وكان أول مبيتنا ليلة الاربعاء وكان المعلمون في هذه المدة يطلبون منا حفظ الدروس ولم يتمكنوا من

تجزية المهملين منا حسب نظام المدرسة لانا كنا نهاريين وعندما تقرر مبيتنا تلك الليلة أجرى علينا الفحص معلم الجغرافية العثمانية وهو رؤوف الجبه‌جي ومن لم يجب كما هو مطلوب منه قيد اسمه وكنا ننتظر يوم الخميس لنخرج الى بيوتنا لانا استوحشنا من أول ليلة وهي الاولى من نوعها بالنسبة لحياتنا حيث لم نكن فارقنا بيوتنا قط . فبعض التلاميذ القدماء هذا يقول هذه ليلة الوحدة كاننا متنا وهذه او ليلة من القبر وذاك يقول (اشلون حال المفطوم) وهلم جرا مما زاد في تأثرنا فجاء يوم الخميس فحلقنا ولبسنا الملابس الخاصة بالخروج فما نشعر الاوقد قرىء الأمر بلزوم بقائنا وعددنا سبعة على ما أذكر محبوسين أي ممنوعين من الخروج بسبب عدم اجادتنا علم الجغرافية فأسقط في أيدينا ولك ان تتصور حالتنا في تلك الساعة ومما زاد في الطين بله هزء التلاميذ السابقين وحتى الذين من صفنا الذين لم يكن نصيبهم أن فحصوا لان المعلم لم يفحص الصف جميعه بل فحص القسم الذي إنتخبه من بينهم وكان ذلك نصيبنا نحن السبعة فالبعض منا بكى بكاء معيبا والبعض انزوى الى ناحية لئلا يراه احد وانا من هذا القسم الاخير وفوق هذا التأثر كان يدق لنا البوقي الدرس أثر خروج من خرج وندخل الصف كالايام الاعتيادية ويمر علينا بعض الضباط ان لانشتغل بغير الدرس بينما رفقائنا يسرحون ويمرحون في الخارج. وعولت على ترك المدرسة واداء مصرف هذه الايام الثلاثة وصممت على مفاتحة والدي عند زيارته لي لانه لابد وان يزورني يوم الجمعة بعد أن يرى رفاقي ويفهم أني محبوس فجاء والدي ووعدني خيراً وإنه سيعمل ما يجب بهذا الخصوص وجاء يوم السبت وحضر التلاميذ كلهم فتساوينا معهم كأننا كنا خرجنا ورجعنا وباشرنا بالدرس ومن حسن الحظ ان معلم الجغرافية أسرع في فك الحبس عنا وقال لنا مبتسما أن هذه الجمعة كافية لكم واني اعلم تأثيرها الذي جرى فيكم فصدر الامر بخروجنا الجمعة الثانية ولو لم يفعل ذلك لترك المدرسة الكثير منا على أهون سبيل . وتعودنا بعد ذلك فلم نعد نرى الحبس مؤثراً بالدرجة السابقة .

واذكر بعد مرور شهر تقريباً قدم الى بغداد المشير أحمد فيضي باشا من اليمن وكان هناك قائد الجيش السابع بدلا من المشير رجب باشا الذي استدعته إستانبول وأرسلته الى طرابلس الغرب خرج من إحدى البواخر النهرية وقدومه كان عن طريق خليج البصرة

فاصطفت العساكر بالقشلة ونحن طلاب المدرسة الاعداديـــة العسكرية في جانب فخرج المشار اليه واستقبل أحسن إستقبال .

والصلواة في هذه المدرسة إجبارية ففيها امام موظف والجميع يصاون . وللصفوف الثلاثة رواتب ريال مجيدى واحد لكل فرد لافرق بين الصف الاول والثاني والثالث اى ١٩ قرشاً صاغاً .



مدرسة الرشدية العسكرية والاعدادية العسكرية وهي بناية المحاكم المدنية الان ببغداد ـ أخذت الصورة سنة ١٣٠٩ هجرية قبل فصل الرشدية العسكرية وذلك الى مدرسة الاعدادية المركزية الان الواقعة مقابل دائرة البرق والبريد المركزية ببغداد

كان القسم التحتاني من بناية المحاكم الآن الذي على جهة النهر خاصة بغرف الدراسة والجهة التي على جامع الوزير فيها المطعم وبيت المؤنة والمطبخ والجهـة التى على السوق فيها الحمام والسجن وغرف الخدم والجهة من جهة الباب فيها غرف الضباط الداخلية ومخزن الالبسة والكتب والتنفس خانه (محل التنفس) وهي الغرفة الكبيرة التى كانت خاصة بدائرة الاجراء

او لزيادة الايضاح انها في الركن الذي بين جبهة الباب وجبهة النهر وهذه للصفين الاول والثاني وكان فيها الدواليب لوضع كتبنا والبستنا لكل طالب دولاب واحد ولما تكاثر الطلاب جعلوا لكل طالبين دولاب واحد .

امـا الصف الثالث فله الغرفة التي عن يسار المتوجه الى الدرج كمحل تنفس (تنفسخانه) فيها الدواليب كالاولى وعند مدخل المدرسة فالغرفة التي عن يسار الداخـل هي لضباط الداخلية (ضباط الادارة) والتي عن يمين الداخل للانتظار (اي إذا حضر احـد ذوي الطلاب فالمواجهة تكون فيها) .

أما الطابق الفوقاني فخاص بغرف النوم وفي الزاوية التي أحد ضلعيها على جامع الوزير والاخر على السوق كانت غرفة الطبيب والجراح وهو يوسف أفندي وغرفة المرضي وفيها ثلاث اسرة وهي للمرضى البسيطين وامـا سائر المرضى فيرسلون الى المستشفى في المحل المسمى المجيدية وفي الزاوية بين السوق وبين جبهة الباب غرفة تسمى غرفة المشـير وفوق جبهة الباب وغرفة المدير والمعلمين .

وترتيب الطعام يعطى لنا صباحاً الشوربة (أحساء) مع الخبز (الصمون) وظهـراً المخضر مع اللحم والخبز ومساءاً المخضر مع اللحم والپلاو (الارز بالسمن) وفوق ذلك يعطى لنا الطاتلي (الحلويات) ليلة الخميس وليلة الاثنين فقط وكان يوجـد في المدرسة المذكورة فرع لعبد الله البقال الذي في الرشدية العسكرية .

وكان المدير هو نفسه مدير المدرسة الرشدية امين فيضي افندي قـد رفع الى رتبة بيكباشي وبقي مديراً للمدرستين ثم جاء بدله من إستانبول ونحن في الصف الثـاني واسمه فايق بك ورتبته بيكباشي فعمل لنا عادة جديدة لانعرفها من قبل وهي في يوم روز خضر وهو يوم واحد في السنة يصادف يوم ٢٣ نيسان رومي (٦ نيسان افرنجي) كنـا نخرج الى بستان الصرافية وترسل الخدم قبل يوم والطباخون فيطبخوا لنا هناك الپلاو (الارز بالسمن) والقزارتمة (اللحم الكثير بهيئة قوزي) والحلوى العسكرية المعروفة مع الخس بهيئة زلاطه فالضباط تنصب لهم خيمة فيجلسون تحتها والمدير في صدرها ونحن الطلاب نسرح ونمرح في داخل البستان من الصباح الى المساء ونلعب العابا مختلفة الى ان خطـر في بال البعض

منا ان يعملوا هوسة فبدأنا نجتمع ونهرول قائلين (فايق بك احنا سواريته) (عثمان التهب نيرانه) وهو عثمان بك مهندس (دائرة الوقف في البصرة الان) وغيرها مادحين المدير والمعلمين .

كان اكثر الطلاب بما يقارب الثلثين منهم تقريباً ممنوعين من الأذن أيام الجمعة بسبب الامتحان وكان يجري في السنة امتحانات عدا الامتحان النهائي احدهما بعد ثلاثة اشهر والثاني بعد ستة اشهر من ابتداء السنة وفي كل امتحان يرسب الصف الا اقله ثم يجتهدون ويطلبون من معلميهم التصديق فيفحصهم كل معلم اثناء درسه ويكتب للادارة عن تخلية سبيلهم لهذا الدرس ثم المعلم الآخر وغيره ولا يمكن الطالب ان يخرج يوم الجمعة مالم يجر فحصه من جميع الدروس التى رسب فيها فيخرج البعض بعد اسبوع والبعض بعد اسبوعين وهكذا ولكنه صعب جداً على البعض الذين ليس لهم ما يؤهلهم لاداء الفحص فيبقون طول السنة في المدرسة ولايخرجون الى بيوتهم الا إذا قرب الامتحان الذي يلي ذلك الامتحان فالمعلمون يشهدون لهم بالاجتهاد دون فحص ليخرجوا ولو اسبوعاً او اسبوعين لعلمهم انهم سوف يرسبون أيضاً وهذا من باب الشفقة وهو ما يعبر عنه الطلاب بالتصديق مجاناً .

فأتت هذه الفكرة في بال البعض منهم وبدوأ يقولون في هوستهم (باچر تصديق مجاناً) واصواتهم بدأت ترعد والحماس أخذ منهم مأخذه فضحك المدير وكذا المعلمون وأوعدنا خيراً . ثم اتت فكرة اخرى وهي كان من جملة الدروس الفرنسوية المحفوظات وهي قطع شعرية او نثرية نحفظها عن ظهر قلب لتقوية التلفظ وحفظ الكلمات فبداء بعضهم يهوس ويقول :—

(*sur les cornes d'un loeuf .*) واخرى (*un fourmis' etail miche*)

اى كانت نمله قد حطت فوق قرون أحد الثيران) وهذه لامعنى لها ولا علاقة بالاجتماع المذكور ولكنهم لم يجدوا ما يقولونه فأخذوا بتلابيب الدروس لتمضية الوقت ولما كان آخر النهار رجعنا الى المدرسة .

كانت المراقبة على الطلاب شديدة فالتدخين ممنوع والعقاب عليه شديد وفي ليـالي الجمعة يخرج بعض ضباط الادارة ومعهم بعض خـدم المدرسة يفتشون على التلاميذ في بيوتهم فمن لم يجدوه في بيته كان عقابه المنع من الاذن لمدة اسبوعين او اكثر ومن وجـد خارج بيته اخذ حالا الى المدرسة .

كنا نحن تلاميذ محلة باب الشيخ لايأتينا أحد حيث محلنا بعيد ونحن قليلون لانخطر ببال الضباط ان يتكلفوا المجيئ الينا ولكن أذكر مرة أتانا أحد الضباط وسـأل عني في البيت فلم يجدني ومر في طريقه من داخل جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني فوجدني هنـاك وكانت الساعة ما بعد الاثنتين غروبية فأمرني أن أسير معهم الى المدرسة وعـذرى لم يفدني بأني كنت اصلى لان الوقت كان بعد الصلواة بمقدار غير يسير وعند خروجنا من الباب الثانية من الجامع مما يلي مخفـر الشرطة كان بعض الذوات أصدقاء والدى جالسين في المقهى هناك وحينما رأونا فهموا القصد وتداركوا المسئلة وارجعوني الى البيت بعـد الرجاء من الضابط والالحاح الشديد عليه .

وكان في المدرسة الاعداديـة العسكرية صف آخر يقال له (مخرج) وهو ليس صفا بحد ذاتـه بل تلاميذ يدرسون في الرشدية العسكرية نهاراً في صفوفها المختلفـة ويأتون للمبيت في مدرستنا وحالهم كحالنا من جهة المأكل والملبس وكل شيـء وهؤلاء اما ايتام او غرباء ليس لهم احد في بغداد او ابناء بعض الضباط الذين هم خارج بغداد .

والدروس في هذه المدرسة كانت كما يلى :—

في الصف الاول

الدرس	المعلم	الرتبة
الجـبر	علي مظلوم	ملازم اول
هندسة مسطحة	علي مظلوم	« «
الافرنسية	عنـبر	ملكية
الرسم	رؤف الجبه جى	ملازم اول
جغرافية عثمانية	رؤف الجبه جى	ملازم اول
كتابة	نجيب	ملازم اول
جمناستيق	رؤف الجبه جى	ملازم اول

	عقائــــد	ملا رشيد	من العلماء
	تاريخ (القرون الاولى)	معروف	يوزباشي
في الصف الثاني	مثلثات	احمد صبري	يوزباشي
	هندسة مجسمة	علي مظلوم	ملازم اول
	الافرنسية	عنــبر	ملـكية
	الرسم	رؤف الجبه جي	ملازم اول
	طرامة	كــذا	« «
	كتابة	عارف	ملازم اول وعبد الجبار ملازم ثاني
	جمناستيق	محمود سامي	ملازم ثاني
	عقائد	عبد الغنى	من العلماء
	تاريخ (القرون الوسطى)	معروف	يوزباشي
في الصف الثالث	ماكنة	احمد صبرى	« «
	الافرنسية	عنــبر	ملـكية
	الرسم	رؤف الجبه جي	ملازم اول
	طرامــة	كــذا	« «
	كتابة	عارف	ملازم اول وعبد الجبار ملازم ثاني
	جمناستيق	محمود سامي	ملازم ثاني
	عقائد	عبد الغني	من العلماء
	تاريخ (القرون الاخيرة)	معروف	يوزباشي
	تاريخ عثماني	معروف	« «
	منطق	عبد الغني	من العلماء
	فوزموغرافية	علي زكي	ملازم اول

الفصل الرابـــع

حالة بغداد منذ نشأتي فيها الى حين سفري الى إستانبول

الاسم — بغداد

فجميع ما ذكر عنها في الكتب العربية لايشفى غليلاخاصة والمؤلفون لايجزمون بشيء والعمدة عندهم على اللفــظ والاشتقاق والتركيب والمعنى والخيال (فياقوت في معجم البلدان يروى بأنها) —(بـغ = بستان وداد = اسم رجل) أو(بغ = بستان وداد= اعطى أو هي معربة من (باغ داذويه) ويقول في بغداد سبع لغات وهي (بغداد ، بغدان ، بغداذ مغداذ ، مغدان ، مغداد ، بغذاذ) واما مدينة السلام فيروى ياقوت أن ملك الفرس اعتل بعد ان اختطها فطلبوا منـــه ان يسميها فقال (هيلدوه وروز) وصحيحها يجب ان يكون (هليد اوفيروز) اى خلوها بسلام فحكي ذلك للمنصور فقال سميتها مدينـــة السلام وقيل سميت مدينة السلام لان دجلة يقال لها وادى السلام او مدينة السلام او لان الله هو الســلام والمدن كلها له .

وقيل ان بغداد كانت سوقاً يقصدها أهل الصين بتجارتهم فيربحـــون الربح الواسع وكان إسم ملك الصين بغ — فإذا انصرفوا الى بلادهم قالوا بغ داد اى ان هذا الربح الذي ربحوه من عطية الملك اى ملـكهم بغ (كل ما ذكر اعلاه مقتبس من معجم البلدان مـادة بغداد) .

ويقول الاستاذ على ظريف الاعظمي في تأريخه (مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث) بأن بغداد من المدن الكلدانية القديمة وكانت عامرة قبل الميلاد بنحوا الفي سنة وقدأيدت الكتابات التي وجدها الباحثون على كثير من الآجر القديم بلفظ (بل دودو) وعلى بعضه (بغدادو)اوبغدانو ومعنى بل دودو مدينة الآله في لغة السريانين الكلدان ويقول الظاهر انهذه الكلمة تحرفت الى بغداد .

وامـــا الزوراء فيقول ياقوت (تأنيث الازور وهو المـــائل والازورار عن الشيىء العدول عنه والانحراف منه سميت القوس الزوراء لميلها وبه سميت دجـلة بغداد (الزوراء) ثم يقول قال الازهرى (ومدينة الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي سميت الزوراء لازورار

في قبلتها وقال غيره الزوراء مدينة ابي جعفر المنصور وهي في الجانب الغربي وهو اصح مما ذهب اليه الازهري بإجماع اهل السير قالوا انما سميت الزوراء لانه لما عمرها جعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة اى ليست على سمتها .

التاريخ – إسسها ابو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥ هجرية . واكملها سنة ١٤٩ هجرية وكانت مدورة تقع في جانب الكرخ ولا يعلم موقعها بالضبط الا انها يجب ان تكون بين الكاظمية والجعيفر الآن واتسعت بعده بالبناء خارجها حتى وصلت الى ما فوق الكاظمين شمالا والى ناحية الدورة جنوباً والى مسافة كبيرة جداً غرباً وكانت تخترقها انهارا عديدة تتشعب من نهر عيسى عندما يقرب من بغداد (وهو نهر ابي غريب الحالى) وهذه الانهار إندرست كلها ولم يبق منها اثر ، وشمل التوسع المذكور الجانب الشرقي أيضاً فكان هناك الرصافة وهي من فوق الاعظمية الحالية الى حد باب المعظم الحالي من جهة ساحل دجلة وبراً كانت تصل اكثر بقليل من عرض الرصافة الحالية وكانت هذه الرصافة مسورة بسبب الحصار الذي جرى على المستعين وهو كان بها ولما بداء الخراب يدب في جميع الاقسام التي ذكرناها بداء العمران ينمو في الرصافة الحالية بين باب المعظم والباب الشرقي ثم احيطت بسور وهو الذي أدركنا أبوابه وخندقه وقد بقي من ذلك باب الوسطاني فقط واقسام كثيره من الخندق تشاهد الى اليوم . وفي الجانب الغربي بقي قسم صغير من المحلة الكبيرة التي كانت تسمى الكرخ وهذه كانت مسورة أيضاً وان سورها كان على نمط سور الجانب الشرقي حسب خريطة جونس وتأسيسه كان في زمن متأخر عنه بكثير. (ويقال ان سور الكرخ هذا انشيء من قبل الوالي سليمان باشا الكبير (١١٩٣-١٢١٧ هـ) ولكن مطابقته لسور الرصافة ينفي هذا الزعم إذ ربما رممه فقط) ولم يبق منه اليوم شيء الابعض اقسام الخندق في جهات الشيخ معروف والجعيفر .

بلغ سكانها نحو مليونين ونصف المليون وبقيت عاصمة الخلافة العباسية الى سنة ٦٥٦ هجرية فافتتحها هولاكو التتري وقتل الخليفة الأخير المستعصم بالله وبقيت بغداد في حوزة التتار والجلائرية وغيرهم مدة ٢٨٥ سنة (٦٥٦ – ٩٤١) الى ان افتتحها السلطان العثماني

سليمان القانوني سنة ٩٤١ وبقيت بين أخذ ورد بين سلاطين آل عثمان وشاهات العجم ١٠٧ سنوات (٩٤١ — ١٠٤٨) الى سنة ١٠٤٨ فإستقرت للدولة العثمانية في عهـد السلطان مراد الرابع الى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) .

الموقع الجغرافي

واقعة في عرض شمالي (٠٠ر٢٠ًر٣٣ْ) وطول شرقي (٠٠ر٢٥ًر٤٤ْ) وذلك في نقطة منارة سوق الغزل حسب خريطة جونس .

(خريطة جونس عملت من قبل القنصلية الانكليزية سنة (١٨٥٣ — ١٨٥٤ م) الموافقه سنة (١٢٦٩ — ١٢٧٠ هجرية) في زمن الوالي رشيد باشا الكوزلكلي (١٢٦٨ — ١٢٧٢) راكبة نهر دجلة القسم الشرقي منها اي الساحل الايسر يسمى الرصافة وهو الاكبر والقسم الغربي اي الساحل الايمن يسمى الكرخ وهو الاصغر ، تقع على قسم من دجـلة مستقيما لااعوجاج فيه وينتهي في دورتين الواحدة الشمالية تدور الى الشرق وهناك قصبة الاعظمية على الجانب الايسر تقابلها الكاظمية على الجانب الايمن .

والثانية الجنوبية تدور الى الغرب وهناك ضاحية الكرادة على الجانب الايسر وقريـة الدورة على الجانب الايمن .

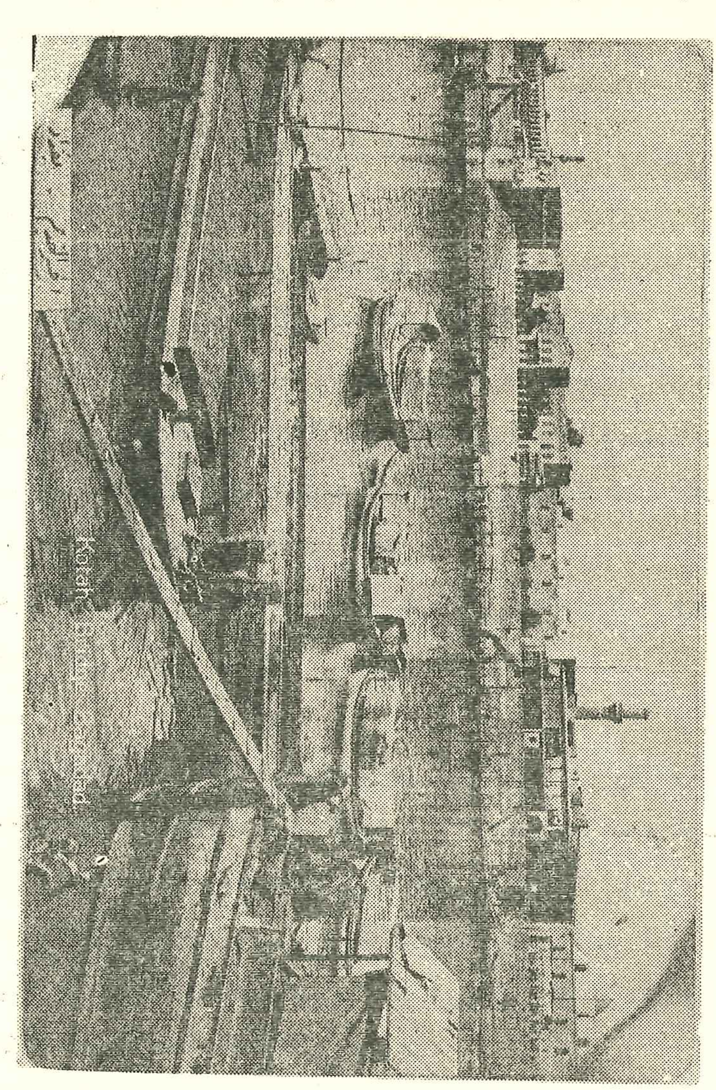
السـعة

محيطها الجانبان متصلان بما في ذلك عرض النهر من الرأسين (١١) كيلو متراً امـا جانب الرصافة فطوله من باب المعظم الى الباب الشرقي (٣٢٦٠) متراً وعرضه في أوسـع قسم منه (٢٢٠٠) متراً وجانب الكرخ طوله من باب الجعيفر الى باب الكريمات (٢٤٠٠) متراً وعرضه في اوسع قسم منه (١٠٠٠) مـتراً وهذا التحديد بموجب السور الذي كانت آثاره او قسم منها موجودة اما الآن فقـد توسعت كثيراً وزالت اكثر الابواب ولم يبق أثر للسور ويوشك ان تنطمس معالم الخندق الذي يدل عليه .

الجسور

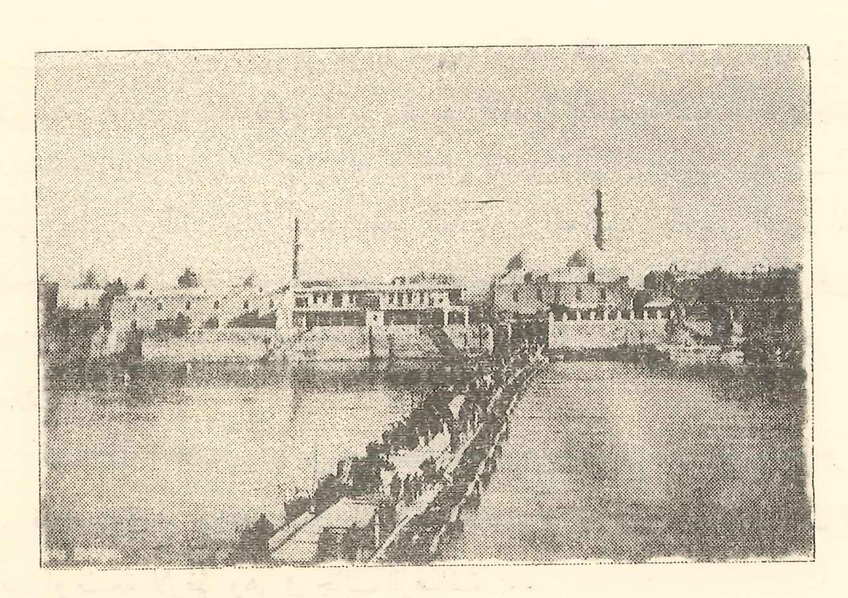
كان يوجد جسر واحد يربط جانبي بغداد وهو الذى رأسه في ظهر جامـع الآصفية (المولة خانه) قرب المستنصرية والرأس الآخر في جانب الكرخ بين قهوة البـيروتي وقهوة

العكامة وموضعه في محـــل الجسر القائم الآن والمسمى (بالجسر القديم) كان قائماً على ٢٤ زورق يقـــال للواحد منهـــا جســـارية طـــوله ٢٢٠ مـــتراً تقريبـــاً وجسر



الجسر القديم المتحرك والمكون من ٢٤ جسارية طوله ٢٢٠ متراً - بغداد

آخر يصل قصبة الاعظمية بالضفة التي يذهب منها الى الكاظمية وثم جسر آخر في جنوب بغداد في محل قصبة كلواذي القديمة تقريباً يسمى جسر قراره ولايوجد غير ذلك وملتزم الجسر او ناظره يقال له (عزب اغاسي) .



تصوير آخر للجسر القديم في سنة ١٩٠٦

الشرايـــع

لما كانت المباني في بغداد متصلة بالنهر من القديم كانت بينهـا فرجات يمكن النزول منها الى النهر للإستقاء او للعبور الى الجانب الآخر وكل واحـــدة من هذه تسمى شريعة فالشرايع في جانب الرصافة عددها (١٤) اليـــك هى : من الشمال الى الجنوب ، شريعة المجيدية وهي خارج السور ، وشريعة البقجة وهي بين مكتب الصنايع والنادي العسكري وشريعة القشلة وهي بينها وبـــين المدرسة الاعـــدادية العسكرية وشريعـــة الجسر وهي بجـــانب الجسر القـــديم وشريعـــة المصبغة وهي بين المستنصرية وقهوة الشط وشريعة خان التمر وهي جنوب خان الدفتردار وشريعة المحكمة الشرعية والذهاب اليها من داخل المحكمة وشريعة الغالبية وشريعة بيت النواب والذهاب اليهـــا من جانب اوروزدي باك ، وشريعة بيت الباجهجي او العمار وهنا انشيء الجسر الثاني مؤخـــراً ، وشريعة ، السيد سلطان علي وهي في الجهة الجنوبية منه ، وشريعة المربعة او المـلا حمادي وهي أسفل من التي قبلها بقليل وشريعة كرد الشيخ والذهاب اليهـــا من إستقامة شارع الكيلاني وشريعة السنك وهي مقابل شارع السنك وشريعة الفناهرة وهي تقابل محلة الفناهرة .

وفي جانب الكرخ (١٠) وهي شريعة الجعيفر في آخر الكرخ من الشمال وبعدها شريعة خضر الياس بجانب مسجد خضر الياس وشريعة القمرية بجانب جامع القمرية وشريعة (الدمبرخانه) وشريعة بيت النواب بجانب الدار المنسوبة الى آل النواب وشريعة بيت الايلچي وشريعة رأس الجسر بجانب الجسر القديم وشريعة السيف بآخر السوق المنتهي بالمسجد الصغير وشريعة الشواكه والكريمات فتجد ان الشرايع في الكرخ اقل من مافي الرصافة وذلك لان ضفة الكرخ عالية جداً ثم قصر المسافة بين اول الكرخ وآخره .

المحلات

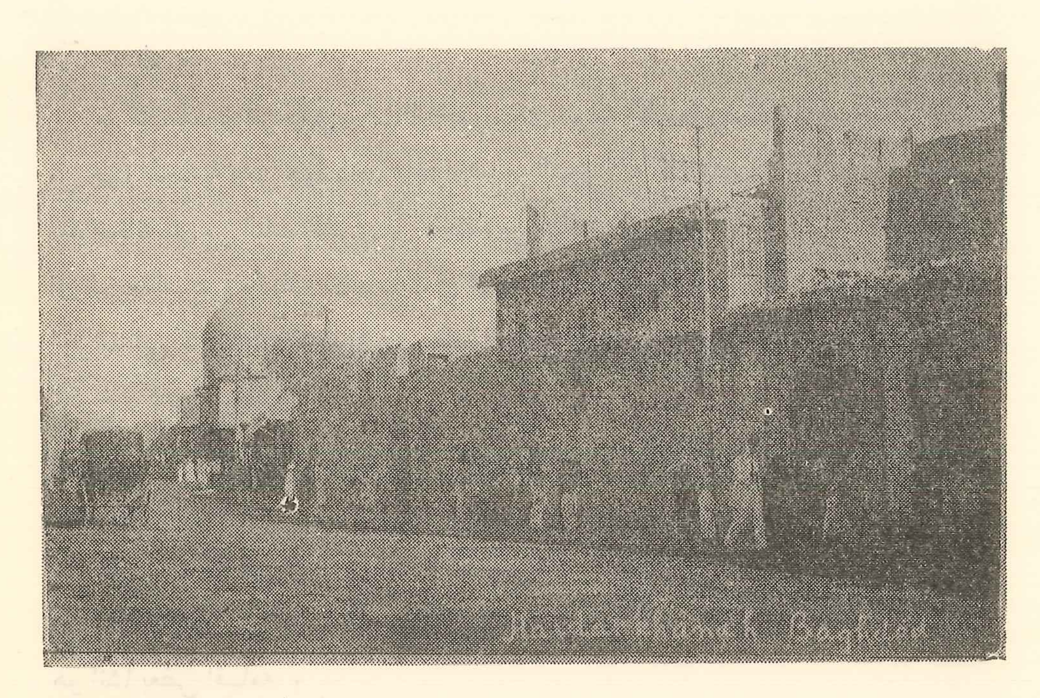
ذكرنا اسماء المحلات مرتبة على حروف المعجم وهي اما باسم عشيرة او جامع او معبد او مرقد او سوق او جماعه ينتمون الى بعض البلاد او صنف من اصحاب الاعمال او علم خاص او طبيعة الارض وهي في جانب الرصافة :—

آل أبي شبل ، آل أبي مفرج ، إمام طه ، باب الاغا ، باب الشيخ ، بارودية ، بني سعيد ، تپة الكرد ، تحت التكية ، تسابيل ، توراة ، جديد حسن باشا ، جوبة ، حاج فتحي ، حمام المالح ، حنون صغير ، حنون كبير ، حيدر خانه ، خالدية ، خان لاوند ، دشتي ، دكان شناوة ، دهانه ، رأس الساقية ، ست هدية ، سراج الدين ، سنك ، سور ، سوق عبيد ، سوق الغزل ، سويدان ،سيد عبد الله ،صبابيغ الآل ،طاطران ،طوب ، عاقوليه ، عزات طوالات ، عزة ، عمارسبع ابكار ، غالبية ، فرج الله ، فضل ، فناهرة ، قاطرخانه ، قراغول ،قرة شعبان ، قشل ، قمر الدين ، قنبر علي ، قهوة شكر ، كبيسات كولات ، مربعة مهديه ، ميدان ، هيتاويين ، ينكيجة . وفي جانب الكرخ :—

باب السيف ، تكارته ، جامع عطا ، جامع غنام ، جعيفر ، خضر الياس ، دوريين ، راس الجسر ، ست نفيسة ، سوق الجديد ، سوق حمادة ، سوق العجيمي ، شواكة ، شيخ بشار ، شيخ صندل ، شيخ علي ، علاوي الحله ، فحامه ، فلاحات ، كريمات ، مشاهدة .

الشوارع

لايوجد شوارع بالمعنى او العرض اوالاستقامة المتعارفة اليوم الا شارع الميدان وشارع



الحيدر خانه « حالياً شارع الرشيد »

السراي وشارع سيد سلطان علي وكل ما هو بعرضها وامتدادها ويطلق عليه اسم العقد والدرب أيضاً مثل عقد القشل وعقد الصخر وعقد الخناق وغيره واكثرها ليس لها اسم او لها اسماء مختلفة كل يسميها باسم ينسبها الى احد ساكنيها والغير نافذ يسمى دربونه طالت ام قصرت والطرق كلها غير منتظمة ولا مستقيمة واكثرها ضيق ومعوج وسبب الضيق يقال عدم الامن ولكنى ارى سببه الحر الشديد في الصيف والبرد في الشتاء وعدم وجود تنظيم في البلديات .

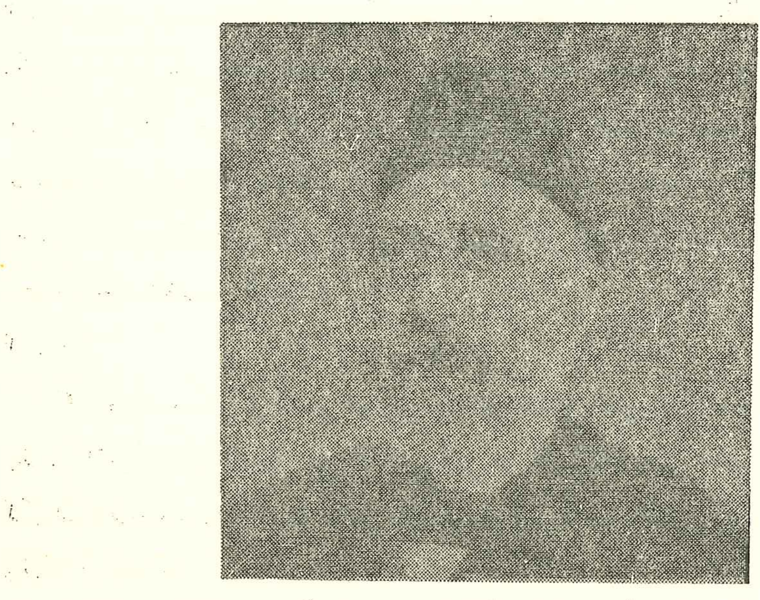
البساتين

كان يوجد بساتين في القسم الجنوبي من بغداد داخل السور بين جامع السيد سلطان على والباب الشرقي وفيها النخيل على الاكثر وقليل من الفراكة وبعض الخضروات وهذه اهمها الكمالية والجوبهچى واوسته عباس والنقيب او السرداحية والنقره واكريبوز والمندلاوى والبكرى وغيرها .

ما كان للسور أثر كما في الوقت الحاضر سوى ابوابه الاربعة وضلعي القلعة الخارجين من جهة المجيدية ومن جهة دجلة بإعتبارهما من السور لانه كان متصلا بهما وكذا ضلعي الدباغخانه اى من الباب الشرقي الى دجلة ومن هناك ينكسر على زاوية قائمة بإمتداد النهر الى شريعة الفناهرة وبعض الأساسات في محال اخرى متفرقة هذا في جهة الرصافة والأقسام الجزئية التي كانت ظاهرة قليلا عن سطح الارض في جهتي الجعيفر والكريمات من جانب الكرخ وكان أصحاب الدواب الذين ينقلون التراب وغيره بالأجرة ينقبون عن الطابوق في الأساسات المذكورة ويبيعونه لاصحاب العمارات وقد نفذ ولم يبق منه شيء وللآن يقال لهؤلاء نقاب .

انشيء هذا السور في زمن الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة (٦١٨) هجرية كما تدل على ذلك الكتابة التي كانت على موضع من احد ابواب السور المسمى بالطلسم وقيل انما هو انشأ بعض اقسامه .

أما تأسيسه فقبل ذلك بزمن غير يسير :



مدحت باشا والي بغداد « أسس تراموای الكاظمية » — مدة حكمه من ١٨٦٩ — ١٨٧٢

وقـد هدمه الوالي (مدحت باشا سنة ١٢٨٥ هجرية) بداعي عـدم فائدته بالنسبة للاختراعات الحديثة من المدافع المدمرة ولاجل توسيع بغداد .

ولا ندري إذا كان له قصد آخر سياسي .وقد انشاء بحجارته بعض المباني الحكومية .

الخنـدق

كان موجوداً بكامله من دجلة في الباب الشرقي الى دجلة بجانب القلعة والقناطر المبنية بالطابوق ذات الاطواق موجودة في باب المعظم وفي الباب الشرقي والباب الوسطاني للعبور عليها وقطع الخندق للجهة الثانية وعند طغيان دجلة كان الماء يملأ الخنـدق جميعه وان كان مسدوداً من الجهتين الا أنه يمـلأ بالترشح وكان يعطى بالالتزام فيزرعونه مخضرات وخاصة اللوبية وتستفيد منه الحكومة رسوم الأعشار فضلا عن بدل الإيجار وفي جانب الكرخ توجد منه أقسام قليلة في جهتي الجعيفر والشيخ معروف .

ابواب السور

أربعة : باب المعظم وهو بشكل ايوان طويل مفتوح من الجهتين ذو اربعة أطواق بينها عقادات نصف كروية لايشبه الابواب الاخرى وباب الوسـطاني وباب الطلسم على نسق واحد بشكل برج مدور تام التدوير وله باب تواجه البلد من الداخل وباب جانبيـة تواجه الخندق ومن هناك له قنطرة طويلة بموازاة الخندق وملتصقة بحافته الخارجية والباب الشرقي كان شـكله مضلعاً منتظماً وكان مستعملا كمضجع للجنود (سرية الدباغـة من فوج الاعمالات الذي أسسه مدحت باشا .

القلعـة

وهي الموجوده الآن لم يتغير منها شيء .

قصر المـأمون

وهو ضمن القلعة في زاويتها الجنوبية الغربية وهو يطل على دجـلة ولم يره أو يعلم به اكثر أهل بغداد وسمع به البعض الآخر ورآه عرضاً بعض الناس وهو بقـايا قصر قديم يظهر إنه من زمن العباسيين .

خان المواصله

وهو المدرسة المستنصرية واقعة على دجلة جنوبي الجسر القديم لم يشع إسمها وينتبه لها الناس إلا بعد إعلان الدستور في الدولة العثمانية سنة (١٣٢٥ هجرية) تأسست هذه المدرسة سنة ٦٣١ هجرية من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي وكانت مستعمله كمخزن للكمرك في الدور العثماني (في سوق دانيال) .

جامع مرجان

أنشأه أمين الدين مرجان الوالى في بغداد من قبل الشاه اويس الايلخاني ولم يزل قائماً وفي داخل المصلى منه كتابه بالآجر في جدار القبلة تشتمل على الوقفية برمتها (في اول سوق العطاطير) .

خان الاورتمه

اى الخان المغطى او المسقوف شاهدته لما كان مستعملا كخان وفيـه التجار في غرفه العديدة في الطابقين ثم اهمل وبقى كمخزن (في سوق العريض) .

خان جغان

الباب منه فقط كانت تعد من الآثار وقد زالت الباب وغيرها الآن وكان فوق الباب كتابة لا ادرى اين هي وما حل بها الآن لأنه تغير الى اسواق (في سوق الكمرك) .

المنارة المقطومة

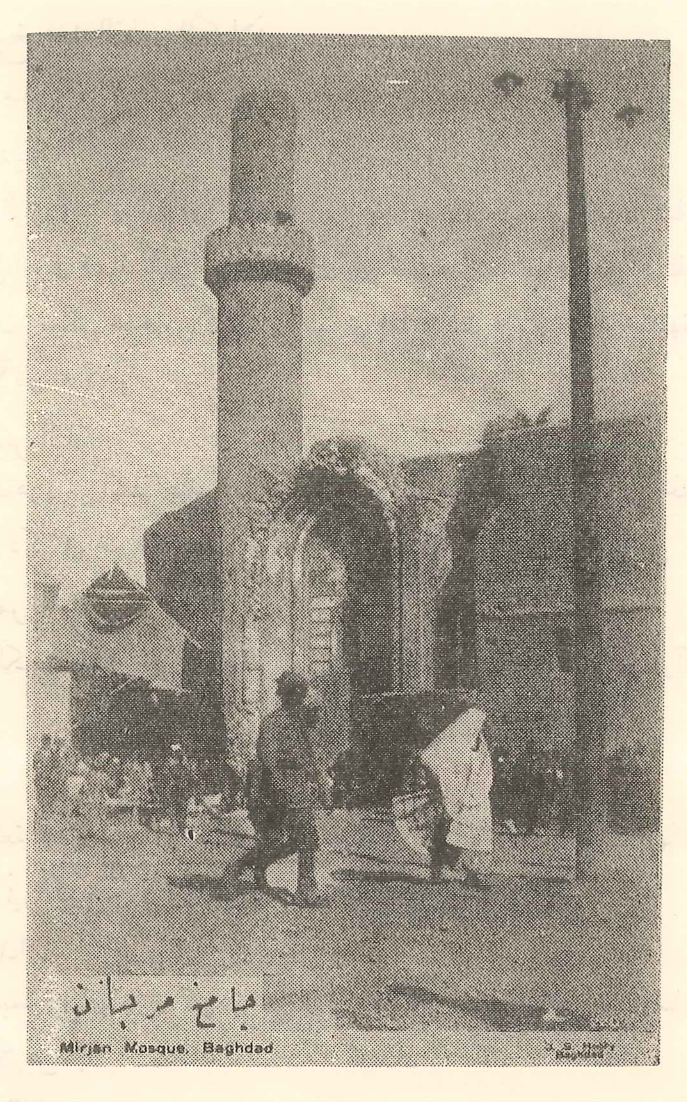
اى المقطوعة وهي كائنة في شارع الى يمينك إذا توجهت من جامع مرجان نحو باب الآغا يخرج الى درب السقاقي يقال انها من بقايا المدرسة النظامية وقيل غير ذلك والمنارة المذكورة من الارض الى الحوض وقسم منه .

منارة سوق الغزل

وهى منارة جامع القصر الذى كان موجوداً في زمن العباسيين ولم يبق منه غـير هذه المأذنة ارتفاعها حوالي ٣٠ متر .

جامع الشيخ عمر

السهروردى قبة الضريح منه قديمة فوقها قبـة مخروطية الشكل وهي القبة السادسة



جامع مرجان الاثري في اول سوق الشطاطير ــــ بغداد

من شكلها في العراق والخمس الباقية هى (الست زبيده في جانب الكرخ) وقبة (امام دور بالقرب من سامراء) وقبة (الحسن البصري) (وابن سيرين) في قصبة الزبير بالبصرة (ومشهد الشمس في الحلة) وجامع الكفل) في قصبة الكفل .

جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

والقديم منه القبة التي فوق مصلى الحنفية والباقي احدث منها .

خان المرادية

او خان الزرور – توجد فوق بابه التي من جهة سوق الخياطين القديم كتابة بالابيض فـوق كاشي ازرق قـد تغطى اكثرها بطاق آخر مستحدث والظاهر من الكتابة فيه اسم السلطان سليمان ويمكن عدها من الآثار ولا ادرى إذا كانت دائرة الآثار منتبهة لها وهل تعدها من الآثار ام لا .

مسناة خضر الياس

كانت ظاهرة من الشط عند نقصان المياه قيل انها بناية كانت من زمن بختنصر البابلي يؤيد ذلك ما ذكر في خارطة جونس وعين محلها تمع شمال جامع خضر الياس .

جامع القمرية

بجانب الكرخ مقابل سراى الحكومة في الرصافة يأتي ذكرها كثيرا في أوآخـر زمن العباسيين .

السن

وهو قطعة كبيرة من مسناة انقلبت الى دجلة في زمن لانعلمه وبقيت فيها تقع جنوب آخر المحلات في الكرخ يقال انها تعود لقصر كان لهرون الرشيد .

كنيسة الميدان

وهي قديمة قيل انها اول كنيسة انشئت في جانب الرصافة الحالية كانت سابقاً للكلدان وهى الان للارمن .

تابية باب الشيخ

تقع في جنوب مقبرة الغزالى وهى تل مدور من التراب او من اللبن وقد استحال قطعة واحدة بمرور الزمن .

تابية الشيخ عمر

تقع امام جامع الشيخ عمر السهروردى وهي مثل تابية باب الشيخ تماماً وتسمى تابية

الفتح أيضاً ومن اراد زيادة التفصيل عن هذه الآثار فعليـــه بكتابنا (معجم مدينة بغداد القديمة) .

طوب ابو خزامة

وهو المدفع الموجود الان في باب القلعة عن يمين الداخل اليها قيل أنه استعمل في فتح بغداد من قبل السلطان مراد الرابع العثماني وللعامة فيه خرافات لامحـــل لذكرها هنا وقد كتب عليه (صنع برسم السلطان مراد خان) .



الشارع امام قديماً - شارع الرشيد حالياً

الاسواق ــ الاسواق في بغداد كثيرة منها مجتمعة وهي المهمة نمر بك فيهـا بالترتيب فأول ما نبداء من سوق السراى وهو يبتدىء من تلاقي شارع القشلة بشارع الاككخانه (المخبز العسكري) وفيـــه بائعي الكتب فتقطعه الى الجنوب فتجـــد على يسارك سوق السراريج (السراجين) وهو ذو شعب كالقيصرية له باب يقفل وباب ثانيـــة على الشارع الخلفي ثم تستمر في إستقامتك فتشاهد سوق الجبرقچية قديماً ثم صار للقوندرچية فتقطعه

فترى عن يمينك سوق بائعي القرطاسية الذاهب الى منفذ له يخـرج الى الجسر ثم تستمر فترى سوق المولّه خـانه وفيه البقالين وعن يسارك سوق الدنكچية وفيـه يجرى تقشير (تهبيش) التمن (الارز) وفيه تجار التوتون يخرج الىسوق باب الآغا وتستمر في استقامتك فترى عن يمينك سوق رأس الجسر او سوق السيان ينتهي في رأس الجسر وله باب هناك وفيه تباع السبلان والكاهي وبعض مواد السراجه ويوجد من سوق رأس الجسر سوق آخر يتشعب منه ويوازي استقامتك الاولى وينتهـي في سوق الكمرك الذي سنصل اليـه من الاستقامة الاولى أيضاً ويسمى سوق دانيال وفي هذا تباع الملابس وبعض المـواد القديمة والقسم الاخير منه القريب من سوق الكمرك يسمى سوق الهرج وهو يعمل فيه المـزاد للامتعة المستعملة وتستمر ني إستقامتك الاولى فتخترقسوقالخرده فروشية وفي وسطه الى يمينك منفذ الى سوق دانيال يقابل باب خان المواصلة (المستنصرية) فيه وتمشي فتقطع بقية سوق الخرده فروشية فيأتيك سوق الهرج القديم وهو في وقتنا الذي نصفه فيه يسمى سوق العباچية تباع فيه العبي والعقل والازر والابريسم والقز للنساءويسمى سوق الشيخلية أيضاً وفي أول هذا السوق منفذ آخر على اليمين الى سوق دانيال وعلى اليسار سوق آخـر يدور بعد خطوات الى اليمين بزاوية قائمة تاركاً باب جامـع القپلانية في رأس الزاوية ويستمر فيوازى سوقالهرج القديم وهذا يسمى سوق القپلانية وتباع فيه المفروشات بأنواعها الزوالي والدواشك والحف والحصران وما أشبه فيكون هنا ثلاثة اسواق موازيـة لبعضها وكلها تنتهي في سوق الكمرك الذى يتعامد معهم فإذا خرجت من سوق الهـرج القـديم يكون سوق الكمرك الى اليمين والى اليسار فبعد ان تقطع مسافة قصيرة الى جهـة اليسار تجد أمامك سوقاً متعامداً معه ويستقيم مـع سوق القپلانية يسمى سوق الچرخهچية وإذا اتجهت الى يمينك بعد خروجك من سوق الهرج القديم وقطعك مسـافة قليلة في سوق الكمرك هذا يكون عن يمينك منتهى سوق دانيال ثم مسافة اخرى قليلة أيضاً تراه يدور بزاوية قائمة الى اليسار فذاك سوق الصياغ اولا ثم صار للخفافين فسوق الخفافـين وسوق الچوخهچية متوازيان ومتباعدان يكتنفانخاناً كبيراً للصاغة يسمى خـان جغان فلنمر بك اولا في سوق الچرخهچيةوهو تباع فيه الاچواخ خاصة ومعها أقمشة اخـرى حريرية فعند

أول مرورك به تجد على يسارك سوق الصفافير متعامداً معه يخرج الى سوق باب الآغا وبعد شطر من سوق الچرخه‌چية تجد الى اليسار أيضاً سوق القزازين وبعد قليل سوق الخرابة وهو خرب متروك لاشيء فيه ويقابل هذا عن اليمين سوق يسمى سوق الزنجيل لسلسة كانت في مدخله وبعد قليل الى اليمين أيضاً سوق آخر أوسع من الاول وهما خاصين بالخفافين وفيهما الصناع اللذين يصنعون اليمنيات الحمر وكلاهما يخرجان الى سوق الصياغ المذكور سابقاً ثم تجد عن يسارك مقابل الثاني منهما سوق الجايف وفيه المعمولات المحلية البز والبشتمالات والمناشف والبيرمات والعرقچينات وغيرها فتمر به خطوات فينعكس الى يمينك بزاوية قائمة ويخرج الى سوق البزازين الذي سنأتي اليه من استقامة سوق الچوخه‌چية ثم نستمر في سوق الچوخه‌چية وهناك سوق الزرور تباع فيه الخيوط والازرار والقياطين الحريرية التي يستعملها الخياطون للزبنات والدميرات وما اشبه وبعد الخروج منه صرنا وإياك في سوق البزازين وهو الى يميننا والى يسارنا وقبل ان نمر به يقابلنا سوق الطمغة وفيه تباع الجلود والكواني وغيرها .

وفيه مخزن كبير جعل مركزاً لملتزم الطمغة وهو يخرج الى سوق القيصرية فلنتركه الآن ونرجع فنمضي في سوق البزازين الى اليسار أولا فنصادف مخرج سوق الجايف : قيل أن سبب تسمية هذا السوق بالجايف قد تكدست فيه الجنائز بسبب الطاعون الكبير الذي سيجيء ذكره في مادة (الطاعون يرافقه غرق بغداد) عن يسارنا وبعد قليل سوق الصرافين عن يميننا وهذا يخرج الى سوق القيصرية ويسمى أيضاً سوق الباشا ثم مخرج سوق القزازين عن يسارنا (وهو يتعامد من نهايته بنهاية أخيه الذي ذكرناه عندما كنا في سوق الچرخه‌چية) فالاول خاص بعمل الهميانات وهذا الثاني بعمل الحيص وهما نوعان من الاحزمة) وبعد قليل نشاهد باب القيصرية عن يميننا ولها باب يغلق واخر ينفذ الى سوقها من خلفها وبعد باب القيصرية بمسافة يأتيك سوق الخياطين عن اليسار ويسمى سوق المرادية أيضاً يقابله عن يمينك باب خان الاورتمه ثم نمر بقسم آخر من سوق البزازين أوسع من الاول يسمى سوق العريض فنخرج الى اول سوق باب الآغا المتعامد معه والذي يمتد الى اليسار ويمتد سوق آخر الى اليمين تباع فيه المسامير والادوات النجارية الاخرى ثم نتياسر ويسمى سوق العطاطير (ويقابل سوق العطاطير منتهي سوق القيصرية

وفي نقطة اتصال هذه الاسواق الثلاثة توجد باب جامع مرجان فانعد بك وانت خارج من سوق الچوخاچية ومستقبل سوق الطوغة (في ســوق البزازين) فتذهب الى يمينك فترى سوق الكبابجية وفيه يباع الشواء والمأكولات الاخرى الجاهزة وتخرج الى ســوق الصياغ ويستمر سوق الكبابجية هذا بإستقامته مخترق سوق الصياغ الى شريعة المصبغة فإذا توسطت في نقطة تلاقي سوق الكبابجية وسوق الصياغ وجعلت شريعــة المصبغة عن يمينك وسوق الكبابجية عن يسارك فحينئذ يكون الصياغ خلفك فيقابلك سوق السررجية وهـو يعمل فيه الاسرة من سعف النخل فتقطعه ومنه الى شارع الى اليسار يذهب الى سوق اليقصرية وسوق القيصرية هذا تبــاع فيه الكراني والبرنوطي وفيه مجلدي الكتب والدفاتر وغيرها ويسمى سوق الصحاحيف (المجلدين) وينتهي عند باب جامع مرجان بقى علينا ان نصف لك سوق باب الآغا وهو إذا انتهيت من سوق العريض وجعلت سوق البزازين خفك فامشي الى يسارك تجد سوق باب الآغا وهو اقسام فأول قسم منه هو سوق الاسكهچية تباع فيه اليمنيات والقنادر العتيقة بعد تعميرها ثم سوق الحدادين ثم التنكجية وترى منتهـى سوق الصفافير عن يسارك ثم صانعي البرنج ثم منتهـى سوق الدنكچية على يسارك أيضاً ثم سوق الحيدرخانه وفي هذا الاخير اشياء مختلفة كأنه سوق خاص بالمحلة ثم ينفــذ بعد شارع طويل ضيق الى سوق الهرج الذي في الميدان فنرجع الآن الى سوق العريض ونولي ظهرنا سوق البزازين ثم نمشي الى يميننا وبعد ان نخترق السوق الصغير الذى تبــاع فيه المسامير نقابل جامع مرجان فيكون عن يميننا منتهـى ســوق القيصرية فنذهب الى اليسار وندخل في سوق العطاطير تباع فيه انواع العطارة ثم يأتيك سوق الشورجه وهو للخردة فروشية .

ثم سوق البقال خانه فيه تبــاع الفواكه ثم حمام الشورجه عن يمينك وتستمر فتدخل في سوق المناخل ثم علوتين للحبوب متقابلتين ثم سوق الــتمارة وهو للتمر والخضروات ثم علاوى الشورجه على كلا الجانبين ويكون عن يمينك سوق الغزل وفيه منارة سوق الغزل القديمة وهي لجامع القصر الذى لم يبقى منه سوى قسم قليل دعي بجامع الخلفـاء وتستمر في طريقك فترى سوق الدهانه وفيه بائعي الشموع والشكرچية (بائعوا الحلويات) .

وبقى من الاسواق المهمة سوق الميدان وهو إذا وليت ظهرك سوق السراى ومضيت

في شارع القشلة تجد بابها عن يسارك يقابلها دائرة البلدية الاولى ثم تستمر فتجد جامع حسن باشا عن اليمين وباب السراى عن اليسار وباب قشلة الضبطية أمامك فتدور حينئذ الى اليمين بزاوية قائمة ماشيا خمسون خطوة او اكثر ثم تستمر فتدور نحو اليسار وهذا هو سوق الميدان وفيه المطاعم وبعض باعة الخردوات وغيرها وبعد مدخل سوق الهرج على يمينك تدور الى اليسار أيضاً وتنتهي في ساحة الميدان وفي القسم الاخير هذا منه تباع بعض المأكولات والحلويات واشياء اخرى مختلفة .

وعدا هذه الاسواق توجد اسواق كثيرة في بعض المحلات تزودها بما تحتاجه من المواد الضرورية للبيت ، هذا كله في جهة الرصافة .

واما في جهة الكرخ فيوجد كثير من العلاوى للحبوب في جهات علاوى الحلة والشيخ صندل والشيخ معروف وتوجد اسواق اخرى متفرقة في المحلات فيها كل ما تحتاجه البيت .

وقد مضينا في تفصيل الاسواق اكثر من اى مادة اخرى في هذا الفصل لاهميتها اولا ولوجود الخانات وبعض الجوامع فيها حتى إذا ذكرنا الجوامع والخانات في مادتيهما نكتفي بذكر محل وقوعهما من الاسواق فيمكن القارىء الوصول اليهما بسهولة .

الحدائق العامة — كان يوجد حديقة واحدة عند الخروج من سوق السراي في الميدان لاغيرها قيل انها من تأسيسات سري باشا الوالي في سنة ١٣٠٥ هـ والمجيدية عمات في اول الامر في زمن مدحت باشا حديقة عامة سميت مات باغچه سي ثم اهملت ثم صارت مستشفى .

الخانات — الخانات كثيرة يبلغ عددها ١١٨ تقريباً ولكن الاكثر منها خاص بالمكارية وايواء الدواب وحفظ الاموال والمهم منها ما كان في الاسواق ومشغول من قبل التجار وهذه نذكرها ونذكر السوق التي هي فيه .

خان القوندرجيه في سوق القوندرجيه (الجبوقچية) مقابل جامع الوزير .

خان المواصلة (المستنصرية) في سوق دانيال .

خان جغان في سوق الكمرك .

خان الصياغ (الپاچه‌چي) في سوق الصياغ قديماً والخفافين حديثاً .

خان الدفتردار في سوق السرجيه .

خان كبه وخان النخلة (الكتان في سوق العريض) .

خان القپلانية في سوق القپلانية .

خان الوقف قبال جامع مرجان .

خان سوميخ وخان درويش علي وخان الريجي وخان المميمز كلها في الشارع المتفرع من سوق الصفافير والنافذ الى الدنكچيه .

وفي جانب الكرخ خانات كثيرة الا انها خاصة بالمسافرين وغيرهم .

خان قبوچي كهيهسي اثنان بهذا الاسم في منعطف قسمي سوق القزازين وبعيداً عنه قليلا في الشارع الذاهب الى سوق الصفافير وسوق الخياطين .

خان الرماح في سوق الخردة فروشيه .

خان مخزوم في سوق العريض .

خان الزرور (المرادية ، الدوكمة) في سوق الخياطين (المرادية) .

خان الباشا الكبير في سوق القيصرية .

خان الباشا الصغير في سوق الصرافين .

خان الاورتمه في اول سوق العريض ويقابل سوق الخياطين (المرادية) .

خان الدجاج في وسط سوق العطاطير مقابل الطاق في رأس الطريق الذاهب الى محلة رأس القرية والى سوق الغزل .

خان دله الكبير في سوق البزازين .

خان دله الصغير في سوق المرادية (السكه خانه) .

خان الذهب الكبير في اول سوق القزازين من جهة سوق الچوخهجية .

خان الذهب الصغير في سوق القزازين أيضاً .

خان فتح الله عبود في اول سوق باب الآغا من جهة سرق العريض .

خان الحاج ياسين في سوق القيصرية .

خان الكمرك في تلاقي سوق الكمرك مع سوق الصياغ .

خان العادلية يقابل المحكمة الشرعية وبجانب جامع العادلية الكبير .

خان الصفافير وهو عند مدخل سوق الصفافير من جهة سوق الچوخەچيه .

خان المصبغة عن يمين المتوجة الى شريعة المصبغة يلاصق خان الخفافين من جهاتهما الداخلية .

خان اللوقنطة في سوق المولە خانه قبال سوق القرطاسية وله باب على طريق الدنكچية

خان الجسر في آخر سوق القرطاسية بجانب دائرة الرديف ويقابل المنفذ الخارج الى ساحة الجسر .

خان الزئبق في الدنكچية .

خان التمر في الشارع الذاهب الى شريعة خان التمر .

خان بيت اندرية (الشابندر) على اليمين قبل المحكمة الشرعية بقليل .

خان البرزللي الكبير ثم الصغير في سوق القيصرية .

خان الكباجية (المعظماوى) في سوق الكباجية ،

الحمامات – وهي متفرقة في بغداد

حمام الباشا في سوق الميدان .

حمام حيدر في محلة رأس القرية .

حمام القاضي بجانب المحكمة الشرعية .

حمام الكمرك عند الدخول الى الكمرك من سوقه .

حمام الكهية في محلة دكان شناوه قرب جامع الكهية .

حمام الشورجة في سوق الشورجة .

حمام السيد – في محلة سراج الدين .

حمام التيلخانه – بجانب دائرة البريد والبرق .

حمام الكيچەچيه في سوق باب الآغا .

حمام پنجه علي – في سوق باب الآغا .

حمام المالح – في المحلة المسماة به .

حمام عريد — في محلة المربعة .

حمام تاجه — في محلة حاج فتحي .

حمام الراعي — ادركنا خرائبه في محلة قهوة شكر قرب الفناهرة .

حمام الخسته خانه — بين السراى والخسته خانه العسكرية التي هي نادي عسكري الان، وقبل ان تنتقل الى المجيدية .

حمام عفيان في محلة الفضل .

حمام الفضوة — في محلة باب الشيخ قرب فضوة عرب . هذا كله في جانب الرصافة .

وحمام ايوب وحمام شامي وحمام اليتيم (بالتصغير) في جانب الكرخ .

المجازر

ما كان يوجد مجزره بالمعنى المفهوم اليوم بل قد خصص محال متعددة خارج الدور مما يلي المقابر في كلا الجانبين الرصافة والكرخ وعليها مراقبه بالاسم وبعض الولاة كان يشدد بالمراقبة فتأتي الذبائح ممهورة فإذا أستبدل ذلك الوالي اهملت والبلدية تستلم رسوم الذبحية او تعطيها بالالتزام على الاكثر .

الدور والدكاكين ونحوها

كان يوجد في بغداد ١٨٠١٧ دار ٣٢٤٤ دكان و ١١ دكان كبير (مغازة) و ١٢٤ علوه و ١١ صيدلية و ٦٨ مصبغة و ٢٠ شكرخانه و ٣٤ كتاب للاطفال و ٤ لوكندات (مطاعم) .

اماكن الحكومة

المجيدية — وكانت مستشفى عسكرياً وقبل ذلك كانت (ملت باغچه سى) وقبلها قصر لاقامة ناصر الدين شاه عند زيارته بغداد وقبلها كان قصراً للوالى نجيب باشا الذي تولى من سنة ١٢٥٨ الى سنة ١٢٦٤ .

الدكرمان

المطحنة العسكرية تقع شمال المجيدية على ساحل دجلة وهي كانت تجهز الطحين للجيش .

الاكمكخانه

المخبز العسكري تقع في منتهى شارع بجانب مدخل سوق السراى الخاص بالكتبيه فيها افران يعمل فيها الخبز (الصمون) للجيش من قبل سرية تنتسب الى فوج الاعمالات .

السراي

يقع بإتصال القشله العسكرية من شمالها على ساحل دجلة وهو مربع مستطيل الشكل المباني فيه على الجهات الاربع ذو طابقين والفوقاني له طارمه امام الغرف قائمة على دعامات خشبية ولها محجر خشبي يطل على الساحةالوسطيه فيمكنك ان تمر بالجهات الاربع لاحاجز يمنعك من الوصول الى النقطة التي تحركت منها وامام الجبهه التى تطل على النهر من جهة الساحة الوسطية خرجة مدوره ولها محجر ودرجين من الجهتين خاصة لقراءة الفرامين والادعيه للسلطان وما أشبه .

القشلة



ساعة القشلة الحديثة ببغداد وقد انشأ بالقرب من الساعة وزارة العدل حالياً

وهي في جنوب السراى على النهر أيضاً اطول من السراى بمرة ونصف تقريباً ذات طابقين الا من جهة النهر فمكشوفه وفي وسط هذه الجهة ساعة كبيرة قائمة فوق مناره .

البلدية الاولى — وهى بناية تقابل باب القشله .

التحميص خانه

وفيها يجري تحميص القهوة تقع قبال باب جامع الموله خانه ويؤخذ على القهوة رسوم اى اجرة التحميص وليس للقهواتية ان يحمصوا القهوة في محل آخر .

المطبخ العسكري

وهي البناية المتصلة ببناية البلدية الاولى من شمالها الى حد جامع حسن باشا .

المدرسة الاعدادية العسكرية

وهى البناية التى تطل على دجلة جنوبي القشلة يفصل بينهما شارع يؤدى الى النهر وهناك شريعة المكتب او شريعة القشلة .

قشلة الضبطية

تقع في منعطف شارع السراى مع سوق الميدان اى في شرق حرم الوالي وله باب اخرى خلفيه تؤدى الى جامع النعمانية .

حرم الوالي

شمال السراى على النهر خاص بإقامة الوالى .

المدرسة الرشدية العسكرية

بجانب جامع النعمانية مقابل دائرة (البريد والبرق) التيلخانه .

المدرسة الرشدية الملكية

وهي البناية التي تقابل القشلة وجنوب بناية البلدية الاولى بينهما شارع يؤدي الى محلة جديد حسن باشا .

القلعة

هى في زاوية السور الشمالية الغربية من الرصافة مطلة على دجلة تقابل قصر المجيدية خارج السور بينهما شارع عريض وهي مستعملة قشلة للمدفعيه .

الكرنتينة

وهي البنـاية الموجودة الآن خارج باب المعظم عن يمين الذاهب الى الاعظمية وكانت مستعملة كقشلة للخياله .

دائرة الخياله

في باب المعظم على يمين المتوجه الى الباب المذكور من داخل بغداد وملاصقة لها بما في ذلك الطابق الذي فوق الباب المذكور .

الطلسم

هو احد أبواب بغداد جنوبي باب الوسطاني يشبهها بشكله كان مخزناً للبارود .

البارودخانه

وهي بناية مربعة الشكل تقع خارج الدور في الزاوية الشمالية من سور الرصافة يحفظ فيها البارود .

دائرة الرديف

وهي في رأس الجسر مطلة على النهر في جهة الرصافة تقع في منتهى سوق القرطاسية.

التنبلخانه

وهي البناية الكائنة عن يسار الذاهب الى الشرق من محلة الفضل في شارع خان اللاوند.

الدباغخانه

وهي مجموع البنايات الكائنة في الباب الشرقي من البرج الذي كان باباً للمدينة الى نهر دجلة والخندق فالبنايات كانت تحتوى على آلات واحواض للدباغة والبرج كان مستعملا كمضجع للجنود وهي سرية الدباغه المنسوبة الى فوج الاعمالات .

العبا خانه

المحل المسمى بهذا الاسم تقع على يمين الذاهب الى سوق القاطرخانه من السيد سلطان علي كانت مركز لفوج الاعمالات وسرياته الاربع الاولى اكمكچى (خبـاز) ومحله في الاكمكخانه (المخبز) والثاني سراج والثالث حائك وهما في نفس العبـاخانه والرابع دباغ

وهو في الدباغخانه وهناك ماكنه للحياكة بجميع فروعها تشتغل بالبخار من نوع واط وهذه أسسها مدحت باشا .

معمل الثلج وإسالة الماء

تقع شمال المستشفى العسكري الذى صار مخزن (إنبـاراً) للوازم العسكرية ثم نادياً عسكريا بينهما شريعة يصنع فيها الثلج عدا سحب الماء وتوزيعه للمحلات كما ذكر في مادة الاستقاء وهذا هو المعمل الوحيد للثلج :

مكتب الصنايع —

وهو في شرق معمل الثلج ويكون معه زاوية قائمة فكـان يعلم فيه القراءة والكتابة والحساب وغيره عدا اشغال النجارة والحداده والحياكه :

الخسته خانة العسكرية (المستشفى العسكري)

كان في محل النادي العسكرى الآن .

خسته خانة الغرباء

كانت خارج باب المعظم بجانب الخان .

القوللغات — المخافر

كان يقيم في كل منها ثلة من الضبطيه (الجاندرمه) وهي ١٤ بـاب الشيخ ، قـاضى الحاجات ، المربعة ، السنك ، رأس القرية ، الفضل ، دكان شناوه ، السور ، حمام المالح ، حيدر خانه ، قنبر على ، أبو شبل في الرصافـة . والجعيفر وآخر بجانب حـمام اليتيم في جانب الكرخ .

الدمير خانه

بناية على دجلة بجانب الكرخ عند مبداء الترامواى قرب جامع حبيب العجمى :

الكمرك — الرسومات

كانت الساحة التى امام المستنصرية من جهـة النهر مسقوفه وهى والقباب الاخرى جنوبها والرواق مستعمله كمحل للكمرك ثم الحقت بها المدرسة المستنصرية واتخذت كمخزن لها بعد ان كانت مستعملة كخان يسمى خان المواصله .

قشلة البحرية

كانت المدرسة العمرية الواقعة جنوب جامع القمرية في جانب الكرخ مستعملة كدائرة للبحرية ووظيفتها تسجيل السفن واستيفاء الرسوم عنها سنوياً فقط .

التمغـــه

كانت لها بناية في السوق القسم الاخير من استقامة سوق الجرخجية من جهـــة سوق القيصرية .

مطبعة الولايه

كانت شرقي مكتب الصنايع وملاصقة له تصدر منها جريـــدة الزوراء وتطبع فيهـــا الاوراق للدواوين الحكومة ورسائل اخـــرى وكان يديرها الاستاذ فهمي المدرس المحل الذى كان نمونه طابوري وكوچون ضابطان مكتبي وهو المحـــل الذي كان مجلس الامة في جانب الكرخ في وقت ما .



شارع جامع مرجان والابنية القديمة ببغداد الان شارع الرشيد

محال العباده ـ الجوامع

يوجد من الجوامع والمساجد في بغداد ما يقرب من ١٥٠ جامعاً ومسجداً نذكر المهم منها ونذكر المحل الذي هي فيه من الاسواق اوغيرها :

جامع مرجان

في اول سوق العطاطير :

جامع القبلانية

في سوق القپلانية وله باب ثانيـــة على سوق الخرده فروشيه :

جامع الوزير

في سوق الجوقچية

جامع الكبابجية (الوفائية)

في سوق الكبابجية

جامع المولة خانه (الآصفيه)

في اول سوق القرطاسية الذاهب الى الجسر وله باب ثانية على سوق السيان .

جامع الصياغ او الخفافين

في السوق المسمى بهذا الاسم .

جامع الحيدر خانه

في سوق باب الآغا محاذياً محلة الحيدر خانهوله باب ثانية على هذا السوق أيضاً وثالثة على الطريق الشمالي منه .

جامع السيد سلطان علي

في الشارع المسمى بهذا الاسم .

جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

في محلة باب الشيخ له بابان شمالية وجنوبية .

جامع المرادية

في شارع الميدان وله باب على الطريق الجنوبي منه .

جامع الاحمدية

في سوق الميدان وله باب ثانية على حديقة الميدان وثالثة على سوق الهرج ورابعة على سوق البقالين .

جامع الخاصه كى

في محلة رأس القرية .

جامع سراج الدين

في محلة الصدرية وله باب ثانية على سوق الصدرية .

جامع حسن باشا

في شارع السراى وله خمسة أبواب اثنان على شارع السراى وثلاثة على الشوارع الخلفيه.

جامع الفضل

في محلة الفضل له باب ثانية على الشارع الخلفي .

جامع العاقوليه

في محلة العاقولية .

جامع العادليه

قبال المحكمة الشرعية .

جامع الخاتون (نازنده)

في محله الحيدر خانه له بابان من الشرق ومن الشمال

جامع الخاتون (منور)

في محلة عباس افندي .

جامع الكهيه

في محلة رأس الكنيسة .

جامع حمام المالح

في محلة حمام المالح .

التكيـــة الخالدية وهي جامع

في محلة رأس القرية .

جامع سوق الغزل

في محلة سوق الغزل .

جامع الثمانية

قبال التيلخانه .

جامع الأزبك

في الميدان قرب باب المعظم .

جامع علي أفندي

في محلة البارودية .

جامع الشيخ عمر السهروردي

خارج الدور قريب من الباب الوسطاني .

جامع الحاج فتحي

في محلة العوينة .

جامع قنبر علي

في محلة قنبر علي .

جامع المصرف

في شارع المصرف .

جامع النعماني

في محلة المربعة .

جامع حسين باشا

في محلة الحيدر خانه .

جامع خضر بك

في محلة امام طـــه .

جامع بنات الحسن

في محلة رأس القرية . هذه جميعها في جانب الرصافة .

جامع حنان

قرب الجسر .

جامع خضر الياس

في محلة خضر الياس :

جامع سليمان الغنام

في محلة جامع غنام .

جامع الشيخ صندل

في محلة الشيخ صندل .

جامع الشيخ بشار

في محلة الشيخ بشار

جامع عطا

في محلة جامع عطا

جامع القمرية

مطل على دجلة .

وجامع الشيخ معروف الكرخي

خارج السور وحوله مقبرة . وهذه في جانب الكرخ. هذه ٤٢ جامعاً منها ٣٤ في جانب الرصافة و٨ في جانب الكرخ والمساجد وعددها ١٠٨ منها ٨٤ في جانب الرصافة و٢٤ في جانب الكرخ .

الكنائس

وكلها في جانب الرصافة وهى سبعة كنائس لمذاهب مختلفة وكلها في المحلتين رأس القرية وسوق الغزل وهم للكلدان واللاتين والسريان والروم الكاتوليك

والارمن القديم والارمن الكاتوليك والسابعة للارمن أيضاً وهي تقع بعيده عن زميلاتها بين محلتي الفضل والصابونچية ويقال ان هذه اقدم الكنائس الموجوده في بغداد الان .

التوراة

وكلها في جانب الرصافة وهي (٢٠) وكلها متقاربة في المحـلات التي يسكنها اليهود اقدمها إثنان وهي الكنيس الكبير ثم كنيس شيخ اسحاق .

المزارات

نقصد بالمزارات المراقد والترب التي يقصدها الناس للزياره والتبرك وهي من العادات المـألوفة في بغداد فهذه كثيرة نذكر اهمها الشيخ عبد القادر الكيلاني ، الشيخ الخـلاني ، السيد أدريس ، الشيخ عمر السهروردي ، الشيخ معروف الكرخي ،الشيخ جنيد البغدادي ، سرى السقطي ، بنات الحسن ، السيد سلطان علي ، الشيخ الزهري ، الشيخ حديد ، قنبر علي ، وكثير غيرها اذ قل ما يخلو الجامع او المسجد من مرقد لولي او لمؤسس الجامـع فيزوره الناس بعد الصلاة وللنساء خاصة خارج أوقات الصلاة .

التكايا

وهي التي يعمل فيها ذكر رفاعي او قادري او نقشبندي او بدوي او غير ذلك وهم تكية البكري وتكية المندلاوي وتكية الشيخ رفيع في محلة باب الشيخ .

تكية السيد سلطان علي في محلة سبع ابكار

تكية الددوية (البكتاشية) وهي في جانب الكرخ في آخر الجعيفر

التكية القادرية في الميدان

تكية عبد الكريم الجيلي في محلة الحاج فتحي

التكية الخالدية في رأس القرية

الاماكن العامة

ما كانت توجد اماكن عامة تجتمع فيها الناس لقتـل الوقت او ترويح النفس سوى المقاهي التي كانت منتشرة كما هي الان في كل زاوية من بغداد (انظر اسماء المشهورة منها في مادتها من هذا الفصل) وكانت بمثابة النوادي أيضاً وكان في بعضها (قصه خون) وهو

رجل يجلس في محل مرتفع يقص على الناس اخبار عنترة وابو زيد الهلالي والظاهر بيبرس وسيف ذي يزن وغيره يروى القصص المذكورة عن ظهر قلب يأخذ اجـرته من صاحب المقهى ولا يتقاضى صاحب المقهى من روادها شيئاً غير قيمة القهوة الاعتيادية لانه بذلك يكسب رواداً اكثر فيستفيد وترى الناس يحللون شخصيات القصة وكل ينتصر لجهـة ويدعي أنه عمل الصواب والآخر يخطئه هذا خارج المقهى او في حالة سكوت القصاص واحياناً تقع منازعة بينهم بشأن ذلك .

ثم المراقد وهي في الاعياد لـكل مرقد يوم خاص فتجتمع هناك الناس ومعهم اصحاب المأكولات المتنوعة مثل الكبة والابيض وبيض وحجر الزاوية وهـو الطرشي لايخلو منه مجتمع فيقضون نهارهم .

وهذه المراقد الاعظمية ولها يوم الجمعة والسبت للكاظمين والثلاثاء للشيخ عبد القادر والاحد للسيد إدريس في الكرادة والخميس للشيخ الخلاني وهكذا .

يذكر ابن بطوطة مانصه (واهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شـيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخـر يليه هكذا الى آخر الاسبوع) بعد ان يسرد اسمـاء المراقد في بغداد .

ثم المولد النبوي يمكننا ان نعده من الاماكن العامة حيث بعض النـاس يتسائلون عن الموالد فإذا كان هو من محلة باب الشيخ والمولد تلك الليلة في محلة الفضل فيذهب اليـه لان بغداد كانت لاتخلو من مولد واحد او اكثر في كل ليلة .

ثم الدواوين وهذه لايمكن عدها من الاماكن العامة حيث كل ديوان له ملازموه من الجيران يجتمعون ليلا الى ما بعد العشاء لقتل الوقت وكان لايخلو من فائدة تجري فيه اخبار ذلك اليوم والاخبـار كانت عن البيع والشراء والاحداث المحلية الخاصة بالاهـالي من المعارف والاصدقاء ولا يتناول البحث اشغال الحكومة الا فيما ندر .

المقاهي

كان عدد المقاهي ١٨٤ في الوقت الذي نكتب عنه وهذه هي المهمـة والمشهورة والا فالحقيقة كان عددها اكثر بكثير والمهم منها ما كان في الاسواق وفي اطراف البـلد

فالاولى يجلس فيها التجار وغيرهم يتلاقون فيها لقضاء اشغالهم والثانيـة لترويح النفس وقت العصر من كل يوم نذكر ما اشتهر منها وهي قهوة العنبار في سوق المصبغة ، قهوة الچبوقچية في سوق القوندرچية ، قهوة الخفافين او الصياغ في باب الجامع المسمى بهذا الاسم قهوة الشط بجانب شريعة المصبغة ، قهوة المميز في رأس الجسر ، قهوة المحكمة تجاه المحكمة الشرعية ، قهوة القيصرية عند بابها من جهة السوق المسمى بها ، قهوة الدنكچية في طريق الدنكچية، قهوة المكتب في اول سوق السراي من ضمن بناية المدرسة الاعدادية العسكرية هذا في الرصافة وقهوة البيروتي وقهوة العكامة واخرى غيرهـا كلها بجانبي الجسر من جانب الكرخ ومطلة على النهر وقهوة المعلقة كانت في الطابق الفوقاني تجـاه الجسر تماماً عند فسحته وهذه كلها من النوع الاول ومن النوع الثاني قهوة كل وزير واخرى مما يجاورها في شارع الميدان وقهوة الباب وهي على طريق الباب الشرقي في محلة الفناهرة وقهوة العبد وهي خارج الباب الشرقي وهي قهوة ريفية في بساطة الريف ،وقهوة باب المعظم وهي خارج باب المعظم متصلة بالخان الموجود هناك والباقي كلها متفرقة بالمحلات واسواقها وزواياها.

محال التنزة

ما كان يوجد منتزه خاص لاهل بغداد سوى الباب الشرقي وهناك يجلسون في قهـوة العبـد او يأخذون غدائهم معهم ويجلسون على السواقي حوالي مقـبرة الانكليز ومقبرة النصارى وكانت تدعى كل منهما الصنم وفي جانب الكرخ الكاورية يذهبون اليها بواسطة القفف فيجلسون هناك الى ما قبـل الغروب ويرجعون ومن اراد التفسح والتخلص من السأم الذى كان يلازمهم من اعمالهم على وتيرة واحدة واستنشاق الهواء ورؤية محال اكثر سـعة من أزقة بغداد الضيقة التي يمرون منها صباح مسـاء فيذهبون الى المعظم قصبة الاعظمية او الكاظمية فيجلسون هناك في المقاهي وربما يتغدون هناك والغداء على الاكثر يكون في الكاظمية وهو الكباب مع الطرشي او الكيمر مـع السكر لاغير حيث ما كان يوجد شيء مما يسمى لوقنطة (مطعم) اما في الاعظمية فكذلك يوجد مثل هذه التسهيلات وكانوا يذهبون في الربيع الى سلمان پاك يبقون هناك مقدار شهر او اقل وقد ذكرنا ذلك في الفصل الاول من هذا القسم .

القصور

كان يطلق اسم القصر على كل دار تطـل على دجلة ففي نفس الرصافة قصـور آل الپاچهچي وهي في محلة رأس القرية وقصر ريشان (ريشارد قنصل الدولة الالمـانية) وقصر رزوق فتح الله عبود والاخيران في محلة المربعة ويوجد ثلاثة او أربعة قصور متفـرقة على النهر من جهة الكرادة الشرقية وفي الاعظمية عدد آخر من القصور تطل على دجلة أيضـاً ولا يوجد غير ذلك .

المصايف

المصيف لاهل بغداد هي قصبة الاعظمية وحدها ويجب ان ندعوها مصحاً اولى لانه لايذهب للاقامة بها الا من كان مريضاً يشير عليه الطبيب او اقاربه واصدقائه بالذهاب الى الاعظمية لتبديل الهواء فيستأجر داراً هناك حسب ماليته اما على ساحل النهر او في داخل القصبة اما الذهاب الى سلمان باك في الربيع لايمكن ان يعد اصطيافاً فهـو نزهة ربيعية لاغـير .

المعـامل

يوجد من المعامل (العبخانه) معمل النسيج (الدباخانه) معمل دباغة الجلود (البوزخانه) معمل الثلج (الدكرمان) المطحنة العسكرية هذه هي التي تدور بالمحركات وكلهـا عائدة للحكومة اما معامل الطابوق والكوازة ودباغة الجلود في الاعظمية ومعامل الحلويات وهذه لاتسمى معامل حيث تدار باليد وليس بالمحركات ولا يوجد غير ذلك .

المطابع

إثنان فقط احدهما مطبعة الولايةوقد ذكرناها في مادة اماكن الحكومة انشأها مدحت باشـا سنة ١٢٨٦هـ ثم مطبعة الحميدية انشئت سنة ١٢٩٩هـ وهذه تطبع على الحجر وهذان يعودان للحكومة ثم مطبعة دار السلام انشئت سنة ١٣٠٧هـ في وسط سوق السراى وهى الى جامع الآصفية اقرب . كان يطبع فيها اوراق للتجار وبعض الرسائل والكتب وان كانت نادرة وتوجد مطبعة للارمن واخرى لليهود تطبع ما يخص اشغالهما .

المصارف (البنوك)

كان يوجد بنكان فقط البنك الشهنشاهي الايراني افتتح في ٢٨ ذو القعده سنة ١٣٠٧ﻫ الموافق ١٦ تموز ١٨٩٠م ، والبنك السلطاني العثماني افتتح في ١٢ جمادى الاولى ١٣١٠ﻫ الموافق ١ كانون الاول ١٨٩٢ م .

المطاعم

كان يوجد ثلاثة أو أربعة مطاعم في سوق الميدان تسمى لوقنطه في حالة بسيطه جداً لا اثر للنظافة فيها وعدا ذلك يوجد دكاكين الكباب منتشرة في اكثر الاماكن ومركزها المهم هو سوق الكبيچية المعروف الى الان بهذا الاسم ومحل آخر بالصابونچية والاخير اكثر شهرة عند اهل بغداد وبعضهم يصف الاطعمة المشهورة في بغداد بقوله (خبز باب الآغا وطرشي خان جغان وكباب الصابونچية) وهم احسن مايوجد من نوعهم لمن يريد ان يتغذي خارج بيته .

المدارس

اولا مدارس الحكومة وهي	المعلمون	التلاميذ	التأسيس
المدرسة الاعدادية العسكرية	١٧	١٢٢	
المدرسة الاعدادية الملكية	٧	٣٠	١٣٠٦ﻫ
« الرشدية العسكرية	١٥	٥٣٣	
« « الملكية	٥	١٢٠	
مدرسة الصنايع	٥	٥٨	
المدرسة الحميدية للاطفال	٢	١٢٠	
مدرسة جديد حسن باشا	٢	٩٤	
المدرسة العثمانية	١	٥٥	
مدرسة الفضل	٢	١١٣	١٣٠٨ﻫ
مدرسة الكرخ	١	٧٦	١٣٠٦ﻫ
مدرسة الاعظمية	١	٣٠	١٣٠٨ﻫ

هكذا كانت في سنة ١٣١١ هـ

وتوجد مدارس للفرق المختلفة من النصارى عددها ٨ ومعلموها ٢٧ وتلاميذها ١٤٤٠ ومدارس لليهود منها الاليانس الاسرائيلي معلموها ٥ وتلاميذها ١٥٠ ونحو ٢٠ مدرسة أخرى في المعابد اليهودية معدل تلاميذ كل منها ٢٠ وهي كالكتاتيب عندنا .

وأما المدارس الدينية وعددها ٢٧ في المساجد فكانت عامرة وطلابها كثيرون ولكل منها مدرس خاص يتقاضى راتبه من الاوقاف وكان الاقبال كبيراً على هذه المدارس لان قسماً كبيراً من الاهالي كان يدرس فيها تخلصاً من الجندية فكانوا يؤدون الامتحان طيلة الست سنوات التي يطلبون فيها للتجنيد فإذا ادوه عفوا من الجندية ثم الغي الامتحان واستعيض عنه بإبراز شهادة الدوام من المدرس فقط فكان من هؤلاء يتعين قضاة ومدرسين ووعاظ وخطباء ومعلمين في المدارس الرسمية وغيرها .

وكان يوجد كتاتيب كثيرة منتشرة في اكثر مساجد بغداد عددها ٣٤ وبواسطتها كان الناس يتعلمون القراءة والكتابة وقواعد الحساب البسيطة وينصرفون الى اعمالهم ومن اراد منهم الدخول في مدارس الحكومة دخل . و اشهر الكتاتيب هي كتاب ملا احمد بن الحاج فايح في سوق الچوخه چيه وكتاب الحاج حسن في مسجد نجيب الدين خلف الرشدية العسكرية وكتاب الملا محمد بن الحاج فليح في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وكتاب الملا جابر في مسجد حادى بادى في الهيتاويين وكتاب السيد حسين الحافظ في جامع الحاج فتحى وغيرها .

السقايات — (السبيلخانات)

كان في بغداد سقايات لشرب المارة في اماكن كثيرة اوقفها اصحابها أمام الجامع او المسجد او منفردة — وحسناً فعلوا — فأما الآن فلم يبق منها الا الشيء اليسير .

ومنها سقاية مسجد النقيب في محلة السنك وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني .

وإذا أراد الان الانسان تسكين عطشه فما عليه الا ان يجلس في قهوة ويشرب الشاى والقهوة رغم آنفه ويدفع ثمنها كل ذلك ليكون له الحق في شرب الماء .

والسقايات التي كانت موجودة في الزمن الذي نحن بصدده هي : —

في جامع الحاج فتحى ، جامع الشيخ عمر ، جامع الكهيه ،جامع نازنده خاتون ،مسجد النقيب ، جامع النعمانية ، جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، جامع الخلفاء ، جامع الازبك ، مسجدالتسابيل ، جامع سراج الدين ، مسجد السيف ، وجامع معروف الكرخى والاخيران في الكرخ .

وهذه التى كانت مستعملة .

أما المتروكه فهى كثيرة جداً إذ كان اغلب المساجد فيها سقايات .

الاسكلات

يطلق اسم الاسكله على المحال الواسعة المحاطه بسور من الطين او الطابوق يباع فيها الحطب للوقود او الخشب للتسقيف وهى كانت متصلة ببعضها في الشارع الممتد بين السيد سلطان على وأول شارع العباخانه من الجهتين في جانب الرصافة وفي الشارع الممتد بين موقف الترامواى الى مسافة كبيرة شمالا على طريق الترامواى في جانت الكرخ وتوجد اسكلات على نهر دجلة في جانبى الجسر من الضفتين يباع فيها الرقي وهذا اسم على مسمى لان معنى الاسكله الصحيح هو الرصيف على النهر او على البحر تستند اليه السفن فيمر الركاب من فوقها ليعبروا الى السفن او أن يخرجوا منها .

وفي المثل البغدادى (انا عبد لمن يضع في الاسكله رقي) .

الافران ـ

كان يوجد عدة افران مبعثرة في المدينة لعمل الچورك والعاموله والبقصم والكاهى ولشي بعض المأكولات بالاجره .

المسافرخانات

ما كان شيىء من ذلك الا الخانات في الجانبين لا يوجد فيهما غير غرف بسيطة بدون أثاث .

المطاحن ـ

ما كان يوجد شيء من ماكنات الطحن والهبش مطلقاً (الا الدكرمان وقد ذكرناه في اماكن الحكومة) والمطاحن كانت على الطراز القديم وهى رحى كبيرة يديرها بغل او حمار .

المدابــغ ـ

يوجد عدا الدباغخانه الخاصة بالحكومة في الباب الشرقي مدابـغ للجلود متعدده في الاعظمية والكاظمية .

المصبغات ـ

يوجد عدد منها منشر في بغداد والمهم منها اثنان في سوق الدهانه تصبغ بهـا العبى والخـام والابريسم والغزل وغيرها من الاقمشه ينشرونها على حبـال او عيدان في وسط الطرق او الاسواق .

العلاوى ـ

وهى كل محل واسع مسقوف تباع فيه الحبوب مثـل الحنطة والشعير والتمن (الارز) واللوبيه والماش والدخن وغيرها بكميات كبيرة وبعضاً صغيرة أيضاً يسمى علاوه وتوجد اسواق تحتوى على عـدة علاوى في محلات متعدده من بغداد منهـا علاوى الشورجه وعلاوى الميدان وعـلاوى الصدرية في جانب الرصافة وعلاوى الحله وعـلاوى الشيخ معروف وعلاوى الشيخ صندل في جانب الكرخ وعلاوى المخضرات وعلاوى الفواكه في قاضي الحاجات .

المكابس ـ

يوجد مكبس للصوف في خان العادلية مقابل المحكمة الشرعية يشتغل بضغط المـاء وباليد ويوجد مكبس آخـر يشتغل بالبخار وهو لكى الاقمشه المعموله في بغـداد مثل الطوايق اللنكه والعبى واليشماغات وغيرها وهذا يدعى منكنة .

النفوس ـ

كانت النفوس التى تضمها اسوار بغداد من الجانبين كما يلي وهى :ـ

١٤٩٩٤١ نسمه وذلك في سنة ١٣١١ هـ

١٣٤٤٥٩	مسـلم
١٣١٨٢	يهودي

٣٧٧ رومي
٤٠٨ ارمنى
٩٣٢ كاتوليكى
٣٥ پروتستان
٥٤٨ لاتينى

٢٣٠٠	٢٣٠٠	مسيحى
١٤٩٩٤١		

البلدية ـ

كانت بغـــداد تنقسم الى ثلاثة بلديات الاولى النصف الشـــمالي من الرصافة والثانية النصف الجنوبي منها والثالثة جانب الكرخ جميعه واعمالها عبارة عن تنوير الطرق والازقه بالفوانيس النفطية وجمع الزبل على الحمير فقط أما تنظيم الطرق وتخطيطها فـــا كان يعرف عنه شيىء وإذا أراد احد انشاء بناية او اجراء ترميم فبعد اخذ الرخصه من البلدية ورسمها غرش صاغ واحد يأتي احد چراويش (مراقبى) البلدية عند المبـــاشرة ببناء جبهة الدار يأمرهم بالرجوع لتوسيع الطريق سواء كان الطريق واسعاً او ضيقاً وبعد ذهابه يعملون ما يريدون والطرق جميعها غير مبلطه ولا تفكر البلدية حتى في تسويتها الا طريق الميدان بين الحدائق أيضاً كان مبلطاً بلطه سرى باشا .

وكان يوجد من الطرق المبلطه إذا جاز ان نسميها كذلك وهي مرصوفة بحصى كبيرة بحجم الرمانه او اكبر يتعثر المرء عند المرور عليها وهى طريق السراى من القشله الى السراى فقط وآخر يسمى عقد الصخر وهو طريق الدنكچيه من الموله خانه الى باب الآغا وآخر كان يبتدىء من امـــام باب الدفتردار الى فم الرواق واما البالوعات فكانت تحت كل مرزيب بالوعة وتأمر البلدية بتنظيفها عنـــد بدء موسم الامطار ولكن هذا الامر كان كأوامرها الباقية يبقى بدون تنفيذ .

والمنصف من الاهلين ينظف بالوعته حبا بحفظ الطريق أمام داره من الاوحال ولاجل مرور الناس والاكثر يعمل ذلك تديناً يعتبره من اعمال الخير والبر .

والطرق كانت موحله بالشتاء بدون إستثناء وتتجمع المياه في بعض الاماكن وليس لها مخرج كالاسواق وبعض الميادين مثل العوينه وسوق العطاطير وخان اللاوند وغيرها كثير . فينتظر هناك حمالون يحملون الناس على ظهورهم من جانب الى آخر وهم يستعدون لمثل هذه القضية لانها تدر عليهم ربحا غير قليل في ذلك اليوم او اكثر من ذلك اليوم .

وتجد بعض الناس يجتهد بوضع الاتربة اليابسه او الاحجار في بعض الطرق تكفى لمرور شخص واحد .

وهذه أيضاً يعدونها من اعمال البر كما تقدم .

ولا يفكر احد في مراجعة البلدية لانهم قد الفوا هذه الحالة وإذا راجعوا فمن الذي يسعف طلبهم ومن وظائف البلدية أيضاً ملاحظة الموازين أحياناً .

المحصولات الارضيه ـ

لما كان موضوعنا مدينة بغداد اى ما كان في داخل سورها فنقول ان المحصولات من البساتين التى ضمن السور هى نفس الحاصلات من البساتين خارجها ومنها يحصل التمر بأنواعه والفواكه وكذلك المخضرات الا انها بصورة مصغرة واكثر ما يدخل بغداد هو من خارجها .

وسائط النقل ـ

هي الحمالون لنقل الاشياء ثم الحمير والبغال وأحياناً الخيل لنقل الاشياء والاشخاص وكان نوع من العربات تستعمل بين بغداد والاعظمية لابأس بها تجرها الخيل وتسير في طريق ترابي لايجرى فيه الاصلاح اصلا ترى فيه حفراً كبيرة وصغيرة وكثيراً ما إنقلبت العربه بمن فيها وكانوا يحشدون فيها عددا زائداً عن قابليتها ولا رادع لهم وكانت الخيل تتعب بالجر حيث لايجرى تبديلها بمواعيد معينه فتراهم يضربونها ضرباً مبرحاً إذا هى وقفت في الطريق ومع ذلك كانت تقف ولا تبالى بالضرب على نفاذ قوتها بالمرة .

ثم عربات الكاظمية وتسمى الكاريات (الترامواى)



ترامواي الكاظمين « الكاريات » أسسه مدحت باشا والي بغداد وهي تسير على سكة قطار من الكرخ الى الكاظمين ذهاباً واياباً تجرها الخيل

تجرها الخيل وتمشي على السكه كما هي الآن وهذه لها نظام خاص لاتتعداه وهى من تأسيسات مدحت باشا في سنة ١٢٨٦هـ ولا يوجد في بغداد من وسائل النقل غير ما قدمناه .

وكان يوجد في بغداد من العربات الخصوصيه ثلاثة او أربع عربات فقط وهي عربة النقيب وعربة أبن جميل وعربة الوالى وعربة نصرت باشا مفتش الجيش .

وبعض القناصل كانت لهم عربات ذات دولابين فقط يجرها حصان واحد يجلس فيها القنصل وهو سائقها وبجانبه زوجته يخرجون للنزهه في الباب الشرقي ثم يرجعون ولبعض التجار او العلماء حمير حساوية او بغال سلطانية عليها السرج يركبونها الى محل اشغالهم داخل بغداد والبعض يستعمل الخيل للخروج الى الضواحي .

وكانت حمير كبيرة الحجم جداً تستعمل في نقل الاموال من الكمرك الى الخانات التجارية قيل ان بعض الدول الاجنبية اشترتها بالواسطة وارسلتها الى بلادها لاستحصال

بغال من نسلها يستعملونها في جر المدافع :

طرز البناء ـ

ليس في دور بغداد ما يسر الناظر من الخارج الا بعض الاقواس فوق الابواب التي تسمى كتيبة المعمـولة من الطابوق الاصفر وهى منحوته بروزاً وانخفاضاً وبعض الشناشيلات (شاه نشيل) والشبابيك الا ان الزينه كلها في الداخل تجد الدار في شارع ضيق ربما لاينفذ فإذا دخلتها نسيت انك دخلت الدار من ذلك المحل لانك تكون في ساحة جميلة الجهات الثلاث او الاربع منهـا تحتوي على المجـاز والسرداب والايوان والطارمة او الطرار ثم الغرف في الطابق التحتاني والارسى (عرسى او عروسى) والكفشكان واليـازلغ والجامخانه وغيرهـا في الطابق الفوقاني كل ذلك باقواس بديعة وزجاج ملون وزخارف ومقرنصات تستلفت الانظار هذا في الطابوق وابدع منـه في الخشب للابواب والشبابيك والدلكات (الدعامات) مما يأخذ بالالباب وقد أخذ هذا الطراز القديم بالتجدد فقد زينته وقد مال الى التبسط قليـلا ولم نزل في بغداد بنأون يحسنون العمل القـديم ومن اراد التمتع بمشاهدة ابدع وارقى ما وصل اليه الفن المعمارى عند العرب وخاصة بالعـراق فاليذهب لزيارة المراقـد المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء والـكاظمية وسـامراء ولنذكر المواد التى كانت تستعمل في العراق فهى اللبن والطابون والمرمر بانواعه بالطين والنورة مع رمـاد الحمامات والجص ثم الاخشاب المختلفـة النوع والقصب والبوارى المعمولـه من القصب والزجـاج وبعض الادوات الحديدية للابواب والشبابيك والمرايا والـكاشى الملون والمذهب وغير ذلك .

الصنايع ـ

يوجد من الصنايع في بغداد ما تكتفى به ولا تحتاج الى الخارج مطلقا :

نذكر لك أهمها (النسيج) الازر للنساء من الحرير والقز . العبى للنساء من الحرير ولهن وللرجال من الصوف (الخام ـ البز) الطوايق (جمع طاقه) وهى قماش من القطن ومنه مع الحرير ما يكفى لتفصيل زبون اللباس المعروف في العراق .

اليشماغات (جمع يشماغ) ـ كتفيه ـ او كوفيه ـ من القطن وانواع اخرى منها تسمى

جزيه (قزيه) من القطن ومنه مع الحرير الملون .

النحاسه —

القدور والصحون والطشوت وما يتبعها .

الاحزمه —

الهميانات من القطن والحرير والكلبدون والحيص من القطن والحرير مطرزة .

السراجه —

السروج و توابعها للخيل وللدواب الاخرى والصناديق الخفيفه للاسفار وغيرها .

البناء —

وقد وصفناه قبل هذا وكان اشهر البنائين أسطه كرز .

النجارة —

الابواب والشبابيك وكل ما يلزم عمله في الدار ثم الصناديق والكراسي والتخوت وغيرها .

الصياغه —

انواع المخشلات من الفضة والذهب وصناعها من اليهود .

اليمنچيه —

عمل اليمنيات الحمر من الجلود المعموله في بغداد .

القندرچيه —

عمل القنادر والبوابيج وهذه من الجلود الاجنبيه واحياناً المحليه .

التنكچيه —

ما يعمل من التنك — الفوانيس والاباريق وغيرها .

الكوازه —

التنكه والجره والحب والشربه وغيرها من الطين المشوى .

الحداده —

عمل المناجل والمساحى والمدقات وادوات الابواب والشبابيك من كيلون وقفل

ونرماده ورزة وغيرها .

الدباغه للجلود —

وقد تقدم ذكرها .

الطابوق —

من الطين المشوى .

الخياطة —

للدواشك واللحف ونوع آخر للالبسه المحلية وآخر للملكيه والعسكرية .

ونذكر الباقي مجملا وهى عمل التنانير والكوارات والصباغة والغزل والسبك للمعادن وعمل القياطين والزرور . عمل السرر وغيرها من نتاج النخلة .

والحصران من الخيزران والخوص . السيوف . الخناجر . السكاكين . الشمع العسلى والشحمي.

الحلويات —

بأنواعها وماء الورد ، صابون الشحم ، النشأ ، تجليد الكتب ، حلج الاقطان .

اصلاح الساعات ، عمل الكيمر ، الحلاقة ، بناء القفف والابلام ، السفن ، المناخل ، الغرابيل ، قنينات لماء الورد ، القناديل ، عمل الدبس ، المرايا ، العقل (العكل) ، العرقچينات ، أدوات النركيلة ، رأس وبكارم ، ومارپيچ .

اخراج دهن السمسم (الشيرج) وغيرها .

وقد جرى إقامة معرض حوالي سنة ١٣٠٠ هـ بأمر بعض الولاة فنال بعض الصناع مداليات (صنايع مداليه سى) واعرف احد من نالها وهو احمد طيفور عن شغل العبى الصوفيه .

الزى —

كان أهل بغداد ينقسمون في الزى الى قسمين الموظفين والجنود ثم الاهالي .

فالموظفون ومن ضمنهم الجنود يلبسون السترة والبنطلون مع الفارق بين الموظف والجندى وعلى رأس كلا الاثنين الفينة (الفس او الطربوش) أما الپسكولة فدوره للجندى

وبسيطه للموظف وفي ارجلهم البوتين او القوندره وأما الاهالي فعلى ثلاثة أقسام :ـ

العلماء ولباسهم الزبون في الشتاء والصايه في الصيف وفوقه الجبه وفي ارجلهم اليمني الاصفر او الاحمر او القوندره أحياناً وكالوش بوتين نادراً وعلى رأسهم العمامه البيضاء.

والتجار وأرباب الحرف الاخرى يلبسون الزبون وفوقه الدمير او الخرقه والعباءةوعلى رأسهم العمامه (الكشيده) وفي ارجلهم اليمني الاحمر او القوندره والباقون بزى العرب الاصليين وهو الزبون والعباءة واليمني الاحمر وعلى رأسهم العرقچين واليشماغ والعقال اللف او يلفون اليشماغ يعملونه كالعقال فوق العرقچين لفا يسمونها چراويه وعصفوريه وغيرها .

أما زى النساء فيلبسن الزبون وفوقه الهاشمي ومن البستهن الدارية وهي تقليد الهاشمي واللباده والصايه وعليهن الإزار أما من الحرير أو من القز وعلى وجوههن البيچه من شعر الماعز محاطة بسفيفة من الكلبدون وبارجلهن الچبك وهو بشكل الجزمه من جلد اصفر يلبسن به البابوج الاصفر .

ونساء النصارى واليهود مثل لباس المسلمات الا ان النصارى بدون بيچه وبارجلهن البابوج او القوندرة واليهود يلبسن ازراً نيليه او عسليه من القطن او الحرير مع خيوط التيل الفضي وهو نوع آخر من الكلبدون .

وعمائم رجال اليهود منقوشة بالالوان النيلي والاحمر والاخضر والاصفر .

ولنذكر هنا قطع الملابس وتسميتها الى لابسيها بصورة اوضح :

العرقچين ، الفينه ، البسكوله عسكرية وملكيه ، الثوب ريزة وخام ، العمامة الكشيده والسيدية ، اللباس ، الزبزن الزخمه ، الييلك ، الخرقة ، الآبدستيه ، الدمير ، المردن ، الجبه ، معروفة خاصة بالعلماء وقسس النصارى واحبار اليهود ، اللبادة ، الصاية ، الجزمه ، المندلاوية والساعوريه ، اليمنى الاحمر والاصفر قبالزكار ، لزكار ، كوچك لزكار ، قبالورطه ، اورطه ، كوجك اورطه ، البابوج الاصفر والاسود والروغان .

الچدك ، القوندره ، جكدار ونصف بوتين ، الكالوش بوتين ، البوتين ، الازار ، القز ، الابريسم ، وازر اليهود ، البيچه السترة والبطلون ، الشروال ، العباءة ، العقال ،

اللف والقحطاني ، اليشماغ ، الجتايه ، الهاشمي والدارية، الچركز ، جزمه صفره او حمرة ، العصبه واللكچه ، الدشداشة ، برنوطى بدون اوتي (انفيه)

اللغـــه

لغة اهل بغداد الدارجه تشوبها كلمات كثيره مأخوذه عن الفارسية والتركية والافرنسية والانكليزية والهندية والروسية وغيرها وكذلك جمل برمتها نذكر اولا الكلمات :ـ

من الفارسية (پياله) قدح (سرداب) معروف (طرشي) مخلل (كباب) شواء (نرماده) معروف (پرشي) نقاب (تازه) طرى (چاره) وسيله (چارك) ربـع (خرده) معروف (خوش) مناسب (خوب) جيد .

من التركية (چالغى) معروف (خاشوكة) محرفة عن (قاشيق) ملعقة (چول) بريـة (بقلاوة) معروف (يازغ) من المؤسف (قولاى) سهل (قلبالغ) ازدحام (قبـغ) محرفة عن (قباق) غطاء (قالدرقوى) معروف (بچم) زى (قارش) مقابل (دولمـه) معروف (دوندرمه) معروف (كنج) شاب (كوتره) بدون قياس (دكمه) زر (دير) اعطي تستعمل في القهوه (صردوج) محرفة عن (صاغديج) معروف (صوچ) ذنب .

من الانكليزية (جيت *Sheet*) (كتلي *Kettle*) (كلاص *Glass*) (بطل *Botlle*) (لمپه *Lamps*) (درنكه *Drunken*) (راجس *Rojers*) .

ومن الافرنسية (فانيله *Flanelle*) (شمندوفر *Chemindefer*) (پلتيقه *Politique*) (تنتنه *Dantelie*)

ومن الروسية (إستكان) (سماور)

ومن الهندية (كري كري) (عنجور) وكثيراً غيرها

ولم نذكر من كل لغة إلا من اشتهر من كلماتها مما تعرفه العامة قبل والخاصة .

أمـا الجمل فمن الفارسية (ياخــدا زنبيل زر) (حــق من بده حق توسهل است) (اكر كناهس كيرس) (اكر حيله نـدارى چرا لفلف ميكنى) (من جــه ميكــويم طنبورم جه مى زند) (فقــير جبار كدائى محتشم) (اكر خواهى سلامت در كنا راست) (مرده بلا زنده بلا)

ومن التركية (حــاضر بودر) (نور باك محمد صلوات) (اسكى طاش اسكى حمام) (الله بلا ورسون) (الهى دايم اولسون) (أفندي صاغ اولسون)

ومن الكردية (چه بـكم خنجرم نيا) (دكان بكر دو قالب صابون) (نازانم راحت جــانم) .

العملــه -

كانت العمله في بغداد متنوعة عثمانية وايرانية وانكليزيـة وفرنسوية وهنديه ونمساوية وغيرها فالعثمانية (الذهب) الليره ١٠٨ قروش صاغ = ٤٣٢ قرش رايج ونصفها وربعها ويوجـد اضعافها ذات الخمسة ليرات وهو نادر وذات الليرتين ونصف وهذه اندر (الفضة) المجيدى ٢٠ قرش صاغ = ٨٠ قرش رايج ونصفه وربعه وقطعة ذات قرشين ثم ذات القرش (المغشوشه = فضه ونحـاس) ذات الخمسة قروش وهى غير ربـع المجيدى وتدعى ممدوحى غلطاً والاصل محمودي لانها سكة السلطان محمود وتدعى بيشلغ (بشلك) ومنها ذات القرشين ونصف (ابو عشرة) وذات القرش وربـع (ابو خمسة) وذات نصف القرش وتدعى (قمرى) اشارة الى شكل الهلال الذى على احد وجهيها وذات ربع القرش وتدعى قرش رايج وذات ثمن القرش وتدعى فلسين اى نصف القرش الرايج بإعتباره أربعة فلوس .

النحاسيه -

احدها قرش رايج والاخرى نصفه وهذان زالا بسرعة وحل محلها الشاهيه الايرانية.

(والايرانية) (الذهب) التومان وهو يساوى ٢٠ قرش صاغ اى مجيدى واحد (الفضة) ابو قرانين (المنكنه) وقران على شكلين چرخ اى هامشه منتظم وابو دبيله الذي ليس له حاشيه منتظمه ونصف القران للشكلين وابو قرشين رايج وقرش ونصف رايج يدعى ابو ستة فلوس .

(النحاسيه) ابو شاهيتين وشاهية ونصف شاهية وهذه الشاهية كانت كل اثنتين بقرش رايج ثم صارت أربعة وثمانية وعشرة في صعود ونزول .

الانكليزية (الذهب) الليره وتدعى ابو خيال كبير تمييزاً لها عن الفرنسوية .

الفرنسويه (الذهب) الليره وتدعى ابو خيال صغير ،

الهنديه (فضه) الروبية وحدها بدون اقسامها وكانت تساوى من ٢٨ الى ٣٢ قرش رايــج .

النمساوية (فضه) الريال الذى عليه صورة (ماريا ترزا) ويدعى فرانسه ويساوى من ٤٠ الى ٦٠ قرش رايج .

ولا وجود للاوراق (البنكنوط) مطلقـــا الا بعض الاوراق الانكليزية وذلك نادراً توجد عند بعض الصيارفه والتجار ولا علم للعامة بها .

فإذا اردت ان تستبدل ليره عثمانية مثلا فيعطيك الصراف انواعا شتى مما ذكرنا اعلاه حسب صعودها ونزولها في ذلك اليوم والوحدة القياسية هي القرش الرايج .

التجارة ـ

كانت تجارة بغداد مع البلاد العثمانية ومع اوربا وامريكا والهنــد وايران :

تجلب من حلب ودمشق وبــيروت الصابون والطوايق الحريرية والقطنية وترسل لها الازر الحريرية والقزيه .

وتجلب من أوربا جميــع المواد الاجنبيه التى تصنع بالمكائن وترسل لهــا الحبوبات والاصواف والجلود والتمور .

وتجلب من أمريكا النفط وترسل لها ما ترسله الى أوربا .

وتجلب من الهند التوابل بانواعها والاقمشةالحريرية من معمولاتها او معمولات الصين والقهوة والشاى والسكر .

وتجلب من إيران السجاد والتنباك وترسل لها جميع طلباتها من اى محـل كان بواسطة الترانسيت .

بلغ رسم الوارد الكمركي في بغداد سنة ١٣٠٧ هـ ١١٦٥٧٨ ليره عثمانيه :

ورسم الصادر ١٣٤٨١ ليره عثمانيه :

ورسم الكمرك للواردات كان ٨٪ فيكون قيمــةالوارد في تلك السنة ١٫٤٥٧٫٢٠٠ ليره عثمانية :

الجرائد ـ

لم يوجد من الجرائد في بغـداد سوى جريدة الزوراء وهي التي أسسها مدحت باشا ، صدر العدد الاول منها (يوم الثلاثاء بتاريخ ٦ ربيـع الاول ١٢٨٦ هـ و(١٥ حزيران ١٨٦٩ م) ذات أربعة صفحات أثنان تركية واثنان عربيـة . وكانت رسمية تحتوى على امور تهم الحكومة وحدها .

وقـد طالعت بعضها في الزمن الذى نحن بصدده فرأيت في بعضها قصص جحـا وما اشبه لعدم وجود شيء لديهم يملأون به فراغها او عدم امكانهم ذلك :

ثم جرائد الآستانه مثل اقدام وصباح وغيرها كانت تأتي لبعض الموضفين واكثرهم من الاتراك .

طغيان دجله ـ

زادت دجلة زيادة مفرطه أربع مرات في مدة لاتزيد على عشر سنوات المدة التي نحن في صدد بحثها في سنة ١٣٠٣هـ دامت أربعون يوماً في زمن الوالي مصطفى عاصم باشا وفي سنة ١٣٠٦هـ دامت أربعون يوماً أيضاً في زمن الوالي سرى باشا وفي سنة ١٣٠٩هـ وسنة ١٣١١هـ دامت في كل منهما مائة وعشرون يوماً في زمن الوالي الحاج حسن رفيق باشا فتنكسر السداد في شمال بغداد من الضفة اليسرى الشرقية ويأتي الماء فيحيط ببغداد على طول سدة الخندق من الخارج من باب المعظم الى الباب الشرقي فيباشر الاهالي بتحكيمها خلف الخندق وذلك بوضع المرادى (الهواليش) وخلفها الحصران والطرفه والتراب يشتغل في ذلك الاهالي من جميع المحلات بدون اجـر ولكن لا عن طريق السخره بل عن طيبة خاطر حفظاً لبـلدتهم من الغرق فكان برأس نصف بغداد الجنوبي النقيب السيد سلمان أفندي الكيلاني .

والنصف الشمالي عبد الغنى افنـدي آل جميل فتنصب الخيم على سـدة الخندق وكل منهم له ديوانه الخاص فيزورهم الوالي والمشير وكبار الموظفين والاعيان من الاهالي .

وبما ان تلك تكون في الربيع فتكون السده من باب المعظم الى الباب الشرقي محل نزهة لاهل بغداد فترى في مسافات مختلفه الجراديغ (سقائف) من الخشب والحصران قد جعلت مقاهي يجلس فيها المتنزهون ، وهناك بائعوا المأكولات المتنوعة وعدا ذلك يوجد زوارق



السيد سلمان أفندي الكيلاني - نقيب بغداد

(ابلام) في الماء يستقلها البعض ويتنزهون الى مسافة ليست قليلة والبعض منهم يعبرون بها الى حيث الارض البعيدة ليسافروا من هناك الى بعقوبه وتوابعها .

وبعد نزول الماء والبدء بالجفاف يصير الماء مستنقعاً ملأناً بالبعوض فتكون الحمى لا لايكاد يخلو منها دار ويكون منها وفيات كثيرة مع ان هذا المستنقع يعطى بالايجار فتزرع فيه المخضرات ولكن للمحلات القريبه للبلد منه فقط .

الحيوانات -

البغال والحمير للركوب وللحمل .

الخيل للركوب وهي قليلة جداً .

الغنم والماعز للذبح .

البقر للبن وللذبح .

الجاموس للذبح نادراً وبالاكثر للبن والقيمر «قايمق» وهي كثيرة .

الكلاب لازعاج الماره وهم كثيرون جداً لايخلو اصغر زقاق من عـدد منهم كان الاهالي يشجعون تناسلهم بعدم التعرض لهم واعانتهم بالطعام والمـاء فـترى في اغلب الطرق اناء كوز مكسور قـد وضع بجانب احد الجدران وثبت في الارض يملأ كلما فرغ من قبل اهالي ذلك الزقاق :

القطط للسرقة وهم كثيرون والجرذان والفأر بكثرة في البيوت كانوا يكافحونهم بالمصايد كما هي الحالة في كل وقت وكان الاقدمون يستدلون من كثرة وجودهما في دار رخاء اصحاب تلك الدار حتى انهم ادخلوها في امثلة علم المعاني كقولهم (اكثر الله جرذان بيتك) يريدون بذلك ان تكون غنياً وبيتك ملانا بالاطعمة المتنوعة .

الدجاج للذبح وانتاج البيض وهى في اكثر البيوت وخاصة في الضواحي .

البرغوث في الربيع والبق في الصيف والحيات والعقارب والخنافس وسـام ابرص وغيره . الكوسج وانواع الاسماك في دجله .

السباحة ـ

كانت چراديغ «سقائف» على سـاحل دجله لتعليم السباحة والمعلمون على الاكثر من اليهود .

المصنوعات الاجنبيه ـ

كثيراً منها كان يرد الى بغداد والمهم منها الاقمشة والخردوات بانواعها والصفر الخام والغزل وورق السكائر والشخاط والواح التنك وغـيره والمشهور عند عامـة اهل بغداد ينسبونه الى البلاد التى تأتي منها وهى :ـ

نعل فرنساوى ، كاله مال عجم ، سماور مسقوفي ، كتان نمساوي ، صـبر اسقطلى (من جزيرة سقوطره) سكين راجس (Ragess) باروت إنكليزى .

فينه يبرلى (اى محلى تعمل في لاستانه) جواريب هر، إستكان استرخان، ملح افرنكى، جوب چيني، رداء صيني وغيرها .

الادوات المنزلية –

كل الادوات المنزليه المستعملة اليوم كان الضرورى منها موجوداً ما عدا الاشياء الجديدة مثل الكهربائية وكل ما يستعمل لها او تدار او تضاء بها .

والاثاث كان يستعمل بدلا من القنپات التخوت وبدلا من الكنتورات الصناديق وبدلا من القريولات الچارپايات الخشبية وللاضاءة الفوانيس واللالات والثريات وادركنا الشمعدانات والفزات والاضاءة كانت بالنفط وبالشموع .

توضع الدواشك والمخاد فوق التخوت في صدر المجلس وعلى جانبيه الدواشك على الارض أما الزوالى فقديمة جداً ولا تزال وأما الصفر فاللكن الكبير ونصفه والقروانه والصينيه والموصلق ولكنه وكرسيه والطبلات الخشبيه للطعام والصواني الكبيرة المسماة ديوانية وغيرها فترى من ذلك ان البساطة كانت غالبه على البيوت .

الصادرات –

كانت تجمع من اطراف العراق وتلاحظ وتشد في بغداد وترسل في البواخر عن طريق البصرة وهى العفص والكثيرة والقطن والصوف والجلود والحنطه والشعير والدهن والتمن والمصارين وغيرها .

الاسلحة –

كانت جميع انواع الاسلحة موجودة في بغداد تباع علنا في الاسواق يكاد لايخلو دار من سلاح وكانت الحكومة تصدر الرخصه لمن يطلب حمل السلاح ولكن قل من يطلب ذلك الا المسافرين وخاصة رخصة بندقية الصيد أما انواع السلاح فكانت الفرود جمع فرد وهو يشبه المسدس لكنه ذو طلقة واحدة يحشى من الفوهة بالبارود والصچم ولا يكون فرداً بل زوجاً توضع في غلاف مزدوج الواحد بجانب الآخر ولهذا تسمى زوج فرود وبندقية الصيد أيضاً تحشى من الفوهه بالبارود والصچم وتوضع في عينها هى والفرود الكابسون وتضرب بالزناد فتخرج الطلقة .

والمسدس (الورور) ذو الستة طلقات او الخمسة كان قليلا نسبياً .

ومن الجارحة — السيف — القامة — الخنجر — ونوع من السكاكين كانوا يفضضون اغلفتها او يذهبونها ويعلقونها بالقياطين .

الاستقاء —

كانت ماكنة في البوزخانه (محلة البقچة) تسحب المـاء من دجلة وترسله الى المحلات القريبه منها وهى الميدان وبعض الحيدرخانه والصابونچية وجديد حسن باشا والطوب ومجموع البيوت التى يوزع اليها الماء ٣٦٠ داراً فقط .

وباقي محلات بغداد كانت تشترى الماء من السقائين وكانوا كثيرين يستقون المـاء من دجله من الشرايع الكثيرة التى ذكرناها وينقلونه الى البيوت في قرب كبيرة على ظهور الحمـير ينادون (هويهه) وقد شهدت في طفولتى الراوية كانت تستعمل في بغداد أيضاً وهى قربتان توضع على جانبى الحصان .

المـكتبات —

العامة والتجارية فالعامة كانت في المساجد وخاصة في جامع مرجان وجامع الحيدرخانه ولكن لا يستفيد منها سوى العلماء والطلاب الدينيين وهى ليست ممنوعة من احد ولـكن اين المتتبعون والامية فاشيه ولغة الموظفين هى التركية .وأما التجارية فكان يوجد في سوق السراى دكاكين تباع فيهما الكتب مطبوعات مصر واستانبول والهند وعددها لايتجاوز اصابع اليدين واكبرها المكتبه التى كان يديرها الحاج محمد رشيد الياسين رحمه الله .

الصيدليات —

كان يوجد منها أربعة ثلاثة منها في سوق الشورجه في المسافة التى بين حمام الشورجه ورأس سوق العطاطير ثم واحده في سوق الميدان .

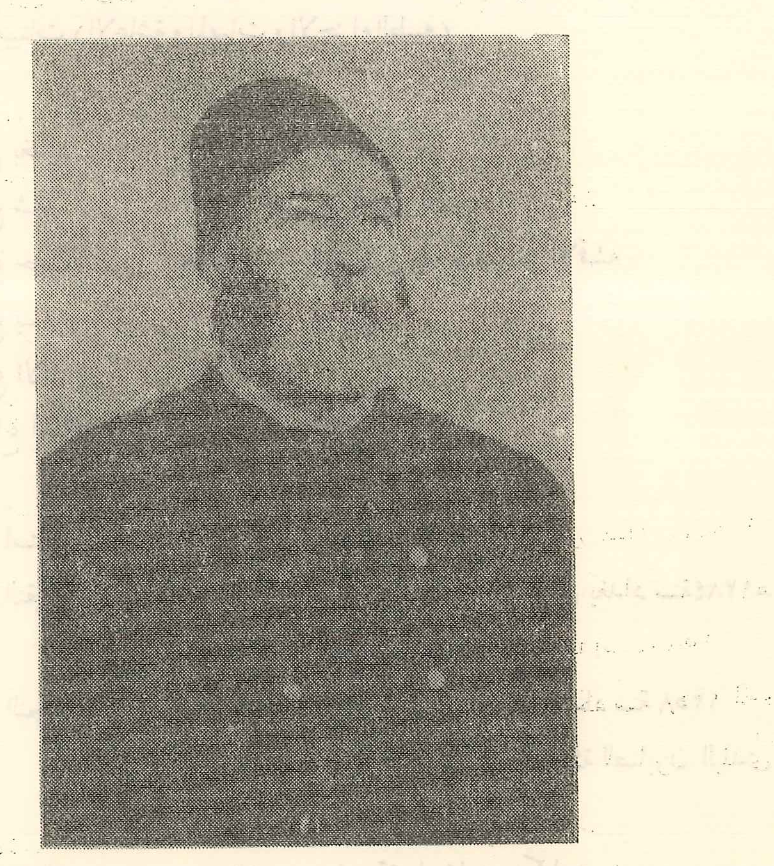
الاطبـاء —

كان يوجد عدا اطباء المستشفيات والبلديات طبيب ايراني يدعى خداداد طبـه عملى قديم يصف الدواء شفهياً فيشتريه اهل المريض من العطارين ويحضروه حسب وصفه لهـم وطبيب آخر الماني وآخر بروتستاني لاغير .

واكثر اهل بغــداد لايراجعون الطبيب ويكتفون بشراء العقاقير من العطارين حسب وصف العجائز والاصدقاء واطباء المستشفيات والبلديات كانوا يطببون أيضـاً على حسابهم خارج أوقات الدوام واما اطباء الاسنان اذكر شخصاً واحداً كان يشتغل في بيته في محلة سوق الغزل اسمه نعوم لاسو واخر اسمه عزت أفندي .

الحكومة –

كانت بغداد مركز ولايـة برأسها شخص يرسل من الاستانه يسمى (والى) وكان في هذا المنصب خلال المدة التى نحن بصددها مصطفى عاصم باشا (مشير) سنة ١٣٠٣ وسرى باشــا (وزير) سنة ١٣٠٥ الحــاج حسن رفيق بـاشــا (وزير)



والي بغداد الحاج حسن رفيق باشا مدة حكمه من سنه ١٣٠٧ه الى ١٣١٢ه (١٨٩١ م — ١٨٩٦ م)

سنة ١٣٠٧ وعطاء الله باشـــا (وزير) سنة ١٣١٢ والدوائر الرئيسية هى دائرة المكتوبجي والدفتر الخاقاني (الطابو) والمحاكم النظامية (المدنية) والمحكمة الشرعية والمعارف والاوقاف والنفوس والماليه برأسها الدفتر دار والنافعة (الاشغال) البرق والبريد (البوسطة والتيلغراف).

الاوردو (الجيش) كانت بغداد مركز الجيش السادس وهـــو يشمل الولايات الثلاثة بغـــداد والبصرة والموصل وينقسم الى فرقتين الفرقـــة الاولى (الحادية عشرة) ومركزها بغداد تشمل على ولايتى بغداد والبصرة والفرقة الثانية (الثانية عشرة) ومركزها الموصل .

ودوائر الجيش في بغداد هى دائرة المشيرية تشتمل على دائرة الاركان حربيه واللوازم فالاولى تنقسم الى شعبتين النظـــامية والرديف والثانية تنقسم الى أربعة شعب المعاشات (الرواتب) والتعيينات (الاعاشة والمهمات والاجزاء الطبيه) .

المقاييس —		سانتمتر	
الاطوال	ذراع بغداد	٧٥	للخام (البز)
	ذراع شاه	١١٢	للحصران الخيزران
	ذراع حلب	٦٨	للچيت والحرير وسائر الاقمشه
	ذراع بناء	٧٥/٨	للمباني
	ذراع الانداز ه	٦٥	
	الذراع الهاشمى	—	

الاوزان —	درهم	
حقة استانبول	٤٠٠	للعطاريات كافة
حقة التقي	٤٨٠	وهو تقي الدين باشا والى بغداد سنة ١٢٨٤هـ للفحم البلدي
حقة النجيب	٦٤٠	وهو نجيب باشا والى بغداد سنة ١٢٥٨ ويعرف بعيـــار الكعكة للصابون البلدى والدبس والصوف .
حقة بغداد	١٢٥٠	٤ حقق اعشارى (كيلو)

الكيلو الواحد = ٣١٢/٥ درهم للمخضرات والفواكه واللحوم وانواع البقالية الاخرى واضعاف الحقة البغدادية يستعمل في وزن الحبوبات والجص وخشب الوقود وما اشبه وهى

الچارك (ربع من) = ١/٥ حقة بغدادية = ٦ كيلو والاصل ٦/٢٥ كيلو

الرطل (نصف المن) = ٣ حقة بغدادية = ١٢ كيلو والاصل ١٢/٥ كيلو

المن (ربع الوزنه) = ٦ حقة بغدادية = ٢٤ كيلو والاصل ٢٥ كيلو

الوزنه (أربعة امنان) ٢٤ حقة بغدادية = ٩٦ كيلو والاصل ١٠٠ كيلو

التغار (٢٠ وزنه) = ٤٨٠ حقة بغدادية = ١٩٢٠ كيلو والاصل ٢٠٠٠ كيلو

الحقة الاعشارى او الكيلو = ٣١٢/٥ درهم او ١٠٠٠ غرام وهذه تستعمل رسميا لدى الحكومة ولدى الصيدليات .

أما المكاييل فلا يوجد منها شيء في بغداد وان وجد في مدن العراق الاخرى خارج بغداد فليس لها مقياس معين .

الالعاب ـ

كان اهل بغداد عندما يخرجون الى سلمان باك في الربيع او باب الشرقي او خلف بغداد جهة المقابر يلعبون العاباً مختلفة كهولا وشباناً فالكهول يلعبون الكسمه‌چه والتنور خراب وثلاث طفرات والشبان يلعبون شنطرة وبلبل او قريمچة او سنبيلة السنبيلة الخ .

وفي داخل المدينة يلعبون العاباً اخرى مختلفة في الطرق او في البيوت فمنها الطوبة ويسمونها درك وكعاب ومصرع وصكلة وفي البيوت سيدي مملوك ومحيبس وغيره وفي المقاهي الطاولي والدومنة والمنقلة والصينية في رمضان والاسقمبيل .

وفي الاعياد يتراهنون على الاكل مثل كمية معينة من التمر او البيض اوالكبة اوالكركي او غيره فمن اتم اكل الكمية يعطى له الجعل المعين من تسديد قيمة المأكول ومن عجز يعطي قيمة ما اكل من كيسه . وسنفرد رسالة خاصة لالعاب بغداد بصورة مفصلة .

الاسفار ـ

ما كان أهل بغداد يعرفون السفر ولا يفكرون فيه الا مرغمين عليه عند الضرورة القصوى الا لأنه يكلفهم مصاريف اولا ويأخذ من وقتهم شطراً ليس بالقليل ثانياً .

وواسطة النقل هى الحيوانات لاغير فترى اكثرهم يعيشون ويموتون ولا يرون خارج بغداد الا بعض صغار التجار ويسمونهم البياعة شراية وهؤلاء على الاكثر من اهالي المدن القريبة من بغداد وهم ليس لهم محـل يشتغلون فيه الا أنهم يشترون بعض المـواد من اطراف بغداد القريبة ويأتون بها معهم فيبيعونها على الرجل ويأخذون من بغداد اموا لا اخرى يسافرون بها وبعض التجار اليهود وبعض النصارى ذهبوا الى أوربا وهم لايتجاوزون اصابع اليد الواحدة ومن المسلمين اعرف ان عبد القادر باشـا الخضيري ذهب الى باريس للاستشفاء والنقيب السيد سلمان أفندي ذهب الى أستانبول بدعوة من السلطان عبد الحميد ومعه بعض العائلة الكيلانية وفي كل سـنة يذهب الصف المنتهى من المدرسة الاعداديـة العسكرية الى أستانبول للدخول في المدرسة الحربيـة وبعض الموظفين كانوا يذهبون الى استانبول لاستحصال وظيفة ثم يرجعون بها ويندر جداً ان رجع احدهم بدون حصول مطلبه .

المقابر ـ

في الرصافة مقبرة البكرى ومقبرة الغزالى ومقـبرة الشيخ عمـر التى كانت تسمى الوردية قديما ومقبرة اليهود وفي الكرخ مقبرة الشيخ معروف والشيخ جنيد وهما متلاصقتان أما النصارى فلهم مقـبرة خاصة في الباب الشرقي خارج السور ومقبرة للانكليز تدعى من قبل عامة بغداد بالصنم كان فيها طلومبة تسحب المـاء من بئر هناك بواسطة الهواء (مطحنة هوائية) فتسقى الاشجار الموجودة فيها .

الامن ـ

كان الامن منوطاً بالحراس في كل محلة يوجد منهم إثنـان وثلاثـة واكثر حسب اللزوم يطوف عليهم جرخهچيـة ولا سلاح لديهم من الحكومة بل كل عليه ان يقتني سلاحه من القامات والخناجر والفرود والمسدسات وغيرها .

وهؤلاء جميعاً معينون من قبل ملتزم الحراسة ويدور على الجميع دوريات كل منها مركبة من عدد من الجندرمة (الضبطية) واحياناً من الجنود ويقال لكل واحدة منها (قول) ومعهم پوليس يعادل المفوض في هذه الايام ومع ذلك كانت بغداد تعج بالسراق لاتكاد تخلو ليلة من سرقة ولو واحدة وهذه الحالة كانت تختلف باختلاف الولاة والقواد حسب شدتهم وتهاونهم .

الرياضة البدنية

وهذه كانت منحصرة في الزورخانات والالعاب الاخرى المذكورة في مادة الالعاب أما الزورخانه فهى بناية تعلوها قبة كقباب المساجد بدون زينه وفي وسط البناية حفرة مدورة أيضاً عمقها لايزيدعن المتر الواحد دائرها مبنى بالطابوق وأرضهامن التراب الرطب ينزل فيها من يريد التمرين فلهم حركات خاصة يلقيها عليهم الاستاذ ولديهم من الآلات تختة الشناو والاميال والسنك ويوجد دنبك كبير يسمى كبركه يضرب عليه رجل يقال له كلسوار وبعد ان يتدرب الطالب بمدة كافية يعلمونه المصارعةوهي فنيه لها اصول وقواعد خاصة وعند هذا التمرين يخلعون ملابسهم جميعها ويلبسون سروالا قصيراً من الجلد يسمونه كسوةوهذه الاعمال دخلت بغدادلانعرف من أي وقت مضى من بلاد ايران.

ويوجد من هذه الزورخانات في اماكن مختلفه من بغداد لا اضنها تتجاوز العشرة عداً.

التمثيل

لقد ظلمنا هذا العنوان اذ جعلنا تحته الامور الآتية التي ليست منه في شيء الا خيال الضل الذى سيأتي وصفه ونبداء بالاقدم فالاقدم –

الاخباري – وهو عبارة عن رجلين او اكثر احدهم رئيس والباقى له تبع وليس لهم محل تتهافت الناس اليه بل يدعوهم من كان لديه وليمة فرح فيجيبون الدعوة وعملهم يكون ليلا فيجلس المتفرجون وهم المدعوون طبعاً في محالهم بعد تناول الطعام وإداء صلاة العشاء فيأتي رئيس الجوق فيجلس في الوسط وينادى احد اعوانه فيجىء هذا فيسأله بعض الاسئلة المضحكة فيجيب عليها بضدها مضحكة أيضاً فتثير غضب الاستاذ فيضربه بجراب معه كان قد اخفاه بين البسته فيضحك الحاضرون وهناك تسمع منه ومن اعوانه الالفاظ البذيئه التى يخجل منها الكبير فضلا عن الصغير وكان من المشاهير الذى ادركناه رجل يدعى (ابن الحجامه) واسمه الحاج جاسم والمثل البغدادي يقول (مثل جراب ابن الحجامة)

وعندما كنا في سلمان باك في احد السنين رأيت اخبارى آخر من هذا النوع ولكن ارقى منه بالازياء والصور التي يضعونها على وجوههم ونكاتهم كانت ارق وعباراتهم اجمل (انظر الفصل الاول من هذه القسم)

خيال الظل -

وهو المسمى (قرة قوز) وهذا اتانا من استانبول وكثير من المعاصرين راؤه بالطبع ولا ادرى إذا كان قد زال الآن تماما من بلاد الترك ولكن لم نعد نراه او نسمع به في بغداد وهو كان مستعملا في الاندلس في زمن حكومة العرب هناك ولا ندري إذا كان من إيجادهم .

واقتبسه الاوربيون منهم ثم وصل الى استانبول او هو ايجاد الاتراك وانتقل الى الاندلس . فلسنا في صدد تحقيق ذلك الان ولكنا لا نظنه الا شرقياً .

وقد رأيت في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان جزء ٣ صفحه ١٢١ ان لابن دانيال الموصلي وهو شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الطبيب الرمدى بالقاهرة المتوفي سنة ٧١٠ هـ كتاب اسمه (طيف الخيال) في معرفة خيال الظل فريد في بابه وصف فيه لعبة خيال الظل المعروفة منه نسخة في الخزانه التيموريه في القاهرة في ١٢٠ صفحة .

والمحل الذى رآيته فيه في بغداد كان في مقهى قد زالت الآن تماماً بسبب احداث الساحه التى امام مديرية الشرطة العامه كان قد وضعت پرده (ستارة) سوداء امام احد زوايا المقهى من الارض الى ارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً يفصل تلك الزاوية عن المقهى .

ويوجد في وسط الستر تقريباً فتحة مربعة طولها متر ارتفاعها كذلك وعلى علو متر ونصف تقريباً من الارض قد سدت هذه الفتحة بخام (بز) أبيض وقد وضع لوح (تخته) أفقيا بسوية القطعة البيضاء من الاسفل وبطولها تماماً وعلى جانب منها شمعة واللاعبون يكونون في الزاوية خلف الستر والمتفرجون في القسم الباقي من المقهى فإذا اريد المباشرة باللعب تطفاء الانوار التى في المقهى ولا يبقى سوى ضوء الشمعه فيظر البز الابيض شفافا وجليا فنرى قد جاء من جانب القطعة البيضاء رجل صغير طوله لايتجاوز العشرين سانتمتر فيقفز ثم يتكلم وهذا اسمه (قره قوز) ويأتي من الجهة المقابله له شخص آخر بمثل شكله يسمى حاجيواد (حاج اوحد) فيتكلمون فيما بينهم ثم تأتي اشخاص آخرين ونساء واولاد وبعضاً حيوانات بغال وحمير وكلاب وطيور وغيرها حسب

الرواية وهذه القطعة البيضاء هي المرسح والاشخاص يأتون ويذهبون ويتكلمون حسب ترتيب الرواية ويكون فيه رقص وغناء وهيئة الموسيقى جالسه خلف الستر حتى كانك تشاهد تمثيلا بأتم دقائقه ولا ينقص ذلك شيئاً لان الاشخاص تتحرك وتتكلم وترقص وتغنى فماذا تريد ؟

والكيفية ان هؤلاء الاشخاص مصنوعون من جلد ملون حسب الالبسه والايدى والارجل والرؤس قطع على حده مرتبطه بالبدن باسلاك رقد ثبتت اعواد رقيقه في كل من القطع المذكورة فمثلا عود في الرأس وعود في البدن وكذلك في كل من اليدين والرجلين فاللاعب ويكونون إثان عادة يغيرون اصواتهما حسب اشخاص الرواية وهما الذان يحركان الصور جميعاً او بعض اعضائها كما يقتضى الحال .

فتشاهد الصورة كانها هى التى تتحرك وهى التى تتكلم حتى وانت تعلم انها صورة وان اللاعب يحركها ويتكلم عنها فعند استغراقك في النظر والاصغاء الى االكلام وانتباهك الى الحركات وتعقيب الرواية تنسى ذلك وتعتقد انها هى التى تعمل كل ذلك كما في السينما .

الصور المكبرة ـ

وكان في سوق الميدان محل فيه صور كثيرة قد صفت على جدار وامام الجدار على مسافة متر واحد او اكثر برده (ستر) سميك وفيه قد ثبتت عدسات محدبه بقطر أربع اوخمس سانتمترات فالمتفرج بعد ان ينقد صاحب المحل الاجرة يأتي به الى احدى هذه العدسات فينظر منها الصورة مكبرة فتتجسم امامه كانه يرى المحل بعينه ماثلا امامه ثم يذهب به الى العدسة الثانية والثالثة حتى ينتهى من جميعها ويخرج وقد يكون المتفرجون كثيرين فيتبادلون العدسات الى ان يكونوا كلهم قد رأوا جميع ما هناك من الصور .

التياترو ـ

سمعنا هذه اللفظه وسألنا عن مدلولها فقالوا انها رقص من قبل صبيين آتيين من الشام او حلب ومعهم جوق موسيقى وكانت هذه لما كنا في الصف الاخير من الاعدادية العسكريه ولم ارى ذلك الا اني سمعت به وهذا هو بدء التياترو في بغداد وسوف ترى في الفصل الاتي رؤيتنا تياترو في طريقنا الى استانبول شبيه بهذا وعند التحقيق فهمنا ان هذا هو مرقص

وليس تياترو لان التياترو هو التمثيل :

التصوير -

ما كان في بغداد من المصورين (التصوير الشمسي) غير اثنين فقط احدهما (داود غزالة) وهو الاشهر والثاني (زورا پاپل دونا طوسيان) وكلاهما بالقرب من جامع الخاصكي

القناصل الاجنبية -

وهم من البلاد الاتية :-

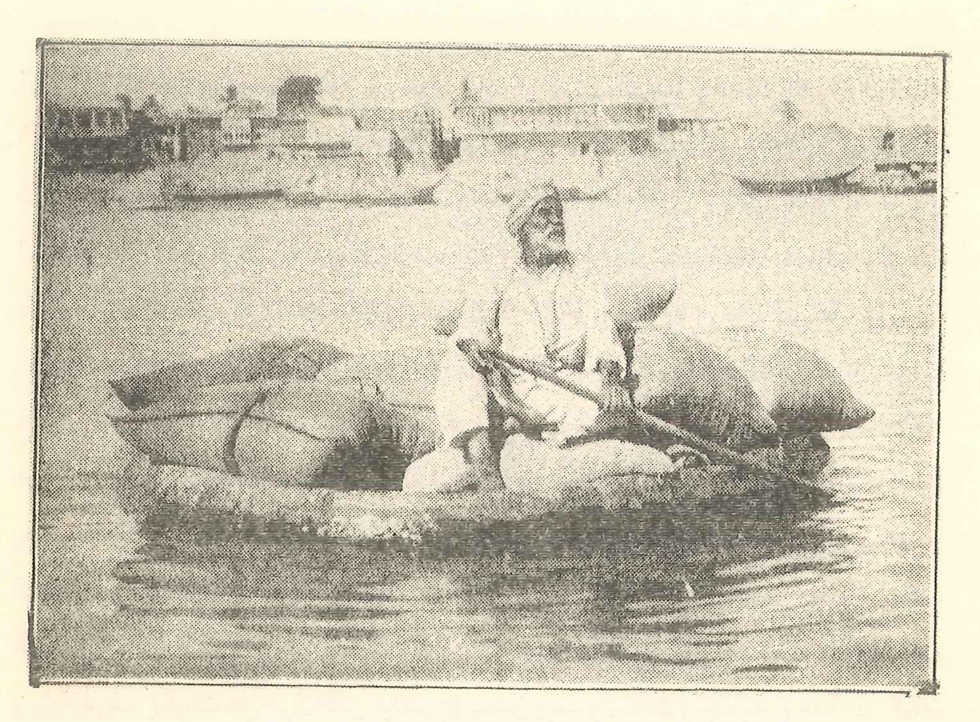
اسبانية * المانيا * انكلترا * ايتاليا * ايران * بلجيكا * روسيه * سويد فرنسا * نروج * النمسه والمجر * الولايات المتحدة .

الملاحة -

ما كان يوجد من وسائل النقل في النهر للعبور من جانب الى آخر او الذهاب الى الضواحي سوى القفف وقليل من الزوارق (الابلام) وهذه القفف هي التي كانت مستعملة في الهند وفي بابل وآشور منذ زمن طويل مع فارق بنوع المواد التي كانت تستعمل فيها يذكر ذلك هيردودتس في تاريخه الشهير ترجمة حبيب بسترس المطبوع في بيروت . وعدد هذه

القفف في بغداد ٥٠٠ تقريباً بين كبيرة وصغيره والكبيرة منها تسمي حصان وهي كشكل البرتقاله مضغوطه من قطبيها والجهه العليا منهـا مكشوفه ومعموله من الياف الاشجار ومطلية بالقار من خارجها وتحرك بواسطة مجذافين صغيرين ثم الكلك وهو قرب منفوخه مصفوفه الى جانب بعضها حتى تشكل سطحاً مستويا مربعاً ويوضع فوقها اخشاب تشد ببعضها وتربط بالقرب او تربط القرب بها وتوضع فوق هذا السطح الاموال وتستعمل فيها المجاذيف فتاتي من الموصل الى بغداد مع جريان الماء ولا ترجع فتباع الاموال والاخشاب الا القرب فتحمل على الدواب التي اتت راكبة فوق الكلك وترجع على الطريق البري الى الموصل .

اما السفن الشراعية والبواخر العثمانية والانكليزية التي كانت تمخر عباب دجله فهي للسفر من بغداد الى البصرة وبالعكس وهي ليست موضوع بحثنا الآن .



قفه بغدادية تستعمل لعبور الاشخاص ونقل المواد في نهر دجلة وخاصة ببغداد

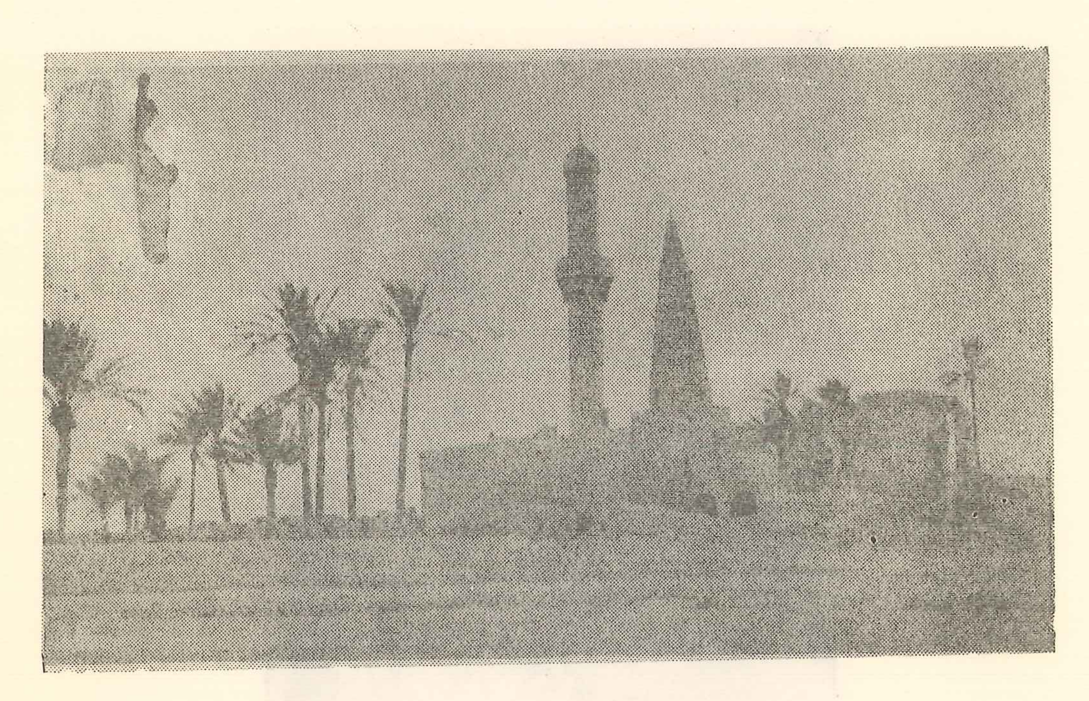
الصحه ـ

كانت ملاحظة الامور الصحية كنظافة الطرق والبيوت والمقاهي والمطاعم وغيرها منوطة بالبلديات وقل ما ترى تأثير ذلك فيما تراه اوتسمعه . واما المستشفيات فكانت اثنان لاثالث لهما احدهما المستشفى العسكري كـان في محل النادي العسكـري الان ثم نقل الى قصر المجيدية الذي كان قد اعد برقته لاقامة ناصر الدين شاه عند مجيئه الى بغداد وفيها مقدار كاف من الاطباء العسكريين ومستشفى الغرباء خارج باب المعظم وفيه طبيب واحد او طبيبان وكان لكل بلدية طبيب فللبلدية الاولى اسمه (لازار) ولااذكر اسم طبيبي البلدية الثانية والثالثه والاخيرتين كانتا اكثر الاوقات بدون طبيب (اي شاغر)

الاعياد ـ

كان يجري معايدة الوالي اولا لأنه رئيس الحكومة ووكيل السلطان فيحضر اليه المشير وكبار

الامراء والموظفين والنقيب والمفتي ووجوه البلد ذو الرتب الرسميه وقناصل الدول والرؤساء الروحانية ثم يجري التزاور بين الموظفين ملكيين وعسكريين ووجوه البلد وكل من له شخصية معروفة وله ديوان الى ان يتم جميع ذلك في اليوم الاول والذي بعده اما ما بين العامة فتحصل المعايدة بعد اداء صلاة العيد والخروج من الجامع يتصافحون مصافحة شرعية بقولهم (عيدك مبارك ايامك سعيدة) فيقول له الاخر (متعايدين مقبولين الله يتقبل الطاعات) فيقول الاول (منا ومنكم اجمعين) واذا كان احد المتصافحين شابا اعزب فيقول له الاخر (ان شاء الله العيد المقبل عريس) وفي عيد الاضحى يقول الواحد للاخر او الحاج لمن لم يحج (ان شاء الله العيد المقبل على جبل عرفات) وعند اتمام المعايدة يذهبون تواً الى المقبرة يزور المتوفين من اهله فيقراء على ارواحهم الفاتحة هو او ولده او قريبه سورة ياسين اما حفظاً او بالمصحف الذي يكون قد احضره معه ويخرج بعض النساء ايضاً الى المقبرة فيبكين إذا كن من المتحضرات وإذا كن نصف متحضرات (بابة عرب) فيجتمعن حول القبر فيلطمن وينحبن ويسمون ذلك (چاينه) هذا اذا كان المتوفي غير قديم الوفات ثم يرجع الجميع وهذه المدة تستغرق ساعة ونصف تقريباً وبعد ذلك يتزاور الاقارب فيما بينهم رجالا ونساء اما الاولاد فيستعدون من الليل فيحضرون الملابس الجديدة كلها بجانب فراشهم فينامون وعند الفجر يلبسونها وبعد رجوع ابائهم من المقبرة يأخذون عيدياتهم . الطفل الواحد منهم يأخذ العيدية من ابيه ومن امه ثم من عمه وخاله وقريبه على حسب درجاتهم او حسب ما يصادفه اولا فأول منهم بعد تقبيل ايديهم وبعد ان يملا جيبه يذهبون جماعات الى المراجيح ودواليب الهواء وفرارة الخيالة فيصرفون ما معهم اجرة لها ويشترون ببعضها انواع المأكولات من الباعة المتجولين من الشربت والحلويات والحامضات وغيرها . وتكون هذه المحال متعددة كل محله اوجملة محلات لها مركز خاص فيه الدواليب والباعة . ومن المحال العامة للجميع هو المحل الذي بجانب الشيخ عمر في الرصافة وبجانب الشيخ معروف في الكرخ فهولاء يستعدون لهذه الامور قبل ايام لانها تدر عليهم ربحاً لايستهان به فما يمس المساء إلا ويكون الاولاد قد رجعوا الى بيوتهم في غايت التعب واكثرهم لايتناول عشاءه لانه قد عبى في جوفه ما طاب

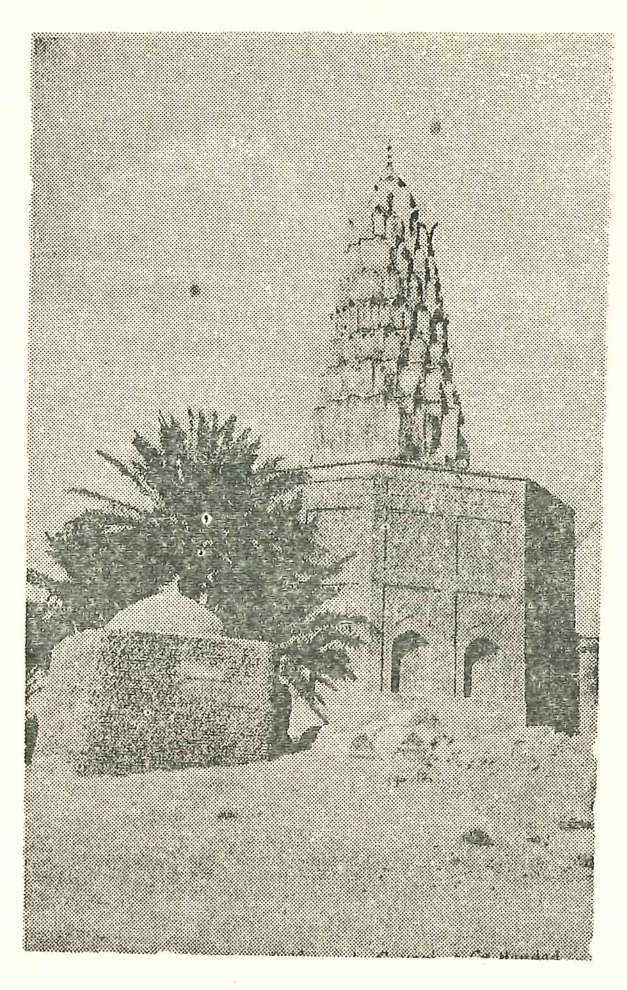


جامع الشيخ عمر في بغداد سنة ١٣٣٠هـ

ومـــا خبث فينامون عند الغروب ويستيقظون من الفجر وهكذا اليوم الثاني والثالث وهلم جرا والعيد عند العامه لاينتهي بثلاثة ايام للفطر واربعة للاضحى بلى يمدونها وهذا المتديد يسمونه الكسله فإذا صادف اول الكسلة يوم الثلاثاء فيقضونه في جامـــع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وحواليه ويوم الخميس للشيخ الخلاني ويوم الجمعة للامام الاعظم ويوم السبت للامام موسى الكاظم ويوم الاحد للسيد ادريس والسيد ادريس هذا لم يعرف ويجعـــل محل زياره الا في سنة ١٣١٢ هـ تقريباً ومن الامثال الخاصة بالعيد يقال للطفل الذي يلبس ملابسه الجديدة قبل يوم العيد (ياللابس جديـــد يخره عليه العيد) و (باچر عيد وانعيد نخرة بلحية سعيد) واذا انتهى العيد وذهب كل الى محله والى عادته القديمة قيل (خلص العيد وامرقوا كلمن رد على خرقوا) .

الافراح ـ

كانت الافراح بالاكثرية دينية تشتمل على المولد النبوي فقط والبعض يستعمل الانواع



مرقد الست زبيدة زوجة هارون الرشيد في جانب الكرخ - الشيخ معروف

الاخرى التي نذكرها فيما يلي كلها او بعضها : -

المولدالنبوي - تقرأ قصة المولد النبوي (النسخة الواقدية) ومعها تنزيـلات يسمونها اشغال وهي قصائد في مدح الرسول عليه السلام على نغم الاغنيه ثم توسع في ذلك فـدخلها الدف وانشاد القصائد على نقره اما النسخة (البرزنجية) فتقراء اذا كان المولد لاجل خيرات ومن جملة الاشغال كانوا يضمنونها قضية حرب الروس مـع العثمانيين واخرى الدعاء للسلطان عبد الحميد وقد ذكرناها في الفصل الاول من هذا القسم ويرادف المولد ذكر

مصري في الغالب :

الچالغي – وهو يتركب من الكمانة والسنطور أو القانون والدف الزنجاري والدنبك وكان من المشهورين في الكمانة رحمين اليهودي فبعد الضرب على الكمانه طول الليل يقرأ عند الفجر مقام الصبا ومن المشهورين بقراءة المقامات البغدادية ابن زيدان وحسن الشكرچي وكان قبلهم ابن رباز وشلتاغ لم ندركهما وفي المثل البغدادي لمن لايملك شيئاً (يقرأ في جيبه ابن رباز) ومن جملة الات الچالغي صبي يلبس لباساً مزيناً خاصاً يرقص على النغمات في وسط المتفرجين يقال له شعار .

ابو طبل – وهذا يتركب من الطبل والزمارة والنقارة وهذا الجوق يستعمل في الافراح السيارة على الاكثر في الزفات وفي الطهور (الختـــان) وفي تقديم النذور واخصها السفرة الى احد المراقد وهي صينية فيها الطعام وعلى الاكثر الدولمه مغطاة بقطعة مزينـة من الحرير فيمشي حاملها وخلفه الجوق المذكور الى داخل الجامع فيعطونها لخدام الجـــامع والفقراء الملازمين هناك وكان ابو الطبل يحفظ معه عيدان من النوع التي يضرب بهـــا على الطبل فيتجسس عن من ينوي ان يقيم فرحاً فيلتمس منهم ان لا يأتوا بابي طبل غيره فيضع احد العيدان في تلك الدار فتكون المسئلة مضمونه فلا يأتوا بغيره مطلقاً فصارت مثلا يقال لمن امن قضيته عند احد (لقـــد وضعت عصاة ابي طبل) .

ميدان العبيد – وآلاته دنبك كبير جداً يوضع عـــلى الارض عمودياً ويضرب عليه بسير من جلـــد ثم آلة اخرى تشبه الهارب عند الافرنج وتشبه تركيلـــة القصبة عندنـــا يسمونها الحجية لها اوتار يضربون عليها بايديهم ويرقص بعض النسوه عليها .

المزيقة –

وهي تشبه الموسيقى العسكرية بآلاتها واكثرها تستعمل بالنفخ ومعها طبل وزيل وما اشبه تستعمل في الختان وفي الزفة على الاكثر .

الساس –

ربما اصله ساز وهو آلـه تشبه العود وبالـتركيه (ساز طاقمي) هذه الالة ومعها توابعهـــا وهـــو المبارزة بالسيوف ولا يعرف تاريخ استعمالها . هذه المبارزة كلعبة في الافراح

وكيفية ذلك ان تكون مركبه من قسمين هيئة الطبل (الطبل والزمارة والنقارة) يجلسون في جانب من حوش الدار وهيئة اللاعبين اي المتبارزين وبقية الحوش لهم فيتقدم إثنان من المتبارزين يتمشون وبيدهم السيوف والدروق (التروس) الواحـد خلف الاخر وبينهما خطـوات قاطعين محيط دائرة ويتمايلون مؤشرين بيديهم ذات السيف وذات الدرقة كان يمدونها بالمناوبة يمدون احدها ويخفضون الاخرى ثم يمدونها معاً ويدورون حول انفسهم ويرجعون هكذا كـل حركة لها نفعها الخاص فتكون الحركات من البطيء الى السريع وهيئة الطبل تكون متابعة للحركات حسب ارادة اللاعبين هذه لمدة دقائق معدودة ثم يبدأون بالمبارزة فيتضاربون بالسيوف ويتلقون الضربات بالدرق لدقيقة او اقل ثم ينفصلون عن بعضهم بتمايل وتباعد خاص ويبقون كالسابق في الدوران ثم يتحمسون مرة اخرى ويتبارزون كالمرة الاولى يفعلون ذلك مرتين او اكثر ثم تؤخـذ من ايديهم السيوف والدرق وتعطى بدلها عصي من خشب السفرجل ودرق صغيره معمولة من الجلد يسمى (طابق) فيتحمسون هـذه المرة اكثر ويسرعون في المبارزة ثم ينفصلون وهكذا مرتين او ثلاثة مرات ثم يذهبون الى محلهم فيأتي غيرهم بعد استراحة هيئة الطبل دقائق قليلة وتبقى هذه اللعبة من الصباح الى المساء عدا اوقات الاكل والاستراحة وهذه تكـون عادة ثلاثة ايام والبعض يجعلوها اسبوعاً كامـلا وترى بعض الشبان يتمرنون على هـذه اللعبة يشتغلون بها على الدوام وبايديهم العصي والدرق الجلـدية (الطابق) في جانب من مقاهي المحلات استعداداً للدخول في لعبة رسمية كالتي وصفناها .

الاخباري -

كما وصفناه في مادة التمثيل

استقبال الحاج -

عندما يستخبر ذوي الحجاج العائدين من مكه عن وصولهم يسارعون في احضار الاعلام الخضراء الكبيره والمكتوب عليها الآيات القرانيه واصحاب الدفوف فيستقبلونهم كـل يستقبل صاحبه ويأتوا به الى بيته مخترقين الاسواق والطرق وهم يلقون القصائد في مدح الرسول عليه السلام ضاربين على الدفوف والرجل المحتفل به قد احتف به اصدقائه وبعد

وصوله الى داره يجلس للتهنئة ثلاثة ايام فتغص الدار بالزائرين المهنئين فتقدم خلال ذلك القهوه والتوتون والنارجيلة وتقدم الاطعمة كذلك ظهراً ومساء .

عقد النكاح –

تكتب اسماء المدعوين في ورقة وتعطى بيد احد الاصدقاء او من ذوي طالب الزواج فيمر عليهم واحداً واحداً ويخبره بان يحضر عقد نكاح فلان في الدار الفلانية صباح اليوم الفلاني والاكثر يكون صباح الجمعة فيحضرون ويحضر إمام المحلة او من يفوضه ويكون اهل الدار قد استعدوا لاحضار القهوة المرة والسجاير والنارجيلة والمرطبات ثم الچواتي وفي وسطها الملبس وهو ابو الهيل والمسقول والنبات وقد جمعت رؤس الچتاية الاربع وشدت وبعد ان يتكامل عقد المدعوين يبدأ احد الحاضرين بقراءة الآيات المناسبة التي تحث على النكاح .

ثم يحضر وكيل الزوج ووكيل الزوجة وشهود الوكالة وبعد ان يتحقق الإمام عن وكالة كل منهم يقابل بين الوكيلين واضعين ايديهم اليمنى الواحدة فوق الاخرى فيمين وكيل الزوج فوق يمين وكيل الزوجة ولاجل اخفاء هذه الوضعية تغطى الايدي بچتايه او منديل يكون من حصة الإمام في النهـــاية ثم يبدأ الإمام بقراءة آيات من القرآن العظيم تحث على الزواج ثم احاديث بنفس الموضوع يملي على وكيل الزوجة وذلك يكرر قوله قائلا (زوجت وانكحت نفس موكلتي فلانه بنت فلان الى نفس موكلك فلان بن فلان على مهر معجل قدره ٠٠٠ قرش صاغ وعلى مهر مؤجل قدره ٠٠٠ قرش صاغ) ثم يملي على وكيل الزوج هكذا (قبلت التزويج والنكاح من نفس موكلتك فلانه بنت فلان الى نفس موكلي فلان بن فلان على هذا المهر المعلوم واشهدت الحاضرين الفاتحة) ثم يقدم الشربت بالاقداح وبعده الچواتي ثم ينفض الجميع .

الزفه –

وهي على نوعين اعتيادية وام اسلاح فالاعتيادية تكون للطهور (الختان) وتكون للنكاح فاذا كانت للطهور يأخـــذون الطفل او أكثر من طفل المراد تطهيرهم يمشون في الوسط وبالجانبين اطفال آخرين كلهم بملابس جديده خاصة حسب قابلية اهلهم وتمشي ورآءهم

اولاد آخرون ورجال ، وخلف الصبيان او امامهم ابو طبل مــع توابعه يتحرك الموكب بهـــذه الوضعية من البيت فيمرون به في المحلات الاخرى قليلا ام كثيرا ويرجعون الى البيت ويكون ذلك في الصباح ويكون الحلاق الذي يجري الختان ومعاونوه حاضرين فيؤخذ الطفل وتجري له سنة الختان وبعد ذلك يتناول الحاضرين الطعام المعد لهم وتنتهي المسألة وان كانت زفة نكاح فتكون ليلا يخرج العريس من الجامع هو واصدقائه بعد ان يصلوا العشاء فينتظمون صفاً العريس بالوسط وواحد يمينه وآخر عن يساره يقال عنهم صراديج (صاغيه پچ بالتركية) وبقية الناس المحتفلين به فتحمل امامه الشموع والفاوانيس واللآلآت على مسافة طويلة وهيئة الطبل تضرب امامه وبعضاً يكون چالغي سيار بدل ابي طبل اومع وجوده فيكون الچالغي في المقدمه وابو الطبل في المؤخرة هذا والشعار يرقص امام العريس ويمشي شابان خلف العريس مجردين سيوفهما وماريتها خلف كتفي العريس كانه ملك تحف به الوزراء تعمل احياناً هوسات من قبل المحتفلين ويضرب عيارات نارية في الهواء ويقولون في هوساتهم احياناً (زوجناه وخلصنا منه) الى ان يصل البيت . وفي المثل البغدادي (العرس لإثنين ومخبوصة الفين) فإذا اصعدوه رأساً ادخلوه الى العروس وبعد المواجهة والمعارفة لدقيقة واحدة تقريباً اعطاء اليد باليد بواسطة الجدة اي القابلة التي حضرت ولادة احدهما او احـــدى العجائز الذي تحصل الموافقة على حضورها لهذه الوظيفة يخرج تواً فيصافح اصدقائه ويرجع فيدخل الى غرفته ويخرج من فيها ويخلي بينه وبين عروسه امــا المحتفلون فيكونوا قد تناولوا الشربت الذي كان معداً لهم فيخرجون من الدار وتنتهي المسألة

وفي صباح الليلة المذكوره يكن المحتفلين وأهل واصدقاء العريس ووالد العروس وفي مقدمتهم العريس نفسه لتناول طعام الصباح وهو لايختلف بالكمية او الكيفية عن الغداء الاعتيادي او العشاء من قبل والد العروس وفي بيت ابيها وهذه تسمى (صبحية) .

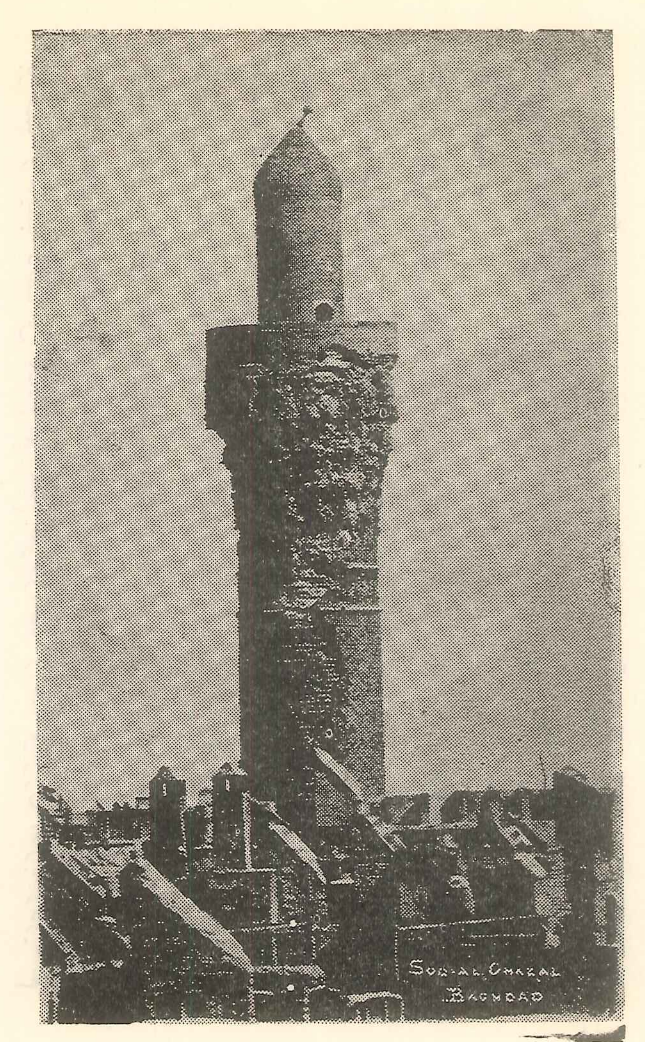
والعـــادة ان الزفة سواء كانت للختان ام للزواج فيجب دعـــو جماعة من اي محلة يراد مرور الزفة منها وإذا حصل المرور من المحلة بدون اذنهم اي بدون دعوة احدمنهم فلا تمر الزفة بسلام بل يضربونها بالاسلحة النارية وتكون المضاربة من الجهتين فلا بد من وقوع عدد من القتلى والجرحى من الطرفين .

واما الزفه أم سلاح فهذه خاصة بالطهور وتكون نهاراً تشبه موكــب الجنود الذاهبين للقتال وتكون على الخيل فيخصص للصبي الذي سيختن فرساً وهو بملابسه الجديده الخاصة بهذا اليوم يركب وحده إذا كان كبيراً قادراً على ادارة الفرس او يركب خلفه رجل يمسكه اذا كان صغيراً وكذا رفقاءه الاولاد بمثل الوضعية المذكورة ثم يركب شبان المحلة وكهولها ولباسهم المردن الابيض وهو لباس عربي من قماش أبيض سميك يستعمله أهل شمال افريقية وهــو يشبه الشنيل العسكري بأردانه الواسعة الا انه قصير يتجاوز الحزام قليلا فيه الزية والقياطين الحمراء متقلدين السيوف والفرود والمسدسات والبنادق والقامات والخناجر المذهبة والمفضضة وبأيديهم الرماح فيمشي اولا الخيالة المذكورين وبعدهم الطبل بهيئته وبعدهم الصبي المحتفل به وخلفه وأمامه الصبيان الآخرون وخلف الجميع قسم من الخياله الرجال ويمشي في فواصل مختلفه من الموكب (الواوي زفه) وهؤلاء رجال قد عروا اجسادهم والصقوا عليها كلها قطناً أبيض ومنقشاً بألوان حمراء وخضراء وغيرها من رؤسهم الى ارجلهم ولم تظهر سوى أعينهم يمشون كالراقصين ويمشي كذلك في فواصل مختلفة اخرى (اللعابات) وصورته صورة امرأة وكيفيتها ان يؤخذ رمح او عود فيغرس في الارض ويربط عليه عود آخر عرضاً قريباً من رأسه الفوقاني ويعمل دائرة من الخرق والاقمشة الاخرى كهيئة الوجه تربط في قسم العمود الفوقاني وينقش فيه الحواجب والعيون والانف والفم بما يقتضي لذلك الزينة ويلبسونها ثوب هاشمي جاعلين العمود بمثابة البدن والعمود العرضي بمثابة اليدين فيحملها الرجل رافعاً إياها الى الاعلى ويرقصها طول الطريق ثم يرجعون وقت الظهر ويجري الختان عندئذ ويتناول الجميع الطعام المعد لهم وتنتهي القضية .

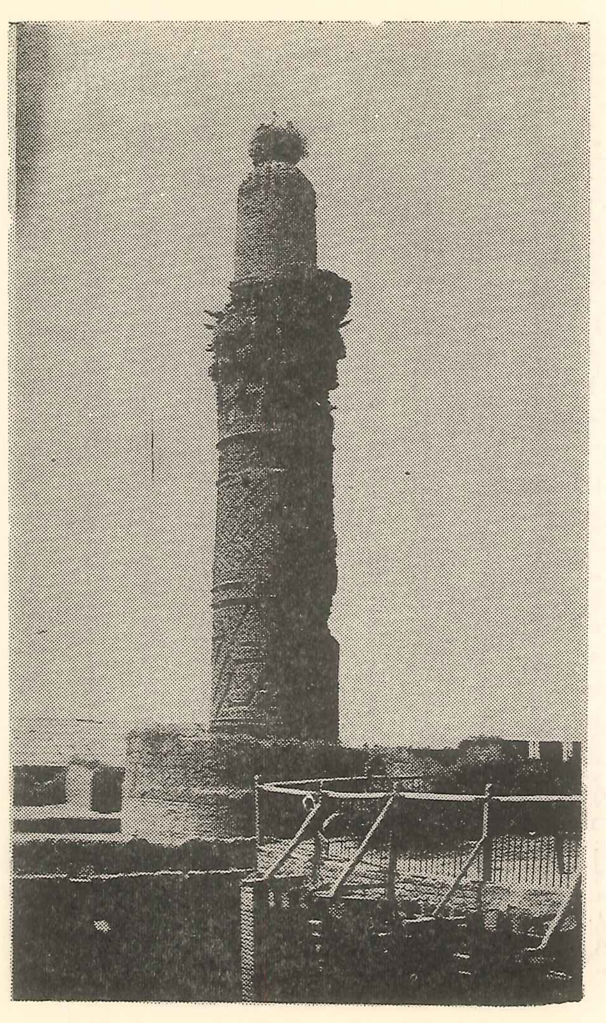
الاحتفال بالختمه ـ

في اليوم الثاني لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن الكريم في الكتاب يحضر الصبي والصبيان جميعاً فيأمره الملا بالابتداء بالقراءة من أول القرآن الكريم فيقرأ الفاتحة ثم يبدأ بسورة البقرة الى ان يصل الى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم (وبقية الآية وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) فلمجرد لفظة ختم الله يستعملون هــذه الآية التي تنتهي بالعذاب العظيم وذاك لقلة إنتباه الملالي ولو استعملوا محلها (اليوم اكملت

لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا) لكان اليق لما فيها لفظة الكمال او (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (وهي فيها لفظ الختام واى مانع إذا كانت القراءة من أول القرآن او من آخره) يبادر احد الصبيان ليخطف لباس الرأس للصبي المذكور فأما فينه او عرقچين او غيره ويجري به الى بيت الصبي فيسلمه لابيه او امه او وليه يبشرهم بالختمه فيعطونه مقداراً من الدراهم يسمونها (بشارة) وفي الكتاب يهيء الملا موكب الختمه وهو كما يأتي يعملون رحلة من سعف النخيل وذلك بتشابك السعف بصفه سطحين مستويين متقاطعين فتحصل بينهما اربعة زوايا كل اثنين منها متقابلتان والسطحان المذكوران طويلان من الاعلى ومتلاقيان بشكل طاق فيوضع المصحف بالرحلة تحت الطاق المذكور ويغطى الطاق من فوقه الى الجانبين بأغصان من الاشجار بيحث تغطى الرحلة جميعها وقد علقوا في الاغصان البرتقال والليمون والرمان وغيره حتى انهم يعلقون بيضاً مصبوغاً أو مذهباً فيحملها أقوى صبي في الكتاب ويمشي بها امام الجميع ويأتي بعد ذلك الخلفه وبيده أوراق يقراء منها القصيده المعتاد بقراءتها في الحفله ثم يأتي الصبي الخاتم المحتفل به بملابس جديده وبجانبيه وخلفه الصبيان الآخرون وفي آخر الجميع الملا وبعضاً يرافقهم ابوطبل أيضا فيمشي الموكب بهذه الصورة من الجامع الى بيت الصبي والخلفه يقراء القصيده (الحمد لله الذي تحمدا حمداً كثيراً ليس يحصى عددا) ومنها (وأنت ياأبي كنت سبب تعلمي جزاك ربي جنة النعيم وأنت ياوالده فنعم الوالده جزاك ربي جنة وقاعده) وفي آخر بيت يصيح التلاميذ جميعهم بصوت واحد (آمين) على نغم قراءة الخلفه وبعضاً بالتركية ومطلعها (اول وآخر سن سن قول حاجتن بلييرسن سن شـائي سن ياالله) لان التركية كانت متغلغله في جميع الاحوال (انظر مادة اللغة في هذا الفصل) الى ان يصلوا دار الصبي ويكون قد غص بالمدعوين من الاقارب والاصدقاء لصاحب الدار وأصدقاء الملا ايضا فيتناولون الغذاء ويكون الملا قد تصدر المائدة. وتنصب للصبيان موائد خاصه ومعهم الخلفه وعند الانتهاء من الطعام يخلع على الملا الخلعه المعدة له وهي اما جبة اوعباءة وربما تكون الخلعة قطعتين او اكثر عدا الدراهم التي يقدمها ولي الصبي وبعضاً يبادر المدعوين كلهم او بعضهم فينقدوا الملا كل على قدر حاله فيخرج



منارة سوق الغزل الاثرية في بغـداد



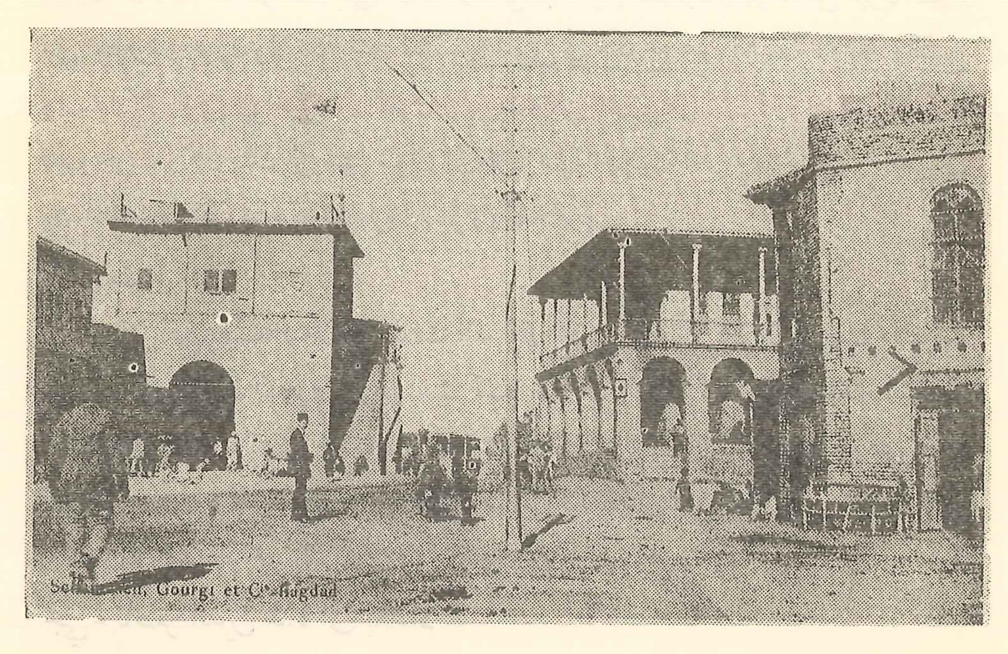
منارة الجفل في قضاء الهندية التابع لمحافظة الحله

الملا بالعز والاكرام والتحيه والاحترام هذا كله احتراماً للقرآن الكريم اولا ولنفس التعليم ثانياً وفي المثل البغدادي (من علمني حرفاً فقد صيرني عبداً)

المآتـــم –

اذا اريد تشييع الجنازه يحضر كل من يسمع بالوفاة من الاقارب والاصدقاء القريبة محال سكناهم ثم البعيدين وغيرهـم فتفرش لهـم حصـران في الطريق فيجلسون بينما يجـرى تجهيز الميت في داخل الدار فإذا كمل اخرجوه ورفعه أربعة أشخاص بأيديهم والباقون يمشون خلفه والاربعة المذكورون يستبدلون كل دقيقة او لحظه حباً بالثواب وتخفيفاً عن بعضهم البعض الى أن يصلوا المقبره فيكون القبر قد كمل حفره او ينتظرون قليلا ثم يوارونه التراب وعندئذ يقفون بشكل حلقه وبجانب منها أقرباء المتوفي فينادى احـد الحاضـرين ياجماعة ماذا تشهدون بحق فلان فيقولون كلهم نشـهد انه كان طيب السيرة والسريره تغمده الله برحمته او مايشبه ذلك من الكلام ثم يتقدم القوم واحداً واحداً فيعزون أقاربه وذويه ثم يرجعون الى بيـت المتوفي فإذا كان من اهـل اليسار تكون الدار قد هيئت لقبول المعزين فتنصب فيها الكراسي وفرشت كل حسب حاله وبدأ الحفاظ يقرأون القرآن الكريم بالمناوبه الى مساء اليوم الثالث فتهدى الختمات الى روح المتوفي وطيله الايام الثلاثة يكون الطعام جاهزاً وقت الغداء ووقت العشاء للطبقات المختلفة الاغنياء والمتوسطين والفقرآء وطريقة العزاء ان يجلس أقرب أقارب المتوفي في محـل تجاه باب الدار واقـرب مايكون اليها ليتسنى رؤية الداخل والخارج فيقوم للداخلين فيسلمون ويجلسون وكل شـخص بعد الجلوس وقبل الترحيب به يقول بصوت مسموع (الفاتحه) فيقراءها الحاضرون فإذا رفع يديه ومسح وجهه يقول له صاحـب الدار والحاضرون صبحكم او مساكم الله بالخـير حسب الوقـت فإذا كان الداخلون اكثر من واحد فلا يجرى قول أحدهم الفاتحه وقرائتها مرة واحده بل يجب ان ينتظر الواحد الآخر فإذا تمت قراءة فاتحة الاول فيقول الثانى الفاتحة فيقراءها ايضاً وهكذا ثم تقدم لهم السكايـر اوالنارجيله وبعد ذلك القهوة العربيـة وبعد الجلوس بمقدار يسير خمسة دقائق او قل او كثر يرفـع كل منهم يديه مـرة اخـرى قائلا الفاتحة فيقرؤنها كما فعلوا اولا فيخرجون فيمرون في طريقهم على أقـرباء المتوفي فيعـزونهم

بكلمات التعزية المألوفة من آجركم الله وان الله مع الصابرين والبقاء في حياتك ويحفظ الله لـك الباقين وهلم جـرا والعـاده ان الأصدقاء المقربين يطيلون جلوسـهم دلالـة على اشتراكهم في المصيبة ومجلس العزاء هذا يسمى (الفاتحة) يقال عمل بيت فلان فاتحة او جلسوا في الفاتحة وبعد صلاة العشاء من اليوم الثالث يجري إهداء الختمات وينفض الجمع والبعض يعمل في تلك الليله تهليله وهى نوع من الذكر يستجلبون به لروح المتوفي الرحمه والغفران اما الفقراء فبعد الرجـوع من المقبرة يذهبون الى دارهم فيكـون ماشاء الله ان يبكوا وكل من يصادفهـم في الطـريق يعزيهم والبعض يأتى الى باب الدار فيجرج له صاحب المصيبه فيعزيه وقوفاً فإذا مر يوم واحيانا اقل من يوم يأتى جماعة فيلحون على صاحب الدار ويأخذونه الى قهوة المحله القريبه من الدار وهناك يعزيه من لم يكن رآه قبلا وتتم التعزيه بهذه الصـورة والعاده ان يعمل احـد الجيران او الاصدقاء طعاماً يهـديه الى اصحاب المصيبه لانهم ليسوا في حال يتمكنون من طبخ الطعام واما الاغنياء وخصوصاً



باب الشمالي (باب المعظم) في بغداد سنة ١٣٣٠ ه

المتوسطون المضطرون لعمل الفاتحة تهدى لهم من قبل الاصدقاء كميات من الارز والسمن والسجاير والقهوة وغيرها دلالة الاشتراك بالحزن والمساعده على المصاريف غير المنتظره

الوقائـــع ـ

التى حدثت في المدة التي نحن بصددها وهذه قسمان المسموعات وهى الاحداث التي وقعت قبيل المده المذكورة وكانت متداوله بين اهل بغداد ولقرب عهدها والمعاصرات ذكرناها على ترتيب زمنها .

الطاعون الكبير يرافقه غرق بغداد ـ

في آخر ولاية داود باشا آخر حكام الكرلهمند والطاعون المذكور كان شديداً جداً وقد رايناً وصفا عرضيا عنه في كتاب غرائب الاغتراب للسيد محمد شهاب الدين الالوسي صحفة ٧ مانصه (وقرأت . . . على ذى الاخلاق المستجاده عبد العزيز أفندى شواف زاده . . . وفي حجـرته التى كان يدرس فيها دفـن . . . وسبب ذلك تعذر الوصول الى المقابر لكثرة الماء وقلة الناصر فقد طغى المـــاء ودخل البلد أيام الطاعون وجرت من عيون السور على المطعونين عيون ولا تكاد تجد لكـــثرة الموتى في الكرخ غير الشيخة الفانية والشيخ ولـــذا كثر الدفن في المساجد والطرق والبيوت ومن الموتى من كان قبره جوف كلب او قلب حوت وكان ذلك من شهر شوال الى غرة ذي الحجـــة الحرام سنة ست واربعـــين بعد المائتين والاف من هجرته عليه الصلواة والسلام).

الظلمات ـ

يتناقل أهل بغـــداد حادثة الظلمات فقد أظلم الجـــو نهاراً وكان ذلك قبيـل المغرب وحسب المسموع ان النجوم شوهـــدت كمـــا لو كان الوقت ليلا وأوقـــدت الشموع للاستضاءة وكان ذلك في ٢٠ رمضان سنة ١٢٧٣ هـ (عن لب الالباب للسهروردي جزء الثاني صفحه ٤٠٨) في أواخر زمن الوالي رشيد باشا الكوزلكلي (١٢٦٨ ـ ١٢٧٣) أو أوائل زمن السردار عمر باشا (١٢٧٣ ـ ١٢٧٥)

مجيء ناصر الدين شاه الى بغداد ـ

وقد زار العتبات المقدسة واقام في قصر النجيبية في بناية خاصة انشئت له ثم اضيف

الى البناية غيرها وجعلت ملت باغچه‌سي (حديقة الامة) وذلك في زمن الوالي مدحت باشا ثم جعلت مستشفى عسكرياً وسميت مجيدية .

سنة البرسيمة ـ

كانت سنة قحط في شمال العراق وهو حوالي سنة ١٣٠٣ هجرية فكان بعض الاكراد يهيمون على وجوههم في البلاد الجنوبية فوصل البعض منهم بغداد وكانوا يقولون لمن يرونه (بريسيمه) اي جائع فلم تزل الحادثة في الاذهان يؤرخ بها بعض الشيوخ بقوله حدث الشيء الفلاني سنة البرسيمة بكذا من السنين .

الاوبئة ـ

وحدثت اوبئة اخرى مرتين او ثلاثة بين سنة ١٣٠١ و ١٣١٠ تقريباً ذهب ضحيتها نفوس كثيرة .

مقتل نجم الدين افندي النائب ـ

والمهيمن على صندوق الايتام قتله مصطفى افندي الكاتب في المحكمه الشرعيه بسبب عزله لاختلاس ارتكبه من الصندوق فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام وجرى ذلك عند باب القلعه قرب طوب ابو خزامه بالسيف بواسطة الشخص المدعو نصيف بن ناعور ولما كانت القضية فريدة في بابها حيث لم يجري قصاص في بغداد منذ مدة طويله قبل ذلك التاريخ بقيت حديث الناس لمدة طويلة وكان يغنى بها واتذكر منها (بسيف بن ناعور قصو رقبته حزنن خواته كصن كصايب سود حزنن خواته) .

الرق في بغداد ـ

كان شائعاً وله دلالون تجري بواسطتهم الصفقات وحدث حوالي سنة ١٣٠٨ ان سمعنا بان العبيد السود تركوا اسيادهم وذهبوا الى القنصليه الانكليزية فرادي وجماعات فيتحررون هناك ولايعود احد يتمكن منهم والبعض منهم بقوا في بيوت اسيادهم بصفة خدم وليس كأرقاء وذلك على اثر مسئلة تحرير العبيد في امريكا .

دفن الخاخام في مرقد النبي يوشع ـ

وجلية الخبر ان اليهود توفي عندهم الخاخام عبد الله سوميخ وذلك في سنة ١٣٠٦هـ

وكانوا يعظمونه كثيراً اذدفنوه في مرقد النبي يوشع في جانب الكرخ فهاج المسلمون وراجعوا الوالي بوقته وكان مصطفى عاصم باشا (١٣٠٣ - ١٣٠٥) فأمر بإخراجه ودفنه في غير هذا المكان وانتهت المسأله وقد عملت قصيدة عاميه بوقته نذكر منها الابيات التاليه :-

يا ربنــا يــا عــالي	يا مقــدر الآجــال
انصر لنا دولتنــا	بجاه النبي الغــالي
مصطفى عاصم جانه	عم الخلق باحسانه
ربي تعالى شــانه	بــالمصطفــى والآل
وصلوا الى صوب عكيل	اليهود بنص الليــل
لإستانبول دكولهم تيل	بحق عبد الله الغالي
وصلوا الى النحامه	اليـهــود اللــوامــه
يوسف شنطوب قدامه	صالح كاشي بالتالي
قال البصوان شبيكم	ما لابســين عبيكم
والمشــاعل بيــديكم	لاتحرقون الجمــالي

ورود الشعرات المباركة -

وفي حوالي سنة ١٣١٠ هـ وردت شعرات مباركه منسوبه الى الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) كانت موضوعة في قارورات صغيره ملفوفة في أغلفة متعدده وأخيراً في صندوق خشبي صغير موضوعة على جمل مكلل بالستائر الخضر فكان لها أعظم إستقبال في بغداد وعند دخول الجمل الى سراي الحكومــه كان السراي مكتظاً بالجماهير وكل يريد لثم الصــندوق او غطاء البعير اوحتى البعير نفســه ثم وزعت الى العتبات المقدســه النجف كربلاء - الكاظمين - سامراء ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني والامام الاعظم ابو حنيفه .

وفاة الميرزا المجتهد في سامراء -

وهو الشيخ حسن الشيرازي كان اعظم مجتهد في زمنه وعند وفاته جيء به من سامراء وطيف به في جميع مراقد الأئمه عليهم السلام وكنت حاضراً في الكاظمين عندما جيء به الى هناك فكان الصحن الكاظمي على سعتــه مكتظاً بالجماهير فلا تجد قيد شبر غير مشغول بالناس

ثم دفن في النجف الاشرف وكان ذلك حوالي سنة ١٣١٢ هـ

حرب الچبايش –

كان الشيخ حسن الخيون عاص على الحكومة فارسلت له جيشاً في سنة ١٣١١ رومية عثمانية فحاربه وقتله وانتهت القضيه وفي اول جلوس او ولادة السلطان عبدالحميد عمل له تمثال من ورق راكباً فوق حصان من ورق ايضاً وضعوه في داخل القشله والتمثال كله محشو بالمفرقعات التي كانت تستعمل في مثل هذا الاحتفال مركبة من البارود والمواد الاخرى فاشعلوا ذيل الحصان فبدأ يشتعل ويتفرقع الى ان تم احراقه جميعه.

تدشين جسر الخر –

اقرأ عنه في الفصل الثالث من هذا القسم.

الفونوغراف –

في سنة ١٣١١ تقريباً طرق سمعنا ونحن تلاميذ في المدرسة الرشدية العسكرية بأن أحدهم أتى بآلة تأخذ الصوت وتحفظه ثم تعيده فاشتقنا لرؤية هذه الآله ونحن غير مصدقين فعند خروجنا من المدرسة اذكر صادفنا شخصاً في سوق السراي قد وضع كرسياً ذا ثلاثة ارجل على الارض (سي پايه) وفوقه صندوقاً من الزجاج إلا قعره فمن الخشب او التنك وداخل الصندوق آلة الفونوغراف التي ابدلت بعد ذلك بالغراموفون ومعها اسطوانات بشكل انبوب وكانت تدعى قوان فيمد صاحبها يده ويلبس الاسطوانة بإسطوانه مثلها معدنية وينصب الآلة بمفتاحها فتدور الاسطوانة ثم يعطي المستمعين انابيب من المطاط لكل شخصين اثنين يضعانها باذنيهما وبعد ان يتقاضى من كل منهم قرش رايج بغدادي يسد الصندوق فسمعنا غناءاً بغدادياً من صوت ابن زيدان وغيره ولا يسمعه غير المشتركين طبعاً وقد اخذ منا العجب مأخذه وكان كل من معه آله من هذه يتمكن من اخذ اي صوت يريده ثم اذا مله يمسحه عن وجه الاسطوانة بواسطة خرقة مبلوله بالنفط ثم يمليها صوتاً آخراً وهكذا لانه كانت تباع مع الآله ابرتان كاتبة وقارئه ثم ابدلت انابيب المطاط بإنبوب معدني واسع المنتهى يركب فوق المحل الذي يخرج منه الصوت فيسمعه كل حاضر في المجلس او على اي بعد كاف لسماع الصوت ثم ابدل هذا النوع بالنوع الاخر المسمى غراموفون

وله اسطوانات مسطحه بشكل قرص مستدير تباع مملوءه في نفس الشركات بجلب المغنين واستأجارهم لاعطاء اصواتهم ولم تعد تباع مع الآله الابره الكاتبة بل القارئة فقط لان صرفيات الاسطوانات من النوع الاول كانت قليله فصاحب الآله كان يشتري بضعة منها ويكتفي بها طالما هو يقدر على إزالة ما عليها وإملائها من جديد اما النوع الثاني فليس له فيها هذا التصرف فإذا ملها يجب عليه ان يتركها او يبيعها بثمن اقل مما إشتراها .

حرب الدولة العثمانية مع اليونان —

حدثت هذه الحرب في ١٣١٥ هـ فاستولى العثمانيون على قسم كبير من بلاد اليونان قطعة تساليا وما جاورها فكانت تأتي اخبار الفتوح الى بغداد بواسطة البرق فيطبعونها في مطبعة الحكومة ويبيعونها في البلد اوراقاً تسمى آجانس كل ورقة بقرش رايج .

العثور على الذهب في شريعة خضر الياس —

عثر في سنة ١٣١٦ هـ على كمية من الدنانير الذهبية قيل انها من زمن المعتصم وتفصيل ذلك حسب ما شاع في حينه ان احد اصحاب القفف تعود ان يربط قفته في عروة لإناء قديم ثابت بالساحل ففي بعض الايام جاءت العروة مع الحبل وانسحب الاناء برمته وانكسر فإنهار الذهب في الماء فجمع صاحب القفة ما قدر عليه وذهب ليأتي بمن يعينه على الالتقاط فرأى ذلك غيره وتجمهرت الناس ووصل الخبر الى الحكومة فجاء السرقومسير واتباعه فارسلوا غواصين وبدأوا يجمعون الذهب الى ان اتموا ما قدروا عليه وقد شاع ان الموظف الفلاني حصل على كذا والاخر على كذا منه كما هي العادة في مثل هذه الاحوال اما الذهب فقد ارسل الى استانبول .

نهب الجنود الدكاكين والماره في بغداد —

كانت ليلة عيد الفطر والعادة ان تعطي الحكومة معاشات الى الموظفين والجنود وغيرهم فلم يصدر الامر بذلك والمعاش كان يعطى بالسنة اربعة اشهر فقط بصورة رسمية واما كبار الموظفين فكانوا يتقاضون رواتبهم بصورة فوق العادة منهم ستة اشهر ومنهم اكثر من ذلك فخرج الجنود بصفة اذن بسبب ليلة العيد وبدأوا ينهبون ويسلبون كل من يلاقيهم في الطريق او في السوق ولما كان وقت خروجهم قبيل المغرب قدروا ان يسلبوا الدكاكين التي

تأخر اصحابها في غلقها فلما رأت الحكومه ذلك اصدرت امرها بإعطاء الرواتب صباح العيد وبهذا انتهت المسأله . وكان ذلك في سنة ١٣١٥ هجرية .

الشحاذة ـ

كانت الشحاذة في ذلك الوقت صنعة رائجة وكان الشحاذون كثيرين جداً حتى انك تصادفهم في الطريق وفي الاسواق وفي المقاهي وفي محال الزيارة ويدورون على البيوت ايضا وفيهم الفقير والمتفاقر والمريض والمتمارض والاعرج والمتعارج والمقعد والمتقاعد والأعمى المتعامي ومن اجناس مختلفه العربي والمتحضر والبدوي والايراني والتركي والمغربي ومن لا جنسية معلومه له . ومنهم القنوع ومنهم الملحاح ومنهم السائل ومنهم المداح ومنهم من يضع بطاقات امام المصلين يوم الجمعة اثناء الخطبة يضمنها آيات واحاديث تحث على الصدقه يضع البعض له فوقها ماتسير ثم يمر عليها فيجمعها .

الغنـــاء ـ

كان الغناء على نوعين الاول المقام البغدادي وهو الابراهيمي والحكيمي والمخالف والجبوري والمنصوري والسيكاه وغيره ما يتجاوز الخمسين نوعاً يقراء به الموال ويسمى الزهيري ذو سبعة اشطر مثال واحد منه (لو أحظ الشوك الشيب آسن بالجواجي وسن الحب جرد سيوفه على الكطيعة وسن ناديت له بالغرض حبك علينا وسن لاناشدك كلمن يهواك لو بس انا محروم شوفك ولا يوم تجي بالسنة قال ارسل لك خيالي تنظره بالسنا قلت اليودك حبيبي ما يضوك الوسن) والثاني العتابة وهوابيات ذات اربعة اشطر تنتهي بحرف الباء او بالألف المقصورة او المطلقة مثال واحد منها (شربنا ماي مدتكم والصبور وعلينا طالت المده والصبر

واشجم صبرك ياكلب دصبر ياصبر ايوب صابر على الجفا)

ثم تاتي بعد المقام البسته وهى ذات نغم مرقص ومتقطع وهي انواع عديدة يوافق كـل منهما احد المقامات وهى تاليف ريفي على الاكثر .

حالة الشبان .ـ

كان الشبان لايجلسون في المقاهي لا ليلا ولا نهاراً ففي النهار كل في محل عمله مع والده اومستخدم في محل صنعته واما العصر وفي الليل فيجتعون في الجوامع ويصلون الاوقات المطلوبة وبعد صلاة

العشاء يبقون جالسين في الجامع ما دام البقاء ممكناً الى وقت مناسب من الليل او يبقون وقوفاً في ساحة الجامع او عند بابه او يتجولون في الطرق حوالي الجامع او اماكن اخرى قرب بيوتهم فيتحاورون وعند مرورهم من محل الى اخر يغنون بعض المقامات او البستات لانه لا يوجد لهم ملجاء غير الجامع وحواليه وغير الطرق والصلاة ومايتعلق بالصلاة ويهتمون بالايام المباركة والعطل الرسمية مثل ليلة ٢٧ رجب وليلة ١٥ شعبان وليلة ١٢ ربيع الاول المولد النبوي وايام الاعياد وليالي رمضان خاصة ويوم جلوس السلطان ويوم ولادته وهلم جرا .

فيكون المجال عندهم اوسع خاصة في ليالي رمضان فيبقون خارج منازلهم مدة اطول فتراهم يتذاكرون في امور الديانة ويقصدون الوعاظ . فيذهبون اليوم مثلا الى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ليسمعوا وعظ الشيخ عبد السلام وغداً الى جامع الخفافين ليسمعوا السيد جعفر وبعده الى جامع الفضل ليسمعوا الشيخ سعيد وبعده الى جامع مرجان ليسمعوا عبد الوهاب النائب ولايسمعون بواعظ الا ويقصدونه وهؤلاء الطبقة المتوسطة والتي تليها يبقون في ازقتهم يجلسون على الارض ويلعبون العاباً مختلفه وهكذا ، وليس يفهم مما تقدم ان جميع شبان بغداد على هذه الشاكلة ولكن ما وصفناه هو صفة الاكثرية منهم .

الاحتفال بالجلوس والولادة ومولد النبي –

قبل يوم او يومين من حلول تاريخ جلوس السلطان او ولادته (ولادة السلطان عبد الحميد ١٦ شعبان وجلوسه ١٩ اغسطس (آب رومي) تكون جميع دوائر الدولة الرسمية من ملكية وعسكرية على قدم وساق منهمكه في اعداد الزينة وكذا بيوت كبار الموظفين الملكيين والعسكريين والزينة عبارة عن تزيين الواجهات بسعف النخيل واغصان الاشجار وتعليق الاعلام العثمانية والاوراق الملونة وعلى باب كل محل او دائره او دار توضع لوحة كبيرة مكتوب فيها (پاد شاهم چوق يشا) ففي صباح يوم الجلوس او الولادة تكون الزينة جاهزة وكاملة . اينما تمر تجد الاعلام ترفف والزينة في ابهى حللها وتكون العساكر قد اصطفت في باب السراي لإداء التحية فيجلس الوالي في محله الرسمي وتبدأ وفود المهنئين ترد اليه ويكون السراي قد اكتظ بالاهلين الساحة والطرمات الفوقانية فيدخل كبار الموظفين ملكيين وعسكريين ثم قناصل الدول والرؤساء الروحانيين للملل المختلفة ووجوه وأعيان البلد ويأتي آخرهم السيد

سلمان النقيب فإذا جاء النقيب عرف الناس انه لم يبق احد وبعد ان يشربوا القهوة ويدخنوا يخرج الوالي والجميع خلفه الى الشرفة (البالقون) المطلة على ساحة السراي فيراهــم جميع الناس ويتقدم المفتي ويقرأ الدعاء بدوام عافية وعز السلطان ثم يرجعون الى اماكنهم فتدار المرطبات وينفض الجميع ولكن الافراح والانس في الليل فعند الغروب تضاء الفوانيس الكثيرة بالشموع والقناديل بزيت السمسم ولكنها من الكثرة تبلغ حــدا بعيدا بحيث تكــون كل الواجهات مضيئة كالنهار والبعض يرتب الفوانيس بحيث تقرأ منها هذه العبارة من بعيد(پاد شاهم چوق يشا) والبواخر النهرية الموجودة في نهر دجلة تزين بالاعلام وتضاء بالفوانيس ايضاً

وعدا ذلك ففي الساحة التي في باب المعظم خارج الخندق عن يمين الخارج من البلد تركز عواميد (مرادي) في كل مسافة مناسبه وتربط بينها اسلاك معدنية قوية فيتشكل من ذلك دائرة كبيرة جدا ويعلق في الاسلاك كرات كالرمانه شكلا معمولة من ورق سميك داخلها البارود وانواع المواد الكيميائية الاخرى وتكون لها فتيلة فإذا اشعلت تصل النار الى داخل الكرة فتنفجر ويخرج منها اضواء متنوعة احمر واخضر واصفر وغيره مع فرقعات متعدده ولما كان اشعال الفتائل الواحد بعد الاخرى بالتدريج فالانفجار المذكور يقع كذلك بالتدريج فيستغرق المدة من اشعالها ويعمل كذلك دولاب خشبي يربط فوق عمود مغروس في الارض بصورة افقية وآخر بصورة شاقولية ويشد على دائرهما لفافة طويلة من الورق محشوة بالبارود ولها فتيلة فاذا اشعلت يخرج منها البارود مشتعلا فيدور الدولاب بقوة البارود حول محوره أفقيا او عمودياً و حسب اتجاه الفتيلة ناشراً الشرر لمدة دقيقة او اكثر الى ان يتم احتراق البارود جميعه وتوجد عدا هذا لفافات من هذا النوع فيها البارود والمواد الاخرى مربوطة على عود بطول متر ونصف او اكثر قريبة من رأس العود وباقي العود خالياً فيمسك على الارض عمودياً والفتيلة الى فوق فاذا اشعلت الفتيلة يخرج الشرر الى اعلى فتصعد اللفافة مع العود بهيئتها الى الفضاء فيكون لها دوي من شقها الهواء الى مسافة كبيرة تتجاوز الخمسمائة متر الى ان يتم خروج الشرر جميعه وفي الاخير تنفجر بفرقعة فيخرج منها مثل النجوم الكبيرة بألوان زاهية متعددة وهذه تسمى (صعاده) وهذه المواد كثيرة جداً بحيث يدوم اشتعالها الى قريب نصف الليل وهذه العمليات تسمى (شنلك) اى افراح ومسرات .

اما الاهالي وخاصة الشبان فيعملون صورة مصغرة من هذه الانواع من البارود فقط يسمون الصغير منها زنبور) والكبيرة (الطوب = مدفع) وهذا الاخير يكون له صوت كصوت المدفع .

ويستعد التجار لجلب انواع صغيرة من هذه يبيعونها على الاطفال بعضها يشبه الزنبور الآنف الذكر تسمى طرقات احدها (طرقة) لها فتيله فتشعل وبعد ظهور الشرر تنفجر بصوت بنسبتها وكذا شخاط عند اشتعاله يعطي لون احمر او اخضر يسمى (شخاط الليل) ثم وانواع اخرى تسمى شخاط النجم وهلم جرا .

والجميع لا يقتصرون على الحضور في باب المعظم المحل العام لهذه المسائل بل يستعملون ما ذكرناه اعلاه في محلاتهم وبعضاً يشعلون الطوب او الزنبور ويرومونه على بعضهم البعض مازحين .

وفي السنوات الاخيرة بدىء بعمل طقاقات وهي قطعة ورق صغيرة يوضع فيها پوتاس وزرنيخ ومعها حصوات صغيرة فتلف بخرقة وتشد بخيط شداً وثيقاً فإذا رميت الى الجدار او الى الارض تنفجر ويسمع لها صوت قوي .

اما في المولد النبوي الشريف فتعمل زينة الواجهات وتعلق الاعلام وغيرها وتوضع الواح في الواجهات يكتبون عليها كلمات ترحيبية بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم والاكثر ان تكون (ولد المصطفى وحق الهناء) اما الامور المسماة شنلك وتوابعها فلا يعمل منها شيء .

بعض الضرائب —

من الضرائب التي ليس لها وجود الان (التحميص) وهو تحميص البن (القهوة) يوجد محل يعود للحكومة فيه موظفون وعمال فعلى كل قهواتي ان يأتي بقهوته فيحمصونها له في هذا المحل ويأخذون لقاء ذلك رسماً وليس لاي قهواتي ان يعمل ذلك في قهوته او في بيته

التمغة —

كان يوجد في محل فيه ملتزم يرسم كل معمول بلدي برسم خاص ويأخذ لقاء ذلك رسماً معيناً والمعمولات البلدية كانت المنسوجات والادوات النحاسية وغيرها .

الشرايع —

كان على السقائين ان يدفعوا رسماً معيناً مقابل أخذ الماء من النهر باعتبار ان الحكومة تنشىء محل النزول الى النهر والصعود منه ولا يوجد شيء من ذلك .

الاصنافية –

كان يوجد رسم معين ايضا من كل عامل يشتغل بيده مثل الحاكة والبنائين وغيرهم :

تقطير العرق –

كان يجري تقطير العرق في المحل المسمى (قراره) خارج بغداد ويستعمل في ذلك القــدر الذي تجهزه الحكومة لهم تعطيه لهم بالساعات تحسب من لحظة تسليمه لهم الى حين إرجاعه يؤخذ الرسم على عدد الساعات وكسورها فتراهم يضعونه على حمار قوي ويركضون به لايصاله ساعةاقدم وبعد الانتهاء من العمل يشدونه ايضافوق ذلك الحمار ويركضون به للاقتصاد في الوقت وهكذا تراهم ذاهبين آيبين بين كراره (قرارة) وبين دائرة الديون العمومية فاذا كان القدر في قراره وانتهى احدهم من عمله واراده آخر فلا يمكنه اخذه من هناك بل على الاول ان يوصله الى محله ثم يراجع الآخر فيأخذه ويركض به من جديد وهكذا .

النذور –

من عادة اهل بغداد ان ينذروا لكل حادث نذراً وهي انواع اما ان يكون قراءة المولد النبوي بمفرده او معه ذكر مصري او عمل قراية اي تعزية لسيدنا الحسين رضى الله عنه او عمل شيوخ اي ذكر رفاعي بتوابعه من ضرب السلاح وحمل الصاج وغيره (انظر الفصل الاول من هذا القسم) او تقديم سفره وهي الدولمــة (الملفوف) على الاكثر في صينية مغطـاة بقماش ومعها ابو طبل الى احد المراقد يسمونها (نوبة) او تقديم ذبائح لوجه الله تعـالى عند قدوم حاج من مكة وعند دخول العروس الى الدار او العريس ايضا او عند قدوم غائب او ولادة او شفاء مريض وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

اما انواع النذور الاخرى الغريبة الشكل والشاذة فلا نتعرض لذكرها .

العدوان بين المحلات –

ويسمونه (كسار) أي المكاسرة وذلك تحدث احيانا مجادلـة او اختلاف بين اشخاص من محلتين او اكثر فيتوعد بعضهم البعض الآخر وكل يجمع رفقائـه ويستحث نخوتهـم فيجتمعون في حدود المحلتين او ينتخبون محلا خارج المحلات مما يلي المقابر فيتضاربون بالمعاچين وإحداها – معچان = مقلاع يضعون فيها احجارا ويرمونها وبعضا يستعملـون

السلاح الابيض السكاكين او الاحجار الثقيلة وغيرها فيصاب اكثرهم ببدنه او برأسه والدماء تجري من محال الاصابة وقد تنتهي القضية في ملاقاة واحده وقد لا تنتهي فيؤجلون القضيــة ويعينون موعداً آخر الى ان يحصل من يوفق بينهم ويتصالحون والان اذا فتشت رؤوس الشيوخ او الكهول الموجودين لا بد وان تجد ثلاثة أرباعهم ذو ندبات في رؤوسهم نتيجة هذه الوقائع ويظهر ان هذه العادة قديمة فقد ذكر ابن الفوطي في كتابة الحوادث الجامعة ما نصه (سنة ٦٢٩ جرت فتنة بين اهل باب الازج وبين اهل المختــاره وترامو بالبنــدق والمقاليع والآجر وتجالدوا بالسيوف فقتل من الفريقين وجرح جماعة فتقدم في عشية اليوم التــالي بخروج الجند وكفهم عن ذلك الخ .

المعاصر للدبس والزيت ـــ

توجد في اماكن كثيرة في بغداد معــاصر للدبس يجري فيــه غلي التمور ووضعه في اكياس من الخوص الواحد فوق الاخر ويضغط بآلة يدوية فيخرج ماء التمر وينزل الى حوض معد لذلك ويبقى النوى ومخلفات التمر في الاكياس ثم يأخذ هذا الماء صاحب التمر الذي كلف المعصرة بالعمل المذكور في مشربات من النحاس الى بيته وينشرونه في صواني يضعونها فوق سطح الدار ليتبخر الماء المذكور ويستحيل دبساً ويعطى لصاحب المعصرة اجرته بنسبة وزن التمر قبل المباشرة بعمله وتوجد معاصر اخرى لزيت السمســم ويسمى شيرج يستعمله اليهود للاكل وفي القناديل للانارة في معابدهم .

المساومة في البيع والشراء ـــ

لا يوجد في بغداد أسعار محدودة على الاطلاق والمثل الشائــع (يجب ان تساوم الى ان يعرق جبينك) فاذا طلبت حاجة سيمت عليك باكثر من قيمتها ضعفاً او اكثر ولا يبيعك اياها البائع الا بعد ان يستنفذ ما في جعبتك من الزيادة ما دمت واقفاً أمامه الا اذا تركته وذهبت وكانت توافقه القيمة التي دفعتها آخر مرة فعندئذ يناديك خذها بكذا بزيادة اخرى فوق آخر قيمة دفعتها فلا توافق فيقول تعال خذها لافرق في ذلك في بيع الجملة والمفرد والمثل المشهور (شوف العلبة واضرب السطرة) اي خذ من الغني اكثر مما تأخذه من الفقير ولكن تفسيرهـا عند البائعين غير ذلك بل خذ من المغفل ومن الذي يعتمد عليك اكثر مما تأخذه من النبيه وممن

لا يعير الصداقة اي اهتمام .

فاذا أردت ان لا تغبن يجب ان تتعلم سعر الحاجة التي تريد شراءها كأن تطلبها من محلين او ثلاثة وتنظر الفرق بين طلباتهم ثم ترفع لواحد منهم مبلغاً لا تتصور انك تحصله به ثم الى الثاني اكثر والثالث اكثر منه وترجـع الى الاول وتنظر البائـع الذي يمكنه ان يعطيك فتأخذه منه وهذا هو عملهم الواحد مع الآخر اما الزيادات فهم لا يحصلونها ممن كـان على هذه الشاكلة بل من المغفلين سوآء كانوا مثرين او مفلسين فربما يبيعون على غني بسـعر أقل وعلى فقير بسعر اكثر والفرق بينهما إن الاخير لا يعرف السعر وفي اثناء المساومة تصدر الايمان الغلاظ من البايع وبعضاً من المشتري أيضا وتحصل المجادلة والمشاتمةوغيرها .

ضروب الامثال ـ

كثيرة جداً ولا يمكن إحصائهافي هذا الكتاب نذكر أمثلة منها مما هو خاص ببغداد نفسها وهي باللغة العامية : ـ

حرف الالف ـ

أريد رجال يخلي بالسكله ركي ، إبريسم أبيض بطل صبغ يخش ، الف عصفور مـا يملي جلدر ، ردته عون طلعلي فرعون ، أمل أشعب ، إشتغل بفلس وحاسب البطال ،احترق الأخضر بسعر اليابس العب بالمقصص لما يجيك الطيار ، أحسن ما تقول لها كش إكسر رجلهـا ، اذا ردت تهجج عجج ، إصرف ما بالجيب يأتيك ما في الغيب ، ان كان هذي مثل ذيج خوش مركة وخوش ديج ، إذا اطعمت اشبع وإذا ضربت اوجع ، اذا حضر الماء بطل التيمم ، اذا وقع الجمل كثرة عليه السكاكين ، إعط الخبز بيد خبازته لو تاكل نصه ، اقعد اعوج واحچي عدل ، امشي شهر ولا تطفر نهر ، إصبر على الحصرم تاكله عنب ، ابو كريوه يبين بالعبر ، الافلاس زنجيل العفاريت ، إطعم الحلك تستحي العين .

حرف الباء ـ

بسنة الوبآ صرنا طبلچية ، بعيد اللبن عن وجه مرزوك ، بيضـة اليوم أحسن من دجاجة باچر ، بيت اغـاتي اشتروا حوش خيطوا واحد باللاخ ، البزون چارك واللحم چارك ، بع

واضحك عد الدخل وابچي ، البطانة أغلى من الوجه ، بين الاحباب تسقط الاداب ، بين هانه ومانه ضاعت الحانه .

حرف التاء ـ

تفرح البزون بعمى اهلها ، تتعارك الخيل من كرد السايس ، تموت الدجاجة وعينها بالمزبله، تالي الليل تسمع حس العياط ، تجيك التهايم وانت نايم ، تساوت الكرعة وام الشعر ، تريد العنب لو قتل الناطور ، تعلم الواوي على اكل الدجاج ، تفاءلوا بالخير تجدوه .

حرف الثاء ـ

ثلثين الولد على خاله ، ثلاثة أحسنها العتيق الخل والحمام والصديق ، ثلاثة تجلي الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن ، الثور اذا شبع يقوم يذرى .

حرف الجيم ـ

جيب ليل واخذ عتابه ، جاءوا ينعلون الفرس الخنفسانة شالت رجلها، جوز معدو دبجراب مشدود، جبت العقارب على چني وعظني ، جزنا من العنب عاد نريد سلتنه ، الجمل ما يصير قزاز ، جنة بلا اوادم ماتنراد ، الجنون فنون اقلها تسعون ، الجود من الموجود .

حرف الحاء ـ

حبسة الكلب بالجامع ، حاميها حراميها ، حب واحچي واكره واحچي ، الحمى تجي من الرجلين، حجارة ببلاش عصفور بفلس ، الحبل على الجرار ، حداد بغير فحم ، حيه وبطيخ الحلك بالسيف والعاجز يريد شهود ، الحلاوة حلوة والمعيادي بلوه ، حس الطبل من بعيد حلو ، حجارة الماتر ضيك تفشخ .

حرف الخاء ـ

خذ الفال من رؤس الاطفال ، خاتم وصايحيلة آمين،خير الامور أوسطها ،خلي بالچمچة يطلع بالچفچير ، خال دمه براحة إيده .

حرف الدال ـ

دكاك الثوم بعكوسه ، درب الكلب على القصاب ، دلال وضايع زمالة ، الديك الفصيح

من البيضة يصيح ، دارهم ما دمت في دارهم وإرضهمما دمت في أرضهم ، دار الظالم خراب ولوبعد حين .

حرف الذال ــ

ذاك الطاس ذاك الحمام ، الذبانة مونكسه لكن تخبث الخاطر .

حرف الراء ــ

رزق ناس على ناس والكل على الله ، ركبته ورايه مد ايده بالخرج ، راح يتفرد نقط بالمعود ، رزق البزازين على المعثرات ، رمانتين بفرد ايد ما تنلزم ، رضا الناس غاية لا تدرك ، ربي كما خلقتني .

حرف الزاي ــ

زارك الرمح سالم الخسارة ، زمر ابنچ ياعجوز ، زعل العصفور على بيدر الدخن زاد طغار ، زاد في الطنبور رنة ، الزور ما يخلي من واوي ، الزمال يموت بكروته .

حرف السين ــ

السبع لو كبر تقشمرة الواوية ، السبت برقبة اليهودي ، السمكة تجيف من رأسها ، السفينة اذا كثرت ملاليحها تغرق ، سل مجرب ولا تسأل حكيم ، سد بابك وأمن جارك ، سن المقلقل اشلعه واخلص منه .

حرف الشين

الشبعان ما يدري بحال الجوعان ، الشاص شاص والحمل حمل ، شوف العلبه واضرب السطرة ، شليلة او ضايع راسها ، شهر المالك فيه رزق لاتعد أيامه ، شتاء وصيف بفرد سطح شيم العربي واخذ عباته ، الشك چبير والركعة صغيره ، شغل المجانين يجيبه رب العالمين شدوا راسكم ياكرعان .

حرف الصاد ــ

صحبته على ركبته ، الصياد يتقله والعصفور يتفله ، الصديق لوقت الضيق ، الصيت للنورة والفعل للزرنيخ ، صديق المضر عدو المبين ، صانع الاستاذ استاذ ونصف .

حرف الضاد ــ

ضربني واشتكى غلبني بالبكا ، ضربوه ماقر شاوروه قر .

حرف الطاء ــ

الطابوك نام والإشكنلك قام ، الطمع فساد الدين ، طبلچي والعرس لإبنه ، طبيب يداوي الناس وهو عليل ، طمعه قتله ، الطول طول النخلة والعقل عقل الصخلة ، الطيور على أشكالها تقع ، طبيعة البلبدن مايغيرها إلا الكفن .

حرف الظاء ــ

ظلمه ودليلها الله ، الظرف ينضح ما فيه .

حرف العين ــ

عيش يازمال لما يجيلك الربيع ،عين الشمس ما تتغطه بالمنخل ، على لطاعة يشك ظرف ، عرس واوية ، على حس الطبل خفن يارجلي ، عين تبجي وعين تضحك ، عند ما شاب ودوه للكتاب ، عصفور كفل زرور والاثنين طياره ، العين ما تنظر والقلب مايهوى ، العضة بالجلال ، العروة بيد الكواز .

حرف الغين

الغلب غلب لو كان لعب كعاب ، غراب لغراب يقول له وجهك اسود ، الغر كان يتشبث بالحشيش .

حرف الفاء ــ

الفقر ما يعتدي على أهله ، فطيم بسوق الغزل ، فلوسه بعبه كل الناس تحبه ، فوق حقه دكه ، فوق درد الله ضربني بميجنة ، فوق الحمل علاوة ، الفقير يتعثر بخصيانه .

حرف القاف ــ

قالوا للبغل منو ابوك قال خالي الحصان ، قالوا لابي الجنيب ليش تمشي اعوج قال كلمن يمشي باليصرفله ، قرصة خبز لا تكسرين باقة فجل لا تحلين اكلي لما تشبعين ، قاعد بالسفينه ويكسر عين الملاح ، قص راس وموت خبر ، قام الداس ياعباس .

حرف الكاف

كل من يحود النار لقرصته ، كل من صخم وجه قال انا حداد ، الكذاب احترق بيته ما احد صدق ، كل ما يأكل العنز يطلعه الدباغ ، كل من جوابطه عنز يبغج ، كل يوم يا ملا وجهك أصفر ، كل لحيه ولها مشط ، كل ديك على مزبلته يعوعي ، كل يوم هزي تمر يانخله ، كوم حجار ولا هالجار ، كل لشه تتعلق من كراعها ، كثير الصنايع قليل الارزاق ، كذب المصفط أحسن من صدق المخربط ، اكل مايعجبك والبس ما يعجب الناس .

حرف اللام ـ

الذي لايعرف تدابيره حنطته تاكل شعيره ، الذي ما يلزم القدح بيده مـــايروه ، الذي ما يجيبه مرضعه ضرب العصا ما ينفه ، الذي ما يرضه بجزه جزه وخروف ، الذى يأكل ما يشبع والذي يحكي مايسمع ، لما يثبت نفسه حصيني جلده يروح للدباغ ، لو طلعت لحية إبنك زين لحيتك ، لن يصلح العطار ما افســد الدهر ، الذي ماينوش العنقود يقول حامض ، لاتغرك العمائم اكثر الركي فطير ، لو جاك الموت ذبه على ابن عمك ، لحية التي تفارقها لا تستحي منها الذي امه خبازه ما يجوع .

حرف الميم ـ

مكروهه وجابت بنيه ، ماتفوته فايته ولا عصيده بايته ، ماحد يقول لبني حامض ، مصخم معهم ابن عم صانعهم ، ماكو ميت يسوه البكا ، ما يعرف درد الأخرس غير الأطرش ، من هالزاغور ما يطلع عصفور ، موكل الزنابير تخره عسل ، المفلس في القافلة أمين ، ما محبة لموسى عداوه لفرعون ، مايعرفك غير المار دك يالبن ، مايصيبك الا نصيبك ، الميزان مايستحى مقطوعة ، من شيخ الغزه ، من قلة الخيل شدوا على الجلاب سروج ، ما تكبر الا المزبلة ، مصائب قوم عند قوم فوائد ، من عاشر القوم أربعين يوما صار منهم ، ما حك جلــدك مثل ظفرك ، المرأة والطفل الصغير يظنان الرجل على كل شيء قدير .

حرف النون ـ

النعجة الجربة ما تشرب إلا من الماء الصافي ، ناس تاكل دجاج وناس تتلقى العجاج ، النظافة من الإيمان ، النفس مقدمة ، نعمتان مجهولتان الصحة والأمان ، نحن ولد القريه كلمن يعرف

اخيه ، نايم ورجليه بالشمس :

حرف الواو ـ

واحد شايل لحيته والآخر يقول تنغزني ، وحده بالجاون وتسعه بالقاع ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله يحب المحسنين ، واوي حـــلال وواوي حرام ، الولد على سر أبيه ، ودع البزون شحمة ، واحد يهبش والاخر يقول إحم ، وقع بيدها رجل قالت أعور ، وجع ساعه ولاكل ساعه ، ودي لكن جيب إبريق .

حرف الهاء ـ

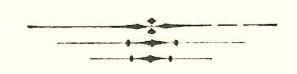
الهزيمه ثلثين المراجل ، هالطير فوق هـــالكلك ، هذا مو بيت الفرس ، هي وكرتها بارباتعش ، هالكعك من هالعجين ، هالسته فوق الستين ، همة الرجال تقلع الجبـــال ، هنا تسكن العبرات ، هم سقا وهم چوخه دار ، هذا اليوم الذي كنا انريده .

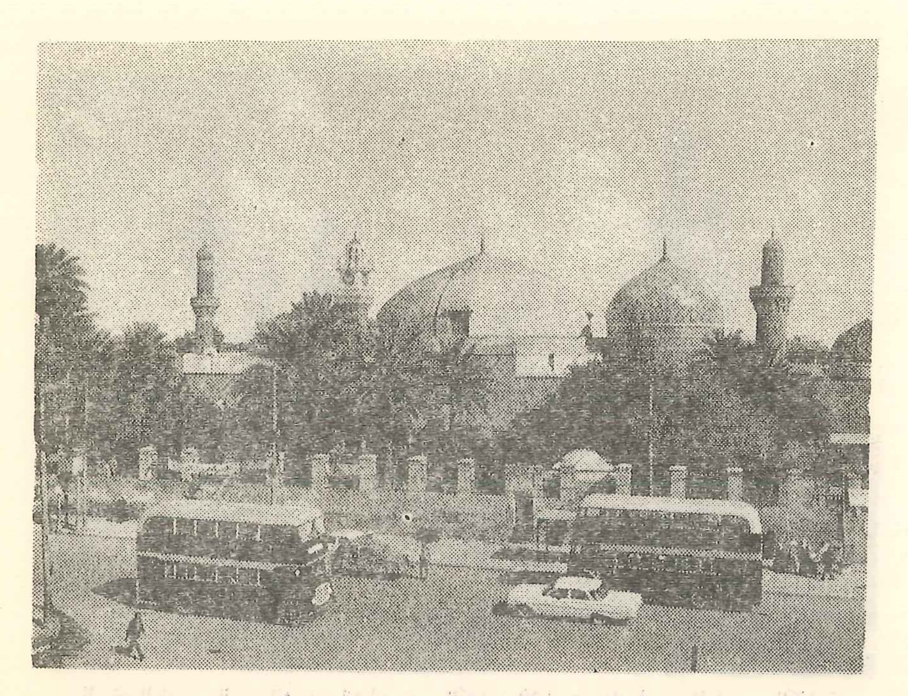
حرف الياء ـ

يتيم وبيده بيضه ، يطير من الحافي نعل ومن الأقرع شعر ، يبوك الكحل من العين ، يبيع مثل ما عليه ، يريد يكحلها فقس عينها ، يذب حجار بالظلمة ، يا موسى انت وربك ، يتعلم الحجامة بروس اليتامه ، يد ما تشيل مزبله ما تضيع ، يكد أبو چزمة ياكل ابو كلاش .
يقول للحرامي بوق ويقول لابي البيت تقيد ، يد على الشيطان ويد على الرحمن ، يرقص لها بالف چنمية ، يوم جديد رزق جديد .

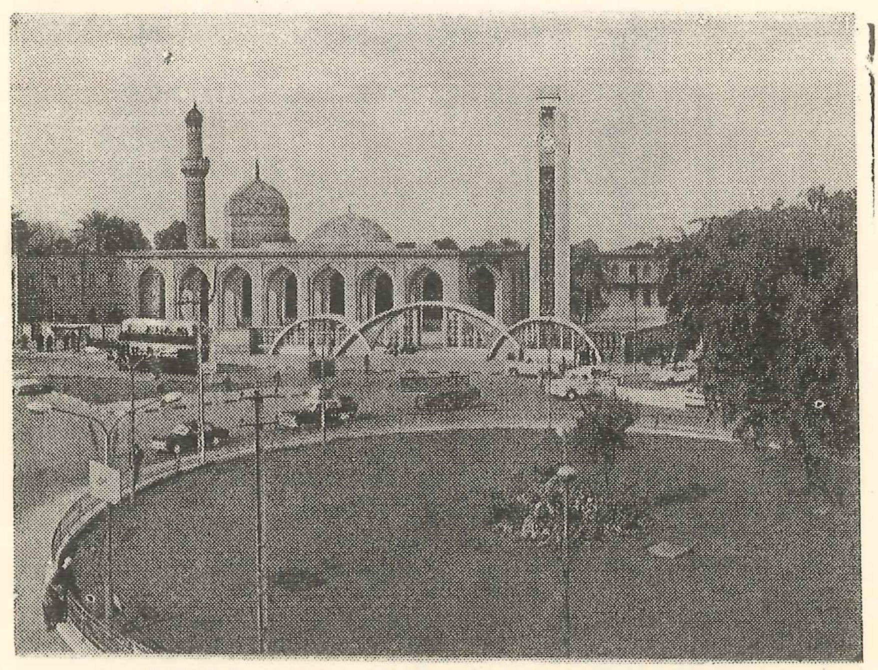
العـادات ـ

يأكل المستحمون الليمون الحلو داخل الحمام ، يغنون داخل الحمام، يغنون في الطرق ليلا يأمر احدهم القهواتي بإعطاء القهوه الى صديقه على حسابه هو بقوله (وير) بالتركيه اي اعط يقال للكريم برمكي .

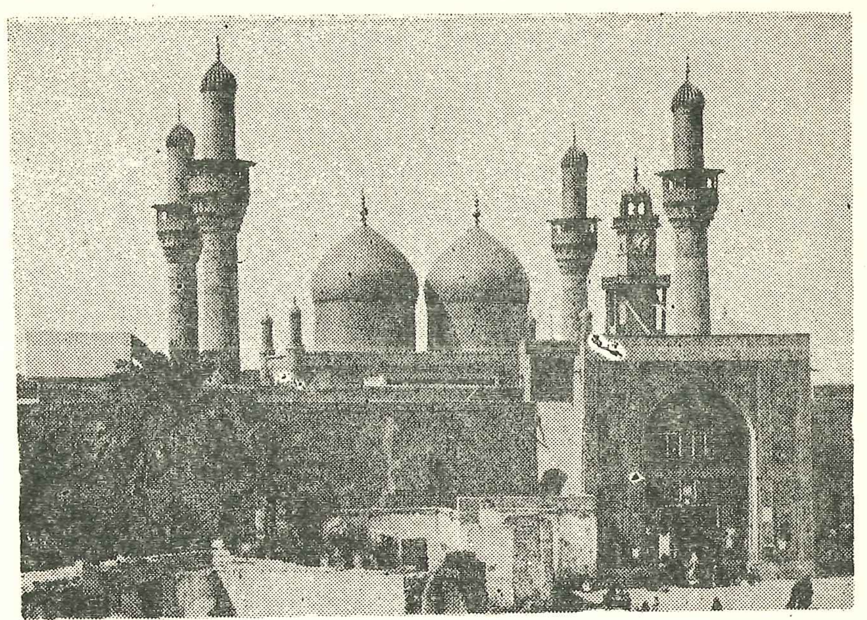




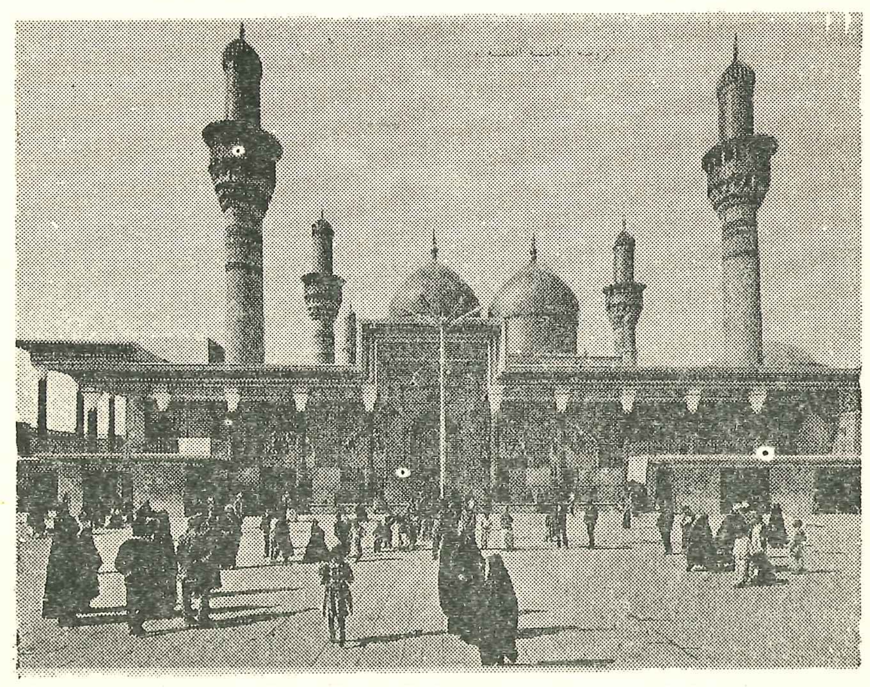
جامع ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني (رض) - راجع ص ٧٢ - الجوامع



جامع ومرقد الامام الاعظم (ابا حنيفة) (رض) الواقع في ناحية الاعظمية



المرقد المقدس والحرم الشريف للامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد من الخارج ـ الكاظمية



المرقد المقدس والحرم الشريف للامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد من الداخل ـ الكاظمية

(الفصل الخامس)

السفر من بغداد الى استانبول

وعند اكمال السنه الثالثة من المدرسة الاعدادية العسكرية واعطاء الامتحان النهائي تهيئنا للسفر وقد قرأ علينا امر رسمي بلزوم عدم اخذ الصناديق الجلدية معنا واحضار سيسخانه (اخراج كبير) لسهولة تحميلها على البغال والركوب فوقها لان ما يخصص لكل شخص منا بغل واحد فقط ومن اراد ان يحمل امتعته على هذا البغل ويستأجر لركوبه بغلا آخر من خالص ماله جاز وهؤلاء يجوز لهم حينئذ تدارك الصناديق .

فلما سافرنا رأيت ان الامر المذكور لم يطع والاكثرية احضروا صناديق وركبوا فوقها الا القليل منا من اطاع الامر وانا منهم وبذلك لم تحفظ امتعتنا من الضرر فندمنا على ما فعلناه وهذه هي المرة الاولى في حياتي شاهدت خرق الاوامر وعدم المبالات بهامن الآمر ومن المأمور معاً فكان حبراً على ورق .

وكان سفرنا في اوائل شوال سنة ١٣١٨ هجريه (كانون الثاني ١٣١٦ رومية عثمانية) وكان البرد شديداً والمأمور معنا كان اليوز باشي (الرئيس) معروف افندي من اهالي السليمانية وكان هو معلم التأريخ عندنا في السنوات الثلاث للمدرسة الاعدادية العسكرية .

فبعد تحميل الامتعة على البغال في صحن المدرسة اخرجت كلها وكل حيوان يمسكه ويحتفظ به احد اقارب الطالب العائد له ثم اصطففنا داخل المدرسه واجيز للصفوف الباقية ان يودعونا ونودعهم وبعد ذلك صدحت الموسيقى بنغمها الشجي فسرنا خلفها وهناك اقشعرت الابدان وتولى النفس حزن مشوب بفرح بسبب الفراق عن الاهل والبلد والامل بنوال الخير والرتبه فعم البكاء منا ومن الواقفين بباب المدرسة الى ان مررنا من سوق السراي الى الجسر وعبرنا الى الجانب الآخر وجزناه من جهة الشيخ معروف فصرنا خارج بغداد وهناك ركبنا البغال وكل منا ركب معه من اهله واقاربه الاثنين والثلاثة واكثر الى ان وصلنا بعد سبع ساعات الى أبي غريب فنصبت الخيام وبتنا ليلتنا وعند الفجر ركبنا الى الفلوجة والمشيعون الى بغداد وابو غريب لم يكن سوى خان كبير وبجانبه بيوت قليلة من الطين لبعض الفلاحين وهو اسم لنهر مخرجه من الفرات كان في زمن العباسيين يسمى نهر عيسى وكان يصب في دجلة مخترقاً محلة

الكرخ اما الآن فينتهي الى المزارع القريبة فقط . وكان معنـــا لاجل المحافظة ثلاثون نفراً استر سوار (بغاله) .

كانت العادة ان يضع الطلاب على رؤوسهم كفية وعقال وبما ان والـــدي كان استاذاً لمعمل الازر الحريرية أحضر عامـــلا يحسن عمل الكفية (الجزية) فعمل لي واحدة من الحرير والكابدون (القصب) بحيث ان الكلبدون اكثر من نصفهـــا وذات صنعه وزخرفة عجيبة كلفته مبلغاً كبيراً والمثل البغدادي يقول (طبلچي والعرس لإبنه) فلبسناها الى ان وصلنا الى دير الزور فقيل لنا ان هذه لا يمكن إستعمالها بعد هذا فحفظناها ولم نستعملها بـــعد ذلك والحقيقة انها تلبس عند الخروج من بغداد فقـــط لكي يرانا أهل بغداد ولا تساوي الكلفة التي صرفت عليها . وبعد مسير ست ساعات وصلنا الفلوجة وعبرنا الفرات على جسر قديم معمول من الزوارق خيمنا في الجانب الغربي أي الساحل الايمن من النهر في أرض سهلة واستمرينا في المسير على هذه الجهة من النهر حتى فارقنا مسكنه كما سيجيء .

وهنا ملاحظة يجب ان اسجلها وهي ان احمالنا وضعتها المكارية في البر وكنا كل ستة الى ثمانية رفقه ولنا خيمة فبعد ان نصبنا خيمتنـــا ذهبت لا أذكر لأي طاريء اظطرني وعندما رجعت وجدت رفاقي قد أدخلوا حوائجهم تاركين أمتعتي خاج الخيمة فعاتبتهم فاعتذروا بأعذار غير معقولة فعذرتهم حباً بالمسالمة لان هذه أول بادرة منهم من جهة والطريق طويل من الجهة الاخرى وقد صادفت عكس ذلك عن بعض آخر من أصدقائي سأرويه عند وصولنا الى حلب .

وقد دعانا الى الغداء الملازم الاول السواري (الخيال) محي الدين افندي جميعنا وكنا ٧٥ طالبا وهو والد أحد التلاميذ المدعو صالح افندي الكركركلي سروراً بولده وبتنا ليلتنا هناك والفلوجة هذه هي القسم الباقي او المجاور للانبار مدينة ابو العباس السفاح الخليفة العباسي الاول وكانت تسمى عند الفرس فيروز سابور وهو سابور الملقب بذي الاكتاف .

وعند الصباح سافرنا الى الرمادي فدخلناها بعـــد العصر وبتنا في محل الحكومة (السراي) ثم رحلنا الى هيت وقبل وصولنا اليهـا بقليل وجـدنا مـاء يجري فوق الارض وطئناه بحوافر البغال تنبعث منها رائحة الكبريت قيل لنا انها عين كبريت ويوجد حوالي هيت عيون للقار لم نرها وهيت هذه واقعة فوق تل مشرف على نهر الفرات في الضفة اليمنى منه ارتفاعه عن

جوانبه أربعة امتار تقريبا بيوتها في غاية البساطة معمولة من الصخر والطين :
دخلناها لشراء بعض الحاجات من خبز وادام ونحوه فكنا نأتي الى الدار التي فيها التنور والمرأة واقفة تخبز فيه فنأخذ الخبز حاراً ونساؤها لهن جمال رائع واعين سود واسعة ولكن هذا الجمال ريفي ورأينا البلدة كأنها صنعت من القار تراه فوق السطوح وفي الازقة وكل الاواني مشارب الماء والقداح والاطباق وغيرها كلها مطلات به ونساؤها ينزلن الى النهر للاستقاء كل واحدة فوق رأسها مشربة كبيرة معمولة من الياف بعض النبات ومطلاة بالقار .
ومن هنا ابتدأت النواعير مفردها ناعور وهي آلة لرفع الماء من النهر وارساله في ساقيه الى المزارع القريبة وكيفية ذلك قد انشيء جدار في النهر ملاسق للساحل كهيئة المسناة طوله متران تقريباً وارتفاعه بارتفاع ارض الساحل وآخر يقابله تماماً في وسط النهر بينهما مسافة متر واحد او اقل وقد ركب محور خشبي فوق وسط الجدارين ويثبت في وسط هذا المحور إطار خشبي مدور نصف قطره المسافة بين المحور ووجه الماء وقد ثبت فوق محيط هذا الاطار من الخارج كيزان اسطوانيه عديدة بطول ٤٠ سم وقطر ١٥ سم تقريبا رأسها الواحد مسدود والآخر مفتوح ولما كان الاطار يلامس الماء فالكيزان تغطس فيه وجريان الماء يحركه فتملأ الكيزان وتصعد الى اعلى فتصب رؤوسها المفتوحة في حوض صغير معمول من الخشب او من الطابوق يتصل بساقيه تجري نحو المزرعة والفارغ من الكيزان ينزل من الجهة الثانية الى ان يغطس مرة اخرى فيمتليء وهكذا .
والمسافة بين كل مؤخر كل كوز ومقدم الثاني لاتتجاوز طول أحد الكيزان فيشتغل هذا الإطار ليل نهار بدون انقطاع الا اذا اكتفت المزرعة من الماء فيربط بصورة خاصة فيتوقف عن الحركة وهذه النواعير تبتديء من هيت الى مسكنة على طول نهر الفرات من الضفتين وفي موسم الصيهود اي قلة الماء يسدون النهر بصخور صلبه إلا مجرى ضيق فيجري الماء بين الجدارين تحت اطار الناعور بقوة تكفي لتحريكه .
وفي الصباح التالي سافرنا الى المحل المسمى بغدادي وصلنا بعد مسير ثماني ساعات نزلنا على ساحل النهر ايضا وفي طريقنا توجد ارض مرتفعة صخرية وطريق القوافل تمر من فوقها تسمى الاعكبة (العقبة) وقد نبهنا بعض المكارية بوجوب الحذر منها لانه ربما تزلق رجل الدواب فتسقط وذلك لملاسة الارض الحاصلة من استمرار مشي الدواب عليها وكنت من المالم ينفعه

الحذر فسقط البغل ووقعت على وجهي ولحسن الحظ لم اصب الا بألم طفيف في ركبتي ومن جراء انكماش البنطلون (السروال) عند ثني ركبتي انشق الســروال من عند الركبتين فقمت وركبت ثانية بمعونة احد المكارية ولو علمتم ان البغل الذي كان تحتي اسمه (زنبور) لتعجبتم من سقوطه فإن اسمه لم ينفعه بشيء والبغال كلها لها اسماء لم احفظ سوى اسم هذا البغل وبغلة ثانية كان يركبهـا احـد اصدقائنا تسمى (خانم) والبغدادي محل خال من كل شيء سوى بعض المزارع .

فأقمنا في الخيام وفي صباح اليوم التالي تحركنا ووجهتنا الحديثة قطعنا المسافة اليهـا في تسع ساعات .

كنا نتحرك كل صباح عند الفجر والبرد شديد فكنا ترتجف من شدته مع ان كلا منا توجد بحوزته فروه وهي ستره (چاكيته) طويلة من جلد الغنم احسنت دباغته وشعره باق فيه يكون من جهة اجسامنا فنلبسها فوق الملابس الاعتيادية ونحن ركوب ونتغطى بها عند المنام فوق اللحاف واحيانـا تحته وكانت لا تكفي لشـدة البرد فوصلنا الحديثة وهذه كانت تسمى حديثة الفرات وحديثة النورة بخلاف الاخرى حديثة الموصل التي كانت موجودة في زمن العباسيين فهذه لم يبق منها شيء .

وحديثتنا هذه واقعة فوق جزيرة في وسط نهر الفرات بيوتها قليلة وبسيطة الادارأو احدة قديمة ومنهدم بعضها تشبه بيوت المدن فيها طارمة مطلة على النهر يسكنها على ما اذكر اما مدير الناحية او رئيس البلدية وكان محط خيامنا على ضفة النهر اليمنى اي الغربية وفيها بيوت لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة وكلها جديدة النشأة وعبورنـــا الى الجزيرة كان في شختور معد للعبور هناك .

والشختور عبارة عن زورق مربع مستطيل ارتفاعه متر او اكثر بقليل قعره افقي اصغر من فتحته العليا بسبب انحدار الجانبين الصغيرين الى جهة القعر شبيه بشكل حوض الاستحمـــام الافرنجي تماماً وهو من الخشب وقشره من الخارج مطلىء بالقار .

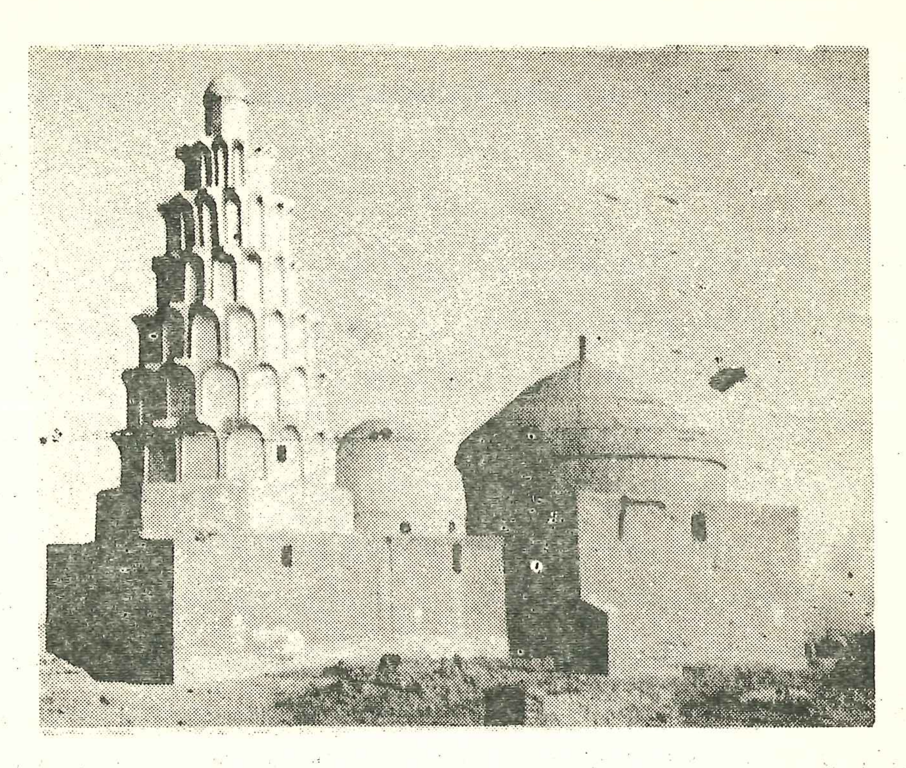
فبتنا ليلتنا وسافرنا عند الفجر الى محل يدعى الفحيمي وهناك قلعة بعيده عن النهر لم نصل اليها وخيمنا على الساحل في بر مقفر والمسافة من الحديثة الى الفحيمي قطعناها في ست ساعات

ثم اصبحنا ووجهتنا عانه ووصلناها بعد مضي ثمانية ساعات وعند دخولنا البلدة رأينا الرجال جالسين على قارعة الطريق كل مغزل له بيده والحاكه هم النساء رأينا بعضهن من خلال بعض ابواب الدور التي كانت مفتوحه كما كنا نسمع عنهم تماماً .

وعانه هي شارع واحد فقط وقد مشينا اكثر من ثلث هذا الشارع في ساعة ونصف فوصلنا سراي الحكومة ونزلنا فيه وفي بعض البيوت بقربه حيث لا متسع لنصب الخيام وبعد قضاء ليلتنا ويوماً آخراً استرحنا فيه تحركنا صباحاً ومررنا في هذا الشارع الطويل الممل حيث لايوجد فيه ما يلفت النظر او يزيل سأم الركوب وقطع المسافة شيء اللهم الا بعض الدكاكين بين مسافة واخرى وهي غرفة من الدور لها ابواب الى الشارع وفيها المأكولات وبعض الحاجات الضرورية ولايخلودكان منها من التمر حيث توجد بساتين النخيل من جهة رأسي هذا الشارع الطويل فقطعنا بقيته من السراي الى رأسه الآخر في ساعتين على وجه التقريب وعند ما خرجنا منها تمنيناً لو كان الطريق كله شارعاً كهيئة عانة ولو كان مملا لانه عندما خرجنا الى البر وارتفعنا قليلا عن سطح الشارع المذكور واجهنا هواءاً بارداً شديد البرودة كنا نبكي فعلا من شدته ولم تنفعنا الفروات التي على اكتافنا فرجحت النزول والمشي على الارض ولكن زاد المشي في الطين بله برد وتعب وثقل الفروه وسحب البغل فلما رآني إخواني لاموني على ذلك فاستعنت ببعض المكاريةو ركبت ثانية الى ان سخنت الشمس والهواء فارتحنا قليلا .

وعانة واقعة على نهر الفرات ومن جانبيها الآخر يوجد جبل فقل انها واقعة في سفح جبل مطل على النهر ولهذا السبب كانت مستطيلة الوضع ثم واصلنا السفر الى النهاية والمسافة اليها ثمان ساعات ايضاًوهي في محل على الفرات لا شيء فيه فبتنا ليلتنا وعند الصباح بعد مسير سبع ساعات او ازيد وصلنا القائم وهو قلعة كبيرة فيها مدير الناحية وثلة من الضبطية (الجاندرمة) ولاشيء غير ذلك من البناء فعجبنا من جعلها ناحية فقيل لنا انسبب ذلك وجود العشائر الكثيرة حواليها وقد جاء ذكره في معجم ياقوت بإسم دير القائم الاقصى ووصفه هناك يطابق محل قائمنا هذا فليراجعه من اراد .

ثم واصلنا السفر الى ابي كمال والمسافة حوالي سبع ساعات فألفيناها بلدة نظيفة شوارعها واسعة وكلها مبنيه بالحجر والجص تجدها بيضاء لكثرة معدن الجص هناك على مايظهر :



مرقد الصحابي الحسن البصري في المقبرة المسماة باسمه بقضاء الزبير بالبصرة

وبعد مسير سبعة ساعات ايضاً نزلنا في موضع يسمى (الصالحيه) وهو بر مقفر ومنها بعد مضي عشر ساعات وصلنا (الميادين) فوجدناها بلدة كبيرة فيها الاسواق والخانات فنزلنا في دار الحكومة ووجدنا بها الدبس المعمول من العنب وما كنا رأيناه قبلا وهي بلدة قديمة يقال انها التي كانت تسمى رحبة مالك بن طوق .

ثم سافرنا منها الى الدير ويسمى دير الزور قطعنا المسافة بينها وبين الميادين بتسع ساعات وفي الطريق امطرت السماء ونحن سائرون وكنت اخذت معي من بغداد معطف (مشمع) فلبسته وازداد المطر الى ان بل المشمع تماماً فلم اشعر الا وقطعة منه قد سقطت وتبعتها اخرى واخرى .

فما هي القضية فتداركت الامر والتقطت القطع المذكورة فإذا به كان قدالصقت قطعه بالفراء ومن حسن الحظ ان المطر إنقطع بعد ذلك وعند وصولنا الى الدير اعطيته الى احد الخياطين

فخاطه كما كان بأجرة تعادل قيمته تقريباً بحجة ان خياطتــه تستوجب ابراً كثيرة ولكني حين العمل لم تنكسر ولا ابرة واحدة .

ودير الزور بلدة كبيرة شوارعها واسعة وجميلة وفيها كل ما يحتاج اليه المســافر وهي لواء مستقل يراجع النظارة الداخلية رأســاً يديره متصــرف وفي البلدة ثكنة للجنود لا بأس بهــا والقصابون هنا يبيعون اللحم بدون عظم يجردونه بمهارة بحيث لا يبقى منه في العظم شيء الا من اراده مع عظمه فيجب ان يوصي عليه بصورة خاصة ومن حيث انا سنمر على مواضــع لا يوجد فيها سوق اشترى لنا مأمور السوق (بفتح الســين) معروف افندي لحماً بدون عظم قطعناه وعملناه قاورمه (قديد) فكنا نطبخ منه قسماً في كل يوم .

وكنا نعجب لكل مانراه مخالفاً لمألوفنا وغريباً عن اذواقنا من ذلك رأينا في الدير الجبن المعروف (القاشار) ظنناه صابوناً ورأينا حلاقاً وآخر خياطاً قــد لبسوه السترة والبنطلون فتعجبنا من ذلك حيث ما كان اصحاب المهن تلبس هذا اللباس في بغداد .

فسألنا بعض الاهالي ما دام الحال هنا هكذا فيجب ان يكون اهالي حلب كلهم بالســترة والبنطلون قالوا ذلك ستجدونه في استانبول .

ومما يجب ذكره هنا مصاريف السفر وقد خصص لكل واحد منا خمســس ليرات ونصف عثمانيه ذهب واعطيت بيد المأمور علينا فاعطى منها اجرة عن البغــال التي حملتنا عن كل بغل ستة عشر ريالا مجيدياً .

اما البغال التي اكتراها البعض لركوبه فلاجرة عشر ريالات فقط وجعل يطبخ لنا كل يوم في الصباح الشوربة (الحساء) وفي المساء اللحم المطبوخ والارز والخبز هذا الى حلب .

وبعد بقائنا في الدير يومين كاملين للاستراحة سافرنا منها ووجهتنا حلب بعــد ان مررنا بالمواقع الآتية : ـ وهي طريف معدان ، سبخة ، حمام ، مسكنه ، دير حافر .

كان المقرر ان ترجع جنود بغداد (البــغالة) بعد ايصالنا الى الدير ثــم نأخذ بدلهم من الدير الى حلب وعند مراجعة المأمور السلطة العسكرية في الدير لم يتمكن من اخذ ستة انفار او عشرة الا بشق الانفس .

فوصلنا الموضع الاول بعد الدير ـ طريف (تصغير طرف) (بوزن قمر) بر قاحل وكذلك

معدان (بفتح الميم وسكون العين) والمسافة بين الدير وطريف قطعناها بثمان ساعات ومن طريف الى معدان كذلك ويوجد بقرب معدان هذه عشائر اصحاب خيم فلما جزن الليل واذا بجملة من الحمير الصغار (جحاش) تتمشى بين خيامنا قلنا لعلها تائهة وفي الصباح (تالي الليل تسمع حس العياط)إذا بمأمور السوق معروف افندي قد سرق ولا اتذكر الشيء الذي سرق منه بالضبط الا انه شيء من المأكول وشيء آخر من الملبوس وعند تثبت الخبر فهمنا ان الاعراب بعد ما ارسلوا حميرهم جاؤا فسرقوا اول خيمة رأوها منعزلة عن باقي الخيم قالعين بعض أوتاد ومادين ايديهم وسارقين المواد التي ذكرناها فبهذه الكيفية يسرقون فان قبض عليهم قالوا جئنا نفتش على حميرنا وان لم يقبض عليهم سرقوا ما ارادوا وذهبوا غير مكترثين بالحمير لعلمهم ان القافلة تترك الحمير ولا تأخذها او انهم يأتون صباحاً ويأخذونها وينكرون ما سرقوا والسبب في غفلة المأمور اولا انه نصب خيمته متطرفة لوجود عائلته فيها ثم انهم كانوا نائمين في التخت روان وهو داخل الخيمة فلم يشعروا بما حدث في الخيمة .

والتخت روان هو قبة من الخشب طولها متر وثلاثة ارباع المتر وعرضها متر وربع المتر تقريباً ولها باب ونوافذ قد ركب في اسفلها بلصق الضلعين الطويلين خشبتين تطول على طول القبة بقدر طولها تقريباً من كلا الجهتين وفي الرؤس الاربعة للخشبتين حلقات تعلق في طرفي بغلين في كلاليب مثبتة في جانبي رحل البغل والبغل الواحد يكون من الامام والقبة خلفه لا يراها والبغل الثاني رأسه مواجها القبة وهكذا يمشيان الواحد خلف الآخر وبينهما القبه يحملانها ويمسك احد المكارين بزمام البغل الامامي ويمشي معه مستمراً طالباً الارض السهلة وحافظا للبغال المذكورة من العثار .

واستعمال هذا التختروان قديم لا يعرف مخترعه وقد وصفه ابن جبير الرحالة المشهور في رحلته بصور مختصرة قائلا عند بحثه عن سفر الخواتين في زمن الناصر لدين الله العباسي (وهي قد استقلت في هودج موضوع على خشبتين معترضتين بين مطيتين الواحدة امام الاخرى) .

وفي الصباح سافرنا الى السبخة والمسافة ثمان ساعات وقد اخذنا معنا بعض الحمير المذكورة فجاء اصحابها فطالبناهم بالمواد المسروقة فلا اتذكر انا استرجعنا شيئا ولكننا اعدنا الحمير اليهم

وفي صباح اليوم التالي سافرنا الى قرية تسمى حمام بعد قطع مسافة قدرها ثمان ساعات ايضا فبقينا خارجها تحت الخيم ومنها الى (ابي هريرة) قطعناها في تسع ساعات وهي قرية بتنا خارجها ومنها الى (مسكنة) والمسافة سبع ساعات فبتنا على ساحل النهر بجانب القرية ويوجد هناك بناية بيضاء واقعة على طريق القافلة تماما وهي تلغرافخانة (دائرة برق) ثم الى (دير حافر) والمسافة ثمان ساعات وهذه عبارة عن قرية بيوتها قليلة متباعدة تعلوها قباب نصف كروية فبتنا خارجها في الخيام على العادة وعند الفجر استيقظ البعض منا وخرج عن الخيمة فوجد الارض بيضاء كلها فظن انها القمراء ولا قمر في تلك الليلة فتعجب من ذلك ولما مشى رأى الارض لينة تحت قدمه تنغرس فاذا هو ثلج وما كنا رأيناه قبلا كان ينزل من نوعه في بغداد في بعض السنين نسميه وفر لاينزل الى الارض حتى يذوب ولا يستمر سقوطه اكثر من دقيقة او دقيقتين ولم نره مكدساً كهذا وعولنا على ان نطلب من الآمر (او المأمور على حد تعبير الحكومة) ان يبقينا ليلة ثانية في هذا المحل ريثما يذوب الثلج فإرتأى عكس ذلك فقال ان الارض الان لم تزل قوية تحت الثلج فإذا بقينا ليلة اخرى يذوب الثلج فتصبح زلقاو كذلك تزول آثار الطريق اما الآن فيمكن الاستدلاء عليها لان وضع الثلج على الارض الآن حسب وضع الارض قبل سقوطه .

وعليه شمرنا عن ساعد الهمة وارتحلنا الى حلب ولا تسل عن حال قافلتنا لان منا من تأخر اثناء التحميل ومن تأخر اثناء المسير فصارت القافله رأسها في حلب والرأس الآخر في دير حافر والوصول الى حلب استمر بالتدريج من الساعة الواحدة غروبية ليلا الى ما بعد نصف الليل وكان نزولنا في خان يدعى قبه خان (او خان قبه) وهو الطابق الاسفل منه للدواب والاعلى للمسافرين فاحتلينا كل اثنين او ثلاثة غرفة منه .

ومما يجب ان اذكره انه عند وصولنا الى الخان المذكور انزل الكارية الاحمال في دهليز الخان واشتغلوا في دوابهم لانها كانت متعبة جدا ونحن لم نصبر على بقاء احمالنا مطروحة وننتظر فراغ المكارية لاصعادها الى اعلى الخان فحمل كل منا امتعته على ظهره وصعد بها فاخذت انا ايضاً شطر من السيسخانة (الخرج) على ظهري فبعد صعودي نصف الدرج لم اقدر على حمله فسقطت فجائني احد الاصحاب وقال ماذا تعمل هل تريد ان اضعه على ظهرك قلت بالله عليك فوضعه على ظهري فلم اتمكن من الارتقاء بها وسقطت مرة اخرى فقال هاتها على ظهري

فوضعتها على ظهره باستعانته هو طبعاً فصعد بها فقلت في خاطري اين هذا الاخ من اولئك الذين تركوا امتعتي خارج الخيمه في الفلوجة مع انها ما كانت الاعناء يسيراً بالنسبة لهذا .

وبقينا في حلب اسبوعاً كاملا ننتظر الباخرة التي نسافر بها من اسكندرون الى استانبول لأن معروف افندي كان قد خابر السلطة في اسكندرون واتاه الجواب بذلك فرجح البقاء في حلب عن البقاء في اسكندرون وفي هذه المدة كنا نزور بعض الاماكن في حلب منها جامع سيدنا زكريا عليه السلام وقلعة حلب الشهباء والمدرسة الاعدادية الملكية وباب الفرج وباب السبيل ونتجول في الاسواق وفي الليل نجلس في المقهى الملاصقة لخان قبه الساكنين فيه وهي في الطابق الاعلى ولها باب على الخان المذكور واحياناً في المقهى التي تقابل الخان وتسمى قهوة البرتقال .

اتذكر يوماً ذهبنا الى باب السبيل فاكترينا عربة وسألنا السائق عن الاجرة فقال الساعة الواحدة بهذا المبلغ وذكر مقداراً لا اتذكره فقلنا المسأله بسيطة ولا حاجة الى المساومة فتأكدنا من الوقت وحفظناه وسرنا فبعد ان وصلنا هناك جلسنا في مقهى وجعلناه ينتظرنا ثم رجعنا ولكن لا تسل عن الرجوع فقد دار بنا جميع حلب تقريباً ومر في طرق معوجة وضيقة وكلما سألناه عن السبب قال هذا هو الطريق وكان قصده تمضية الوقت لاجل تضخم الاجرة وعند المحاسبة لم نقبل منه المدة التي قضاها فحاسبناه عن مدة الاياب كمدة الذهاب مضافاً اليها مدة التوقف فلم يقبل فصار يغالطنا ويتصايح الى ان اضطررنا لاعطائه ما اراد .

وأما الطعام فكنا نأكل الكباب على الاكثر ويوجد نوع عندهم يسمى طاوه وهو كالتشريب عندنا في بغداد لااقل ولااكثر الا ان بدل اللحم المطبوخ لحم مشوي او مقلي وفوقه اللبن مع الثوم وعندنا التشريب ذو اللبن والثوم يسمى تشريب بيت القيارة .

وعندما كنا نمر في الطرق او الاسواق متنزهين او قاصدين محلا معيناً نسأل من نصادفه اين المحل الفلاني او الى اين يذهب هذاالطريق فيجيبونا بكلمة (سوا) اي تمام او صحيح فهذا الجواب غير معقول ولا ادري لماذا لايرشدون الغريب ويسهلوا امره .

اذكر مرة كان بيدي قرباج (سوط) وعندما اجابني احدهم (بكلمة سوا) ضربته قائلا مامعنى سوا فبدأ يفصل لي الطريق ويرشدني الى المحل الذي اطلبه او المحل الذي ينفذ اليه ذلك الطريق وبما ان طلاب المدرسة الحربية لهم ان يتقلدوا السيوف كالضباط تماماً ونحن الآن

معدون من طلاب المدرسة الحربية فقد اخذ البعض منا سيفاً بالاجرة من احد المحال في حلب وتقلدوه وهم يتجولون به من مقهى الى منتزه الى سوق وفي كل مكان وانا كنت احدهم (كيف تفوتني هذه الكشخه) وعند سفرنا الى اسكندرون ارجعنا السيوف الى محالها ورأينا شوارع حلب كلها مبلطة وما كنا رأيناشيئاًمن ذلك قبلا والتبليط كان من الطراز القديم بالقطع الصخرية ذات احجام مكعبة ومرصوفة الواحدة بجانب الاخرى .

كنا نداوم ليلا في احد المقاهي وكان فيها صبيان يغنيان مع جوق موسيقي وهم جلوس وفي الاصل هم من اللذين يرقصون وقيل لنا ان الادارة قد منعت الرقص فاكتفوا بالجلوس والغناء واحياناً يحركون بعض اعضائهم ليبرهنوا على انهم لولا المنع لرأينا منهم غير ماراه الآن .

ثم سافرنا من حلب الى اسكندرون في اربعة ايام مارين على حمام وقرق خان وبيلان فالاسكندرون والحمام قرية بسيطة وقرق خان معناه الاربعون خاناً او الخان المكسور وفي المعنى الاخير يجب ان تكتب بالياء (قيريق خان) وهو عبارة عن قريـة صغيرة فيها بعض البيوت وكلها من الخشب وفيها مطعم واحد فقط وبيلان بلده لا بأس بها وهي قضاء يحكمها قائممقام واقعة في سفح جبل يسمى جبل بيلان وترى البيوت فيهاالواحد اعلى من الآخر تشبه بلدة عقرة في لواء الموصل تقريباً ثم انحدرنا منها الى سهل اسكندرون ووصلنا عند العصر واسكندرون قضاء ايضا وهي بلدة على ساحل البحر تماماً فيها قهوة على البحر لطيفة جداً وفيها الاسواق والفنادق ويسمى واحدها (الاوتيل اواللوكنده) وفيها اوتيل في وسط السوق يطل على فسحة جميلة مكتوب على واجهته (اوتيل لطيف المنظر) وهو حقاً منظره لطيف ذو طابقين اجرته غالية فنزلنا في فنادق اقل اجرة منه .

يقدم الشاي في هذه البلدة في الاقداح الخاصة بالشربت (المرطبات) ولا توجد (استكانات) كالتي نستعملها في بغداد وكان هناك رجل مع امرأة يلعبان العاباً سيميائية (شعوذة) في احد المقاهي فالتمس صاحب القهوة من المأمور معروف افندي ان يكلفنا بالحضور لان تلك الليلة كانت باسم منفعة ولا ادرى لاي مشروع خيري فذهبا الى هناك ورأينا من المشعوذ المذكورة العاباً مدهشة تحير العقول .

وفهمنا ان هناك تياتوروا كلفونا ان نذهب اليه وما كنا رأينا شيئاً قبل ذلك مما يسمى تياترو

اللهم الا عند ما كنا في بغداد في السنة الاخيرة من الدراسة قد اتى من حلب او من الشام اناس اشتغلوا في قهوة في الميدان بإسم تياترو وما كنا سمعنا بهذه اللفظة قبلا وكانوا عبارة عن شابين يرقصان فيها ولمارها بتاتاًفلما سمعنا بهذا التياترو ظنه البعض منا مثل ذاك الذي شاهدوه في بغداد وعندما جلسنا في المقهى المذكورة وجدنا محلا مقابلا للجالسين شبيه بالطارمه وامامه ستارة قيل لنا ان وراءها محل التياترو فانتظرنا الى ان رفعت الستارة فظهر خلفها ثلاثة رجال جالسين الواحد في حجره عود والثاني في يده كمانجة والثالث دف وبعد ان غنوا وضربوا على آلاتهم مقدار ربع ساعة نزلت الستارة ثم رفعت بعد قليل فظهروا هم ايضا ومعهم بنت مزينه وبألبسه فاخرة ولاتسل عن حالنا عند رؤيتها فاقشعرت ابداننا واخذ منا العجب مإخذه وبقينا الواحد ينظر بوجه الآخر ولسان حالنا يقول الهذا المقدار وصلت الحالة هنا ؟ كيف تجلس بنت بهذا الزي امام كل هذا المجتمع من الرجال وكان بجانبنا اناس من اهالي البلدة فقالوا لنا لماذا تتعجبون فكيف بكم اذن اذا قامت هذه ورقصت وستخرج اخرى مثلها وترقص ايضاً قلنا الله الله كيف يكون ذلك والحاصل بقينا وشاهدنا كل ما قيل وصرنا نتردد على هذا المحل في الليلتين الباقيتين (لان الحلاوه حلوه والمعيدي بلوه) الى ان سافرنا لانا بقينا في اسكندرون خمس ليالي ليلةقضيناها في الالعاب السيميائيه وثلاثة ليالي في هذا المقهى عدا الليلة الاولى التي استرحنا فيها .

وفي صباح يوم الخامس سافرنا في الباخرة اتذكر انها كانت لشركة نمسوية متوجهين الى استانبول ومحلنا فيها كان داخل الانبار وما كنا ركبنا البحر قبل هذه السفرة فأصابنا الدوار وبدأنا نقذف ما أكلناه وترى رائحة الانبار اصبحت لا تطاق ثم فهمت أن في الامكان الحصول على محل في أحد قمار العمله بدفع الاجرة الى صاحبها بعد التراضي معه فصعدت الى سطح الباخرة وتساومت مع أحدهم فطلب خمسة ريالات مجيدية فإستكثرتها وفي أثناء المساومة قذفت من جوفي كميةاخرى في داخل القمارة وعندها طردني صاحبهافرجعت ولم أر وسيلة غير الاضطجاع على فراشي ونحن في الباخرة هذه فقد اجمل معروف أفندى الحساب واعطانابقية ما خصص لنا من مصاريف السفر بعد تنزيل ما صرفه علينا فأصاب كل منا ليرتين أو أقل بشيء يسير .

فمرت الباخرة على ميدللى وهى جزيرة فخرجنا اليها والمدينه جيدة بناياتها محكمة وعالية اكثر سكانها من النصارى .

مررنا بسوقها وعجبنا من كل شيء رأيناه فيه - كان هناك هياكل بشكل الآداميين منصوبة في الدكاكين قد البسوها أردية جميلة فتعجبنا وجعل بعضنا يسأل بعضاً عن سبب ذلك لأنا ما كنا رأينا شيئاً من هذا القبيل .

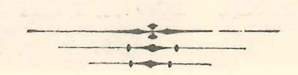
وهذه البلدة إنموذج لما سنراه بعد ذلك تختلف عن كل ما رأيناه قبلها من البلاد لأن فيها اثر من الحضارة وذلك في المباني والاسواق والميادين وما أشبه .

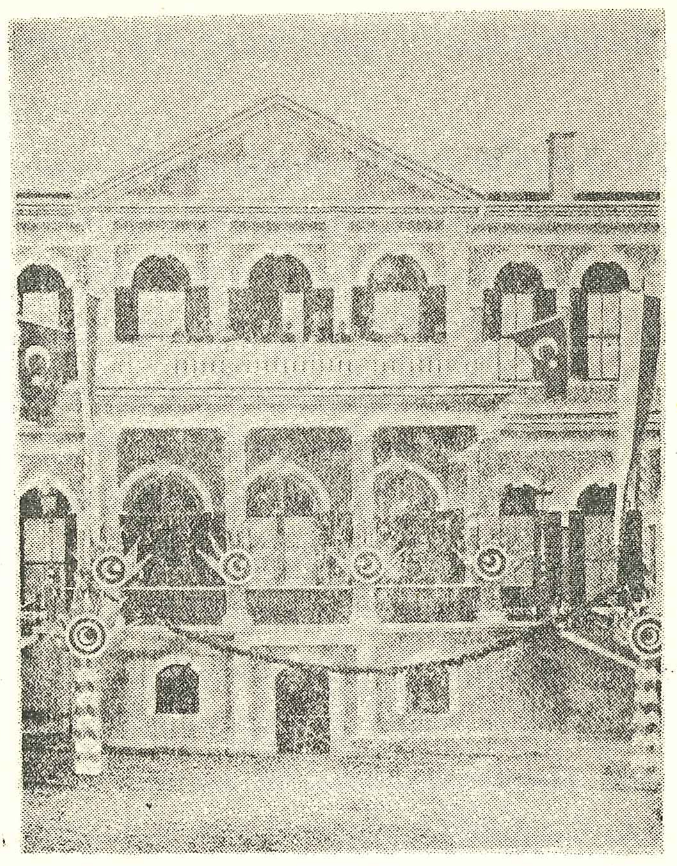
فرجعنا الى الباخرة فمخرت بنا الى محل آخر ووقفت بعيداً عن ساحل جديد قيل إنا صرنا تجاه (قواله) فبقينا هناك في عرض البحر يوماً وليلة في الكرنتينة (الحجر الصحي) ثم سرنا من هناك ومررنا ببوغاز (مضيق) چناق قلعة (الدردنيل) وقطعنا بحر مرمره ووصلنا استانبول قبل طلوع الشمس وبقينا نتشوق لرؤية استانبول كنا نريد أن نراها كلها ونزور مدرستنا ونفهم كل شيء في لحظة واحدة شأن كل مسافر يقدم على بلد لم يره قبلا .

وهذا لا يمكن وإستبطأنا الوقت وتمنينا لو مر سريعاً .

ثم قيل لنا ستأتي باخرة صغيرة تسمى قلاغوز (دليل) وبألافرنسية (رومو ركور) تجر باخرتنا وتدخلها الى الميناء فإنتظرناها فجاءت فربطوا باخرتنا العظيمة بها وسارت تجرها فعجبنا لقدرة هذه الصغيرة التي لا تكون واحد من مائه من حجم باخرتنا ففهمنا بعد ذلك ان هذا غير حقيقي وباخرتنا الكبيرة تمشي لنفسها بآلاتها وهذا الربط إلا صورة رسمية وعادة جارية .

ثم رست الباخرة في ميناء قباطاش وليس فيها من أدوات الميناء مثل الرنجات والسلنكات (الرافعات) وغيرها شيء التي رأيت أمثالها بعد ذلك في الهند وحتى بألبصرة إلا بناية تسمى ليمان (دائرة الميناء) ومن هناك خرجنا ومشينا صفاً واحداً اثنين اثنين من طرق عادية الى أن دخلنا المدرسة الحربية من باب خلفي ينتهي الى ساحه تعليم السوارية (الخيالة) ثم الى ساحة البيادة (المشاة) .





مدخل المدرسة الحربية العسكرية في استانبول والتي تخرج منها المؤلف برتبة ملازم ثاني في سنة ١٣٢١هـ

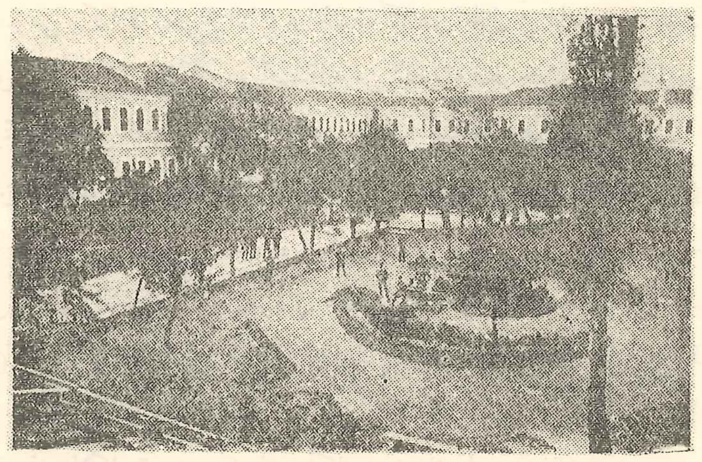


واجهة المدرسة الحربيه العسكرية التي درس فيها المؤلف

الفصل السادس

في المدرسة الحربية

وهناك أجروا لنا عملية التبخير على أمتعتنا وعلى أشخاصنا وألبسنا من الرأس الى القدم ثـم دخلنا المدرسة فوجهونا الى محل منامنا فعينوا لكل منا سرير وحشروا كل جملة منا في غرفة دراسه ثم استلمنا أمتعتنا وكل جاء بها الى جانب سريره والعادة أن يكون لكل واحدصندوق ذو أدراج أو ذو أبواب يسمى عندهم (قونسول) ولكن هذا الانتظام كان قبل أن يتكاثر الطلاب فأصبحت هذه الصناديق لا تكفي فأعطونا لكل اثنين منا دولاباً واحداً وأخيراً رأينا المسألة فوضى فالذي له أصدقاء من القدماء أمكنه أن يحوز على واحد لنفسه وأنا ممن تمكن على الحصول على دولاب واحد ثم على ثان والصناديق المذكورة تبقى في القغوش (المضجع)



المدرسة الحربية العسكرية في استانبول من الداخل في سنة ١٣٢١ هجرية

ثم أعطونا أرقاماً نضعها في رقبتنا في جانبي تلاقي (الياخه) وكان رقمي (٦٣٢) احتفظت به طيلة السنوات الثلاث . اما الترتيب حسب الاجتهاد فهو يقيد في الدفاتر فقط وقد حفظت رقم الترتيب للسنة الاخيرة فكنت الخامس عشر في القسم الثالث من الصف الثالث المنتهي .

وبعد ذلك اجري لنا امتحان يسمى (امتحان قبولي) وما هو الا البكالوريـا من جميـع الدروس التي درسناها في الرشدية وفي الاعدادية والقصد من ذلك هو الترتيب لا غير لانهم لو عملوا الترتيب العام حسب الامتحانات التي اجريت في مراكز الاعداديات لحصل ارتباك لان

الامتحان الاخير للاعداديات حصل على ايدي مختلفة ربما فيهم من حصل فوق استحقاقه وفيهم من حصل دون ذلك فهذا الامتحان يعطي كلا حقه فأصبح ترتيبي في هـذا الامتحان حوالي المائتين والموجود كله كان ثمانمائة طالباً وكسوراً .

ثم قسموا الجميع الى ثمانية أقسام كل قسم في غرفة دراسه وفي كل قسم يوجد طلاب من جميع الاعداديات فأصبحنا نحن البغداديون كل عشرة أو أقل في غرفة دراسه .

والمدارس الاعدادية هي ستة في كل مركز جيش واحده أعني إستانبول (ومدرستها في محل يدعى قله‌لي فصارت تسمى مدرسة قله‌لي)أدرنه ، مناستر ، ارضروم ، شام ، بغداد .

وزيادة على ذلك كانت اعدادية اخرى في مدينة بروسه لأن الجيش السابع وهو اليمن ليس فيه مدرسة أعدادية وهذه جعلوها في بروسه بدلاً من اليمن .

وباشرنا بالدرس وكنا لا نخرج الا يوم الجمعة كما هو الحال في المدارس الليلية (الداخلية) فلما جاءت أول جمعه خرجنا كل مع أصدقائه من القدماء فخرجت أنا ورفيق لي يدعى رؤف أيضاً مع صديقين لنا من القدماء أحدهما يدعى رؤف كذلك وهو من الصف الثالث وآخر إسمه عارف من الصف الثاني فكنا ثلاثة أرئفه وعارف أي حروفنا متشابهة تتخللها عين واحدة نقط فأخذونا معهما الى المقاهي والمطاعم والأسواق وغيرها وكانوا يوضحون لنا كل ماتقـع أعيننا عليه من المحال والاشياء أتذكر مرة في مطعم بسيط في جادة محمود باشا يقوشي (مرتقى محمود باشا) قرب يكى جارشي (السوق الجديد) صاحبه من أهالي الموصل قدم لنا اكلة عراقية وهي (حامض كبه) كان قصد أخواننا أن لا يكون بين مأكولات إستانبول وبغداد فاصل فجعلوا هذه الاكله همزة وصل لما سنأكله في إستانبول بعد ذلك .

والعادة في المدرسة ان الصف الثاني من بغداديين أي الذين اتوا قبلنـا بسنة يدعون الصف القادم فصرنا أضيافهم لمدة إسبوع وهذه الضيافة داخل المدرسة تشتمل على الحليب والشاي مع الكورك (الخبز المحمص) في الفطور صباحاً وبعده القهوة الشكرلي (السـكرية) ثم قهوة اخرى بعد الظهر وقهوة اخرى وشاي بعد الغروب وسيجاير في جميـع الاوقات لمن يستعملها لأن في هذه المدرسة التدخين غير ممنوع (خارج غرفة الدراسة طبعاً) ويوجد داخل المدرسة دكان بائع الدخان (توتونچي) يـدعى (تنش) وسبب الاقتصـاد على هذه الانواع من

المشروبات والسكاير أن طعامنا جميعاً من المدرسة وبعد تمام الاسبوع في الليلة الأخيرة خطب أحدهم مرحباً بنا ومعتذراً عن عدم القيام بالواجب كما يليق بنا فأجابهم المقدم فينا رشيد الخوجه نيابة عن الجميع بأن ما عملوه هو فوق ما نستحقه وأبدى لهم جزيل الشكر والامتنان وانفض الجميع تلك الليلة ثم صرنا في ضيافة الصف الثالث وهو يوماً واحداً من الصباح الى المساء كالترتيب الماضي وفي ليلتها تبودلت الخطب كذلك حسب المعتاد .

ويوجد في المدرسة مجال تحت أرض المدرسة تسمى تنفسخانة وهي قاعة طويلة منقسمة الى ثلاثة أقسام يتصل الواحد بالآخر بواسطة فتحات وينزل الى الجميع بواسطة درج فالقسم الاول الذي يلي الدرج هو للصف الاول ثم القسم الذي بعده للصف الثاني والاخير للصف الثالث والضيافات المذكورة جرت في هذه التنفسخانات .

ومما يجب الفات النظر اليه ان هذه العادة خاصه بالبغداديين .

وكنا هناك لنا سطوة يخشاها غيرنا مثال ذلك بعد مدة قليلة صادف أن تشاجر أحد الاستانبوليين مع أحد أصحابنا فقال الاول للبغدادي (اناكى اغلا تدير يرم) سأدع امك تبكي عليك وهذه من كلمات التهديد عندهم فأخبر البغدادي رفقاءه وفي أسرع من لمح البصر انتشر الخبر عند جميع البغداديين من الصفوف الثلاثة فإنتظروا الاستانبولي عند خروجه من غرفة الدراسة بعد المذاكرة الليلية وبدؤ يتحرشون به وعندها أشبعوه ضرباً وافهموه ان كلامه هذا لا يمكن أن يصرفه عليهم مطلقاً ومن العيب الفاضح عند التلاميذ جميعاً ان يشتكي المضروب او المهان فتبقى المسئله مكتومة .

وهنا يجب ان أتكلم عن ترتيب المدرسة وكل ما يتعلق بحياتها .

تأسست المدرسه الحربيه في سنة ١٢٦٥ هجرية الموافق ١٨٤٧ ميلاديه في زمن السلطان عبد المجيد وكل صف يتخرج منها لهم رقم معلوم فعند تخرجنا برتبة ملازم ثاني في سنة ١٣١٩ رومية عثمانية كان صفنا التاسع والخمسون فاذا أخرجنا ٥٩ من ١٣١٩ كان تأسيس المدرسة يجب أن يكون في سنة ١٢٦٠ ولكن الصحيح هو ١٢٦٥ إذن فربما تخرج بعض الصفوف بعد دراسة سنتين فقط .

تتألف المدرسه من ثلاثة صفوف الصف الاول ثمانية أقسام اي في ثمانية غرف للدراسة

والصف الثاني ستة اقسام والصف الثالث اربعة اقسـام وتختلف عدد الاقسام باختلاف عدد الطلاب لأن الصف الاول مثلا قد ينجح منه في الامتحان ما يكفيه ستة او سبعة غرف وعند نجاحه الى الصف الثالث ربما تكفيه خمسة او ستة وهكذا .

وفي المدرسة مسلكان عسكريان البياده (المشاة) والسواري (الخياله) فالبيادة هم الاكثر ويوجد منهم في كل الاقسام اما السواري فيوزعون على الاقسام الشعبيه ففي صفنا كان السوارية في القسم الثاني والرابع والسادس والثامن يدرسون مع البيادة الا في الدروس الخاصة بالمسلك فالسوارية يجتمعون في احد الاقسام والبيادة الذين في ذلك القسم يتوزعون على الغرف الاخرى .

واما الطوبجية (المدفعية) فلهم مدرسة خاصة اسمها (مهندسخانة بري همايون) في محل يدعى خاصكوي ومن هذه المدرسة يتخرج الطوبجية والكوبريجية (ضباط الجسور والمعابر) وصنف الاستحكام .

وهؤلاء عادة يفرزون عند اول يوم من تكامل المدارس الاعداديه وطالب هذه المسـالك قليلون فينالون بغيتهم بأهون سبيل .

واما السوارية فيفرزون كذلك بالاختيار ولكن على الاغلب يكون طالبي هذا المسلك اكثر من المطلوب فتعمل بينهم قرعة فمن اصابته صار سوارياً ومن لم تصبه كان بيادة كباقي رفاقه الكثيرين .

وعدا الصفوف الثلاثة المذكورة يوجد ثلاثة صفوف اركان حرب وهؤلاء يفرزون عند تمام مدة الدراسة للثلاثة سنوات وعند التخرج برتبة ملازم ثان ويكون من الذين حصلوا على درجة عاليه مبتدئين من الاول الى الحد الذي يريدونه فيكون عادة عشرون او اكثر بقليل لا فرق بين السواري والبيادة ولكن الذي كان بيادة يدرس تعليـم السواري وبالعكس ولا يوجد فرق في الدروس الاخرى فيدرسون ثلاث سنوات اخرى حاملين رتبه ملازم ثاني في الصف الاول ورتبة ملازم اول في الصنفين الثاني والثالث وعند التخرج يمنحون رتبة يوزباشي (رئيس) وبيدهم شهادة مدرسة الاركان حرب مع وضع علامة في رقبتهم تدل على اركانية الحرب وهي شعار الدولة العثمانية (آرمه) .

وفي السنين التي كنا فيها عمل ترتيب آخر يؤخذ حوالي اربعين نفراً وعند تمام الدراسـة

يخرج الجميع يوزباشي ولكن النصف تقريباً يكون اركان حرب والنصف الآخر يسمى ممتاز وهؤلاء يضعون في رقبتهم علامة غير الاولى وهي نجمة معمولة بصفة خاصه وعدا ذلك يوجد أربعة صفوف عالية للبيطرة يخرجون منها برتبة ملازم ثاني .

ثم يوجد صفوف أخرى لاأدري عددها خاصـــة بالزاد كان (أولاد الذوات) وهؤلاء أعمارهم تتراوح بين الثماني سنوات أو الستة الى فوق وربما كان منهم من عمره خمســة وعشرون سنة أو أكثر .

ودراستهم ليس حسب سنهم بل حسب معرفتهم عند دخولهم هذه الصفوف اي من مبادىء القراءة والكتابة الى الدراسة العالية وهم لاينتظرون إكمال التحصيل لنوال الرتبة بل كل منهم حائز على رتبة وهو يدرس في صفه فمن خونكار چاوش (عريف السلطان) ومعنى خونكار (السفاح) الى رتبة بيكباشي (مقدم) وربما اعلى من ذلك والرتبة لا تكون بنسبة العمر وبنسبة المعارف وإنما بنسبة تقرب عائلة ذلك الشخص من الســلطان فربما يوجد من سنه ثماني سنوات ودرسه ابتدائي ورتبته أعلى من سنه خمسة وعشرون سنة ودراسته عالية والحاصل على غير نظام (العمر والدرس والرتبة) مختلفة ومتباينة تماماً فترى طفلا صغيراً عندما يخرج من المدرسة يوم الخميس العصر متقلداً سيفه ومكتسياً أرديت بيكباشي يؤخذ له سلام عسكري كأنه قائد ذو أهمية .

ومحل هؤلاء الزاد كان (أولاد الذوات) دائرة خاصة في المدرســة لايختلطون بالباقين مطلقاً ولانراهم إلا عند دخولهم او خروجهم فرادى وأحياناً عند مرورنا من جانب دائرتهم نرى البعض منهم وقوفاً بباب الدائرة .

ثم ان هناك صفاً واحداً لاولاد العشائر يدرسون فيه دروساً عالية أي دروس الپيادة أو السواري للثلاثة سنوات في سنة واحدة ولكن بصورة مختصرة ويخرجون برتبة يوزباشي (رئيس) وبعلامة ياور (مرافق) فخرى للسلطان والفخرى هو الذي بدون مخصصات المرافقة لانه يوجد نوع آخر يقال له ياور أكرم وهو الذي له مخصصات المرافقة عدا راتب الرتبــة التي يتقلدها وهذه لا تمنح إلا للمقربين و الذين أبلوا في خدمة الدولة بلاءاً حسناً .

وأفراد العشائر هؤلاء يأتون الى هذا الصف بعد أن يتخرجوا من مدرسة ملكية ذات سبعة

صفوف وهي في محل آخر من البلد فمن يتخرج منها يختر بين أن يدخل المدرسه الحربية او أن يدخل المدارس العالية الاخرى الكثيرة في العاصمة وسيأتي تعدادها عند ذكر إستانبول كنا مشتاقين لتقلد السيوف فكل منا اشترى له سيفاً يتقلده عند الخروج يوم الخميس والجمعه ثم تكاسلنا عن حمله وتركناه لما بعد التخرج من المدرسة .

وكانت لنا رواتب ونحن ندرس في الصف الاول ٣٥ قرشاً وللصف الثاني ٤٥ قرشاً وللصف الثالث ٥٥ حسب ما أتذكر أو حوالي هذه المبالغ .

طعام المدرسة ـــ

كان يعطى لنا وقت الفطور صباحاً الشاي المحلى بالسكر وموضوع في أباريق تسمى كوكم (قمقم) وأمام كل واحد منا فنجان (كوب) بدون صحن تحته فنسكب لانفسنا ونشرب مع الخبز والخبز كالصمون لكنه مدور الواحدة منه تزن حقة استانه أي ٤٠٠ درهم يقسمونهـــا ثلاثة أقسام يعطونا قسماً عند الصباح وقسماً عند الظهر وقسماً عند المساء ووقت الغذاء الشوربة والخضرة مع اللحم وفي العشاء الارز بالســـمن واللحم المطبوخ (قزارتمة) والشاي ايضاً .

وفي ليلتين من الاسبوع كما في الاعدادية العسكرية يقدم لنا الطاتلي (الحلوى) وهذه تتنوع من الليموناطه (شربت الليمون) الى اللقمة (اللقم) وفي رمضان الحلوى كل يوم في الافطار وهذه الحلوى ممتازة عن سائر الايام فهي اما قطائف احد انواعه تل قطايفي أو أكمك قطايفي او كلاج وغيره وفي السحور المقارنة (المعكروني) بالجبن او بالمرق (صالچه) ثم الشربت .

وعلى ذكر الطعام يجب ان نذكر عنه كل شيء يتعلق به ففي ايام روز خضر وهو يوم واحد في السنة ٢٣ نيسان رومي (٦ آيار إفرنجي) تنقسم السنة الى قسمين أحدهما روز خضر « يوم الخضر » ومدته ١٨٦ يوماً « ٢٣ نيسان رومي - ٢٥ تشرين اول رومي » « ٦ آيار إفرنجي - ٧ تشرين الثاني إفرنجي » والثاني روز قاسم « يوم القاسم » ومدته ١٧٩ يوماً « ٢٦ تشرين اول رومي » - « ٨ تشرين ثاني إفرنجي - ٥ آيار إفرنجي » .

يعطى الرز وفوقه اللحم الكثير (قوزي) مع الحلوى والسلاطه و نخرج هذا اليوم لنأكل طعامنا في البساتين كما كنا نفعل في بغداد في الاعدادية العسكرية لأن السلطان عبد الحميد لا يرضى بخروج المدرسة جميعاً وبقائها في الخارج نهاراً بكامله بدون عمل .

ويوجد في المدرسة بقال اسمه نعمان آغا وهو الباني (ارنؤد) يبيع مأكولات ناشفه ومطبوخة وبعض الفواكه والنقل لمن يريد .

وفي مساء ١٩ رمضان خاصة تكون المدرسة كلها مدعوة عند السلطان فنذهب جميعاً الى محل خارج قصر يلديز في محل خالي فسيح قد انشأ فيه بناء مستطيل من خشب طوله ما يقارب الثلاثمائة متراً أو أكثر وعرضه الاثنى عشر متراً وسقفه جمالي وفي الوسط دعامات على طول البناء وفيه موائد مدورة خشبية على صفين وكل مائدة حولها كرسي مدور كشكلها يجلس على الكرسي حولها عشرة تلاميذ يحيطون بها إحاطة الهالة بالقمر وجميع المدرسة تبلغ من الفين وخمسمائة شخص يكفيهم ذلك المحل فيؤتى لنا بالاطعمة وهي هي في جميع السنين ولكل المدعوين في جميع أشهر رمضان اولها الشوربة (الحساء) ثم البراصة ثم الارز وفوقه القوزى ويختم بالقطايف (اكمك قطايفي) عدا الافطارية اولا وهي الجبن والزيتون والمربى والتمر .

والسلطان يدعو جميع المدارس والجنود والموظفين وقد خصص لكل قسم او صنف يوماً واحداً لا يتغير كل سنة فيوم المدرسة الحربية هو مساء ١٩ رمضان من كل سنة تماماً .

وعند اكمال الطعام نشرب القهوة وهي معمولة في سماورات كبيرة في محل خاص من البنايه توزع علينا بواسطة خدم المدرسة أو نذهب نحن الى محلها فنشرب قدر ما نريد .

وعند الاذن للخروج توصد الأبواب والشبابيك وهي كثيرة إلا باباً واحدة وهي التي من جهة قصر السلطان حيث هو جالس في أحد الغرف على ما قيل لنا فنبدأ بالخروج من هناك واحداً واحداً وعند الباب من الداخل قد وضعوا منضدة كبيرة عليها اكياس الليرات الذهبية بكثرة وحولها وقوفاً المشير زكي باشا ناظر جميع المدارس العسكرية والسرخفية ومفتشيها اسماعيل باشا وبعض الباشاوات الآخرون من المابين ومن الخزينة الخاصة فيعطون لكل منا ليرة واحدة بواسطة موظف ملكي واقف في رأس المنضدة مما يلي الباب .

وكيفية اخذها ان يتقدم أحدنا ويعمل التحية العسكرية بيده اليمنى وهو ان يرفع يده الى فمه فتلامس سبابته شفته السفلى ثم يرفعها فتلامس جبهته ثم يرسل يده ويمدها فتوضع فيها الليره فيحولها الى يده اليسرى ويعمل التحية المذكورة مرة اخرى وينصرف الى خارج البناية .

وهذا الاستلام يكون بدون ترتيب وبدون قراءة الاسماء بل يتقدم من كان قريباً من المنضدة

ثم الذي بعده وهكذا فربما آخر شخص يأخذ في الاول وأقدم شخص يأخذ في الاخير فالقصد ان يأخذ الجميع ما دامت الابواب موصدة فحتماً سوف لا يبقى أحد الا وهو مستلم نصيبه .

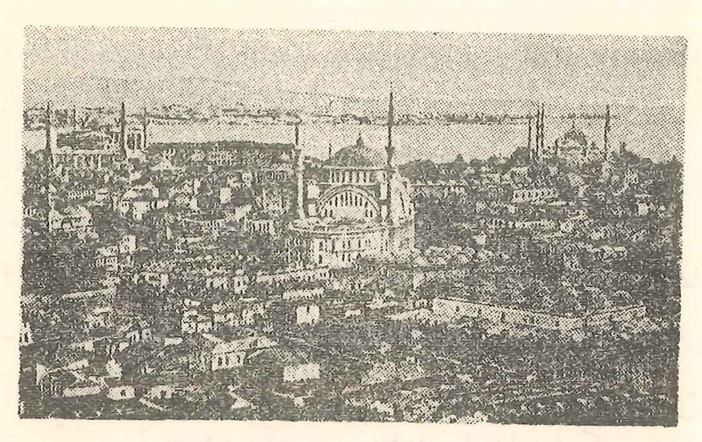
وهذا عند الناس يعتبر ديش كراسي (اجرة الاسنان) بإعتبار ان الجماعة اتعبو اسنانهم بمضغ الطعام وبلعه .

وكان البعض بعد ما يقبض الليرة يخرج ثم يدخل من احد الشبابك ويندمج بالباقين فيأخذ ليرة اخرى وربما ثالثة فعرفت هذه الحيلة وبوشر بسد الشبابيك والابواب سداً محكماً وبهذا استؤصلت هذه العادة وعند خروج الجميع نبقى واقفين خارج البناية في الفسحة الكبيرة التي بين هذه البناية وقصر السلطان فيصيح احد معلمي المدرسة وكان في ذلك الوقت الميرالاي (الزعيم) حلمي بك بأعلى صوته (پادشاهم چوق يشا) (ليعيش سلطاننا كثيراً) فنكرر جميعاً ذلك بالصوت العالي يشق الفضاء يمكن سمعه من مسافة بعيدة فيكرر ذلك ثلاث مرات ونحن نكرره عقبه ثم يصيح (صولدن كرى مارش) (الى الوراء سر) فيذهب كل منا الى داخل استانبول مخترقين جهات بشكطاش يقابلنا هناك الصيارفة اليهود (ماتفرتهم فايته) وبأيديهم الاقسام الصغيرة من الفضة وغيرها (خرده) فيستبدل الاكثر ليراتهم بها فيربح الصيارفة في ذلك اليوم شيئاً غير قليل وهكذا في جميع شهر رمضان .

اما ضباط المدرسة ومعلموها وصفوف الاركان الحربية والحاصل جميع المنتمين الى المدرسة فيقبضوا ما يعادل راتب شهر كامل .

وحسب ما علمنا انه عندما يدعى الجنود تعطى لهم ربع ليرة .

كنا نخرج يوم الخميس بعد الظهر ونرجع عند الغروب فنتعشى ونبقى في المدرسة وفي صباح يوم الجمعه نخرج كذلك بعد الفطور ونرجع الظهر للغداء ثم نخرج ونرجع للعشاء ونبقى الى الاسبوع التالي وبما ان استانبول كبيرة فإذا خرجنا يوم الخميس نكون بعيدين عن المدرسة فيكون عشاؤنا ويوم الجمعة كذلك غداءنا واحياناً عشاءنا في الخارج والبغدادة مشهورون بالصرف اين ما حلوا فنأكل في احد المطاعم (لوقنطة) الكثير وكنا احياناً نرجع الى المدرسة قبل الغروب بقليل فنتعشى عند مطعم فقير يدعى صاحبه (ايواز) يقع في زقاق يقابل المدرسة ورواد هذا المطعم بالاكثر البغداديون .



منظر الاستانه العمومية في سنة ١٣٢١ هـ

وفي المدرسة حلاقون معينون من قبل المدرسة براتب يحلقون لنا مجاناً ولكننا نعطيهم ما تسمح به اكفافنا بصفة هدية .

وكذلك قد عينت المدرسه غسالين للالبسة فإذا اخذوا من احد ملابسه في بقچة يعطونه مقابلها قطعه خشب صغيرة محزوزة بشكل خاص و يربطوا مثلها بالبسته و يعملون كذلك مع جميع من يعطيهم البسته للغسيل وهذه الحزوز متنوعة لا تشبه الواحدة الاخرى فإذا اراد الطالب اخذ ملابسه اعطاهم هذه القطعة فيطابقونها مع مثيلتها ويعطونه الالبسة بعد ان يأخذوا منه القطعة فيربطونها مع اختها ويحفظونها لاستعمالها مرة ثانية معه او مع غيره وهذه القطعة الخشبية تسمى (جتله) ويوجد في المدرسة حمام يغتسلون الطلاب فيه من الفجر الى ما قبل الدخول في المذاكرة الصباحية ولأجل ذلك يدق (البوريزن) (البوقي) اشارة الحمام فيذهب من الطلاب من يريد الاستحمام .

واما الدروس فكانت تلقى بانتظام تام و كل المعلمين من أقدر ما يكون في الفنون المختصين بها وكل كتاب ندرسه هو تأليف ذلك المعلم الذي يلقيه الا ما كان خاصاً بالقوانين مثل داخلية قانوننا مه سي (قانون الامور العسكرية الداخلية) وجزا قانوننا مه سي (قانون الجزاء العسكري) وسفريه قانوننا مه سي (قانون الامور العسكرية السفرية) وبياده تعليمنا مه سي (قانون التعليم لصنف المشاة) وغيرها فهذه موشحة بختم السلطان (الطغرا) .

والامتحان كان يجري بكل عدل وانصاف ليس فيه للمحاباة يد مطلقاً حتى كنا نضع

لانفسنا درجة بعد الاجتياز من كل امتحان بنسبة جوابنا نراه كذلك عند استلام الدرجات في آخر الامتحانات الا فرقاً طفيفاً لا يعباء به .

والصلاة في المدرسة مواظب عليها المواظبة التامة بأوقاتها ومن تخلف أوحضر وترك منها شيئاً يعاقب بمنعه من الخروج يوم الجمعة لمدة ثلاثة اسابيع .

وفي يوم ١٢ ربيع الاول يجرى تلاوة منقبة المولد النبوي في داخل أحد القاعات المخصصة للصلاة ويحضر هناك جميع امراء المدرسة العسكرية يتقدمهم ناظر جميع المدارس العسكرية للدولة العثمانية المشير زكي باشا فيجلسون في الشرفة على الحصر البسيطة بكل تواضع . وكنا نخرج للعمليات الصف بأجمعه الى المحلات الآتية قاسم باشا ، سلحداراغا ، كاغد خانــة دره‌سى ، پوليغون ، على بك كوبــى ، وغيره وكلها في جهة بك اوغلى والعمليات هي خــاصة بالدروس الآتية :- التعليم العسكري ، السفرية ، التعبئة ، الطپوغرافيا ، الاستكشاف ، الاستحكام وغيره ، وفي مثل هذا اليوم يكون طعامنا الفطور والغداء يعطى لنا جميعاً عند وقت الفطور المعتاد لأنا سوف لا نرجع إلا وقت العصر او بعده بقليل والخروج يكون صفاً واحداً من المدرسة ولا تخرج الصفــوف كلها في يوم واحد مطلقاً وإن كان ذلك ممكناً كان يذهب كل صف الى جهة من الجهات ولكن السلطان لا يــرضى بخروج جميع المدرسة يوماً بكامله كما قدمنا عند ذكر طعام روز خضر .

ويعطى لنا الصمون مع الزيتون عند الاستراحة وقت الظهر علاوة على ما أكلناه صباحاً فكنا نتهالك عليه كأنا ننهبه نهباً و ليس من يبالي من المعلمين والضبــاط بذلك و لا ينهونا عن عمل كهذا وكلما كان التهالك كبيراً في هذه الحالة وفي أية حالة اخرى على الطعام كان يعد من قبل الحرص على التبرك بطعام السلطان وهذا يدل على المحبة للسلطان وفي المدرسة كذلك نذهب الى الباب التي تذهب بنا الى الطعامخانة (محل الطعام) قبل ميعاد فتحها بنصف ساعة على الاقل ولما تفتح نتراكض ونتهالك على الطعام ولا ينهانا احد عن هذه الفعلة مع ان كل منا له محل خاص لا يتجاوز عليه احد وطعامه جاهز وإن تأخر صاحبه عن المعتاد . وهذه من التقاليد الجارية في المدرسة العسكرية الحربية .

والطلاب في المدرسة يلقبون معلميهم ومأموري الادارة القاب شتى لا يقصدون منهــا غير المداعبة البريئة و لم يدر بخلد أحد انه يقصد الزرايه بهم .

من ذلك ان مدير الداخلية المير ألاي (الزعيم) ابراهيم بك قل من يعرف إسمه وإنمايسمونه (قلفات) حتى ان بعض الطلاب الجدد ناداه مرة بإسم قلفات افندي ظاناً أن ذلك هو اسمه فغضب وقاصصه عليها ومن القاب بعضهم (قدري فاصولية ، قوب ده كل چنكانة واصف قنبور عزيز ، دلي سليمان ، قطر ، جاهل عثمان ، صوفي كامل وخليل خوجة) .

حتى ان مدير الادارة الفريق شروت باشا لم ينج من هؤلاء المداعبين فكانوا يسمونه شروب فيقولون شروب باشا كلادى (جاء شروب باشا) و السبب في ذلك والعهدة على الرواة انه رأى في قائمة الطعام التي تقدم له للتصديق عليها لفظه شروب اي سوف يعطي شربت في ذلك اليوم فقال إني امضيت هذه القائمة ظاناً ان كلمة شروب هي امضاؤه فعرفوه ان هذا ليس امضاؤه وانما هو نوع من الطعام ومحل امضائه خال من التوقيع فوقعه ومن هذه القضية اشتهر بإسم شروب وكل من الباقين له قصة وهي سبب تلقيبه لا حاجة بذكرها .

وكانت المدرسة عليها طابع من الدين قوي فعدا اقامة الصلاة بأوقاتها كانت تحتفل في الايام المباركة كتلاوة المولد النبوي واحترام شهر رمضان وغير ذلك وكانت الآيات القرآنية والاحاديث النبويه في كل مكان مثل (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولاشكورا) في لوحة نفيسه معلقة في المطعم و (قل الخير وإلا فأسكت) في غرفة ضباط الداخلية لصفنا وجميع الكتب كانت تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم وبالصلاة على النبي الامين وهلم جرا .

ويوجد في المدرسة مطبعة تطبع فيها الكتب و الخرائط وكل ما تحتاجه المدرسة ، الطلاب والمعلمين والادارة وفيها مخازن ومختبرات للعلوم المتنوعة وخاصة للصفوف البيطرية ولصفوف الضباط مثل الحكمة الطبيعية لمباحث الضياء والكهرباء والميكانيك وغيرها .

والمراجعات كانت تجري بتقديم استدعاء (عريضة) الى ناظر المدرسة الثاني رضا باشا يطلب فيها صاحبها ان له افادة يود عرضها ولايجوز ذكر المطلب في العريضة مطلقاً ثم يدعوه الباشا اليه فعند اول مثوله بين يديه يبدأ فوراً بقراءة دعاء للسلطان بإطاله عمره وبقائه في العرش مدى الازمان يكون قد حفظه عن ظهر قلب ثم يسأله الباشا عن معروضاته فيبين ما يريد والاكثر تكون الاسترحام بطلب شيء ومن النادر ان تكون شكاية .

كانت الامتحانات شديدة ولكن الدرجات كانت توضع بعدل زائد حسب الجواب كماقدمنا

وبهذا كان الرسوب نحو الثلث في الصف الاول وأقل من الثمن في الصف الثاني وبالمائه اثنين او اقل في الصف الثالث لأن التصفية قد اجريت في الصفين الاول والثاني .

ابتدأت هذه المعاملة منذ الصف السابع والخمسين المتخرج في سنة ١٣١٧ رومية عندما كانوا في الصف الاول فقد رسب نصفهم تقريباً . والقانون يقضي بأن من رسب سنتين متواليتين او متفرقتين في ظرف الثلاث سنوات للدراسة الحربية يرسل الى الآلاي اي يكون جندياً ولكن اذا كان من الصف الاول فيكون برتبة چاوش (عريف) ومن الصف الثاني برتبة باش چاوش (رئيس عرفاء) ومن الصف الثالث معاون قول اغاسي وربما يترفع بعد ذلك الى رتبة ملازم ثاني وهو في الآلاي ولكنه لا يعتبر متخرج من المدرسة .

والذي عمل هذه التشديدات هو المير الآي (الزعيم) اركان حرب اسعد بك ناظر الدرس اي الناظر العلمي المكلف بشؤون الدراسة فهو لم يقبل هذه الوظيفة إلا بشرط ان يكون حراً في عمله فمنح ما اراد .

اما قبل ذلك التاريخ فكان الطالب اذا دخل المدرسة الحربية كان يحوز على رتبة ملازم ثاني عند اكمال الثلاث سنوات سواء اجتهد ام لم يجتهد فتعطى له درجات كافية على كل حال وكان المثل في بغداد (ان كل من عبر التختة صار ضابطاً) اي تختة الجسر في بغداد عند سفره الى استانبول وليس معنى ذلك ان كل المتخرجين سابقاً كانوا غير مجتهدين بل كان فيهم المبرزين والمشتغلين بجد واجتهاد .

وبسبب ما قدمناه من تشديد الامتحان و ملاحظة مسألة الرسوب بهذا القدر حيث ان صفنا كان الصف الثالث الذي واجه هذا التشديد اي ان صفنا كان التاسع والخمسين . شمرت عن ساعد الجد واشتغلت بصورة جدية تكفل لي النجاح .

وفي يوم من الايام استعرضت معلوماتي وانتقدت نفسي وحاسبتها محاسبة دقيقة عن كل درس على حده وبعد ان تبينت الدروس التي تحتاج الى اشتغال اكثر اجتهدت اجتهاداً ما عليه من مزيد الى ان نلت في الامتحان درجة عالية لم يسبقني اليها او يفوقها إلا نحو ثمانين شخصاً من مجموع ثمانمائة وعند اطلاع رشيد الخوجة مقدمنا عليها شوقني الى الاشتغال في السنة الثانية أكثر والثالثة كذلك لأتمكن من الدخول في مدرسة الاركان ولكني لم احرص على ذلك بل

نلت في الثانية درجة بمنزلة السنة الاولى تقريباً أما السنة الثالثة فخرجنا بدون إمتحان وتفصيل ذلك كان قد ترامى الينا بواسطة تلاميذ صفنا الإستانبوليين اننا سوف نتخرج ضباطاً بدون إمتحان ثم ان الادارة السنية صدرت ثم قالوا ان الشهادات كتبت وفوقها البيورلديات وهي ما يعطى من قبل السر عسكر (ناظر الحربية) ليدكل ضابط كل هذا ونحن لا نصدق لأن الخبر غير رسمي الى ان لم يبق بيننا وبين الإمتحان سوى اسبوع واحد وهذا الاسبوع يعلن فيه في العادة انقطاع الدروس ودوام المذاكرة فيتهيأ كل شخص لأداء الامتحان وفي اول يوم أو ثاني يوم من الاسبوع نفسه دعينا الى الحضور امام ناظر جميع المدارس العسكرية زكي باشا وقد وقف هو والپاشوات الآخرين على أقدامهم فدخلنا خمسة خمسة بأسمائنا وجرى تحليفنا اليمين وهو (دين ودولته و پارشاه) (وهنا ذكر التعظيمات اللائقه بألسلطان) (أفند مز حضر تلر نية صداقت وايجابنده اغور ميامن موفور جناب ظل اللهلر نيه فداي جان ايده جكمه يمين ايدرم الله و الله والله) أي احلف على ان اخلص للدين والدولة ولذات السلطان وعند الاقتضاء افديه بروحي) فيقول ذلك المشير جملة جملة ونحن نكررها وبعدها تقرأ اسمائنا كما مذكور في الشهادات التي بيده ويسلمنا بأيدينا كل شهادته وهذه هي الشهادة المدرسية للمدرستين الاعدادية والحربية .

ولتسويغ عدم اجراء الامتحان النهائي للصف الثالث قد ذكرنا فيها بأن الأهمية التي ابرزناها في الامتحانات الخصوصية (أي الامتحانين التي تجري خـلال السنة عادة) وامتحانـات التصديق فقد استحقينا نيل الشهادة .

وفي جانب آخر منها البيور لدى برتبة ملازم ثان فأخذناها وخرجنا .

والسبب في ذلك كما شاع في حينه ان قد حصل بعض التعديات في مكدونيا وإن بلغاريا آخذة في الاستعداد للحرب وكان القصد ارسال هذا الصف الذي يبلغ الستمائه ضابط تقريبـاً الى الاورديات (المعسكرات) الثاني ومركزه ادرنه والثالث ومركزه منا ستر وهما يقابلان اراضي بلغاريا فذهب كل منا الى باب سر عسكري (نظارة الحربية) ليفهم محل تعيينه ففهمت اني تعينت في الاردو الثاني بصورة عامة فأخذنا نشتري ما يقضي لنا للسفر وللحرب مثل قاريولة سفرية ومطهرة ماء ودوربين (منظار) وبعض الآلات والأدوات الاخرى الضرورية وبينما نحن منهمكون بهذه الامور صدرت الإرادة بأن أهل بغداد يجب أن يذهبوا الى بغداد افهمونا



من اليسار اولا تصوير المؤلف و الثانى الجالس سامى الارفةلى و الثالث حسين . ه .
اخذت هذه الصورة في استانبول قبل تخرج الصف المنتهى في المدرسة الحربية بسنة واحدة
في سنة ١٣٢٠ ه

بذلك فذهبنا الى النظارة الحربيه نستفسر عن ذلك فأعطونا الخرجراه (مصاريف السفر) لكل واحد منا اثنى عشر ليرة عثمانية فركبنا الباخرة ووجهتنا بيروت .

فإنقسمنا قسم على طريق بيروت ـ شام ـ دير الزور ـ بغداد وقسم على طريق الاناضول الى ديار بكر الى الموصل فبغداد

والعادة ان يجري توزيعنا على الطوابير (الافواج) من استانبول فلما صرف النظر عن

إرسالنا الى الروم إيلي لم تجد النظارة حاجة للتوزيع بل اودعت ذلك للجيش السادس نفسه فهو الذي يجري توزيعنا ويعين افوجنا بعد الوصول الى بغداد ؛

اما الدروس التي كنا نتلقاها في السنين الثلاثة فهي كما يلي : -

الناظر	المشير	زكي باشا	ناظر الدرس	(ميرألاي اركان حرب أسعد بك)
الناظر الثاني	فريق	رضا باشا	مدير الداخلية الثاني	(ميرألاي ابراهيم بك)
المفتش	فريق	اسماعيل باشا	ضابط الداخلية	(يوزباشي صلاح الدين افندي)
مدير الداخلية	فريق	ثروت باشا		

السنة الاولى

عقائد دينية	قائمقام اركان حرب ماجد
كتابة (انشاء)	مظهر بك (ملكي) يوزباشي على
التربية العسكرية	يوز باشي ثروت
التعليم النظري	الفريق رحمي باشا ميرألاي حلمي بك بيكباشي اركان حرب ناجي بك قول آغاسي طلعت
اللغة الافرنسية	موسيو بيلليون قول آغاسي عزيز - يوز باشي سليمان
الحكمة الطبيعية (الفيزياء)	قائمقام فتحي بيكباشي ابراهيم
الهندسة الرسمية	قول آغاسي نظمي
الكيمياء العسكرية	قول آغاسي خلوصي
الطبوغرافيا النظرية	ميرألاي اركان حرب شوقي - بيكباشي خليل - يوز باشي واصف
اللغة الالمانية	قول آغاسي اركان حرب علي رضا
الاشكال الهندسية	معلم الهندسة
ترسيم الخرائط	قول آغاسي علي حيدر
التعليم العملي	معلموا التعليم النظري
الطبوغرافيا العملية	معلموا الطبوغرافيا النظرية

السنة الثانية

العقائد الدينية	معلم السنة الاولى
التربية العسكرية	معلم السنة الاولى
التعليم النظري	معلموا « «
اللغة الافرنسية	« « «
فن المعماري (الانشاءات)	ميرألاي اركان حرب عثمان ـ بيكباشي اركان حرب صفوت
الخدمة السفرية	قائمقام اركان حرب محمد ـ بيكباشي اركان حرب ضيا
علم الاخلاق	مظهر بك (ملكي) ـ ملازم اول فاضل
الفروسية	يوزباشي حسني
قانون الداخلية	بيكباشي علي رضا
قانون الجزاء	ملازم اول علي رضا
اللغة الالمانية	معلم السنة الاولى
السفرية العملية	معلموا الخدمة السفرية
الاستكشاف	معلموا الطبوغرافيا في السنة الاولى
ترسيم الخرائط	معلم السنة الاولى
تعليم السيف	(المبارزة)
التعليم العملي	معلموا التعليم النظري

السنة الثالثة

التربية العسكرية	معلم السنين السابقة
التعليم النظري	معلموا السنين السابقة
اللغة الافرنسية	« « «
فن الاسلحة	قائمقام تحسين ـ يوزباشي عصمت
حفظ الصحة	ميرلوا ضيا باشا
التعبية النظرية	ميرألاي اركان حرب ـ عزت قول اغاس جلال

الجغرافية العسكرية	قائمقام محي الدين ، قول آغاسي كامل
تشكيلات الجيش	بيكباشي اركان حرب صبحي ، يوزباشي حقي
فن الاستحكام	مير ألاي أركان حرب نافذ ، قول آغاسي صفوت
اللغة الالمانية	معلم السنين السابقة
التعبية العملية	معلموا التعبية النظرية
أشكال الاستحكام	معلموا فن الإستحكام
الاستكشاف	معلموا السنين السابقة
التعليم العملي	معلموا التعليم النظري

الفصل السابع

ما علمته عن استانبول في ذلك الحين



مدينة استانبول من الجهتين - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ﻫ

الزي --

لباس أهالي إستانبول جميعاً السترة والبنطلون (السروال) والفس (الطربوش) بدون إستثناء مع فارق يسير فرز الفس للجنود والضباط مدور وللباقين منبسط والعلماء يلبسون الجبة فوق السترة و البنطلون وفي رأسهم العمامة وفي أرجل الجميع الجزمة أو البوتين للعسكريين و القوندرة والبوتين لغيرهم .

المصايف --

توجد قصور كثيرة وتسمى كوشك (القصر الذي في بستان او حديقة) ويالي (القصر الذي على البحر أو على النهر) معدة للإيجار على شواطىء البسفور .

فمن أراد الإصطياف يؤجر أحدها في أية قرية يراها مناسبة له فيقضي مع عائلته هناك فصل الصيف ثم يرجعون .

التكايا ـــ

توجد تكايا كثيرة للمولوية أعرف واحدة منها وهي التي في شارع بك اوغلي قرب مدخل التونيل وبداية ممر يركسلك فالديرم فيها دراويش مولوية ينتسبون الى طريقة (مولانا جلال الدين رومي) يعملون الذكر المعتاد عندهم فتراهم يتواجدون وهم يدورون حول أنفسهم بينما الآلاتية يضربون على القانون والكمان وغيرها يأذنون لدخول الاجانب مع نسائهم يجلسون في الطابق الفوقاني وينظرون الى الدراويش أثناء عملهم الذكر وفي باب المحل هذا وجدت شخصاً يدعو الاجانب للدخول بقوله (Derviches Tourneurs) الدراويش الدوآرة يكررها وهو يأخذ اجرة دخول من هؤلاء الاجانب .

الاسواق ـــ

كثيرة جداً ومنتشرة في كل مكان وجميع الطرق الرئيسية تحتوى على دكاكين ومخازن ومقاهي وغيرها .

غير ان اسواق المشهورة في إستانبول يكي چارشو (السوق الجديد) او بيون چارشو (السوق الكبير) أو قپالي چارشو (السوق المغطى) له شعب وله أبواب كثيرة وما يتصل به من سوق محمود باشا وسوق مرجان ومصر چارشوسي (سوق مصر) ودبستان وغيرها وكلها مجتمعة بين الجسر القديم وديوان يولي وميدان بايزيد والسركهچي والباب العالي وفي بك اغلي في نفس الشارع الكبير بوكسلك فالديرم وغلطة اسواق كثيرة ومتجمعـــة .

وأشهر مخزن في اوغلي او قل في جميع الاستانة هو (بون مارشة) فيه جميع أنواع البضائع له بابان الواحدة على الشارع الكبير والثانية على شارع تپه باش ثم يليه بازار المـــان وتبرينغ وغيرها واكبر مخزن في جهة إستانبول هو لاروزدي باك (عمر أفندي) وعدا ذلك توجـــد أسواق سيارة لكل يوم من ايام ألأسبوع تقريباً سوق بإسمه يجتمع في محل خاص .

أعرف أن الشارع (وهو سوق ايضاً فيه دكاكين) الذي يبتدىء من جانب البوسته خانـــة العموميه الى حد تختة قطعه يسمى (پازارايرتس بازاري) (سوق الاثنين) وكذا يوجـــد جهار شنبة بازاري (سوق الاربعاء) وبنجشنبة بازاري (سوق الخميس) وصالي بازاري (سوق الثلاثاء) وهكذا .

الافراح والمآتم –

لم نطلع على الافراح التي تجري في الإستانة ولا على المآتم لأنا ليس لنا إتصال بألأهالي أو العائلات ولم نحضر أمثال هذه الافراح او المآتم بالمرة ولو على سبيل المصادفة .

المدارس –

نذكر المدارس العالية فقط ونترك ما دونها لكثرتها :-

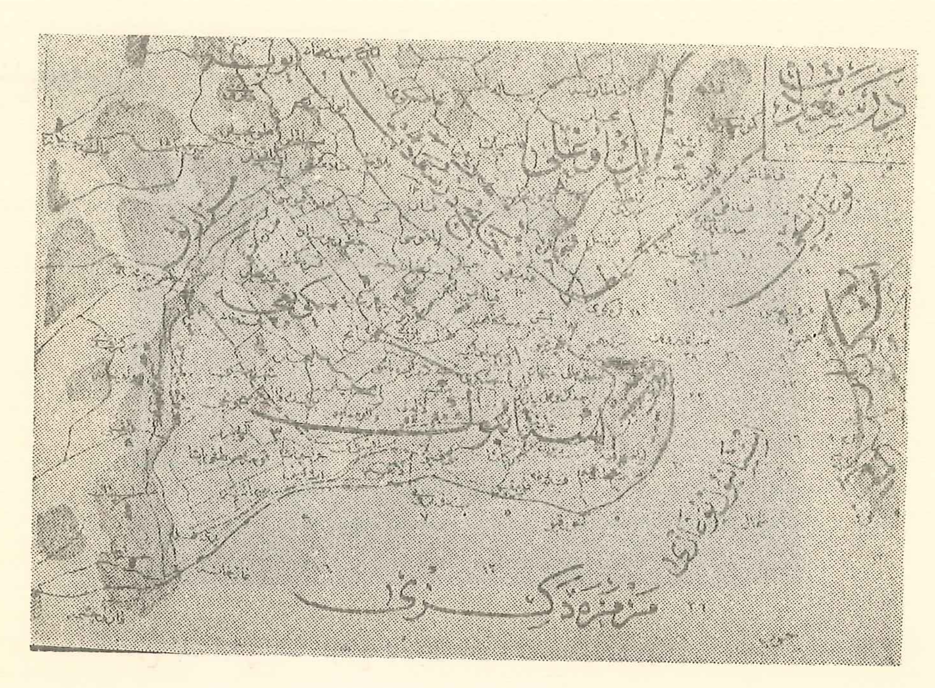
مكتب فنون حربية	لتخريج الضباط المشاة والخيالة	في المدرسة الحربية في بانقالتي
أركان حربية مكتبي	لتخريج الضباط ألاركان	« « « « « «
عشيرت صنفي	لتخريج ضباط اصلهم من العشائر	« « « « « «
عسكري بيطر مكتبي	لتخريج بياطرة عسكريين	« « « « « «
زاده كان صنفي	لتخريج الضباط أولاد الذوات	« « « « « «
مكتب طبية شاهانة	لتخريج الأطباء والصيادلة العسكريين	في حيدر باشا
مهند سخانة برىء همايون	لتخريج الضباط المدفعية وضباط الجسور والمعابر والاستحكام	في خاصكوي
بحريه مكتبي	لتخريج ضباط البحرية	في هكبه لي أطه
طبيه ملكية	لتخريج الأطباء والصيادله الملكيين	

دار الفنون ، حقوق شاهانة ، تجارت مكتبي ، هندسة ملكية ، ملكي بيطر مكتبي ، نواب مكتبي صنايع نفيسه مكتبي ، ملكيه شاهانة ، مكتب سلطاني، دار المعلمين ، دار المعلمات ، دار الشفقه دار الخير عالي .

المحلات –

تشتمل الاستانه بأقسامها الثلاثة (إستانبول ، بك اوغلي ، أسكدار) والضواحي تشمل على ٥٢٨ محلة .

(في استانبول وضواحيها) سركه چي ، باب عالي ، صماتيه ، وفا ، جراح باشا ، جبالي فلوريه ، چاتلادي قپو ، شهر زاده باشي ، دير كلراره سي ، آق سراي ، قوم قپو ، يكي قپو



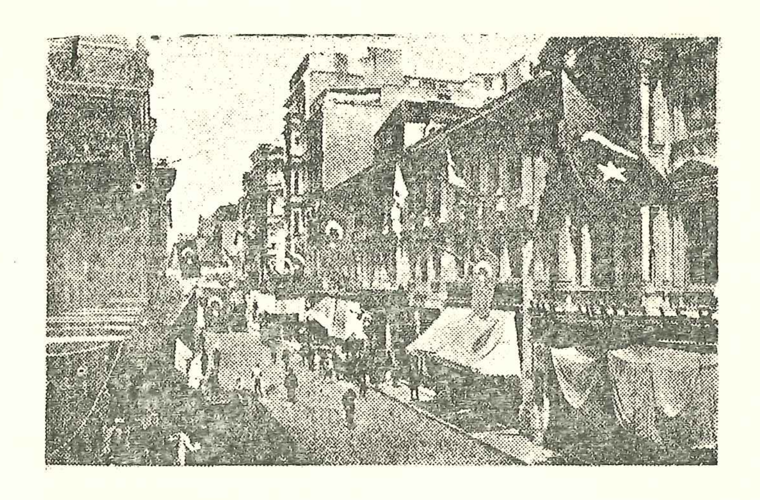
خارطة استانبول والمدن الثلاثه

يدي قله ، مقري كوي ، سان إستفانوس ، كوجك چكمجة ، اون قباني ، تختة قلعه ، بلاط ، قوسقه ، أيا صوفيه ، فاتح ، مرجان ، زيرك بوياچي قپوس ، داود باشا ، أيوب ، سلطـان احمد ، ايوانسواي ، اكري قپو ، طوب قوب ، كرچك مصطفى باشا ، سلطان سليم .

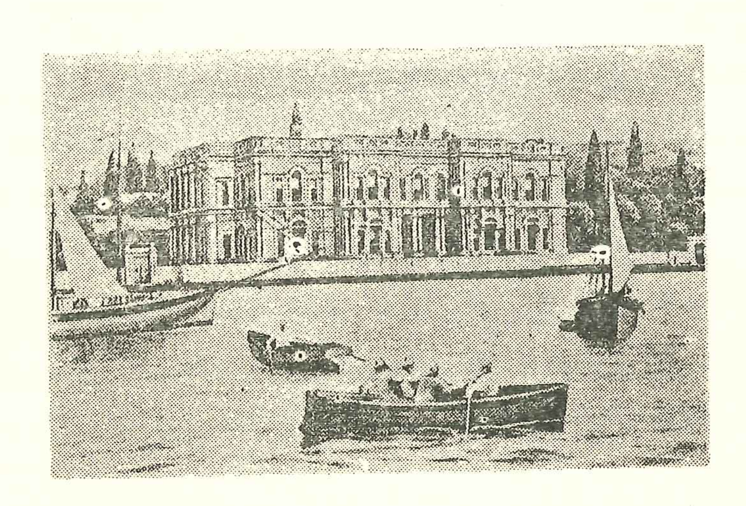
(في بك اوغلي وضواحيها) نشان طاش ، ماچقة ، فري كوي ، شيشلي ، ييلديز ، بشكطاش يوكسك قالديرم ، تيه باشي ، غلطه ، تقسيم ، غلطة سراي ، يكي كوي ، قاسم پاشا ، قباطاش كاغد خانه ، فند قلي ، طوبخانه ، پانقالتي ، سلحد آر أغا ، خاصكوي ، قوري چشمه ، ارنا دود كوس ، بيك ، روم إيلى حصاري ، مير كون ، يكي كوي ، طوابيه بيول دره ، روم إيلى قواغي .

(في اسكدار وضواحيها) حيدر باشا ، قاضي كوي ، مودا بروني ، فنار ، پندك ، طوب طاشي باشا قپوسي ، قوش دلي ، قزلراغاسي ، أسكي حمام ، مصرلي أغلي ، طوغا نجيلر ، قدز عنجق بكلر بكي ، جنكل كوي ، واني كوى قند يللي ، انا طولي حصار ، قانليجه ، جبو قلي . بكفوز

باشا بقچه سي :



شارع بك أوغلي احد شوارع استانبول المهمة - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ﻫ



سراي بكلربكي على ضفة البسفور في ساحل الاناضول في سفح تل بلغورلي وبناءه من الرخام الابيض
اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ﻫ

المطابع —

وعددها ٧٥ منها ١٠ تطبع باللغة التركية فقط و٦٠ باللغة التركية مع لغات اخرى غيرها

وواحدة بالارمنية و٢ بالروميه و٢ بالعربية منهـــا ٤١ بالحروف وعلى الحجر و٢٦ بالحروف فقط و٨ على الحجر فقط .

(منها ٣٣ تطبع الرسوم و٤٢ لا تطبع الرسوم)

(منها ٧٢ تأسست بين سنة ١٢٤٧ و ١٣١٥)

٣١ قبل السنة ١٣٠٠ و ٤١ بعدها

والثلاثة الباقية لايعرف زمن تأسيسها

فنذكر اسماء الشهيرات منها :-

مطبعة عامره ، مطبعه عسكرية ، مطبعة بحرية ، مطبعة عثمانية ، إقدام مطبعة سي محمود بك ، مهران ، قره بت ، قصبار ، ترجمان حقيقت ، معلومات ، سعادت ، آراكل .

الاماكن العامة —

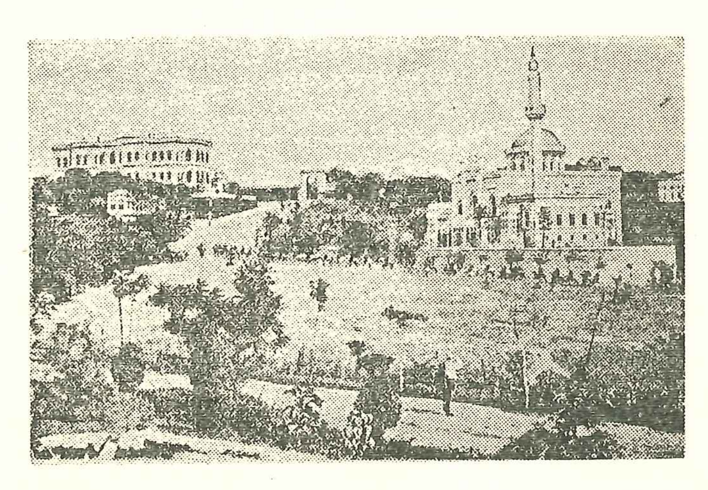
لا توجد اماكن عامة بالمعنى المفهوم اليوم كألنوادي والحدائق العامة والسينمات وغيرهـــا لأن السلطان عبد الحميد كان لا يرضى بألاجتماعات أياً كان نوعها وتوجـــد المقاهي فقـــط وحديقة واحدة تسمى (ملت باغچه سي) (حديقة الامة) وفي داخلهـــا مقهى جميل فترى ألناس منتشرين فيها يشربون القهوة والشاي (وغيره وقلما ترى جماعة تتجاوز الثلاثة أشخاص يتحدثون بأحاديث جدية خاصة وألسياسة وألوطنية فهذه كانت مخطورة وأعين الجواسيس منتشرة في كل بقعة من البلد وترى رواد المقاهي يلعبون النرد والورق وخاصة البليارد فهو منتشر في أغلب المقاهي .

اسم المدينة —

أسمائها كثيرة منها إستانبول وأصلها يوناني (is Tin polis) (إس تين پولي) أي الى المدينة وقسطنطينية بإسم قسطنطين ألأول ملك الروم الملقب بالكبير وبيزانس أو بيزانتين أو بيزانتيوم وهو إسمها القديم وفروق لأنها فارقة بين البحرين أي بين البحر الابيض المتوســط ويليه الأرخبيل ثم مرمره وبين البحر الأسود أو بين البرين بر اوربا وبر آسيـــا ثـــم حرفت إستانبول الى إسلامبول أي كثيرة الإسلام أو المسلمين والآستانه أي العتبة ورد عليه (الدار العليه) ودر سعادت (دار السعادة)

السلاملك ـ

ذهبت وكنت في الصف الثاني من الحربية ومعي إثنان من رفاقي وهم مجيد الحاج حسون الخياط ورؤوف بن حميد من الصف الاول فوصلنا الساحة التي بجانب المسجد المسمى حميدية



سراي يلديز وهو للسلطان عبد الحميد الثاني المخلوع ، كائن على محل مرتفع من بشكطاش الى (اورته كوي) وسميت يلديز اي (الكواكب) لعلو مكانها وهي عدة قصور مبنية من الرخام الابيض وتقدر المبالغ التي صرفت عليها بتسعة ملايين جنيه - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ه

وهو ملاصق لأبنية بيلديز - مقر السلطان وبلاطه - وقفنا هناك الى أن اتى الحرس الملكي وهو فوجان أحدهما كل أفراده عرب من قرى سوريا والآخر أرناؤد (البانيون) فالعرب لباسهم السترة والبنطلون (السروال) كالعادة وعلى رؤوسهم العمائم الخضر مبرومة وملفوفة ببروز تتميز به اللفه عن أختها كهيئة عقال أللف المعروف عنـد البغداديين وأما الأرناؤد فلباسهم الشروال (معربه سروال وهو غير البنطلون) والسترة وعلى رأسهم الفس .

فوقفنا خلف فوج العرب فجاءنا أحد أفراد البوليس (الشرطة) فمنعنا من الوقوف هنـاك فرجعنا ومنعنا كذلك مراراً متعددة وهو لايقول لنا شيئاً سوى إذهبوا من هنا فلما قرب مجيىء موكب السلطان وأشر البوقي ينقطه سكت الجميع كأن على رؤوسهم الطير فرأينا تلك فرصة فذهبنا الى محلنا الأول ولما تكلمنا فيما بيننا بالعربية قال لنا الجنود الذين أمامنا وهم عرب قفوا

ولا بأس عليكم الآن وسيمر السلطان وتنظروه فخرجت العربه من شارع يقع في الجهة المقابلة للجامع أي من الزاوية التي تشكل قطر المربع المستطيل مع باب الجامع وقد أحاط بالعربة القواد العسكريين وهم كثرة من خلفهـا وجوانبهـا أي قد طوقوهـا من عند مؤخر الحصان الى مؤخر الحصان الآخر في الجهة الاخرى يفوق عددهم الثلاثين وكلهم بالملابس الرسمية وحاملين جميع الوسامات والعلائم ولسان حالهم يقول نفديك بأرواحنا .

اما السلطان فكان جالساً في صدر العربة بملابس سوداء بسيطة وهي عبارة عن جبة سوداء فوق ستره وبنطلون مثلها وعلى رأسه الفس وقـد جلس مقابلـه الصدر الاعظم خايل رفعت باشا .

فمرت العربة من أمام باب الجامع ولم تدخله وعكفت على اليسار ومضت في شارع يؤدي الى جادة بشكطاش فأخبرنا الجنود العرب بأنه ذاهب ليصلي في جامع بشكطاش فيمكننا ان نذهب من شارع آخر دلونا عليه بالإشارة يوصلنا الى باب الجامع فذهبنا فرأينا الشارع المذكور مسدوداً (وكل الشوارع المؤدية الى الجادة) في وسطه وبالقرب من باب الجامع بجنود خيالة من الجدار الى الجدار لامنفذ بينهم فخاطرنا بأنفسنا وعبرنا عندما حصلت فرجة بتململ الخيل وجئنا فوقفنا تجاه باب الجامع منتظرين ورود العربة و بما ان سير العربة بطيء تأخر الموكب قليلا فجاءنـا بوليس آخر وصرفنا من هناك فعدنا مرة أخرى وصرفنا ايضاً وفي الثالثة صرفنا الى ماخلف الخيالة وقد تقرب الموكب وأشار البوقي فصار الجميع كأنهم أموات فجئنا الى محلنا ووصلت العربة فوقفت أمام باب الجامع ونزل منها السلطان فدخل وسلم على الرجل الواقف بباب الجامع سلام تواضع وذلك بانحناء ويده أوشكت أن تلامس الارض ثم إعتدل ووضعها على رأسه وقد عمل الرجل المذكور كذلك ودخل السلطان .

أما القواد الذين كانوا محيطين بالعربة فجاؤا الى مقصورة على يميننا تجاه باب الجامع جبهتها من الزجاج وجلسوا هناك يراقبون باب الجامع وهم لم يدخلوا ولم يصلوا وعند خروجه احتاطوا بالعربة كما فعلوا أولا وتجر العربة ستة من الخيول في ثلاثة صفوف ويركب على أحدهـا في الصف الاول أحد مساعدي السائق لحفظ الإتجاه .

والمساعد الآخر جالس بجانب السائق وهو الذي يسوقها أما السائق فلا يعمل شيئاً بل يحافظ

على الوضع والسائق ومساعداه كلهم ذو رتب ملكية وعلى صدورهم الاوسمة .

اعمال البلديات ـ

لم نطلع عليها حيث لم نختلط بألاهلين الا أنا نرى بعض الاصلاحات في تبليط الطرق .

واذا أريد إنشاء أو ترميم محل فتسد واجهته بالخشب الى فوق ويستمر الوضع هكذا ربما سنة كاملة أو أكثر وبعد الانتهاء من العمل يرفعون الخشب فتظهر بناية جديدة .

الجرائد والمجلات ـ

الرسمية منها ٨ وهي جريدة عسكرية (إسبوعية) وقائع طبية عسكرية (نصف شهرية) جريدة محاكم (إسبوعية) جريدة بحرية (نصف شهرية) مجموعة فنون بحرية (شهرية) مجموعة امور نافعة وزراعت (نصف شهرية) زراعة مجموعة سي (نصف شهرية) درسعادت تجارت اوطه سي غزته سي (إسبوعية) (وهذه كلها باللغة التركية إلا الاخيرة فبالتركية والافرنسية) وغير رسمية ٤١ منها ٢ بالتركية والإفرنسية وما (جريدة أماكن الصحة وثروت) وواحدة عربية إسمها (معلومات) و١ تركية العبارة يونانية الحروف و٢ تركية العبارة أرمنية الحروف و٢٧ بلغات مختلفة وهي (٣) الإفرنسية والإنكليزية و٨ أرمنية و«١» الالمانية و«١» الايطالية و«٦» يونانية و«٤» البلغارية و«١» الصربية و«٢» العبرية و«١» الإفرنسية .

والباقي هي المهمة وعددها ٩ سياسية يومية وكلها باللغة التركية اليك هي :ـ

(اسمائها ومواعيد نشرها واصحابها)

ترجمان حقيقت	يومية	محمد جودت أفندي
سعادت	نصف اسبوعية	محمد نورى أفندي
صباح	يومية	مهران أفندي
اقدام	»	احمد جودت بك
مصور ثروت فنون	اسبوعية	احمد احسان بك
معلومات	يومية	طاهر بك
ارتقا	إسبوعية	ممدوح بك
خانملره مخصوصي غزته	اسبوعية	محمد طاهر بك

چو جقلره	اسبوعية	محمد طاهر بك
مصور ترقى	اسبوعية	فائق أفندي

والمجلات «٦» وهي «١» فرنسية «٢» يونانية «١» ارمنية «٢» تركيه والاخيرتان

معلومات	طاهر بك
مجموعة ادبية	محمد أكرم بك

المكتبات —

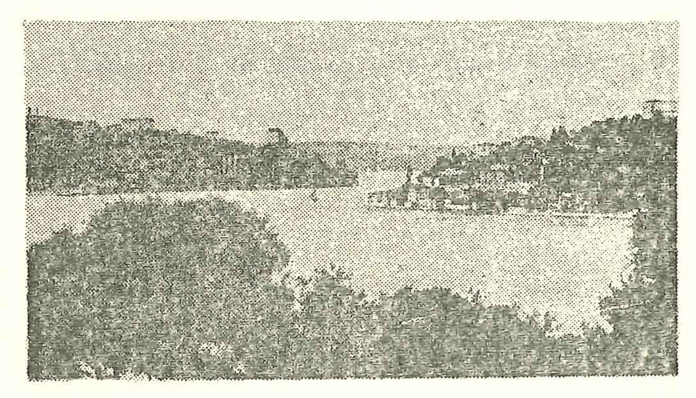
الخاصة منها ٤٧ فيها من الكتب ٧٣١١٩ أقلها ١٩ وأكثرها ٩٤٥٢ نذكر المهم منهـا التي تحتوي على ٢٠٠٠ كتبا فما فوق .

العنوان	عدد الكتب	تأريخ التأسيس	الواقف أو المؤسس	المحل الموجود فيه
كوپريلي محمد باشا	٣١١٨	١٠٨٨	كوپريلي محمد باشا	قرب چنبرلى طاش
حميدية	٢٢٥٢	١٠٩٤	سلطان عبد الحميد أول	في المدرسة بجوار بقچه قپوس
عاطف أفندي	٢٨٥٧	١١٠٤	عاطف أفندي	قرب شيخ وفا
عاشر أفندي	٢٢٦٤	١١٥٤	رئيس الكتاب مصطفى أفندي	بجوار الاجد حمام في باغچه قپوس
فاتح	٦٣٣٠	١١٥٥		في جامع الفاتح
نور عثمانية	٥٠٥٣	١١٦٩	سلطان عثمان	في جامع نور عثمانية
ولي الدين أفندي	٣٤٨٤	١١٧٥	شيخ الاسلام ولي الدين أفندي	في جامع السلطان بايزيد
واما زاده قاضي عسكر محمد أفندي	٢٣٥٤	١١٨٩		في جهار شنيه في دار المثنوي
ايا صوفية	٥٣٠٧	١٢٥٠		في جامع ايا صوغيه
أسعد افندي	٣٩٤٣	١٢٦٢	نقيب الاشراف اسعد أفندي	في جوار أيا صوفية
كتبخانه عمومي	٩٤٥٢	١٣٠٠		في جوار جامع السلطان بايزيد

والمكتبات التجارية العامة لايحصيها عدد فهي في محلين في جـادة الباب العـالي والشوارع المجاورة لها وفي حكاكلر چارشوسي في با يزيد وما يجاورها من الشوارع والميادين ويوجد غيرها متفرقه في الاسواق الاخرى والمحلات وخاصة في جادة بك اوغلي وبوكسلك مالـديرم وغيرها .

نظرة عامة — (القسطنطينية)

تشتمل على ثلاثة أقسام : - إستانبول وهي البلدة الأصلية التي كانت في زمن الفتح (وكان معها قسم صغير يسمى غلطه) وبك اوغلي ومعه غلطه يفصل بينهما قرن الذهب(Corne d or) وكلاهما فى الجانب الاوربي و اسكـدار وهو في الجانب الآسيوي يفصل بينـه و بين القسمين



صورة بوغاز استانبول من الداخل وهو ألبوغاز الذي خطه العامل الحقيقى ليفرق بين القارة الاوربه والاسيويه وهو دليل على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى . اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ه

بوغازايچى (البسفور) وهذا يصل بين البحر الاسود وبحر مرمره وهذا الأخير ينتهي ببوغاز الدردنيل أو چناق قلعه ثم يتصل ببحر الأرخبيل (إيجه) وهذا يتصل بالبحر الابيض المتوسط. وعلى طرفي الدردنيل بلدة چناق قلعه في الساحل الآسيوي وبلدة كليبولى في الساحل الأوربي .

ونفس إستانبول مثلثة الشكل تقريباً رأسه من جهة الشرق يطل على البوسفور وضلعه الجنوبي يطل على بحر مرمره اما ضلعه الشمالي فيطل على قرن الذهب ويقابله ساحل غلطه وضلعه الغربي أي قاعدته تنتهي في البر يحدها من هذه الجهة سور يوصل بين بحر مرمره و قرن الذهب ولهذا

السور أبواب عديدة أولها من الشمالي باب أبو أنسراي واكرى قپو (الباب الأعوج) وادرنه قپوسي (باب ادرنه) وطوب قپو (باب المدفع) ومولونخانه قپوسي (باب المولويه) وسيلوري قپو (باب سيلوى) ويدى قله قپوسي (باب الأبراج السبعة) .

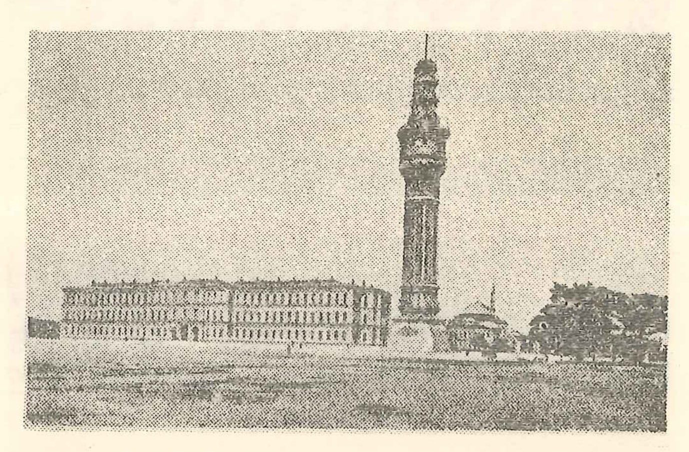
وإستانبول واقعة على ستة تلول بينها ستة أودية

في التل الأول سراي طوب قپو وجامعي ايا صوفية والسلطان أحمد وما جاورها وفي واديه الباب العالي وما جاوره .

وفي التل الثاني چنبرلي طاش وجامع نور عثمانية وما جارهما .

وفي واديه بالق پازاري ويكي جامع وما جاورهما .

وفي التل الثالث باب عسكري (نظارة الحربية) والبرج ووزارة الماليه وجامع السلطان بايزيد وجامع السلطان سليمان .



بناية النظارة الحربيه للدولة العثانيه في استانبول - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ ه

وفي واديه المحال التي تنتهي بالجسر القديم

وفي التل الرابع - جامع السلطان محمد الفاتح وما جاوره .

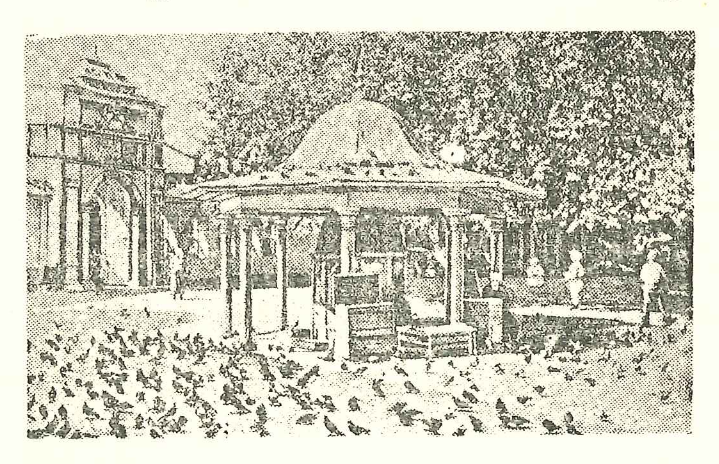
وفي داويه محلة آق سراي وماجاورها .

وفي التل الخامس جامع السلطان سليم .

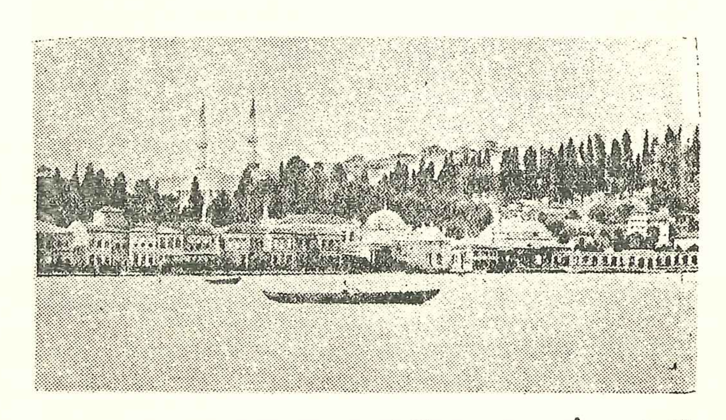
وفي واديه أسكله ومحلة فنار وكل جامعي (جامع (الورد)

وفي التل السادس الاسوار البريه .

وفي واديه جامع أبي أيوب الأنصاري ومحلته وهذا الوادي خارج السور .



صورة ساحه جامع ابي ايوب الانصاري التاريخي من الداخل في استانبول - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ هـ



جامع أبي أيوب الانصاري - أقدس جامع في الاستانة فيه رائع اللواء النبوي السيد ابي ايوب الانصاري رحمه الله . وعند المنادات بالسلطان الجديد الى هذا الجامع يقلدونه سيف عمر بن الخطاب رض عنه فهو مقام التتويج عند ملوك اوربا - اخذت الصورة سنة ١٣٢١ هـ

الملاحة -

هذه فصلناها في بحث وسائل النقل وذكرنا الشركة الخيرية والإدارة المخصوصة وعـدا ذلك توجد زوارق كثيرة نفيسة الصنع يستأجرها البعض للمحال القريبة أو للعبور وغيره ثـم

البواخر التجارية الكبيرة العائدة لشركات أجنبية مختلفة تدخل وتخرج الى الإستانة ومنها تحمل الاموال والمسافرين .

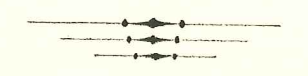
محال العبادة أولا (الجوامع) وهي ٤٨١ جامعاً منها ٨٩ محولة من كنائس والمهم منها :-

الاسم	عدد المآذن	الموقع	باني الجامع
جامع السلطان احمد	٦	في آت ميداني (ميدان الحصان)	السلطان أحمد الاول
جامع السلطان بايزيد	٢	في ميدان بايزيد	السلطان بايزيد الثاني
جامع السلطان سليمان	٤	في محلة السليمانية	السلطان سليمان الاول
جامع السلطان محمد الفاتح	٢	في محلة الفاتح	السلطان محمد الثاني (الفاتح)
جامع ابا صوفيا	٤	في محلة ابا صوفيا	
جامع ابا صوفيا الصغير	١		
جامع رستم باشا	١	في تحتة قلعة	رستم باشا
جارع صوقوللي محمد باشا	١		
جامع شهر زاده	٢		السلطان سليمان الاول
يكي جامع	٢	قرب ميدان الجسر الجديد	والدة السلطان مراد الرابع وابراهيم الاول
جامع أبي أيوب ألانصاري	٢	وفيه تقام حفلة تقليد السيف للسلطان الجديد وذلك بمقام التتويج عند ملوك النصارى	السلطان محمد الفاتح
جامع خرقة سعادت		في سراي طوب قبو	والدة السلطان عبد الحميد
جامع السلطان سليم	٢		السلطان سليم الاول
والده جامعي	٢	في آق سراي	والدة السلطان عند العزيز
كل جامعي (جامع الورد)		في محلة كوجك باشا	
جامع بياله باشا		في محلة قاسم باشا	

نبذة عن جامع العرب وتاريخه ـ

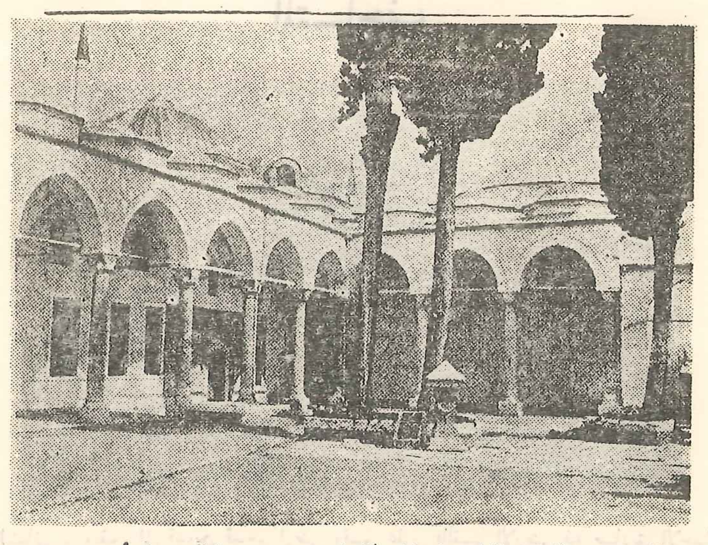
هو تحت الارض ينزل اليه بدرج في غلطه .أنشيء هناك حين حصار القسطنطينية في سنه ٤٨ هجرية ثم أعيد بنائه مرة ثانية سنة ٩٨ هجرية - وبما أنـه تحت الارض يسمى (يرالتي جامعي) الجامع تحت الارض .

الاسم	عدد المآذن	الموقع	باني الجامع
جامع خاصكي		في محلة سيلورى قپو	السلطان سليمان الاول
جامع خوجة مصطفى باشا			الوزير مصطفى باشا
قعريه جامع	١	في ادرنه قپوسى	
جامع داود باشا		في طريق سياورى قبو	
جامع قليج علي باشا			
جامع عتيق علي باشا		بقرب جنبرلي طاش	علي باشا الصدر الأعظم
جامع عتيق مصطفى باشا		بقرب باب ابو انسراي	
جامع فتحية	١		
جامع مير آخور		قرب يدي قله	
جامع لاله لي	٢		السلطان مصطفى الثالث
جامع محمود باشا		في جوار نور عثمانية	
جامع مهرماه	٢	بقرب باب ادرنه	
جامع نور عثمانية	٢	قرب بيول چارشو (السوق الكبير)	
جامع نصرتية	٢	باتصال الطوب خانة	

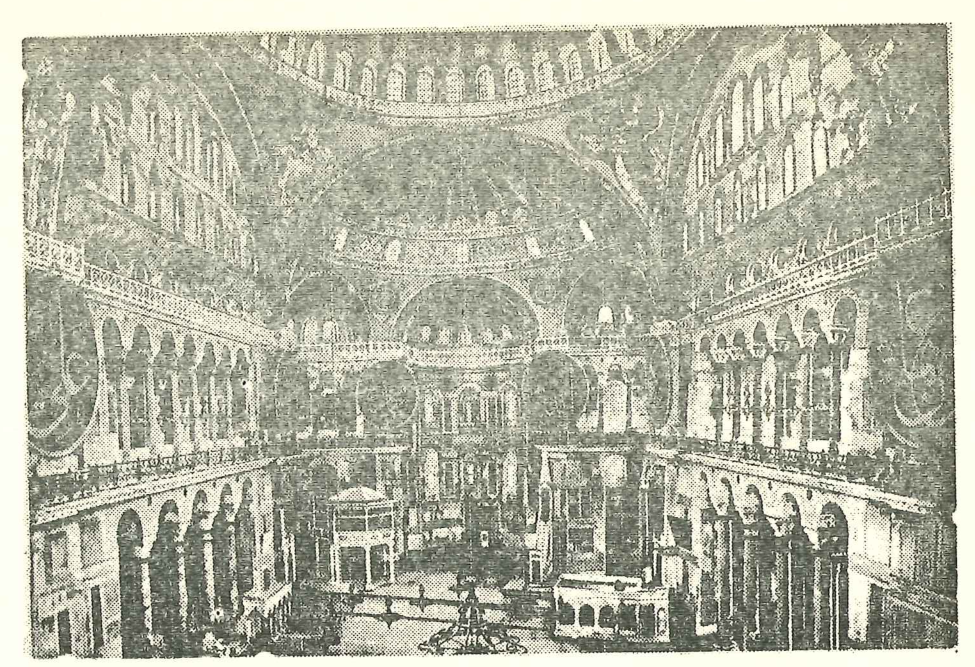




جامع أيا صوفيا من الخارج في استانبول

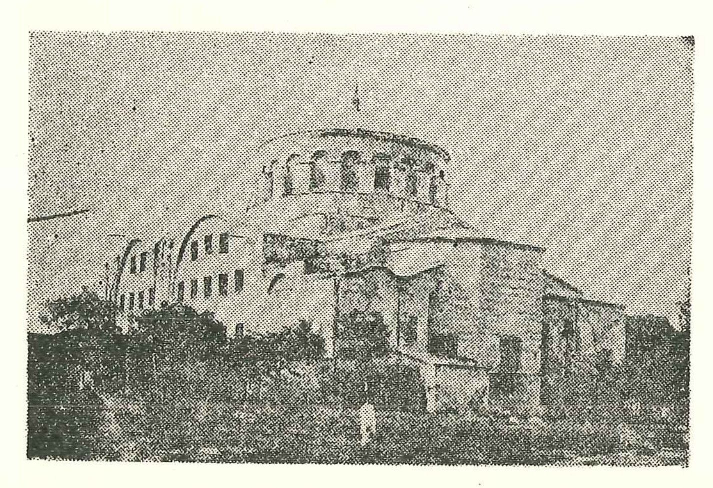


صورة جامع الخرقة الشريفه من الداخل العائدة لرسول الانسانيه - وهي عبارة عن رداء أسود من شعر الابل كان يضعها الرسول عليه افضل الصلاة والسلام على منكبيه . ومصاحف خطيه بخطوط الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والرايه النبويه الشريفة محفوظه لهذ الجامع لذلك سمي (جامع الخرقة) اخذت الصورة سنة ١٣٢١ هـ



جامع أيا صوفيا الصغير (كوجك أيا صوفيا) كائن في ساحل بحر مرمرة بالجهة الجنوبية من (آت ميداني) وله اهمية تاريخية

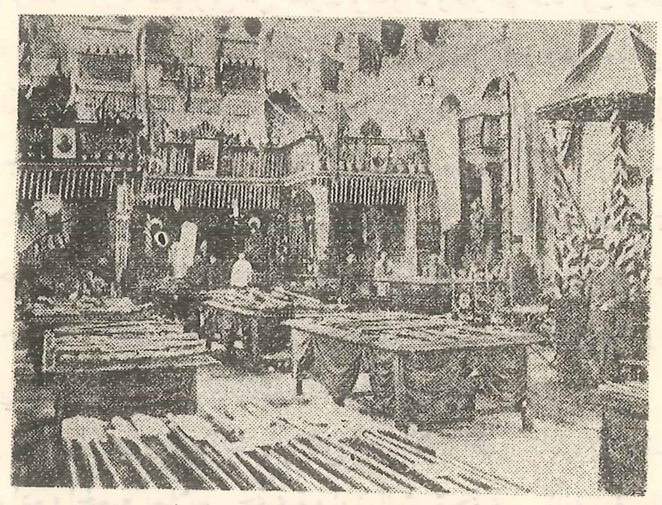
المتـاحف



صورة المتحف العثماني - وينقسم الى قسمين قسم ارضي وقسم علوي فالقسم الارضى فيه صناديق الاجساد المحنطة من اليونان والرومان والاثار المحفوظة من زمن اليونان والرومان . والطبقة العلوية فيها اثار الاشوريين والكلدانيين والمصريين والجواهر والمسكوكات والكتب القديمه والبناية بالاصل كنيسة تسمى (سانت ايرن) اخذت الصورة سنة ١٣٢١ م

المتاحف ـ (المتحف القديم)

وهو في سراي طوب قپو لم نحضى برؤيته لأنه يفتح كل أيام الاسبوع عـدا الجمعه ونحن عطلتنا الجمعة فقط .



صورة ثانية للمتحف العثماني من الداخل وهو كائن في سراي (طوب قبو) قريب من المتحف العربي للاثار القديمه وكانت هذة البناية كنيسة تسمى (سانت ايرن) بنيت في عهد قسطنطين الكبير في اوائل العصر الرابع المسيحي

متحف اليكي جرية ـ

(الانكشاريه) (الجند الجديد) ـ وهوفي آت ميداني (ميدان الحصان) وهو يفتح كل يوم فذهبت اليه يوم الجمعة واجرة الدخول اليه غرشان ـ ترى فيه تماثيل الجنود من جميع الصنوف والرتب ورجال الدولة والوزراء والصدر الاعظم والجميع بملابس حقيقيه جالسين أو واقفين وكأنهم يعملون بعض الاعمال .

فرأينا الصدر الاعظم جالساً فوق قنبة كبيرة خاصة به قد ملأها بضخامته وهو بملابسه من الجبة والعمامة حتى الحذاء موضوع أمام القنبة .

ومن الجنود إثنان بملابسهما الخاصه حاملين قدر الطعام قد عبرت حلقاته في خشبة طويلـة موضوعـة على كتفيهما و إثنان أو ثلاثة آخرون جالسون على كرسي احدهمـا بيده آلـة تشبه الطنبور أو الطار ـ الإيراني تسمى بالتركية (ساز) ويده فيها كأنه يضرب عليها وامامهم

منقلة فيها فحم والرمادوفوقها الاذرة المصرية يشوونها ليأكلوها وأشكال اخرى عديدة .

متحف باجيكا ـ

وهو خصوصي لا يعود للحكومة في محل شارع بك اوغلي اجرة الدخول اليه ثلاثة قروش صاغ فيه رجال ونساء اوربا الشهيرين من الملوك والقواد وغيرهم عند اول دخولنا رأينا جان دارك الإفرنسية مربوطة الى عمود كأنها تحترق كما احرقها الانكليز وهي حيه وايوان كبير فيه جملة ملوك وملكات مع اتباعهم وهم وقوف ثم رواق طويل على جانبيه رجال ونساء وهم في صناديق من الزجاج ولهم حركات بآلات مخفية تحت كل منهم. اذكر رأيت جندي مجروح في صدره وهو يتحرك حركة المتألم وكأن الدم يسيل من جرحه وفتاة واقفة تدور الى اليمين والى اليسار وتحرك عيونها كأنها تحدث عن ما اصابها وإمرأة مضطجعة على ظهرها وولدها الطفل فوق صدرها له اجنحه يرفرف بها وهي تبدي له حنواً وتحرك يديها وعينيها كأنها مفجوعة به وهي تحلم انها تراه مع الملائكة وقد جاء لزيارتها .

ونساء عجائز يلعبن الورق وغيره ذلك وفي محل آخر الامبراطور نابليون بونابرت بعظمته واقفاً وحوله قواده والجميع بملابس حقيقية ولون البشرة حقيقي كأنهم لم يفقدوا إلا النطق ثم يوجد سرداب تحت القاعات فيه نخلات وبجانبها اسد وحيوانات اخرى ورجال من السودان ـ لااكتملك ـ عندما دخلت خفت فرجعت حيث لم يكن معي أحد من المتفرجين خاصة والنور ضئيل فطلبت من أحد أصحاب المحل ان يأتي معي بحجة ان يرشدني ويعرفني بما أرى فجاء فأبقيته معي الى ان رأيت ما يجب ان ارى .

اذكر اني رأيت هذا المحل مرتين وفي المرة الثانية كان معي احد الاصدقاء فتمكنا معاً من رؤية كل شيء بصورة مفصلة وعلى مهل .

التمثيل والرقص ـ

محال التمثيل (ويسمى عندهم تياترو) الشهيرة ثلاثة اولها ادارة مناقيان وهو ارمني وفيه تمثل الروايات الجدية واكثرها درام (أي مؤثرة تسمى عندهم فاجعة) والثاني حسن ورواياته كلها تقريباً من النوع المسلي غير المفجع ومعناها قومندي (مضحكات) والثالث شوقي وروايات كذلك إلا ان حسن شهرته بالمضحكات أكثر والإثنان حسن وشوقي يوجد عندهم

رقص وغناء أيضاً اما مناقيان فلا يعرف الرقص بألمرة وإذا كانت الرواية مؤثرة جداً بحيث أبكت الحاضرين يشفعها بقوميدي (مضحكات) يسيره ليزيل ماعلق في صدورهم من التأثر وهؤلاء الثلاثة مجتمعون في محل يدعى دير كلداره سي (بين ألاعمده) من محلة شهزاده باشي:

اما ترتيب وتنظيم التمثيل فعلى براعة وإتقان تامين خاصة مناقيان فألمسرح كبير جداً عرضاً وعمقاً وله من الستائر ما يجاوز الخمسين ستارة معلقة الواحدة خلف الاخرى ينزلونها حسب الادوار ولديه بعض الجدران السيارة من الخشب ذات أبواب وشبابيك يضعونهـا في المسرح ويرتبون منها داراً بقاعداته وغرفه او ينظمون سوقاً يحتوي على دكاكين كثيرة فيها مالـذ وطاب من الفواكه والحوائج المتنوعة واصحابها جالسون فيها والناس يتجولون في هذا السوق وتشتري وتسلم الدراهم كأنه سوق حقيقي والمواد كلها حقيقية .

وتظهر عربة من الخشب بجيادها وركابها تمر من جهة الى أخرى او زورق والجالسون فيه يجذفون كما ولو كان تحتهم ماء وترى جوقاً موسيقياً هـذا مشكل من كل نوع من البشر فيه شيوخ وكهول وشبان واطفال وفتيات حسب ما تقتضيه الرواية كل ذلك بصورة طبيعية لاتجد في وجوه النساء أثر للمساحيق والزينة خاصة وهو لا يخرج غير روايات مفجعة ناهيك بالملابس المتنوعة العسكرية والملكية وحتى الكهنوتية حسب الرواية ووقت وقوعها وكـذلك الادوات الاخرى من الكراسي والمناضد والمحابر والاقلام والاطباق وأدوات الطعام الاخرى وما أشبه أي إنها شركة كبيرة ذات رأس مال ضخم .

اما الروايات فلا تتصور فيها ما يمس السياسة او يبحث عن الوطنية او الحالة الاجتماعية إلا ما كان يخص الاحوال العائليه والامور التجارية او تقبيح الجرائم و القمار والمسـكرات ونتائجها الوخيمة لأن السلطان عبد الحميد كان لا يرضى ان ينتبه الشعب او الناس لكل مايتعلق بنوع الحكم او الاتحاد والتعاون والتضامن وما أشبه .

اذكر اني ذهبت الى تياترو ا مرة واحدة فقط اما مناقيان فقـد ذهبت اليه اكثر من عشرة مرات خاصة في الاعياد .

كان عطلة المدرسة شهر رمضان فقط في فري كوى قرب المدرسة الحربية مقهى يسمى عثمان بك كازينوسي (كازينو عثمان بك) فطلب اصحاب المقهى من رضا پاشا الناظر الثاني لمدرستنا ان يأذن

لنا بإرتياد المقهى المذكورة لتمضيه السهرة فيها وكان فيها تياترو لا بأس بـــه يبتدىء برواية مختصرة بين المسليه وبين المؤثرة وبالاكثر (قوميدي) مضحكة ثم يشفعه بالرقص وفيه فتاتان تشتركان بالرواية وتباشران بالرقص بعدها فكنا من المواظبين بها كل شهر رمضان .

ومما هو جدير بالذكر ان الفتيات كلهن من النصارى او اليهود وليس بينهن واحدة تركية مسلمه .

لا بد وأن يعترض القارىء عن سبب وجودنا في المدرسة اثناء العطلـــة وذلك ان جميـــع الإستانبوليين يذهبون الى بيوتهم ومدارس روم ايلي ومدرسة الشام ومدرســـة بروسة كذلك لقرب المسافة . إلا أهالي بغداد وأهالي ارضروم فنبقى في المدرسة نأكل و نشرب ومبيتنا فيهـــا وعلينا تفتيش فالذي لم يحضر للمبيت يعاقب وذلك لعبد المسافة حيث انا قطعنا المسافة من بغداد الى استانبول بمدة ٤٥ يوماً فألذهاب الى بغداد والاياب منها اذن يقتضي ٩٠ يومـــاً والعطله شهر وكذا اهالي ارضروم ولو ان مسافتهم اقرب لكنها لايكفيهـــا للذهاب والاياب اقل من خمسين يوماً على أقل تقدير .

ويوجد ايضاً تياتروات اخرى في بك اوغلي على رصيف الساحل يبتدىء من رأس الجسر الجديد الى مسافة كبيرة على جهة اليسار اذا كنت متوجهاً الى الجسر وهذه لا تتجاوز الخمسة عداً منها صامت ويسمى (بانتو ميم) تجري الروايات فيه بالإشارة كأنهم خرس ومنها ناطق وهو يشابه تياترو عثمان بك ولكن الرقص فيه مبذول بدرجة ان الراقصات لا تقل عن خمســـة يرقصن منفردات ومجتمعات ولا يوجد مسلمة تشتغل بألتياترو او الرقص مطلقاً ابداً .

ويمكن الحاق (قره كوز) خيال الظل بهذا الباب يوجد منه أماكن متعددة لا يدخلهـــا إلا الاطفال و المراهقين فلم ندخلها نحن بتاتاً - وخيال الظل هذا كان مستعملا في الاندلس أيـــام حكومة العرب هناك وقد ذكرناه تفصيلا في الفصل الرابع من هذا القسم .

النفوس —

يبلغ سكان الاستانة بأقسامها الثلاثة (إستانبول ، بك اوغلي ، اوسكلدار) والقرى التابعة لها في سنة ١٣١٧ هجرية نحو (١١٢٠٠٠٠ مليون ومائة وعشرون الف نسمة) منهم ٧٧٠٠٠٠ نسمة مسلمون .

منهم ٢١٥٠٠٠ يونان
ومنهم ٩٠٠٠٠ أرمن
ومنهم ٤٥٠٠٠ إفرنج ونصارى وإسرائيليون

١١٢٠٠٠٠ ألمجموع

الاستصباح —

يستعمل لذلك (هو اغازي) يستخرج من الفحم الحجري على ما قيل لناوله معمل خاص خارج البلد لم نره يرسل من هناك في انابيب حديدية تمتد لجميع البيوت والشوارع ففي الشوارع تمتد الانابيب تحت الارض وترتفع داخل اعمدة فوقها فوانيس مسدسة الشكل صغيرة القعر كبيرة الاعلى تشابه فوانيس النفط التي كانت مستعملة من قبل البلدية في بغداد ولها حنفية عند نهاية الانبوب داخل الفانوس اذا اريد اشعالها تفتح الحنفيـــة فيخرج من الثقب الصغير هواء تسمع حفيفه فما عليك إلا ان تدني عود الثقاب المشعول من ذلك الحفيف فتتكون الشعلة ويستمر الحفيف فتحصل الاضاءة واذا اردت إطفائه فتسد الحنفية فقط ولكن الضياء يميل قليـــلا الى الإحمرار .

اما في البيوت فترى الأنابيب ممدودة الى صحن الدار والى الغرف جميعها والمطبخ وغيره كما في التأسيسات الكهربائية بألتمام وترى الانبوب يرتفع على الجدار وينحني الى السقف ثم يدلى منه مقدار كاف فينحني بزاوية قائمة قدر ربع متر او أكثر ثم ينحني ايضاً بضعة سانتمترات الى فوق وهناك الحنفية قرب الفوهة وبعضاً يكون الانبوب المدلى ذو شعبتين او أكثر والبعض يضعون فوق الشعلة فتيله مشبكة من نوع المستعمل في لمبات لوكس فيكون الضيـــــاء أبيض ناصعاً كألكهرباء .

المياه —

لا يوجد نهر في الاستانه يستساغ شرب مائه واكثر ماء الشرب من العيون (المنابع) وهذه تختلف في طعمها اولهم ترقوس وهو الارداء يستعمل لغير الشرب على الاكثر ثم التقسيم ثـــم الكاغد خانة ثم قره فولاق فماء الترقوش يوجد في كل مكان والتقسيم في محل في بلك اوغلى يقال له التقسيم (اي مفرق الطرق) وهذان النوعان يرسلان الى البيوت في انابيب على كل حال لأني

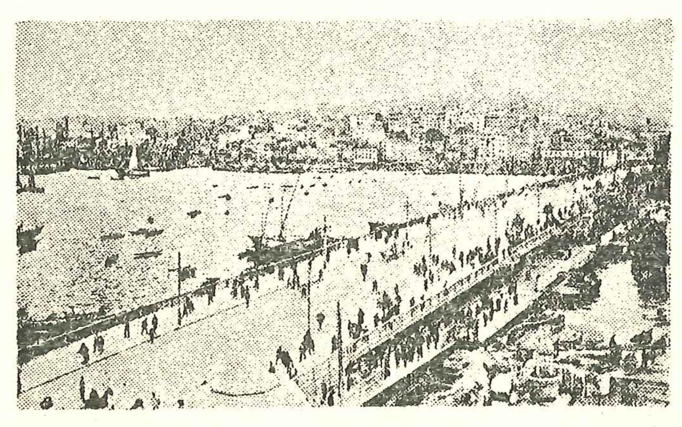
لم ار سقاء واحداً ينقل هذه المياه اما ماء الكاغد خانــة فيأتى به في براميل صغيرة بواسطة عربات الحمل وماء قره قولاق يباع في القناني بالمطاعم كل قنينة بنصف قرش صاغ ويوجد غير هؤلاء لا أدري درجتها من الجودة .

وقانلي قواق يؤتى به الى السلطان والى كبار رجال الدولة والأغنياء وخونكار صوبي (مـاء السلطان) وغيره .

وفي سنة ١٣١٨ اجريت المياه من الكاغد خانه بأنابيب وعملت چشمات (مفردها چشمه=عين) وهذه بناية مربعة الشـكل الى ارتفاع متر تقريباً فيكون ضلع المربع فيها ثلاثة ارباع المتر والى اعلى من ذلك نصف متر تقريباً وفيها تضليع وبعض الزخرفة وفي الاعلى كهيئة القبـة وهـذه تكون من المرمر وعدا الفاصل بين القسمين تكون اربع حنفيات في الجهات الاربـع وفيهـا المشروبات مربوطة بسلاسل يشرب منها من أراد .

انشأت هذه الجشمات في المدرسة الحربية وبوضع اخر مثلها في الجهات المزدحمة من بك اوغلي وإستانبول :

الجسور -



صورة جسر الجديد في استانبول - اخذت الصورة سنة ١٣٢١هـ

يوجد في الاستانة جسران راكبة فوق عومات حديدية احدها يقال له يكي كوبرى (الجسر الجديد) وهو الذي بين غلطة في بك اغلي وبالق بازاري ميـداني (ميدان سوق السمك) في استانبول طوله نحو ٤٥٠ متراً متحرك من وسـطه يفتح لمرور البواخر التي تدخل الى القرن

الذهبي او تخرج منه ولا يفتح إلا ليلا يوجد في طرفيه عوامات اخرى مربوطة بعوامات الجسر فوقها اسكلات لمرسى البواخر التي تنقل الركاب الى كل الجهات (انظر وسائل النقل في هــذا الفصل) ومقاهي ودكاكين باعة الفواكه والمرطبات وحمام بحري .

والثاني يقال له الجسر القديم (أسكي كوپرى) وهو في بلك اوغلي في استــانبول انشيء في سنة ١٢٥٣ هجرية .

والاجرة في الجــسر الجديد ـ لمرور الاشــخاص ربع قرش صاغ وللدواب والعربات اكثر من ذلك أما الجنود وتلامذة المدارس العسكرية وجميع الضباط الى رتبة مشير فمعفوون من الرسم اما الجسر القديم فلم أمر عليه ولا ادري إذا كان يستوفي رسوم من الاشخاص ام لا .

البوغازات ـ (المضايق)

البوسفور ويسمونه بوغازايچي (داخل المضيق) وهو يفصل بين إستــانبول وبلك اوغلي (الساحل الاوربي أو الروم ايلي) من جهة وبين اسكلدار (الساحل الآسيوي او ســـاحل الاناضول) من جهة اخرى وعلى طرفيه كثير من القرى والمحلات .

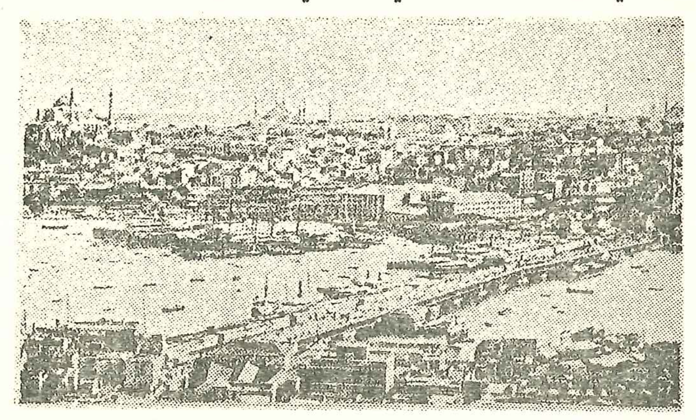
فألساحل الآسيوي يبتديء من قرية قاضي كوى في الجنوب الى اناطولي فنــاري في الشمال وطوله ٣٨ كيلو متر ويحتوي على القرى الآتية من الجنوب الى الشمال حيدر باشا ، اسكلدار ، قوز غنجق ، بكلر بــكي ، چنكل كوبي ، واني كوبي ، قند يلــلي ، اناطولى حصرى ، فاكليجه چبوقلى ، باشا بقچه سي وبكقوز .

والساحل الاوربي يبتديء من غلطه في الجنوب الى روم ايلى فناري في الشمال وطوله ٣٠ كيلو متر ويحتوي على القرى الآتية من الجنوب الى الشمال ، غلطة ، بلك أوغلي ، بشكطاش ، قورى چشمه أرناوود كوبي ، بياك ، روم ايلي حصاري ، مبركون ، يكي كوى ، طرابيه ، بيول دره روم ايلي قوغي

وعرض البوغاز يختلف بين ٥٠٠ متر وهو اضيق محل و ٤٣٠٠ متر وهو اوسع محل ومعدل عمقه ٤٠ متراً . ثم بوغاز جناق قلعه (وجناق معناه الكرز لأن في بلدة جناق قلعه او القلعــة السلطانية تعمل الكيزان المدهونة بالميناء الملونه والمذهبة) وتدعى الدردنيل ايضاً يقع بين القلعة السلطانية في الساحل الآسيوي وبين كليبولي في الساحل الاوربي وبحر مرمره يقع بين هــذين البوغازين .

الخلجان ــ

توجد خلجان كثيرة في بحر مرمره كبيرة وصغيرة والذي يهمنـــا في بحثنا هو الخليــج



صورة مدينة استانبول العامة وملحقالها يطلق هذا الاسم على مجمع ثلاثة مدن احدهامدينة (استانبول) والثانية (غلطة) والثالثة (اسكدار) اما استانبول فهي سواحل اوربا من جهة الجنوب على شاطيءالبسفور المسمىعند الاقدمين (بقرن الذهبي) ـ اخذت الصورة سنة ١٣٢١ هـ

المسمى قرن الذهب(Corne' or) يقع بين استانبول وبين بك اوغلي وغلطه وعليه جسران وفي آخره يتصل بوادي كاغد خانه ونهر الكاغد خانة وجدول علي بك يصبـــان فيه طوله ١١ كيلو متر ومعدل عرضه ٤٧٥ متر ومعدل العمق ٢٥ متراً

التصويـر ــ

على نوعين نوع يعمل باليد ويسمى ياغلي بويا اي ذات الاصباغ الزيتيةومحترفوا هذه الصنعة لا يتجاوزون الخمسة عداً جميعهم في جادة يوكسك قالديرم الواحد جانب الآخر يأتيهم الناس بتصوير فوتوغرافي فيحولوه الى رسم كبير ومشغول باليد وبألون الحقيقية يستدلون عليها من ظلال الرسم الفوتوغرافي اي من درجته ان كان فاتحاً او قاتماً أذكر ان داود بك الطاغستاني اتى احدهم بتصوير والده المرحوم محمد باشا الطاغستاني فعمله بألوانه الاصلية التي اعترف بها داود بك بأنها هي الوان الملابس التي كان يرتديها والده عند اخذ الرسم الفوتوغرافي .

يأخذون عن ذلك اثمان باهضة بالنسبة لذلك الوقت ويوجد غير هؤلاء كثير من غواة هــذا الفن لا يتجرون به دائماً وانما يعملون رسوماً مختلفة للتفاخر اما محترفوا التصوير الشمسي

(الفوتوغرافي) فكثيرون يتجاوزون المائة (فبوس) ثم عبد الله براد رلر (عبدالله واخوانه) والاثنان في جادة بك اوغلي .

اما تصوير السلطان عبد الحميد ما كان يوجد مطلقاً لاتجد رسمه لا في الجرائد ولا في المجلات ولا في الكتب ولا في غير ذلك ابداً وكان له رسم في بغداد يعلق في باب المدرسة الرشيدية الملكية ورسم آخر في باب دار المشير رجب باشا في يوم الاحتفال بجلوسه او ولادته اما في استانبول فكما قدمنا لا يمكن العثور عليه مطلقاً .

وسائط النقل البرية —

اولها الترامواي تجره الخيل تأسس سنة ١٢٨٨ هجرية (اي بعد تأسيس ترامواي بغداد) وهو ثلاثة اقسام وكل منها على خطين .

قسم منها في بك اوغلي يبتدىء من غلطة ويرتقي الى جهة تبه باشي (وعند هذا الارتقـاء يضاف رأسان من الخيل فتكون أربعة ثم تفصل الاثنان بعد تمام الارتقاء) ثم يدور الى غلطه سراي بحذاء المكتب السلطاني ومن هناك يمر باستواء الى التقسيم ويدور الى جادة پانقالتي ماراً بالمدرسة الحربية و متوجهاً الى فري كوى وينتهي في شيشلي ويسمى ترامواي بك اوغلي وقسم يبتدىء من غلطه ايضاً وينتهي في آخر محلة بشكطاش والثالث في استانبول يبتدىء من بالق بازاري (سوق السمك) ويدور حول السركه چي والبـاب العالي الى جامع اياصوفيا والى آق سراي ومن هناك ينقسم الى شعبتين الواحدة تذهب الى طوب قپو والثانية الى يدي قله ويسمى ترامواي استانبول والاجرة في كل من هذه الاقسام لطول القسم جميعه نصف غرش للضباط والجنود وتلامذة المدارس العسكرية اما للأهالي فيؤخذ قرش صاغ لكل مسافه معينة من كل قسم هذا في عربات الدرجة الثانية اما في عربات الدرجة الاولى فغرشان صـاغ لـكل مسافه معينة من القسم لا فرق في ذلك سواء كان الراكب من الاهالي او الجنود وغيرهم.

ويوجد مسلك تحت الارض يدعى تونل (اي نفق) يبتدى من غلطه ويمر تحت التل المسمى يوكسلك قالديرم ويخرج في اول شارع بك اوغلي على سكة حديدية ذات خطين وعرباته تشابه عربات الترامواي مربوطة من كلا رأسيها بشريط مزدوج مثل شرائط الماكنات البخارية لكنه أمتن واقوى وفي رأسي المسلك توجد ماكنتان كل منها تجر عربة الى جهتها في آن واحد فتكون

الواحدة نازلة الى غلطه والاخرى صاعدة الى بك اوغلي والاجرة هنا غرش واحد للأهالي ونصف قرش للجنود والضباط والتلامذة .

وعدا ذلك توجد عربات جيدة تجرها جياد لا بأس بها تجري في جميع شوارع استانبول وبك اوغلي وليس بها جرس او بوق للتنبيه بل يلفت السائق اذا رأى زحاماً انتباه المارة بقوله (دستور).

البحرية —

توجد بواخر امثال التي تمخر في دجلة مثل بصره وبغداد وبرهانية وحميدية تنقل الركاب وأحياناً البضائع من محل الى آخر .

وتنقسم الى ثلاثة اقسام : قسم يشتغل بين الجسر الجديد وبين المحلات التي في جانبي القرن الذهبي الى حد محلة ايوب ومبدأ حركتها من الاسكلة التي فوق عوامة متصلة بعوامات الجسر من جهة القرن الذهبي وعند مرورها من تحت الجسر القديم تطوى مدخنتها وبعد الخروج من تحته تعود الى وضعيتها العمودية .

وقسم يشتغل بين الجسر الجديد وبين المواقع التي على طرفي البسفور وهذه ثلاث شعب شعبة تمر على ساحل روم ايلي من البسفور وبواخرها تحمل علماً أخضر وشعبة تمر على ساحل الاناضول تحمل علماً أخضر وشعبة تمر على الساحلين متنقلة من ساحل الى ساحل وتسمى (زيقراق) تحمل علمين احمر وأخضر .

وكلها تبدىء بالحركة من الاساكل التي في الجهة الثانية من الجسر الجديد .

وجميع ماذكرنا يعود لشركه تدعى الشركة الخيرية .

وتوجد سفن اخرى تنقل الركاب الى اسكدار وقاضي كوبى وحيدر باشا وجزائر الامراء وما جاورها وهذه تعود لإدارة اميرية تدعى (الادارة المخصوصة) .

ومن وسائط النقل ايضاً المحفه وهي عربة صغيرة تكفي لشخص واحد ليس لها عجلات ولا تجرها الخيل بل لها عضائد خشبية اثنان ملتصقة بها من الجهتين خارجة عنها الى الامام والى الوراء يحمل هذه العربة حمالان بواسطة سيور تربط بأكتافها كهيئة التختروان (أنظر وصف التختروان في الفصل الخامس من هذا القسم) .

العمله —

وهي تتشكل من الذهبيات (ذات الخمسة ليرات والليرتين ونصف ، والليرة الواحدة ونصفها وربعها) .

والفضيات (الريال المجيدي ، ونصفة ، وربعه ، وذات القرشين ، وذات القرش الواحد). والمغشوشة المركبة من الفضة والنحاس (المحمودي يساوي ربع المجيدي ، ونصفه ، وربعه وذات نصف القرش ، وربعه وثمنه) فالمحمودي ونصفه كانا مخسوفين من الوسط والحافة مرتفعة كهيئة الصحن .

رأينا مثلها فى حلب أما اللذان كانا في بغداد فكانا مبسوطين كالعادة :

وكان يوجد عملة ورقية ذات الخمسة ليرات فقط يصدرها البنك العثماني في استانبول وهي خاصة للتداول في استانبول و ربما يوجد منهافي الولايات الاخرى ولكن بصورة نادرة جداً بدرجة لا يعرفها احد في الاسواق الاعتيادية .

المصارف — البنوك —

يوجد في الاستانة البنك العثماني ومركزه في غلطة على طريق الترامواي عند صعوده الى تپة باشا وله شعبه في استانبول تجاه المركز العام لدائرة البريد وهو البنك الرسمي للحكومة ويوجد بنوك اخرى غير رسمية مثل كريدي ليونه وظريفي وغيره والصيارفة الصغار كثيرون في كل مكان في الدكاكين الصغيرة لاجل تبديل العملات باصغر منها .

فالاجرة لتبديل ذات الخمسة ليرات الذهب اوالورق اوذات الليرتين والنصف ربع القرش تعطيه من جيبك لتبديل الليرة ونصفها وربعها والريال المجيدي ونصفه وربعه كذا ربع القرش يستبقيه منه و بما أن القطع الصغيرة (الخرده) قليلة فإذا اردت شراء شيء بمبلغ يسير يقول لك البائع او القهواتي سوف تخسر ربع قرش يقصد غير قيمة الحاجه التي اشتريتها او قيمة القهوة وغيرها فهذا يكون الجميع صيارفة .

السينما —

لم يكن قد نضج هذا الاختراع بعد ، رأيت انموذجاً إبتدائياً منه كان يقال له جانلي فوتوغراف (التصاوير الحيه) وهي في محل من شارع بك اوغلي داخل دكان كان هناك منضدة طويله عليها

صناديق متعددة الواحد بجانب الآخر كل واحد يشبه ماكنة خياطه مغطاة بغطائها وبحجمهـا ويوجد ثقب في الوسط فيه زجاجة مكبرة وثقب آخر بجانب الصـندوق يلقى فيه ربع القرش وبعد القائه تدير اللولب وتستمر في ادارته وتنظر في الزجاجة فترى ضياء ثم تصويراً فيه رجال او رجل وإمرأة يلعبان الورق او يعملان اى حركة اخرى فأخذ منا العجب مأخذه بأن هذه الصور كيف تتحرك .

فذهبت يوماً لأسبرغور هذه العملية وأطلع على أسبابها فبعد ان رميت الاجرة في الثقب ادرت اللولب ببطىء شديد فلما رآني صاحبها لم يرض بل حرضني على السرعة قات لـه لابأس فإني اريد ان افهم كيف تتحرك هذه الصوره فلم يمانعني عندئذ وهاك تفصيل ما رأيته يوجد هناك قضيب معدني موضوع أفقياً قد ركب فيه تصاوير كثيرة العدد من حافتها كل واحدة تختلف عن الثانية فمثلا الاولى رجل وإمرأة جالسان وفي ايديهما الورق والثانية إن ايديهما في وضع اعلى من الاول والثالثة اعلى الى ان يتم رمي الورق ثم تبدأ الصورة تريك الشخص الثاني يرفع يده رويداً رويداً الى ان يتم الرمي وهكذا فيتبين لك من مجموع هـذه الصور إذا ادرت اللولب بسرعة انها تتحرك وعند الانتهاء ترى ظلاماً حالكاً فتكون قد إنتهت الرواية وفي كل صندوق من هذه الصناديق مناظر لا تشبه الواحدة الاخرى وكل صندوق مستقل عن الآخر فإذا دخل اشخاص كثيرون ولو على عدد الصناديق فكل منهم ينظر في احدها ويرى غير ما يراه الآخر.

محال التنزه ــ

هذه المحال كثيرة في اقسام الإستانة الثلاثة و يسمونها (مسيره) اشهرها الكاغدخانة وهو وادي كبير يجري في وسطه نهر الكاغـدخانـة ينتهي ويصب في آخر القرن الذهبي تخرج العائلات الى هناك في ايام الجمع والعطل الرسمية والاعياد كل عائلة متشكلة من رب العائلة وربتها والاولاد والخدم يركبون عربة ويأخذون معهم الطعام في سبت (سله) وهو مستحضر لهـذه السفرة وادوات اخرى فكل عائلة تجلس في جانب هنا وهناك وتراهـم يتزاورون ويرتعون ويلعبون وعند المساء ينصرفون هذا في جهة بلك اوغلي .

اما الاماكن البعيدة على شاطىء البسفور فيكون السفر اليها بحراً بواسطة مراكب الشركـة الخيرية وفي هذه المنتزهات يجري التعارف وتتوطد الصداقة مابين العائلات وكثيراً ما تكون

سبباً للمصاهرة وأشهر هذه المحال هي (سعد اباد ، كوكصو ، چامليجه ، فنار ، بكفوز ، بيلك مبركون ، بيون اطه ، صاري ير).

الاحتفال بجلوس السلطان وولادته --

هنا الاحتفال اعظم واضخم ما كان يجري في بغداد (انظر نفس المادة في الفصل الرابع من هذا القسم) اما التهاني الرسمية فلا نعلم عنها شيئاً ونبحث عن الزينة والاعتناء بها فجميع الدكاكين والمخازن والمقاهي بلا إستثناء واكثر البيوت تعلق الاعلام والتزويقات فى واجهاتها وبيوت الوزراء وأكابر الدولة يعملون واجهة من الخشب امام جدران البيوت وحدائقهـا من الارض صاعدة الى اعلى الدار كلها فوانيس وفيها الشموع عدا تزيين الابواب واغصان الاشجار واللوحة (پادشاهم چوق يشا) معمولة من الازهار ذات الالوان الزاهيه فالإطار على ثلاثة او اربع خطوط وأرضية اللوحة بلون أصفر مثلا والكتابة بلون احمر وهكذا اما المفرقعات فهي تعمل في اماكن كثيرة والاعظم والأهم منها ما يعمل بجانب قصر يبلديز (قصر السلطان) توجد هناك ساحة كبيرة بجانب جامع حميدية الملاصق لأبنية يبلديز تعمل هناك اشكال الوسامات (النياشين) العثمانية (العثماني والمجيدي وغيره) وآخر بشكل (آرمه) (شعار الدولة العثمانيه) وهي من الورق محشوه بالبارود والمواد الاخرى ومثبتة فوق اعمده من الخشب في اعلاها بحيث ترى من مسافه بعيدة فتشعل فيصيب الضوء كل محل فيها فتبدو الوسامات كأنها حقيقية بألوانها الزاهية وكذلك الاوسمة تبدو بألوانها تشتعل وتزهو مدة كافية ثم تنفجر رويداً رويداً وتخرج منها النجوم الحمراء والخضراء والزرقاء وغيرها الى ان تضمحل ولما حضرت صلاة العشـاء دخلنا الى الجامع فصلينا فيه وهذه نعمة لم تكن تتيسر فى وقت آخر فرأينا في داخل المسجد المنبر وهو ممتد بجانب المحراب بهيئة درج كألمنابر الاعتيادية وفوق بابه مكتوب (ياغوث عبدالقادر الكيلاني) وعلى الجدار في الجانب الآخر الايسر لوحة طولها متر ونصف بإرتفاع ثلاثة ارباع المتر تقريباً إطارها من الذهب الخالص وارضيتها من القطيفة الخضراء حسب ما اذكر والكتابة عليها بارزة سمكها ثلاثة سانتيمترات وبروزها سانتيمتراً واحداً وهي من الذهب الخالص ايضاً والجملة هي (إنه حميد مجيد) مقتطعة من الآية القرآنية (قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)(سورة هود الآية ٧١) لكونها تحتوي على اسم السلطان

واسم ابيه وهو (السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد المجميد) ورأينا على اليسار المقصورة التي يصلي فيها السلطان فإنه يصعد اليها بواسطة درج في حوش الجامع وكذلك توجد مقصورة في جامع بشكطاش وجامع ايا صوفيا وكل جامع إعتاد ان يصلي فيه .



السلطان العثماني عبد الحميد الغازي الثاني

كنت هناك وصديق لي كنا أثناء تجولنا في حوش الجامع وخارجه نرى أعين الجواسيس تتلفت يميناً وشمالا وهم ينصتون الى كل كلمة تصدر من واحد فلا يقدر الانسان ان يتكلم في موضوع ما الا مثل نذهب ونرجع نصلي نشرب او كم الساعة الآن وما اشبه وكنا نحذر بعضنا بعضاً منهم خلسة .

وكان هناك مقهى جوالة موقتة مثل قهوة العبد عندنا في باب الشرقي من بغداد يعرفها من ادركها قد عمل اصحابها من الاغصان ما يشبه الصريفه او العريش مع كراسي بسيطة وكان اصحابها من السودان فجلسنا هناك للاستراحة فقال صاحبي هؤلاء عرب فلنناديهم بشعارهم (اخو سمره)

قات لا تفعل الا تراهم يتكلمون التركية كأبناء الاستانه تماماً فربما يستاؤون من قولك اخو سمرداو يظنونها سخرية بهم فقال لا بد من ذلك فنادى احدهم بذلك فجائنا مسرعاً ولبانا تلبية أخ قد وجد اخاه بعد غياب طويل وتكلم معنا بألعربية ورحب بنا اي ترحاب وأحضر الشاي والقهوة مراراً وتكراراً ولما فارقناه اردنا إعطائه ثمن ما قدم لنا نظر الينا نظرة كلها عتاب اخجلنا بها وودعنا كما رحب بنا بعز وإكرام .

كان العرب هناك يعطفون بعضهم على بعض ولو كانوا من بلاد متباعدة كل البعد كنا عند ما نرجع من عطلة الجمعة او غيرها يفتش ضباط الداخلية جيوبنا فيأخذوا ما يجدونه فيها من الكتب الخارجة عن المنهج او الاوراق وغيرها فوجد عندي احد الضباط بعض الاوراق وفيها من ابيات تغزل من نظمي فلم يتمكن من قرائتها فقلت له هذه اسماء كتب عربية طلبها مني احد اصحابي من بغداد وقصدي شراؤها وإرسالها له فكان بجانبه ضابط آخر يفتش ايضاً وهو عربي من سوريا فأعطاها له فعند رؤيتها كررت عليه ماقلته لزميله فبعد ان نظر فيها كأنه يقرأها صدقني واعطاني اياها وصرفني مع انه مكلف بتدقيقها لعل فيها ما يشم منه رائحة الاعتراض على سياسة الدولة او احوال المدرسة او غير ذلك .

الغناء والموسيقى —

الاتراك جميعاً مغرمون بالغناء فلا تجد تركياً إلا وهو يحسن الغناء إلا ما ندر وخصوصاً اهالي استانبول ففي المدرسة الحربية يجلس كل ثلاثة او اربعة صفاً يضربون بايديهم على ركبهم بفواصل منتظمة على حسب اللحن مستعملين الفاظ (دم) و (تك) فيكررونها (دم تك ، دم دم تك ، تك دم ، تك تك دم) وهذا في البداية لأجل تذكر الوزن ثم يغنون القطعة حسب المقام الذي قصدوه ولهم ثلاثة انواع من الغناء احدهما الغزل وهو شبيه بالمقام في بغداد ثم البسته ويقال لها تانطو وهي قريبة من البستة الجيدة عندنا والثالث وهو بين المقام والبستة ويسمونه (شوقي) فهذا لا اجد له نظيراً في بغداد ويمكن اعتباره من حيث الدرجة كألعتابة او الابوذية خصوصاً وابياته ذات اربعة اشطر والابيات اي الجمل التي تقال في كلا الانواع الثلاثة يسمونها (كفته) اي كلام :

والمقامات عندهم انواع كثيرة كأنواع المقامات عندنا يستثنى من ذلك البغدادية ذلك الصرفة مثل

الابراهيمي والحكيمي والمخالف وما اشبه ولهم انواع اخرى غريبة عن استعمالنا مثل النهاوند وهزام ديكا ، وقرجفار و وعجم عشيران ، وحجاز كاركروي ، وغيرهاوعندهم من الموسيقى الصامتة انواع كثيرة حسب المقامات يسمونها (پشرو) وهي لطيفة جداً تشبه التقاسيم عندنا يستغرق ضرب احدها ربع ساعة تقريباً .

اما الآلات المتعملة عندهم فهي العود والقانون والكمان والاخير مغرمين به غرام والسازوهو يشبه الطار الايراني والناي ولهم الآت اخرى لا اتذكرها .

اما الموسيقى الاجنبية فتتركب من الماندولين والكيتار (القيثارة) والكمان بأحجام مختلفة والقرناطة والزيل والطبل والجوق المركب منها يسمى (اوركسترا)

ويوجد نوع يسمى (هارب) مثلث الشكل لا صندوق معه لتضخيم الصوت وإنما ثلاثة أعمدة متصلة ببعضها ويمسك عمودياً والاوتار فيه عموديه ايضاً فيلعب عليه باليدين عندما تجلس في احد المقاهي على رصيف البحر تأتي احياناً فتاة اجنبية سافرة ومعها هذه الآلة فتضرب بهـا دقائق معدودة ثم تطلب من الجالسين البخشيش وبيدها صحن صغير فوقه منديل ثم تذهب الى مقهى آخر وهكذا .

رأيت موسيقى سيار يحمله شخص واحد اوركسرا كاملة وهو آلة بفمه والزيل بواسـطته والطبل برجله والارمونيك بصدره فتراه يحرك يديه ورجليه وينفخ بفمه فتخرج منـه اصواتاً مختلفة تحصل من مجموعها نغم كامل وهذا ايضاً يطلب البخشيش وصادفنا رجلا آخر يحمل قربة ذات فتحتين فتحة من فمه لينفخ القربة حتى تمتليء هواء ويكون قد سد الفتحة الاخرى التي تنتهي بانبوبة طولها قدم واحد تقريباً وفيها ثقوب فيسد الفتحة الاولى ويلعب باصابعه على الثقوب فعند خروج الهواء المحصوز من الانبوب تظهر انغام مختلفة اما القربة فمربوطة في بدنه وقس على ذلك انواعاً كثيرة .

الادارة ـ

استانبول باعتبار الولايات انها ولاية رئيسها يقال له شهرامینی (امين المدينه) او (العاصمة) تنقسم الى دوائر بلـدية عددها عشرة مركز الاولى في (قوسقه) الثانية في (فاتح) الثالثة في (جراح باشا) الرابعة في (بشكطاش) الخامسة في (يكي كوى) السـادسة في (بك اوغلي)

السابعة في (ييو كللدره) الثامنة في (قاكليچه) والتاسعة في (اسكلدار) والعاشرة في (قاضى كوى) .

ولاقضية التابعة لها هي :-

اطه لر (الجزائر) تشمل على ثلاث جزائر ، هكبه لي ، وقنالي ، وبورغاز ، ككبوزه له ناحية واحدة و٤٢ قرية .

بكقوز له ١٨ قرية وقرتال له ٢٤ قرية

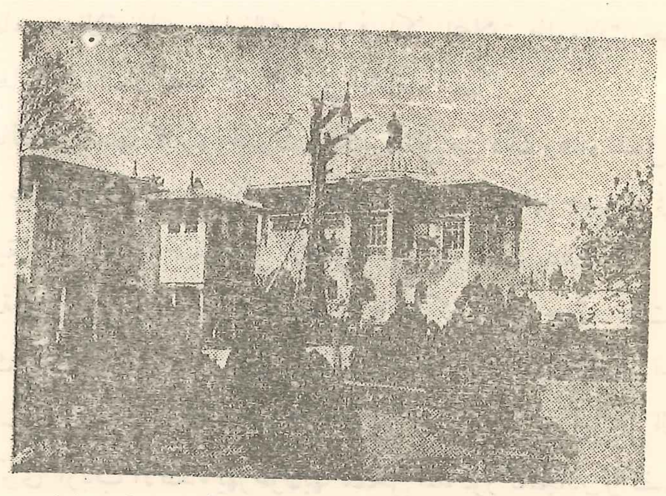
كوجك جكمچة مركزها (مقري كوى له ثلاثة نواحي و٣٥ قرية

شيله - له ٨٤ قريه

فجميع رؤساء البلديات العشرة وقائمقاموا الاقضية يراجعون امين العاصمة وفي الإستانة متصرفيات وهما متصرفية بلك اوغلي ومتصرفية اسكدار وهما يتبعان نظارة الضبطية.

فمما تقدم ان مدينة الاستانة تتبع في ادارتها اصولا شانه لا تتفق والولايات الاخرى :

المباني -



صورة قصر بغداد التاريخي في استانبول اخذت الصورة سنة ١٣٢١هـ

قسمان قسم من الحجر والآخر من الخشب فأكثر المباني الحجريه في بلك اوغلي واكثر الخشبية في جهة استانبول واخذ البناء بالحجر يزداد بمرور الايام بسبب الحرائق الكثيرة التي

تصيب المباني الخشبية اما طرز البناء فالجديد اي الحجري اكثره اوربي وليس فيـــه ساحة مكشوفة في وسطه إلا في الجهــة الخلفية او الجانبية منه والقديم اكثره او كله شرقي وله ساحة وفي وسطه وفي الجميع حدائق صغيرة او كبيرة حسب وسعة الساحة التي فيه والمنظر الخارجي جميل جداً ويحتوي على نوافذ كثيرة .

اللغة ـ

هي التركية للجميع حتى الارمن والأروام (اليونانيين) واليهود وغيرهم فربما الآخرين يتكلمون فيما بينهم كل بلغته .

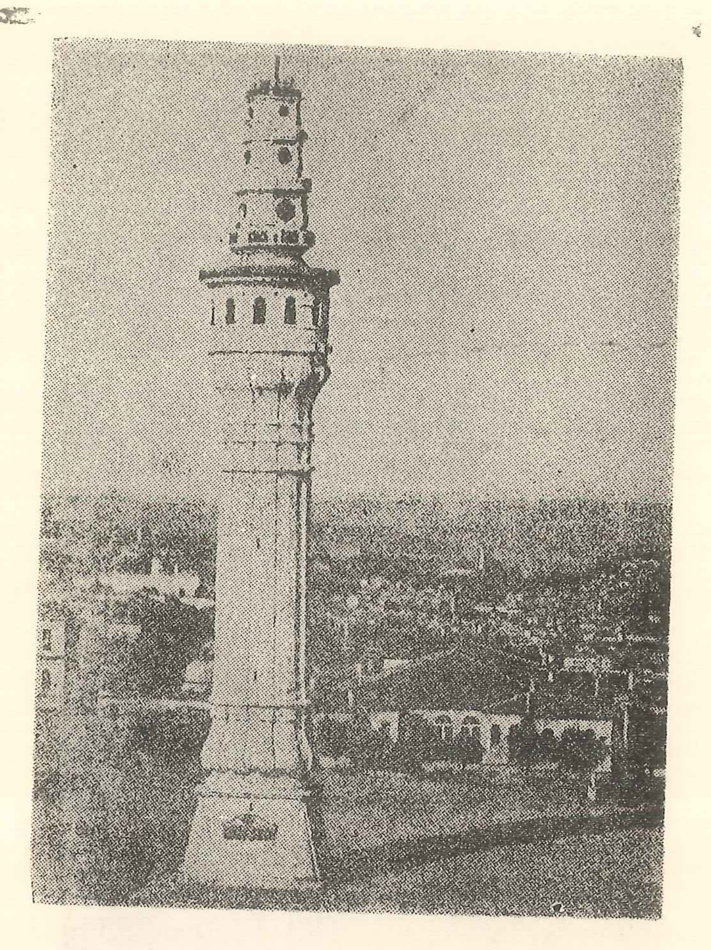
والاتراك معتزون بلغتهم ايما اعتزاز يسمونها اوج باغچه دن برچيچك (وردة من ثلاثـة حدائق) يقصدون التركية والعربية والفارسية .

الحرائق وإطفائها ـ

يوجد في كل دائرة بلدية عربات خاصة فيها طلومپات وخراطيم للحريق تجرهــا الخيل وعمال مسجلون لإدارتها وعدا ذلك في كل محل عسكري أدوات كافية للإطفاء لــكي تشترك الجنود في الإطفاء عند الإقتضاء وعدا ذلك يوجد في اكثر المحلات طلومپات وخراطيم وقانجات وسطلات وغيرها يديرها شبان المحلة يشتركون في الإطفاء ايضاً .

اما الحرائق فالصغيرة منها كثيرة الحدوث والكبيرة اقل من ذلك وهذه تشمل محلات بأسرها ربما تشتمل على عشرة الآف دار او اكثر وعندئذ يشترك في إطفائها جميع ما في الإستانة من مؤسسات اطفائية رسمية وغير رسمية وحتى الاهالي يتبرع كثير منهم بذلك .

كنا في المدرسة الحربية وقيل لنا ان حريقاً حدث لا أتذكر في اي جهة . قلت لمخبري من اين لك علم بذلك وأنت هنا معي قال أنظر الى السماء واشار بيده من جهة من الجهات فرأيت بقعة من السماء استحالت حمراء كالدم ثم قال اتصور ان هذا الحريق في المحل الفلاني وعنـد حدوث الحريق ترى ارباب الاطفاء يهرعون بها للمحل المذكور كالمجانين يركضون ولا يلوون على شيء خاصة المؤسسات الاهلية فيركض امامهم احدهم صارخاً (يانغين وار) اي يوجـد حريق فإذا سأله احد اين هــذا الحريق قال له في حرامك - فيجب ان يقول له (اوغور لراولسون) اي راشداً مهدياً فعندئذ يبين له المحل بالتفصيل وقصدهم من هذا الاعلان كي يلحق



صورة برج الحريق [يانغين قله سي] في استانبول اخذت الصورة سنة ١٣٢١هـ

بهم من تبرع بنفسه لمساعدتهم في الاطفاء .

ولشدة اعتناء اهل الاستانة الحكومة والاهالي بمسألة الحرائق قد انشيء منارتان مرتفعتان جداً تسمى (ينغين قله سي) منارة الحريق الواحدة في غلطة في اعلى نقطة من جهة بك اوغلي والثانية على نقطة من جهة استانبول وهذه الثانية تقع بجانب باب سر عسكري (نظارة الحربية) وعند حدوث الحريق ترفع احدى المنارتين التي تعلم اولا بوقوع الحريق علمـاً كبيراً فتراه الاخرى فترفع علماً ايضاً وفي الوقت نفسه تضرب المدافع الموجودة بجانب كل من المنارتين طلقـات إعلاناً بالحريق .



صورة برج غلطة وهو برج هائل انشيء في عهد الونديين في رأس قمة « بك اوغلي » في الشارع المسمى بهذا الاسم وعلو هذه القمة اعتباراً من سطح البحر ١١٠ امتار وعلو البرج ٤٠ متراً ومنه تشاهد الاستانة بصورة عمومية ولهذا جعل لاكتشاف الحرائق وبه سلم مشكل من ١٤١ درجه ينتهي الى قاعة يقيم فيها خفراء الحرائق ووظيفتهم متى رأوا ناراً شبت تطلق سبعة مدافع علامه الحريق تنبيهاً لفرق الحريق اخذت الصورة سنة ١٣٢١هـ

التجسس —

كان التجسس شائعاً ومألوفاً والجميع يخافون التكلم والاجتماع ويتحاشون الحضور فى أماكن يشتبه من وجودهم فيها والاخبار تتناقل همساً بين الناس يحذر بعضهم بعضاً فنذكر لك ما إطلعنا عليه وإستدلالنا منه على شدة هذا الامر منها - ان يوماً واحداً في السنة لا أتذكره يحضر

المشير زكي باشا ناظر الطوبخانة وجميع المدارس العسكرية في المدرسة الحربية في الساحة الوسطية عند الحوض ويحضر معه المفتش الفريق اسماعيل باشا وهذا حسب ما فهمنا من الطلاب انه رئيس الجواسيس على الاطلاق وبعض الامراء الآخرين يجتمع الطلبة كلهم في الساحة المذكورة فيلقي زكي باشا الخطاب التقليدي السنوي المشهور وخلاصته يجب علينا نحن الطلاب ان نشكر السلطان فيما اسبغه علينا من نعمة وذلك بالطعام واللباس والتدريس بدون اي مقابل وذلك لمجرد شفقته ولطفه علينا بينما جميع الدول الاخرى تتقاضي اوجراً على التدريس وتعلم طلابها وإكسائهم وبالنتيجة يجب علينا ان نلهج بشكره وهو ظل الله وخليفته في ارضه الى آخر ما هناك من الفاظ التعظيم والتبجيل والقداسة والقدرة .... الخ فتراه قد حفظ هذه الجمل عن ظهر قلب وهو يكررها في كل سنة في مثل ذلك اليوم فلخوفه من الشذوذ عنها يقولها وصوته يرتجف واحياناً يقف عن الكلام وفي اثناء هذا الوقوف لكي لا يقال انه يتردد في نشر فضائل السلطان يقول بدل الوقوف (بادشاهم چوق ه يشا) ونحن نكررها بصوت عال وبنفس طويل يستغرق دقيقة واحدة او اكثر ثم يستذكر مايقوله ويستمر واحياناً يقول كلمة الدعاء مرة ثانية وثالثة ورابعة وكل ما يرتج عليه يفعل مثل ذلك وكل هذا لأن اسماعيل باشا الملقب بـ (سر خفيه) واقف بالمرصاد لكل كلمة او نفس يصدر منه وكان كثيراً من التلاميذ جواسيس سريين لا نعرفهم ليس على اخوانهم الطلاب فحسب بل على الضباط والمعلمين بصورة خاصة غير الكثيرين المنتشرين في الاستانة في كل نقطة منها في المقاهي والاسواق والبيوت وفي كل مكان وحتى البيوت وفي كل مكان منهم عسكريون ومنهم ماكيون وموظفين او غير موظفين حتى من العلماء والشعراء والكتاب وارباب الجرائد المستخدمين على من يخدمونهم والرؤساء على من كان تحت يدهم منهم معينون لذلك ولهم مراجع خاصة ومنهم المتبرعون والتقارير ترد الى المحل المخصص لقبولها يومياً بالعشرات او بالمآت .

كنا نحصل على بعض الرسائل من تأليف عبد الحق حامد باشا او غيره نثرية او شعرية وليس فيها اعتراض على الادارة بل فيها ما يمني النفس بالحرية والوطنية والعدل فهذه وامثالها كانت يقال لها (اوراق مضره) كنا نلفها على سيقاننا ونسحب الجواريب عليها ونربطها فإذا دخلنا المدرسة لا يفتشون ارجلنا فندخل بها ولما اجتمع منها بضع رسائل وكانت حركتنا الى بغداد قريبة

اشتريت صندوقاً صغيراً وضعته عند أحد الاروام ووضعت فيه الكتب المذكورة واخراجهامن المدرسة سهلاحيث لاتفتيش عندئذ ومع ذلك فالرومي المذكور هو شيخ طاعن في السن يتكلم معنا الفرنسية قال مرة ارجو ان لا تبحث هذه الكتب التي تضعوها في الصندوق عن السياسة ومرة كنت اشتريت بعض امثال هذه الرسائل وقرأتها مع صديق لي ونحن وقوف في بعض الازقة الخالية لاحظنا ان بعض الناس في الشبابيك رأونا نفعل ذلك فحذر احدنا الآخر فأحرقناها وفارقنا ذلك المكان .

ومرة حصلت على كتاب (وطن اوسلستره) وهي رواية تمثيلية من تأليف نامق كمال من بعض الاصدقاء .

وكان في محل المنام كثيراً من الحشرة المعروفة بـ (تحته كهله سي) قملة الخشب فجرد أكثرنا لحافه من الجرجف (الغلاف) فعملنا من ذلك الغلاف كيساً ندخل فيه ونربط فتحته من الداخل وبذلك نخلص من هذه الحشرة فأدخلت الكتاب معي في الكيس وإضطجعت وقرأته على النور الضئيل الذي ينفذ الى داخل الكيس .

وكانوا بعض الطلاب يحصلون على جريدة اسمها (غيرت) تطبع في بلغاريا حسب ما قيل يقرأونها في المرحاض ويتناولونها فيما بينهم .

ولما كنا على وشك انهاء الدروس للصف الثالث المنتهى خطب فينا معلم التعليم النظري ناجي بك اثناء درسه ينصحنا ويدربنا على الحياة العسكرية عند ما نكون ضباطاً وندخل الى الافواج يوصينا بحسن السلوك مع الضباط الآلايليه وهم كثيرون فإذا نافسنا أحدهم فيساندهم الامراء وحتى القواد لأن اكثرهم منهم ونحن نخسر قضايانا وإن كنا على حق وامثال هذه الامور وفي تلك الاثناء جاء زكي باشا ناظر المدرسة وجميع المدارس العسكرية يفتش الصفوف والتدريس كعادته كل مدة شهرين او ثلاثة فسكت المعلم ناجي بك وأبدل الموضوع فاستجوب بعض الطلاب فيما يخص الدروس المقررة وبعد خروج المشير قال اني اعلم سوف تلاحظون اني ابدلت الموضوع بدخول المشير ولم ابدله خوفاً من اعتراضه المباحث التي كنت ابينها لكم ولكن التفتيش هو طبعاً على الدرس والدرس فلم أر من المناسب ان يكون يحثي غير الدرس ومن شاء منكم (يقصد الجواسيس) ان يخبر من شاء عن القضية فاليخبر . وهو لا بد كان قد استأذن في القاء مثل

تلك النصائح .

كنا نحن البغداديون اذا اضطررنا الى ذكر السلطان قلنا (العم) واذا سئلنا احد ماذا تتكلمون نقول له حكاية عن الاعمام (كما في بغداد يقول من لا يريد اخبار سائله عن حديثه (حكايــة عن السلاطين) .

وظهر للنشر كتاب محيط المعارف وهو اول كتاب من نوعه في اللغة التركية يقابل الانسكلوبيديا في اللغات الاجنبية وكان مؤلفاً من قبل لجنة علمية كبيرة يرأسها أمر الله أفنــدي وكان ينشر كراسات تعطى للمشتركين عند صدورها وقد إشتركت فيه كما إشترك كثيرون غيري وكانت تنشر أسماء المشتركين في جريدة إقدام يومياً فبلغ عددهم الآلاف من الإستانة وجميع البــلاد العثمانية وقد أكمل الجزء الاول فجلدته وقد إستعد المجلدون وعملوا كليشة خاصة لطبع الإسم على جلد الكتاب وأبتدىء بطبع الجزء الثاني وصدر منه كراسة أو كراستــان فلما حضرت في المطبعة لأخذها قيل لي إن الكتاب منع من النشر وأرجعوا لي قيمة الجزء الثاني الذي كنت دفعته وبدأ المكلفون بالتوزيع يتذمرون مما وصلت اليه الحالة في الإستانة حتى أن المنع شمل الكراسات ألاخيرة من الجزء ألاول التي كان الواجب يقضي بإرسالها بألبريد لأصحابها في الولايــات العثمانية والتي أعطيت للساكنين في الإستانة طالما أن الجزء الثاني هو الذي وجــد فيه ما يوجب منع نشر الكتاب وهكذا كان الجواسيس يعرقلون كل عمل خيري ومفيد يفتشون عما يشبع جشعهم فيقنعون السلطان بألخطر على حياته من وجود مثل هذا الكتاب وقبل هذا كانوا قد منعوا شرح تعليمنامه المشاة لمؤلفها حلمي بك الميرالاي (الزعيم) معلمنا في المدرسة الحربية وهذه عسكرية صرفه فصرنا نتناقل مضامينها بالكتابة لما فيها من الفائدة والتسهيل لتحصيل ذلك العلم وقس عليه

وقد صادفت عكس ذلك كنت أصلي ألجمعة أحياناً في جامع صغير على طريق السركه چي وقريب من بالق بازارمي (سوق السمك) يسمى عرب جامعي (جامع العرب) والمصلي يقع في الطابق الفوقاني وله نوافذ تطل على الطريق وكان الخطيب ينتقد الاحوال الإجتماعيــة مثل تقبيح الرقص وما أشبه ويعرض بأحوال الحكومة أيضاً مثل إنتقاده القوانين بدل الشريعه ونحو ذلك ولو أن هذه لا يمكن منعها وإنما صحيحة لا غبار عليها ولكنها ربما تأول الى التوســع وتنبيه الناس .

الوقائع ـ صنف اليوزباشية ـ

وكانت هذه الحادثة فلتةمن فلتات الزمن وخلاصة الخبر كما عرفته في حينه وهوالقريب الى الحقيقة ان الصف الثامن والخمسين المتخرج من المدرسة الحربية في سنة ١٣١٨ ماليــة عثمانية صدرت الارادة السنية بمنحهم رتبة ملازم ثان كالعادة فتأهبوا للسفر الى بغداد وفعلا ســافر قسم منهم وبينما كان هذا القسم في الباخرة التي ستقلع بعد قليل صادف مرور تخت السلــطان عبد الحميد وكان ذاهباً لزيارة خرقة سعادت (المخلفات النبوية) المحفوظة في سراي طوب قپو في عصر يوم ١٤ رمضان رأى في أعلى الباخرة المذكورة بعض الضباط وقوفاً فسأل عنهم وعن جهة سفرهم فأجابه بعض الذين معه إنهم ضباط عرب تخرجوا من المدرسة الحربية هذه السنة وهم ذاهبون الى بغداد واليمن بلادهم فتصور السلطان بأنهم من صف العشاير وهو في المدرسة الحربية أيضاً كما أشرنا الى ذلك في الفصل السادس من هذا القسم فسأل عن رتبتهم فقالوا له ملازم ثاني فقــال لماذا ؟ يجب أن يكونــوا برتبة يوزباشي ، فمن الــذي يتجاسر ويوضــح له القضية بأنهم ليسوا من صف العشاير ولم يسبق أن تخرج أمثالهم برتبة يوزباشي أو على الأقل يستمهلوه للتحقيق بل قالوا له ألأمر لسيدنا فصارت هذه إراد لامحيص عنها.

وعند رجوع السلطان من الزيارة المذكورة فما أصبح اليوم التالي إلا وصدرت الإرادة السنية بوجوب منح رتبة يوزباشي للضباط البغداديين واليمينيين والمتخرجين هذه السنة من المدرسة الحربية وأفلس من ذلك ضباط الشام وهم أيضاً عرب ولكن لم يأت ذكرهم في تلك الســاعة العزيزة فأتانا الخبر ونحن في التياترو في مقهى عثمان بك فلما سمع البعض من القسم الذين لم يسافروا بعد لم يصدقوا الخبر فذهب البعض يسأل ويحقق وبقي البعض الآخر مرجحاً التمتع بمنــاظر التياترو على الخروج والتحقيق عن هذه إلا بعوفه التي ما كان أحد يحلم بهاوعدوها أما نكتة أراد البعض تمويهها عليهم أو سماع الخبر غلطاً فجاء الذين ذهبوا للتحقيق وأكدوا ذلك بأنهم فهموا الكيفية من بعض القانون چاوشيه (أفراد الإنضباط العسكري) .

ولدى التحقيق فهم في اليوم التالي أن الخبر صحيح لا تشوبه شائبه وسبب إذاعة ذلك بواسطة الإنضباط العسكري وليس بواسطة المدرسة .

إن الضباط المومى اليهم لم تبق لهم علاقة في المدرسة وأصبحوا تابعين الى دائرة السر عسكر

(ناظر الحربية) رأساً فأبرق الباقون منهم الى رفقائهم الذين كانوا في الباخرة وقـد وصلوا بيروت الآن بالكيفية فأولئك ما بين مصدق ومكذب فأبرقوا بدورهم كل الى رفيقه من أولئك الضباط الباقين أو من طلاب المدرسة فأجبناهم بالإيجاب وأكدنا لهم القضية كل التأكيد وحسب ما سمعنا بعد ذلك إنهم حالا إستبدلوا علاماتهم الملازم ثاني بعلامات يوزباشي وضعوهـا فوق أكتافهم .

والعجب الغريب في المسألة هو أن الذين أفرزوا من هذا الصف (وهم الممتازون الأولون منهم) ليدرسوا في مدرسة ألاركان حربية بقوا برتبة ملازم ثاني وعند مطالبتهم بالرتبة المذكورة قيل لهم أن ألارادة صدرت بحق الذين يسافرون الآن لا الذين يبقون وخاصة إنكم ستتخرجون بعد ثلاث سنوات برتبة يوز پاشي أركان حرب ولكم ميزة غير تلك فسكتوا .

ولكن الغبن كان ظاهراً في القضية حتى ان البعض من هؤلاء تمنى لو لم يفرز الى مدرسـة ألاركان ويتمتع برتبة يوز پاشي بدلا من الإنتظار ثلاث سنوات لينالها وخاصة أن راتب اليوزباشي هو واحد سواء أكان أركان حرب أو ضابط صف .

خروج السلطان ــ

كان السلطان عبد الحميد لا يراه أحد وخروجه الى صلاة العيدين أما في جامع حميديه الذي يتصل بقصره أو جامع بشكطاش أو ربما غيره أيضاً .

وكانت الجنود تصطف الى أكثر من جامع واحد لأنه لا يخبر أحداً في أي جامع يريد الصلاة.
ويخرج أيضاً لزيارة خرقة سعادت (المخلفات النبوية . البرده وغيرها) ليلة ١٥ رمضان ولهذه أما بحراً أو براً ولكن الإستحضارات تكون جاهزه في البر والبحر لأنه يروى ذلك كما أسلفنا وهذه المخلفات في مكان خاص في سراي طوب قپو .

المطاعم ــ

منشرة في كل مكان وهي في درجات فالاعتيادية منها ما كان ثمن الصحن الواحد من أي نوع من الطعام قرش واحد ما عدا الشوربة (الحساء) فنصف قرش والحلويات حسب إختلاف انوعها من نصف القرش الى الثلاثة قروش أما االدرجات الاخرى فقيمة الصحن الواحد قرشان الى خمسة قروش والى عشرة قروش وأكثر الحساء والحلويات بهذه النسبة أيضاً .

وهي ثلاثة أنواع منها تحتوي على الاطعمة المعتادة ومنها تحتوي على الاطعمة ومعها الحلويات ومنها توجد فيها الحلويات فقط والأخيرة تسمى محلبيچي (أي بائع المحابي) مع أنه يوجد معه أنواع الحلويات عدا المحابي ، ولكن الشهرة هكذا .

فكنا لا نأكل إلا في المطاعم الاعتيادية المذكورة أولا ونطلب الأرز والإدام فيأتونا بالإدام (المرق) ويؤخرون الأرز فكنا نكرر عليهم بإحضار الأرز ولايبالون لأن عادة أهالي إستانبول أكل المرق مع الخبز اولا ثم الأرز ولا يجمعون بينهما الى ان افهمناهم بأنا نريدهم مجتمعين فكانوا يأتوننا بهما جميعاً مرة واحدة وكنا نحاذر من دخول مطعم نجهل أسعاره مع أن جميع المطاعم تقدم قائمة بالاطعمة جميعها إلا إنا نرى الدخول ثم الخروج بدون طلب شيء غير لائق .

أنقل لكم إحدى الواقعات وهو أن أحد أصدقائنا دخل محل يدعى حسن طبيعت لوقنطه سي (مطعم حسن الطبيعه) في شارع السركه چي فرأى وضع المطعم غير وضعه في المطعم الأخرى من حيث ألاثاث والزينة والجالسون كل شخص على مائده لا يشاركه فيها غيره فتصور حالا إنه قد تورط لأن المحل ليس مما يرتاده هو فجلس على الكرسي وقرأ القائمة الموضوعة أمامه فلم يجد فيها ما قيمته أقل من عشرين قرشـــاً وهو لا يملك في جيبه سوى عشرة قروش فأحب أن يطلب شيئاً غير موجود في القائمة بحجة أن طبيبه أوصاه بأكله فطلب عايشه قادين فاصوليه سي (فاصولية الإمرأة عايشه) وهي مشهورة بلذتها فقالوا له إصبر لعل يوجد منها شيء .

فجاؤوه بطبق منها ومعه الخبز وقنينة ماء قره قولاق فصار يأكل ولكن تصور كيف كانت تعبر اللقمة من حلقه وعند الحساب كان ثمن الصحن سبعة قروش ونصف والخبز قرشاً والماء قرشاً أيضاً فصارت تسعة قروش ونصف فأخـــذ الباقي من العشرة قروش وهو نصف القرش وخرج لا يلوي على شيء فحكى لنا القضية للعبرة وألانتباه وسبب عدم إدخالهم هذا النوع في القائمة هو رخص ثمنه وعدم طلبه من الزبائن وإنما يجري احضاره من قبيل الاحتياط .

الاعياد ـ

كنا نتجول في العيدين في الاستانه ولكننا لم نطلع على المعايدات الرسمية حتى ولا الخصوصية لأنا لا نعرف أحداً في الاستانه .

أما محلات اجتماع الاولاد ولعبهم فلم نشاهد إلا قليلا من ذلك لأن مثل هذه الأماكن لاتوجد

إلا في صميم محلات السكنى .

وقد صادفنا بعض أعياد النصارى المسمى (كارنا قال) وفي الاستانه يسمونه (عيد پاسقاليه) وهو تخرج إمرأة أو رجل بلباس غريب يدعو الى الضحك والسخرية ومعهم من يضرب لهم بالآلات الموسيقية وهم يرقصون ماشين في الطرق المزدحمة بألسكان ورأيت مرة جماعة قد عملوا باخرة تمشي على ألارض ويتصاعد الدخان من مدخنتها وهي بلا قعر قد وقف في داخلها رجال علقوا جوانبها بواسطة سيور بأكتافهم وأحدهم يوقد في محل منها فيخرج الدخان من مدخنة عملت لها وهم يمشون بها ، وأنواع كثيرة من ذلك ولهذا السبب يقال في الاستانه لكل مهرج أو ممازح پاسقال .

خروج أعضاء بيت السلطنة —

لا نعرف عن ذلك شيئاً إلا إننا نرى أحياناً عربة تجري في شوارع بك اوغلي يجلس بجانب السائق أحد السودان إن كان فيها رجال ويضع ألاسود يديه على صدره إن كان فيها نساء والمطلوب من الجميع إذا رأوا عربة كهذه أن يبتعدوا عنها ولا يلتفتوا لها مع إنا ندرس في المدرسة بأن الواجب علينا هو أن نقف ووجهنا الى العربة ونقدم لها (إن كان فيها رجال فقط) التحية العسكرية المعتادة .

المساومة في الأسعار —

يطلب البائع أضعاف السعر الحقيقي فعليك أن تلاحظ السعر في أماكن أخرى وتشتري ما تريده ويوجد في سوق محمود باشا بعض الايرانيين يضعون منضدة في الطريق وعليها أنواع الحاجات التحافية (الخردوات) يقسمونها الى ثلاثة أقسام ويصيحون هكذا (يرباني برقروشه اورته ياني اسكي قروشه ارياني اوچ غروشه) هذه الجهة بقرش واحد اي كل حاجه منها والقسم الوسطي بقرشين والقسم الذي هناك اي في الجهة البعيدة عنه بثلاث قروش فهذه وإن كانت مسعرة بمقدار زائد لكنك لا تغبن كثيراً بشراء ما يعجبك منها .

والمخازن المتوسطة ترحب بك وتقدم لك كرسياً للجلوس وتأمر لك بالقهوة قبل أن تسألك ما تطلبه من الحاجات فإذا شربت قهوته لا بد وأن تشتري منه ولو حاجة صغيرة حتى أصحاب المكتبات في جادة الباب العالي يعملون ذلك أحياناً .

مرة كنا في قهوة في ديوان يولي جائنا بائع دوار لديه أزر طلب في واحد منها ثمانين قرشاً وقبل بعد المساومة والذهاب والمجيء ان يعطينا إياه بخمسة قروش فتأمل .

المناخ —

هواء الاستانة لطيف جداً وهي في الصيف كألربيع في بغداد شتاؤها معتدل لايزعج المرء لا أتذكر إني ضجرت من البرد . والمطر ينهمر طول السنة إلا أنه فى شهرين تقريباً من الصيف يكون نادراً والقپوط او المشمع يكاد لا يفارق الانسان ولو خرج من محلة والسماء صاحية لا يدري متى تتجمع الغيوم وتنزل الرحمه وفي الاستانه يقال للمطر (ياغمور) ولكنك قل ما تسمع غير لفظ الرحمة عند نزول المطر بقولهم (رحمت ياغمور) والثلج يتساقط ثلاث او أربع مرات في السنه

طاعة الاوامر —

صدر الامر بعدم بقاء الناس في المقاهي وقت صلاة العشاء والتراويح في رمضان فنفذ ألامر لأول يوم وفي اليوم الثاني جلس الناس ولكن قليل وفي اليوم الثالث مضت ألامور كالعادة ولا أدري كيف سكت اولو الامر ولم يعقبوا تنفيذه .



الفصل الثامن

الاياب من استانبول الى بغداد

وبعد استلام الخرجراه (مخصصات السفر) وكنا بضعة وعشرون ضابطاً ركبنا في باخـرة لا أتذكر اسمها لشركة روسية وهي صغيرة يحركها أقل ريح وغير نظيفة وقد أخذت غنماً من أحد الموانىء فزاد نتنها فمررنا فيها على بحر مرمره وجئنا الى جزيرة تدعى (اينه روز) وهذه خاصة بالرهبان المنقطعين للعبادة لا يوجد فيها انثى مطلقاً حتى من الحيوانات على ما قيل لنا ثم واصلنا السير الى چناق قلعه وتسمى قلعه ء سلطانية ايضاً فخرج البعض اليهافاشترى اوعيةمن الكوز فوقها الميناء محلاة بالاصباغ المختلفة وماء الذهب لهذا كانت البلدة تسمى چناق قلعه لأن چناق معناها الكوز .

فلم أفطن لذلك إلا بعد رؤية الاوعية المذكورة فلم يتيسر لي الخروج بعد ذلك لشراء مثلها لأن الباخرة تحركت ووجهتها سلانيك ففرحنا لأنا سنراها عفواً.

فوصلنا ضحى النهار وقيل أن الباخرة ستبقى الى وقت العصر فخرجنا اليها بالزوارق وهنـا ملاحوا الزوارق كلهم من اليهود فلم يأخذو منا شيئاً وسألناهم عن السبب فقالوا نأخذ الاجـرة عند ارجاعكم الى الباخرة والعادة حسب ما قيل لنا انهم يخرجون المسافرين مجاناً وعند ارجاعكم يتحكمون في ألاجرة ومن لا يرضيهـم يبقى في المدينة وتقلع الباخرة ولا يهمهم ذلك وبهذه الكيفية يأخذون مايريدون فعند رجوعنا تداركنا المسألة فراجعنا مركز قوماندانى آمر الإنضباط العسكري فأرسل معنا أحد مأموري ألإنضباط فكلمنا هذاأن ننقدهم بحضوره قرشين صاغ عن كل شخص وبقى واقفاً الى أن أوصلونا ورجعوا وبهذا خلصنا من المشاحنة معهم :

وفي سلانيك تغدينا في أحد المطاعم ورأينا تلك نعمة عظيمة حيث كنا مستعجلين عند سفرنا من استانبول ولم نأخذ معنا من الطعام غير بعض المأكولات الناشفة .

ثم تجولنا قليلا في البلد وفي الاسواق وصادفنا هناك من الضباط الذين تخرجوا معنا في هذه السنة لأنهم سبقونا الى هناك لأن المسافة قريبة أذكر منهم إسماعيل حقي خرپوط وهذا بالذات كان لطيف المعشر وذو نكات ظريفة ونوادر مستملحة حدثت لي معه حادثـة وهي عند أول وصولنا الى استانبول ودخولنا المدرسـة الحربية سألونا عما اذا كنا ملقحين ضد الجدري في

بغداد أم لا فأجبت بالسلب فقيدوا إسمي وكذلك كل من اجاب مثل جوابي وبعد بضعة أيام طلبونا بأسمائنا ليلقحونا فلم أحضر في جماتهم ولم اعلم بذلك فالمومى اليه اسماعيل حقي أفندي كان من جملة الذين يجب أن يلقحوا فبعد أن لقحوه في احد ذراعيه نادوا إسمي فلما لم يرني اجاب عني نعم أنا فلان فلقحوه مرة اخرى في ذراعه الاخرى وبعد ايام اتتني شهادة بالتلقيح فاحتفظت بها والمومى اليه كان دليلنا في سلانيك ولا اقدر ان اصفهـا تماماً حيث المـدة قصيرة ولكني وجدت اسواقها نظيفة ومخازنها جيدة فيها كل ما لذ وطاب اذكر فيها مخزن يسمى (سلانيك بون مارشه‌سي) على مثال البون مارشه التي في استانبول وفيها رصيف على البحر من اول البلده الى آخرها وعليه سكة تراموای رأينا عرباته ذاهبة آيبة تجرها الخيل كما في استانبول ومنظر الرصيف هذا وعربات الترام جميلة للغاية .

ثم سافرت الباخرة بنا ولم ترسي إلا في جزيرة (ساقز) وساقز هو المصطكي وفي هذه الجزيرة الاشجار الكثيرة و المصطكي هو صمغ تلك الاشجار يتفننون في الاستفادة منه يعملون منه مربى نفيسة اشترينا منها كمية في علبة معدنية محكمة السد وكذلك ناشفاً لأجل المضـغ كهدية والجزيرة لا أتذكر انا تمشينا فيها كثيراً ولذا لاأتذكر عنها شيئاً .

ثم سافرت الباخرة الى مرسين فخرجنا اليها وتغدينا في أحد مطاعمها وهي بلدة اكثرسكانها عرب ، أذكر شربنا انواعاً من الشربت مع الثلج ، والثلج هنا طبيعي يأتون به من الجبال القريبة طول مدة الصيف لا ينفذ، ثم سافرنا الى بيروت وخرجنا اليها وكنت خائفاً ان تفتيش أمتعتي في كمرك بيروت لأنه لا يخلو من سانسور (جاسوس) وكان عندي بعض الرسائل التي كانت تعد من الكتب المضره في ذلك الحين فاخفيتها داخل المخدة وهي من الريش بجعلها ملفوفة على نفسها ومشدودة بخيط ، وحسب ما سمعنا انهم يفتشون على كل شيء حتى الفراش والمخاديد ولكن الله سلم ولا تسل عن الادعية التي كنت اتلوها سراً وأسئل الله ان ينجيني ، والظاهر انهم لم يشتبهوا بأحد منا ولم يفتشوا الا بصورة سطحية وذلك بمجرد فتح الصناديق دون ان يلمسوا منها شيئاً .

فنزلنا في فندق واقع على البحر بينهما جادة عريضة وهنا يسمى (لوكنده) وهو جميل للغاية ذو ثلاثة طوابق اجرة الطابق الاول اغلى ، والثاني ارخص منه والثالث ارخص الجميع ، والسبب في ذلك ان

الطابق كلما ارتفع كان الارتقاء اليه يكلف تعباً فأقمنا في الطابق الاوسط وأقمنا فيه ليلة واحدة ؛
كان وصولنا الى بيروت صباحاً فبعد ان القينا امتعتنا في غرفة الفندق وحجزناها ذهبنا الى
داخل البلده للتفرج عليها فالقيناها بلدة جيدة اسواقها وأزقتها نظيفة من جهة البرج والجهات
الاخرى المسكونه بعلية القوم والتي فيها التياترو والمقاهي وأما الجهات الاخرى القديمة فطرقها
ضيقة وحالتها عادية .

مررنا الى محل لا أذكر اسمه فيه المكتبات والمطابع فزرنا المكتبة الانسية وتحادثنا مع صاحبها
السيد عبد الباسط الانسي صاحب جريدة الاقبال وكانت معطلة في ذلك اليوم بسبب نشرها ما
لا يروق الحكومة ورأينا باعة الجرائد ينادون بأسمائها منها (الاحوال) على ما اذكر فعجبت
اذ لم أر في الولايات العربية الاخرى جرائد بهذا القدر إلا جريدة رسمية في بغداد تدعى (الزوراء)
لا تباع في الاسواق ولا يعلم بها من الاهالي إلا القليل .

كان قصدي البقاء في بيروت بضعة ايام لأفهمها جيداً خاصة لزيارة دور العلم والمكتبـــات
والمطابع إلا ان رفيقي استعجلني قائلا لنوفر الوقت لأجل صرفه في الشام بدل بيروت وميعادنا
مع اصدقائنا الباقين كان الاجتماع في الشام .

فرحلنا صباح اليوم التالي بالقطار الى الشام فوصلنا بعد العصر بقليل والقطار يعود لشركـــة
فرنسوية وهو يمشي متئداً ثم تسلق جبل لبنان فتباطأ اكثر وبـــدأ يخرج منه صوت متكسر
وعند التدقيق وجدنا في وسط السكة سكة اخرى ذات أسنان وفي العربات دولاب إضافي ذو
أسنان ايضاً تتراكب أسنان الدولاب بأسنان السكة حتى اذا حدث وقوف في الآلة لا يتدهور
القطار الى الوراء بل يبقى في محله بفضل هذه الاسنان وهذه الكيفية يقال لها (قره ماير) فبعد
ان تسلق الجبل بدا يمشي فوقه قليلا ثم انحدر الى سهل ماراً بين القرى والبساتين واخذ ينهب
الارض نهباً الى ان وصل الى الشام فنزلنا هناك وركبنا مع امتعتنا في عربة اوصلتنا الى مدخل
سوق علي باشا ، ومدخله هذا مطل على المرجه وهو سوق صغير فيه خاصة المأكولات المتنوعة
مطاعم ومرطبات وفواكه،وفيه نزل احتلينا غرفة منه ذات سريرين اجرة السرير الواحد قرشان
ونصف القرش وعند ما نزلنا من العربة طلبنا حمالا ليحمل امتعتنا الى النزل جاءنا رجل متوسط
الهيئة طلب منا ان يحمل امتعتنا ويسمونها (عفش) فاستحيينا من هيئته اذ كان لابساً جبة

وعمامة فلم نقبل وأخيراً حضر بعض المجاورين فقالوا لا بأس بذلك انه فقير وتلزم اعانته فقبلنا
وأعطيناه ما تيسر ففرح ، وبعد ان استرحنا قليلا خرجنا الى المدينة وتجولنا فيها وبقينا فيها
سبعة ايام كنا نجلس في المقاهي في المرجة والمرجة هذه ميدان تكتنفه من جهة سراي الحكومة
يقابلها دائرة البرق والبريد ، ومن الجهة الثالثة حديقة للبلدية وفي وسط هذا الميدان حوض
وفيه فسقيه (شاذروان) . قيل ان في هذه الحديقة
وكان يوجد في جهة من هذا الميدان حديقة مسورة بحاجز حديدي
غناء وموسيقى دخلناها بعد الغروب فوجدنا في وسطها محلا من الخشب مدوراً ومرتفعاً عن
الارض بمقدار متر ونصف وفوقه سقف على هيئة القبة وقد جلس فيه ثلاث رجال وفتاتان كل
منهم بيده آلة يضرب عليها الكل يغنون بالمناوبة وبعضاً مجتمعون ، وفي الحديقة مقاعد مبعثرة
هنا وهناك وأمامها موائد لمن يشرب شيئاً فطلبنا شاياً فقدموه لنا وكان هناك بعض الغانيات من
واجبهم ان يلاطفوا الزبائن ومن تدعى منهن تجلس بجانب الزبون فيتمتع بالمسامرة والمغازلة معها
ويأمر لها بكل ما تطلبه من المشروب يدفع قيمته من جيبه فجاءت إحداهن وسلمت علينا
وجلست فلم ترمنا الالتفات الذي تريده بل جاملناها فقط وأمرنا لها بشاي فامتنعت عن قبوله
اذ كانت تريد مسكراً لأنا كنا نتورع أمثال ذلك .
وكنا نسمع عن حمامات الشام ونظافتها وخدمتها خاصة فدخلنا أحداها فوجدناها كحمامات
بغداد بالتمام إلا مسألة المناشف عند الخروج وسأصف لك ذلك ، ولكنها لا يوجد فيها
دلاكين يلعبون على ظهر الانسان العاب سويدية وأنواع السركس مع تدقيع بالأكف ، ثم
يبطحونه على ظهره ثم على بطنه رغم أنفه شاء أم أبى ويخرجون الاوساخ من جسده على هيئة
فتائل ، وعند الخروج جاؤونا بالمناشف فتدرعنا بها الى محل لبس الثياب فجاءنا الخادم ووضع
بجانب كل منا رزمة كبيرة وبدأ يرمي المناشف التي علي ويعطيني غيرها ويبدلها بعد كل دقيقتين
الى ان وصل الى الخامسة فأشرت له بالاكتفاء وقد بقي أكثر من نصف الرزمة بجانبي وكان
في نيته استعمالها في تنشيف جسدي المحترم .
أما هيئة بناية الحمام فكحمامات بغداد بالتمام .
وزرنا سوق الحميدية والحق يقال انه سوق جيد وأحسن الأسواق القديمة من نوعه في

خليط من الاعمال تجد فيه المطاعم ، وبائعي الدوندرمه (المثلجات) والتحافية (الخرده فروش) والاسكافيين وبائعي الاقمشة والنجارين وهلم جرا ، وتوجد اسواق غيره ضيقة ومتعرجة كأسواق بغداد بالتمام، حتى اني رأيت سوقاً كأنه السوق الجايف في بغداد بدكاكينه ومحتوياته وأصحاب الدكاكين وكشايدهم كأن السوقين قد عمل كل منهم على مثال الآخر .

والقصابون هنا يبيعون اللحم كما في دير الزور على شكلين بعظمه أو مجرداً من العظم كل حسب قيمته .

وتمتاز الشام عن غيرها بكثرة المياه التي تجري فيها من دار الى دار ومن مقهي الى حمام وهلم جرا ، في مجاري تحت الارض وترى في كل دار حوضاً وفيه فسقية قد احكم ترتيب جريان الماء فيها بحيث يخرج الماء من الانبوب الذي في وسط الحوض على هيئة نافورة ويملأ الحوض فيفيض من جوانبه الى ساقية مدورة حواليه ومن هناك الى مجرى آخر تحت الارض الى دار اخرى وهكذا .

ويوجد محل يسمى الصالحية ذهبنا اليه في عربة وفيه جامع ، فيه مرقد الولي الصالح الشيخ محي الدين بن العربي ، فدخلنا الجامع المذكور وزرنا المرقد ، والجامع في منخفض من الارض والطرق والدور حواليه مرتفعة ومحل المرقد أخفض من أرضية الجامع ايضاً ينزل اليه بدرج وزرنا الجامع الأموي الشهير وفي داخله قبر يحيى بن زكريا .

ويوجد محل يسمى (دمر) ذهبنا اليه بعربة ايضاً وجلسنا في قهوة هناك ، وهناك نهران يجريان متحاذيان والارض بينهما لا تتجاوز الثلاثة أمتار وعلى حافة النهرين من الخارج الاشجار الباسقة والازهار الجميلة وجلوس الزبائن يكون على كراسي بين هذين النهرين ، أما المقهى فبسيطة جداً وهي قروية مثل قهوة العبد التي كانت في الباب الشرقي عندنا في بغداد فجلسنا ساعة ما أحلاها والموسم كان شهر ايلول ثم رجعنا ، ويوجد في الشام بائعوا عرق السوس وهو ماء احمر في القرب ترى البائع كالسقاء معلقاً قربة صغيرة في كتفه وفم القربه مكسواً بإنبوب من المعدن الاصفر في رأسه مزمله (حنفية) وبيده طاسات (أقداح معدنية) يسقي الجالسين في المقاهي ويمر على الاسواق ويبيع لمن يصادفه والقيمة زهيدة جداً شربت منه طعمه حريف وفيه مرارة قليلة ليس مما يلذ شربه إلا انهم تعودوه ويذكرون له منافع .

وبعد اسبوع من بقائنا في الشام كانت النية ان نرجع بواسطة القطار الى مفرق الرياق ومن هناك نذهب الى حلب ونسافر منها الى بغداد كما اتينا من قبل ولكن صادف ان وجدنا في الشام قافلة حيوانات اصحابها بغاده كانوا قد اتوا بأمتعة تجارية من بغداد ويريدون الرجوع اليها فتفاوضنا معهم على القيمة وحصلت الموافقة فركبنا معهم وكنا طلبنا من الحكومـــة ان ترسل معنا من الضبطية محافظين فاعطونا نفرين اثنى منهم واحد معنا الى اول مرحلة وسألناه عن الثاني قال انه سيأتي خلفه وفارقنا الآخر في المرحلة الثانية وبقينا بدون محافظين مررنا بالمراحل الآتية : ـ

قطيفه ، قريتين ، تدمر ، بئر الجديد ، أراك ، سخنه ،دير الزور ، وبينها بعض المراحل نسيت اسمائها ، وفي الطريق أشاع المكارية بأنه توجد عشائر خارجين الى الغزو ويمكن ان يصادفونا فيسلبونا فقلنا لهم وكيف العمل قالوا يجب ان نسرع في المشي .

وأظن كان قصدهم الاسراع فاختلقوا هذه الارجوفه لأنا كنا نريد المسير على مهلنا ونقطع كل مرحلة في يوم واحد قالوا الأوفق ان نقطع كل مرحلتين معاً اذا كانت صغاراً أما المرحلة الكبيرة فلا بد من قطعها في يوم واحد فانطلت علينا هـــذه الحيلة ولم نصادف ولم نسمع بأي غزو او عشيرة .

وصلنا الى إحدى المراحل لا اتذكر اسمها فوجدنا هناك قلعة منفردة في وسط الصحراء وفيها رجل ضبطية واحد فقط وهذا هو مخفر .

سألناه كيف تكون وحدك في هذه القلعه قال لي رفيق ذهب الى محل سماه لأجل شراء بعض اللوازم وسيأتي غداً ، وكانت هناك في خارج القلعة بئر عميقة وهي الوحيدة التي يجب ان نستقي منها للأشخاص وللبغال ولا يوجد عليها دلو ولا رشاء فقال المكاريه انهما عند الضبطية في القلعة وهو لا يعطيها بدون اجرة او بخشيش قلنا لهم نحن ضباط وهو جندي فما معنى البخشيش فطلبناه منه بلهجة الامر فلم يعطه وقال مهما كنتم ضباطاً او باشوات فأنا لا اعطيه بدون ان تنقدوني حقه وانا من اين اعيش قلنا له اليس لك راتب وتعين (ارزاق). قال هذا الراتب الذي لا اقبضه إلا في السنة مرتين او ثلاث وانا في هذا المحل المقفر فأراد البعض اخذه منه بالقوة وقال الآخرون دعوه فإنه (زهقان) من الذي يسكن في مثل هذا المحل دون ان يؤمن معيشته امام مسألة الراتب فهو صادق فيها لأنا كنا نعلم ان الحكومه هذا ديدنها مع المأمورين او الجنود وبالأخص الضبطيـــة فتوســـط

المكارية المسألة ايضاً لمصلحة الضبطية المذكور فجمعنا له مبلغاً يتجاوز الثلاث ريالات مجيدية على ما اذكر فاعطانا الدلو فأخذه المكارية وبدأو يسقون دوابهم وهذا المبلــغ كان يجب على المكارية ان يدفعوه من كيسهم حسب عادتهم لكنهم كلفونا بطلب الدلو منه ثم توسطوا له لندفعه نحن .

والبئر كانت عميقة جداً فجمعوا حبالهم (وتركوا عصيهم) وشدوها ببعضها الرأس الواحد في الدلو الذي ادلوه الى البئر والرأس الثاني في ظهر احد البغال فلما تم وصول الدلو في الماء قاد احدهم البغل في الصحراء الى مسافة بعيدة قدر طول الحبل طبعاً فيخرج الدلو ملآناً فتلقاه الآخر وصبه في اناء من الجلد معه لسقي البغال وهكذا .

وفي اثناء قطع المرحله الى تدمر فهمنا ان امرأة عجوزاً كانت معنا تعود لأحد الضباط كانت في استانبول ورجعت مع قريبها مريضة وربما تموت والسبب في ذلك انها كانت مصــابة بالكوليرا فعند وصولنا تدمر توفيت فدفناها هناك خارج البلده .

وفهمت بعد ذلك من بعض اصحابنا ومن المكارية اننا لما كنا في الشام كان يصاب في كل يوم عدد كبير بهذا الوباء والوفيات كانت ١٥٠ يومياً ولكن العجيب اننا ما كنا نحس بشيء من ذلك ولعل العدد المذكور فيه مبالغه .

ثم دخلنا البلدة وهي مركز ناحيه مشكلة من بيوت طينية بسيطة بجانب انقاض المدينة العظيمة تدمر (مدينة الزباء) ووجدنا هناك صديقنا معروف افندي علي أصغر الذي عرف اخيراً بإسم معروف افندي جيادوك وهو مدير الناحية فرحب بنا وقام بواجب الضيافة وتفرجنا على آثار المدينة وهي مدينة كبيرة جداً وجدرنها واساطينها لم تزل قائمة مبعثرة هنا وهناك والاكثر ظهوراً منها رواق اساطينه متعــدد وباب كبير في اعلاه قوسان متلاقيان كباب جامع مرجــان في بغداد تقريباً قد جعلت باباً للقرية الحديثة ومن هناك سافرنا الى أراك ثم السخنه والسخنه هذه يذكرها أبن بطوطه في رحلته الجزء الثاني صفحة ١٧٤ بأنها كانت بلدة حسنة و انما سميت السخنــة لحرارة مائها وفيها بيوت للرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها .

اما اليوم فهي ليس سوى بيوت قليلة من الطين وفيها مأمور صحي كهل ليس بالطبيب ووظيفته ان يحجز المسافرين ثلاثة أيام ويحيطهم بحبل وأوتاد ثم يسافرون بعد المدة المذكورة فكنا نشتري من

الاهالي الدجاج والبيض والخبز ونحن داخل الحبل والبائعون خارجه ونتلامس كأنا واقفين جنباً الى جنب كأن المرض يخاف من الحبل ولايعترض احداً منا او من البائعين .

وبعد مضي يوم وليلة طلبنا منه الاكتفاء فأذن لنا بالسفر فسافرنا مع العلم بأنا لم نخبره بوفاة المرأة التي دفناها في تدمر، ثم وصلنا دير الزور وبعد المبيت هناك مررنا في المواقع التي وصفناها عند ذهابنا الى استانبول وهي هي لم يتغير فيها شيء (الميادين والبوكمال والقائم).. الخ .

توجد هضبة كبيرة بعد الميادين بينها وبين البوكمال حسب ما اذكر مشينا فوقها مسافة كبيرة واذا بنا نصادف جمعاً كبيراً من الخيالة العرب فتصورنا انهم الغزو الذي صوره لنا المكاريه في طريق الشام ـ الدير و بدلا من ان نتريث في الامر وننظر ما يبدو منهم اسرعنا في توجيه الطلقات اليهم من مسدساتنا فتعجبوا من ذلك فأرسلوا الينا أحدهم فسألنا من انتم وماتقصدون ولماذا تبادؤنا بالرصاص فبعد ان افهمناهم من نحن قالوا انما نحن مثلكم جنود الحكومة من الآيات الحميدية فخجلنا من حركتنا الطائشة التي تدل على الخوف والجهل معاً ثم سرنا ومررنا على المواقع الباقية الى ان جئنا الى الفلوجه ضحى النهار وبقينا اليوم كله فيها وفي الساعة ١١ غروبية مساء صمم الاخوان على ان نمشي الى بغداد ليلا فحذرنا بعض الاهالي من ان السفر ليلا لايخلو من الخطر وطلبو الينا ان نبقى تلك الليلة ونسافر صباح اليوم التالي فبعضنا وافق والاكثرية اصرت على الذهاب فمشينا وكان القمر طالعاً فما انتصف الليل إلا والقمر اخذ بالافول الى ان اختفى تماماً وكان يوم ٦ شعبان الثلاثاء سنة ١٣٢١هـ فمررنا بخان نقطه وهو نصف الطريق تقريباً بين بغداد والفلوجة وهو مخفر فيه ضبطية فأقترح البعض منا البقاء في المخفر حتى يسفر الفجر فلم يوافق الاكثرون ايضاً فما ان فارقنا المخفر المذكور بمقدار ربع ساعة تقريباً إلا والطلقات من خلفنا .

عند خروجنا من الفلوجة رأيت والدي وأخي وجماعة من الاقارب والاصدقاء آتين لإستقبالي وهم حسب مافهمت منهم خرجوا من بغداد صباح ذلك اليوم وهم طول النهار يمشون وقد ظلوا الطريق مراراً وكانوا فرحين بوصولهم الى الفلوجة للإستراحة تلك الليلة على الاقل وما حسبوا أنا نفاجئهم بتوجهنا الى بغداد وهم طيلة ذلك النهار لم يأكلوا اويشربوا او يستريحوا فتداولنا فيما بيننا وقلنا لو بقيناجميعاً و تركنا القافلة تذهب ـ ربما لا نصادف بغالا في اليوم

الثاني لي و لأمتعتي لأن المكاري الذين يحملني لا يترك بغاله معي ولا يترك بغلا له اخرى تحمل أشخاصاً آخرين ويبقى معي لأن اولئك قد تقدموا نحو بغداد .

اما جماعتنا فدوابهم معهم ولا نأمن الطريق فيما لو تأخرنا ورجوعهم معنا في تلك الساعة من اصعب الامور عليهم ولكن ما العمل فقرر رأينا جميعاً على السفر نحو بغداد ومتابعة القافلة.

فلما اتتنا الطلقات نفرت البغال وكنت راكباً بغله سلطانية اتوا بها معهــم من بغداد اركوبي خاصة فنفرت كذلك واخـذت تعدو كأنها في سباق ولم اكن فارساً مغواراً فقلـت في نفسي هذه ساعة المحنه فإن لم تثبت فمصيرك العدم لأن الذي يسقط ستدوسه جميع البغال التي خلفه لا محاله والظلام حالك فشددت عزمي وصرت عليها كقطعة منها الى ان هدأت ثائرة الدواب واخذت تمشي رويداً رويداً فرأينا المتقدمين منا قد وقفوا وطلبوا الينا الوقوف فوقفنا جميعاً ووضعنــا جميع الامتعة بعد انزالها من الدواب في الوسط والدواب محيطة بها والاشخاص محيطة بالجميع وكل منا معه مسدسه اخذه بيده وبقى ينتظر دجوم اللصوص ولكن لم يحصل اي تعرض بعـد ذلك ثم اخذ كل يفحص امتعته ويجمعها والنتيجة ظهر ان احد البغال عند النفور اسقطت حملها وجاءت راكضة مع البغال خالية واذا بها العائدة لفتاح افندي .

وقصة هذا الشاب انه كان مريضاً في استانبول في المستشفى فقرر الاطباء ان حالته لاتساعد على المشاق العسكرية فجعلوه اخراج اي انه لا يمكنه ان يكون ضابطاً ولاان يكون جندياً بوجه من الوجوه فماذا يعمل - كان معه مقدار يسير من الدراهم واخذ معاشاته المتراكمة ونوى الاشتغال بالبيع والشراء وما دام هو في استانبول يمكنه ان يشتري من هناك بعض السلع ليبيعها في بغداد وهذه احسن فرصة له فاشترى بها بعض الحاجات الضرورية للضباط وبعض السلع النفيسه الخفيفة الحمل مثل القوايش (السيور) وزناجيل (سلاسل) وبساكيل (ازرار) للسيوف وآپوليتات (قطع توضع على الاكتاف فيها علائم الرتب العسكرية) وسبح كهرمــان وما اشبه فكــانت موضوعة في صندوقين كبيرين .

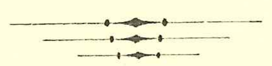
وعند الصباح ذهب هو مع بعض الاخوان الى جهة الخلف التي اتتنا منها الطلقات فرأوا اثر سحب الصناديق الى مسافة ثم لا اثر بعد ذلك ففهم ان الاشقياء رفعوها على اكتافهــم من هناك فرجع معنا الى بغداد بخفي حنين فاخبر السلطة في بغداد فتمكنوا من الحصول عليها ناقصــة

بعض الاشياء القليلة .

ولما اسفر الصبح قام الجميع وباشر المكاريه بالتحميل ومن كان في حاجة لاراقة الماء تتنحى جانباً وقضي حاجته ورجع فلما اردنا الركوب وإذا بأخي غير موجود فناديناه وما من مجيب وتلفتنا حوالينا الى كل جهة فلم نره وكان القسم الاكبر من القافله قد بعد وبقى القليل ومن جماتهم نحن، والمحل ارض بسيطة وفضاء واسع مد البصر لا يرده اي عارضة أو عشب ونحوه ، الى اين ذهب ياترى، هل ركب وتبع القافلة ، فدابته موجودة هل نتبع هذا الظن ونمشي واذا لم نره في القافلة فينبغي الرجوع وماذا نجد اذا رجعنا - ما هذه المصيبة - اما والدي فلا تسل عن حاله يقول جئت لأستقبل واحداً فضيعت الآخر والوقت ضيق وحرج .

اخيراً وفوراً اقترحت ان يمشي كل واحد منا من المركز الذي نحن فيه الى جهة من جهات محيط هذه الدائرة فمشينا فخاطبني الذي يشكل الراوية معي عن بعد بأنه لم ير شيئاً مطلقاً فقلت له وانا كذلك ولكن لنمشي شوطاً آخراً فمشينا فإذا بي ارى شخصاً ظهره الينـــا وعباءته فوق رأسه وهو يمشي بسرعة متوسطة ولا يلتفت فقلت لزميلي من هذا الذي أراه فقال انه اعرابي لا ادري الى اين يذهب فقلت له إسرع اليه وانظر في وجهه ثم أرجع وقصدي من ذلك الاطمئنان على أنه اعرابي ولم يدر بخلدي انه أخي بالمرة وقد عملت ذلك لئلا اندم على عدم رؤيته وأقطع الظن بأنه ليس هو فلم يوافقني صاحبي فأصررت عليه فركض وركضت معه فلما رأيت وجهه واذا به اخي بعينه - فأتينا به بعد ان ايقضناه لأنه كان سائراً في المنام وعندها سر والدي كثيراً كمـــا اني سررت مثله ولما ســـألناه عن كيفية اتجاهه ولماذا قـــال لا ادري سوى اني ذهبت لأراقة الماء ثم قمت وصرت أمشي الى ان اوقفتموني فحمدنـــا الله على ذلك وركبنـــا جميعاً فرحين الى بغداد .

وفي طريقنا الى بغداد سألني والدي عن رتبتي فقلت له هل تكون غير الملازم الثاني فقال ولماذا فالصف الذي اتي السنة الماضية كانت رتبهم يوزباشي فقلت له تلك كانت فلته من فلتات الزمان فقصصت عليه المسألة كما ذكرنا في الفصل السابع من هذا القسم تحت مادة الوقائع .



مراحل الحياة
في
الفترة المظلمة وما بعدها

تأليف

السيد محمد رؤوف السيد طه الشيخلي
خريج الكليه العسكريه في إستانبول

سنة ١٣٢١ هجريه

(الجزء الثاني)



مطبعة البصره - بصره

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

كان مكلفاً بالالتحاق بالباخرة الحربيه كليدر البحر (مفتاح البحر) التي كانت راسية عند شبه جزيرة قطر وبقينا في البصرة مدة شهر تقريباً كان الوالي وهو القائد ايضاً هناك آنئـــذ الفريق مصطفى نوري باشا يذكر اهل البصرة الى الآن زمن حكمه ويسمونه بزمن الهيونطه (الفوضى) حيث كان اللصوص تعبث بألامن ولا قدرة للحكومة عليهم .

رأيناه يوماً في الجهة المسماة بالخندق يزور الباخرة النهرية حميدية التي كانت تبنى في حوض هناك ولم تنزل الى النهر بعد .

كنا ننتظر باخرة بحرية تسافر الى البحرين (جزيرة وال) فلم نوفق والسفر يكون عادة من البصرة الى ساحل نجد (الاحسا) في البواخر الاجنبية حيث لا يوجد باخرة نقل عثمانيـــة في ذلك الحين ولا باخرة حربية إلا واحدة كليد البحر المذكورة آنفاً ففهمنا ان شركةبواخرينكل الانكليزية تسير من البصرة مارة بأبي شهر او مسقط في طريقها الى بومبي ولا تمر بالبحرين وفي عودتهافقط تمر بها فكان علينا ان نركب في واحدة منها وننتظر في ابي شهر اوفي مسقط الى ان تأتي اخرى قادمة من بومبي فتحملنا رجوعاً الى البحرين فلم نصدق هذا الخبر وأردنا ان نركب رأساً الى البحرين ، ثم تأكدنا من صحة الخبر المذكور وكنا قد افلتنا من ايدينا باخرة تمر بأبي شهر ولم نسافر بها وأخيراً حصلنا على باخرة تذهب الى مسقط فســافرنا بها فأخذوا منا بطاقة النولون (الاجره) وأشروا بظهرها وأعادوها لنا لنبرزها الى الباخرة الآيبة لأنا كنا دفعنا الاجرة من البصرة الى البحرين .

فخرجنا في زورق يسمى عندهم (هوري) وهو يشبه المشحوف المستعمل في العراق تماماً إلا انه منتظم الصنع وغير مقير فخرجنا الى البر وسألنا عن دار السلطان لأنا لا نعرف احـــداً وكان الوقت قريب الغروب ولا ندري ايوجد بها نزل ام لا فتمكنا من مقابلة حاجب السلطان والفضل في ذلك الى (باش چاوش) (رئيس العرفاء) كان معنا اسمه عبد الجبار ينسب الى طابور وفيق افندي والد شفيق افندي احد رفقائنا في هذه السفرة وهو آمر چاوش (مراسل) البيكباشي (المقدم) المذكور ، فقد فتش عليه وأوجده لنا ويظهر انه كان قد أتى مسقط قبل هذه السفرة .

وعند الخروج من الزورق جاء عمال الكمرك فحملوا أمتعتنا ووضعوهـــا في الكمرك لأجل التفتيش ، أما دائرة الكمرك فعبارة عن سقيفة على ساحل البحر لا يوجد فيها غير كرسي واحد

ومنضدة واحده على ماذكر والموظف فيها هندي فحاولنا افهامـــه بأننا ضباط عثمانيون ولا يوجد معنا ما يستوفى عليه رسم كمرك فلم نفلح وفي هذه الاثناء اتانا الحاجب برفقته رئيس العرفاء فبعد ان رحب بنا مشينا برفقته الى دار وجدنا في بابها جندياً واقفاً وآخر جالســاً فتركنا في الباب ودخل ثم خرج فأخذنا الى دار أرسل في طلب مفتاحها ونحن في الطريق اليها وعنـد وصولنا جيىء بالمفتاح ففتحه وعرض علينا غرف في الطابق الفوقاني فانتخب لنا احدها وجائتنا امتعتنا الى هناك بدون تفتيش لأنا صرنا ضيوف السلطان ثم ذهب المومى اليه وأرسل لنا اثنى عشر كاسه من الحلوى المسقطية المعروفة مغطاة الواحدة فوق الاخرى وجهاً لوجه لأن الحلوى جامدة ولم يأتنا إلا عند الصباح .

ثم أتانا شخصان او ثلاثة غيره من اهالي مسقط يظهر انهم يعودون الى الحاجب المـذكور فتحادثنا معهم بشؤون مختلفة ثم ذهبوا وأتانا أيضاً رجل لابساً بدلة عسكريه ولكنه وضع فوق كتفه وفي رقبته من العلامات كالنجوم والشرائط الحمراء والقصب (والكلبدون) كما أحب ، وكان يرتدي بنطلوناً مما كان يلبسه الپاشوات العثمانيون .

وفهمنا منه انه رئيس المدفعية لعظمة السلطان وانه من اهالي كركوك .

وكان فيما سبق في الجيش العثماني في صنف المدفعية باشچاوشاً (رئيس عرفاء) وأخبرنا ان السحر في مسقط كثير .

والسحره يعملون اسحارهم فوق الجبال التي ترونها هذه وأشـار الى الجبلين اللذين يكتنفان الميناء فقلنا له كيف يعيش السلطان مع وجود السحره في بلاده فقال هو اعلمهم في السحر مما دل على الشذوذ في عقليته .

وأخبرنا عن المدافع الكثيرة تحت إمرته ، وعدد لنا انواعاً كثيرة لم نسمـع بأسماء بعضهـا فسألناه عن جنوده ، هل هم من العراق فقال هم من أهالي مسقط نفسها وفهمنا منه ان زيهم كزي الجنود الذين رأيناهم في باب عظمة السلطان .

أما هؤلاء فلباسهم الثوب الطويل (الدشداشة) وعلى رأسم الغترة (الكفية) والعقال وبيد كل منهم بندقية قصيرة من النوع الذي كان كثيراً عند اهالي البلاد العربية تسـمى مكنزية من نوع المارتيني .

وكنا نؤمل ان تأتينا مائدة كاملة او على الاقل شيء من اللحم نسد به الرمق فلم يأت من ذلك شيء .
وكنا ارسلنا الپاشچاوش المذكور قبل الغروب وقبل ان تغلق الاسواق وذلك حسب اقتراحــه لمعرفته بعادة البلد ، ان يأتينا بما يجده من المأكول فأتانا بعد احتلالنا الدار المذكوره بشيء من الخبز والخيار فتوكلنا على الله وأكلنا ما حصل وفوقه شيء من الحلوى ونمنا ليلتنا .

فلما أصبحنا فهمنا ان الباخرة التي ستقلنا الى البحرين تصل الميناء حوالي الظهر فجائنا الحاجب المومى اليه واخذنا معه لمواجهة السلطان وكان حينذاك السلطان فيصل بن تركي ، فسرنا معه الى دار الحكومة بعد ان مررنا على محل قيل انه دائرة البوسته (البريد) فرأينا الطوابع الهندية هي التي تستعمل هناك بدون اي تغيير حتى ولم تكن معلوة بكتــابة ما (surcharge) تخص بلاد عمان كأن البلاد هنديه تماماً ، فوصلنا الى دار الحكومة او قل البلاط وهو بناء فخم بالنسبة الى المباني الاخرى صعدنا على درج عريض الى الطبقة الفوقانية فإلى البهو الذي كنا نؤمل ان نرى السلطان فيه وكان البهو المذكور مستطيلا طوله ٢٠ متراً وعرضه خمسة امتار تقريباً وقد صفت الكراسي ملاصقه للجدران في جهاته الاربع ورأينا رجلا جالساً في وسط الضلع الطويل في الجهة المقابلة للبحر طويل القامه نحاسي اللون وعلى رأسه عمامه ولباسه عربي هندي وفي وسطه الكديمي (الخنجر) غمده محلى بالذهب وفي يده سيف محلى بالذهب ايضاً فأمر لنا بالجلوس فأجلسنا الحاجب على كراسي تجاهه تماماً اي اظهرنا على جهة البحر وكان الجمع محتشداً والكراسي كلها ملآنه رجال في مثل زيه ودونه في الكلفه وفي اوساطهم الكديميات (الخناجر) وبأيديهم السيوف ويظهر انه كان جالساً ساعتئذ للقضاء فجاءه رجلان فجلس احدهما بجانب ركبته اليمنى والاخر بجانب اليسرى وهما متقابلان فسأل احدهما عن دعواه فبدأ بالكلام فحصلت منه اشارة للحاجب فدعانا وخرج بنا من باب اخرى في البهو تقابل الباب التي دخلنا منها اوالبابان تكونان في وسط الضلعين الصغيرين الى قاعة اصغر منها متعامده وایاها ودخل بنا غرفة اصغر منها لها نوافذ تطل على البحر فجلسنا هناك على مثل الكراسي الاولى ثم جاءنا شخص مرتدياً زبون شعري (دكله) والدكله مثل الزبون ألا ان صدرها مثل الجبة ولها ازرار عند الرقبة فقط ولا يشد فوقها حزام وهو لباس هندي وعلى رأسه غتره (كفيه) بيضاء حريرية وفوقها عقال رفيع ابيض وعليه عباءة صفراء صيفية فبدأ يتكلم معنا بالتركية وكان هو الترجمان فأفهمناه بأنا عرب ولا حاجة الى الترجمة وشكرناه .

ثم جاء السلطان فجلس على احد الكراسي بتواضع زائد فقمنا له ورحبنا به فبدأ يسـألنا بواسطة الترجمان فأجبناه بالعربية ورجونا منه ان يكون الكلام بيننـا رأساً لأنا جميعاً عرب ولكن باللأسف لم يفهم من كلامنا إلا القليل فرجعت المسألة الى الترجمان ولو بقيت المسـألة علي وحدي كان يمكنني أن أتفاهم مع عظمته وذلك بتقريب كلامي الى الفصحى على قدر الامكان أما كلامه فكنت أفهمه وذلك لمطالعتي الكثيرة في الكتب العربية منذ الصغر بخلاف رفقائي وهم معذورون حيث الثقافة كانت تركية ولكن لم أجد مجالا للتقدم لأن كلا من رفقائي يريـد أن يتكلم (السنا بغداده) وخاصة احد رفقائي وهو اليوزباشي رتبته اعلى من رتبتي وكلامه العامية البغدادية وكان سؤال السلطان عن محل مجيئنا ومحل ذهابنا ووظيفتنا وسفرنا وما اشبه كما جرت العادة فرحب بنا كثيراً ثم جائتنا القهوة وبعدها شراب جوز الهنـد وهو أبيض اللون كاللبن وبعد ذلك الحلوى المعهودة موضوعة في صحن صغير في صينية ومعها طاسة فيها ماء فأول ما أخذ منها الشيخ (ويقال له عندهم الشيخ) بإصبعيه قليلا الى فيه ثم غسل اصبعيه في الماء ففعلنا مثله فبدأ بعض أصحابي حينئذ يتكلمون معه عن السياسة مثل لماذا لايتفق عظمته مع سلـطان العثمانيين ويكون تحت حمايته وبدأو يبينون له ضخامة السلطنة العثمانية وعلو كعبها في كل شيء فأجابهم بكلمة مختصرة قائلا سوف نعمل ما تحبون بعد ان نرى منوراً (بارجه حربيه) واحداً عثمانياً فقط يرسو أمام مسقط .

ثم قمنا وودعناه وإنصرفنا يصحبنا الحاجب وعند إنزال امتعتنا في القارب (الهوري) جاءنا احد الرجال ومعه حمال يحمل خصافتين من خوص النخل في داخل كل واحـدة منها مقدار عشرة علب من الصفيح مدورة قطر أحدها ١٢ سم وسمكها ٢ سم تقريباً وفي داخلها نفس الحلوى المعودة فكانت ضيافتنا حلوى في حلوى .

وبعد ذلك فهمنا ان الشخص الذي قابلناه اسمه الشيخ محمد اخى السلطان فيصل واما السلطان فهو في قصره خارج البلده وقد رأينا القصر المذكور عن بعد عند تجولنا في المدينة تحفه البساتين وهو بناء منفرد طرازه إفرنجي وحجمه متوسط اما المدينة فقد تجولنا فيها وخرجنا من جهتها الخلفية الى بعض الحدائق وشربنا عند احد اصحابها القهوة العربية معطرة بالعنبر .

وركبنا الباخرة عند الظهر سافرت بنا بعد قليل متوجهة الى البحرين وهذه اعظم باخرة ركبت

بها في البحر تسير كالجبل لا تزعزها اعظم ريح فقد بقيت ثابتة رغم العواصف التي هبت وكانت محملة أنواع الاموال منه القصب الفارسي الغليـظ الذي يستعمل في السقوف عوض الخشب والمراسي (جمع مرساة = أنكر) بكمية كبيرة لأجل السفن مما أثقلها فحفظت موازنتها ضد الرياح ،وعند العصر من ذلك اليوم مر بنا رجل فعد جماعتنا وكذا كل جماعة في الباخرة وأخبرنا ان ضيافة الأمير ستصلنا ولا ينبغي لنا ان نضع شيئاً من الطعام طيلة ايام السفر هذا ثم جاء عند الغروب ومعه بعض الطباخين فوضعوا بين ايدينا سفرة من الخوص وضعوا فوقها صحناً كبيراً فيه العيش (ألأرز بألسمن) وفوقه اللحم الكثير وبواطي (صحون) من المعدن فيها اللحـم المطبوخ مع البتاتا وفيه التوابل ووضعوا التمر مبعثراً في حواشي السفرة وهكـذا كل يوم تأتينا المائدة وقتين الظهر ثم المغرب وتشرفنا بعـد ذلك برؤية (ألأمير) وهو من شيوخ البحرين (العائلة المالكة) وقيل لنا ان هذه عادة شيوخ البحرين عندما يسافرون فركاب الباخرة كلهم يكونون ضيوفهم .

وبعد ان مررنا على ياش وبندر عباس ولنجه من الساحل الفارسي دون ان نخرج الى احدها وصلنا الى البحرين والباخرة رست على بعد ميل ونصف تقريباً من الساحل لأن المرفأ هناك غير عميق فهو يبدأ متدرجاً من الساحل بإنحدار منتظم حتى يصل الى الأعماق الكبيره والمحل الذي رست فيه الباخره هو اقصى ما يمكنها ان تصله والعاده ان تأتي سفن شراعية صغيرة فتحمل الركاب وأمتعتهم ثم اموال التجار ولكن العاصفة في تلك الساعة كانت قوية فعندما تصل السفينة الواحده يتهافت الركاب عليها لكرائها حباً بألخروج ساعة أقدم فأنتظرنا حتى كثرت السفن فقاولنا أحدها بعشرة روبيات وبدأنا بإنزال أمتعتنا فكنا نربط الصندوق بألحبال ونـدليـه اليها فيحله نوتيتها ثم نربط حاجة أخرى وهكذا الى ان انزلنا جميع الغراض والسبب فى ذلك ان السفينة كانت لا تستقر أبداً والعاصفة تحركها بإستمرار فتميل الى كل الجهات وترتفع وتنخفض وترتطم بسلم الباخرة ، فجاء دور نزول الاشخاص فترددنا في ذلك لأنا قد نضع قدمنا على حافة السفينـه فتتحرك وربما نسقط في البحر فلم نجرأ على ذلك حتى أني صممت على الرجوع الى البصرة عن المجازفة هذه .

وفي أثناء هذا التردد قفز ضابط البحرية محمد أفندي من بيننا وقال أنا بحرية وهـذه صناعتي

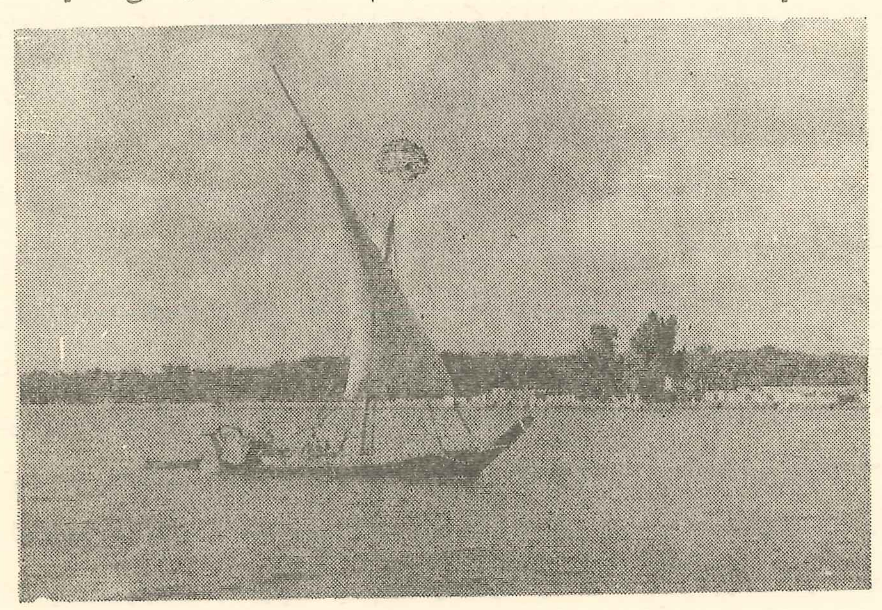
تنحوا جانباً عني فقلنا له مرحباً بك تقـدم ، فنزل وصار على آخر درجة من السلم وإنتظر عندما صارت السفينة بجانبه أمسك بكلتا يديه حبال الصاري ليرمي بنفسه وسط السفينه وفيما هو يفكر في السقوط لم تمهله السفينة فتحركت بلحظة الى الجانب الآخر فرمته في البحر فبدأ يعوم وعيناه في السماء وملابسه كانت شتائية ثقيلة والموسم كانون الثاني فبعدالجهد العظيم وصل حافة السفينة فأعانه النوتيه وأخرجوه وهو يرتعد من البرد فأحجمنا جميعاً عن النزول خاصةوأنا لا أحسن السباحة ولكني فكرت أخيراً في طريقة للنزول لم يفكر بها صاحبي وطبعاً إستفدتها منه فنزلت وإنتظرت مجيء حافة السفينة الي فحالما أمسكت بحبال الصاري رميت بنفسي فوراً دون أن أفكر في كيفية السقوط فسقطت في وسط السفينة فوق الصـناديق وربطات الفراش وأثنيت ركبتي في الحال وسكت فظن أصدقائي أن قد إنكسرت رجلي أو اصابني أي أذى آخر، فطفقوا يسألوني فأخبرتهم بسلامتي ثم تنحيت جانباً من المحل المذكور زحفاً لأخليه لهم فيسقطوا فيه فكنت أنا التجربة الثانية لهم فنزلوا كما نزلت وهكذا تم نزولنا جميعاً بسلام إلا ما اصاب صديقنا البحري فقد كلفناه بخلع ما عليه من الثياب وإرتداء غيرها ولو التفافاً بالاحرمةوغيرها فلم يقبل وكان خجلا منا وحانقاً على الهواء وعلى البحر فأكتفينا بأن رمينا فوقه بعض الأغطية فسارت بنا السفينة رافعة شراعها الى ان وصلنا الى محل لم تتمكن السـفينة ان تتجاوزه جائتنا زوارق صغيرة فنقلنا امتعتنا اليها وسارت بنا الى حد لم تتمكن ان تتجاوزه فجائتنا في هذه المرة الحمير ، فلم يقبل أصحابها ان ينقلوا إلا بعد ان تعينت الأجرة بيننا وفي اثناء حوارنا معهـم بشأن الأجرة ضاق ألامر برفيقنا البحري فقفز الى البحر وبدأ يخوضه بموجب المثل البغدادي (المبلل ما يخاف من المطر) فخرج الى الساحل ماشياً ، وخرجنا نحن راكبين على الحمير وأمتعتنا على حمير أخرى ، فجاءنا عمال الكمرك وأخذوا امتعتنا وكلفونا فتح الصناديق في الحال فلم نقبل فلما الحوا قبل رفقائي ولكني أصررت على عدم فتحها لأني رأيت يداًغريبة في المسألةفبلغت بغيتي وأخذنا امتعتنا وذهبنا صحبه رئيس العرفاء عبد الجبار الذي كان قد رأى البحرين قبل ذلك الى المقهى هناك لأحد البغادة فأسترحنا فيها وبتنا ليلة واحدة .

أما رفيقنا البحري فقد بدل ثيابه ونسي ما كان ، يوجد في البـحرين نوع من حيوان البحر يسمى (الروبيان) اشترينا منه كمية طريه قد أخرجت من البحر تواً فطبخناه وأكلناه مع الأرز

بألسمن فهو لذيذ جداً ، وفي صباح اليوم التالي تجولنا في البحرين وهي جزيرة كانت تسمى (جزيرة وال) وفي قديم الزمن ، فيها مدائن كثيرة فألبلدة التي خرجنا اليـها تسمى (المنامة) وهي عاصمة الجزيرة وتوجد اخرى على مسافة منها تسمى (المحرك) بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الراء) لم نذهب اليها وفي المنامة اسواق جميلة بمحتوياتها فقط وليس بعمارتها اذ يمكنك ان تجد فيها انواع الاقمشة وأشكال التحف (الخردوات) والعطور ثم مررنا على اسواق اخرى في بعضها دكاكين اللؤلؤ وفيها اصحابها كل بيده لؤلؤة يصقلها ثم على سوق آخر فيه انواع السماك المقدد وقد وضعوها كبيادر الحنطة والشعير مكدسة في الدكاكين من الارض الى السقف ،هواء الجزيرة حار ورطب فتجد الارض مبلولة وألاجسام هناك تتسخ بسرعة وهـذه الجزيرة تحت الحماية البريطانية منذ سنة ١٨٦٧ وبينما كنا نمشي في الساحل اذ وجدنا بناية تشبه الخان وبابهـا كبيرة وقد الصق على الباب اعلان فاتني ان انسخه بوقته وأتذكر انه يتضمن اختفاء احد أمراء البحرين ويذكر فيه انه ليس له حق بالرجوع او ما اشبه ومن يأتي به له كذا من المكافأة واتذكر ان هذا ألامير اسمه (علي) هذا ما اتذكر الآن وقد قرأت في كتاب حياة الشرق للطفي جمعه صفحة (١٠١) وفي سنة ١٩٠٤ أنزل السر برسي كوكس - الذي صار مندوباً سامياً في العراق بعد عشرين عام - جنوداً إنكليزية وطلب احراق بقية اسطول البحرين ونفى احد الامراء الى الهنـد خمسة سنين وهذه السنة ١٩٠٤ توافق السنة ١٣٢١ هـ التي كنا فيها في البحرين ، ثم ذهبنا الى مستشفى الامريكان قد صرفوا عليـه المبالغ ويصـرفون مبالـغ اخرى مسـتمرة لأدارته ، ورأينا الممرضات هناك تخدم الاعراب وعندما يأتي المرضى كل صباح يدخلوهم الى قاعة كبيرة يلقى عليهم فيها احد القسوس موعظة مسيحيه ثم يقوم فيصلي ويتلو الصلاة الربانية وهي (ابانا الذي في السماوات ... الخ) فيقف المساكين منتظرين انتهائها ثم تفتح لهم باباً من القاعة المذكورة تتصل بغرفة الطبيب ومن لا يدخل القاعة ويسمع الوعظ ليس له طريق الى الطبيب ووجـدنا بطاقـة الدواء (الرچيته) قد كتـب على ظهرها اقوال إنجيليه وجميـع جدران القاعـات والاروقه قد ملئت بألاقوال المتنوعة المذكورة ، هذا هو المستشفى الذي ينشئه الامريكان خدمة للانسانية ، لايريدون على ذلك جزاءاً ولا شكوراً إلا اشيئاً يسيراً وهو نبذ الدين الاسـلامي وأعتناق المسيحية (النصرانية) وهذه دي الحرية التي ينادون بها ! (مسـكين ايها الشرق)لم

تسلم حتى على دينك .

وفي البحرين يسمون كل دار وكل بناء (عماره) ثم تمكنا من الحصول على سفينة صغيرة



المراكب الشراعية التي كانت تحمل الجيش التركي من الاحساء وبالعكس في جميع الحالات وبعضاً تستعمل البواخر العائدة للشركات الاجنبية

تدعى (ماشوه) انتقلنا اليها قبل الغروب بساعتين فمخرت بنا ولم يكن هناك اقل ريح يفيدها في السير فبدلو الشراع الصغير بالمتوسط ثم بالكبير ويسمونه (العود) وهذه السفينة تعود الى شخص يدعى عبد الرحيم وهو متعهد ايصال البوسته (البريد) العثمانية التي تأتيه من البصرة في البواخر الانكليزية على العجير (العقير) وكان كيس البريد معنا في سفرتنا هذه . وقد اخذ الربان وهو شيخ يربو على الثمانين من عمره ضعيف البنية ينظر في البوصلة (الابرة المغناطيسية) ويعطي الاوامر للنوتية مثل لين الدامن ، شد الخماري ،شيل العود، فيجيبونه بصوت واحد، مرحبا ! والدامن بالفارسية هو الذيل بالعربية وهو الحبل الموصل بين ركن الشراع الاسفل ومؤخرة السفينة والخماري هو احد الحبال المربوطه في اعلى الشراع من جهة الصاري ولم احفظ اسماء البقية ،وعند

رفع الشراع يجرون الحبل المربوط برأس الشراع ماراً من البكرة التي في اعلى الصاري ويصيحون بنغمة واحدة هى يامولى إهى يامولى!

ناهيك بترديده كلمة غليون بين آونة واخرى فيكون الجواب لكل أمر من اوامره هومرحبا! والغليون هو النارجيله وهي صغيرة جداً من النوع المسمى (ناركيلة قصبه) التي كانت مستعملة في مقاهي بغداد نضطر لتعريفها حيث قدزالت الآن او اوشكت ، وهي جوزة هند يوضع فيها الماء قد ثقبت في محلين متقاربين يغرز في احدهما خشبة يقال لها بكارطولها ٣٥سم تقريباً مدورة ومثقوبة طولا تنتهي برأس رفيع يوضع فوقه الرأس وهو معمول من الطين المشوي شكـــله اسطواني ومثقوب الوسط وينتهي اعلاه مفتوحاً كالقدح يوضع فوقه التوتن ثم النار ويوضع في الثقب الثاني من الجوزة قصبة بطول البكار تقريباً فيمص مستعملها من فم القصبة فيجذب الدخان من التوتون ماراً في البكار الى الماء الذي في الجوزة ومنه الى القصـــبة صاعداً الى فم المدخن. والتوتون هذا يوضع يابساً غير مبلول ويدعى عندهم (خشكه) (يابس بالفارسية) وفي العراق يقال له (ابو زرير)، فيستلم صاحبنا الربان النارجيله فيمتص الدخان فيحرقها في نفسين اوثلاثة بلهفة شديدة ثم يعيدها الى النوتي الذي لم يزل واقفاً ينتظرها والمدة بين غليون وآخر لا تتجاوز الربع ساعة.

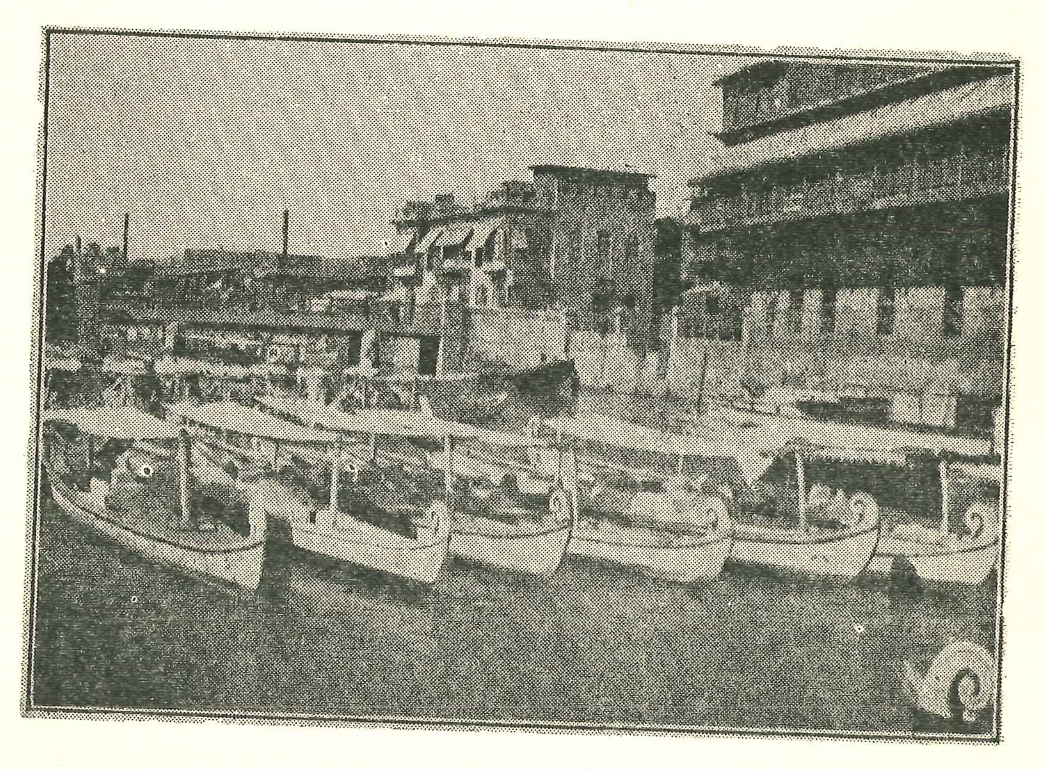
وبعد محاولة السير عبثاً لأن الهواء كان راكداً جداً اضطر ان يرسي في جهة من الساحل وهناك غليون ثم مرحبا ثم غليون ثم مرحبا وهكذا ، وبعد نصف الليل هب النسيم عليلا معطراً بماء البحر رفعوا العود (الشراع الكبير) وبدأت الماشوه تمخر عباب اليم قاصدة العقير وقد ساعدتنا الريح تدريجياً فوصلناها . والعقير ميناء وأمامها خليج بشكل دائرة فبدأت السفينة تمشي فيه كالافعى بشكل حلزوني كطريق الجبال تارة الى اليمين وآونة الى الشـــمال وفي كل مرة تغير وضعية الشراع فنزلنا عند آمر المفرزه هناك وهو الملازم سعيد أفندي . والبلدة عبارة عن حصن قديم يدعونه القصر يسكن فيه الضابط مع جنوده وبجانبه خان كبير توضع فيه أموال التجار الآتية من البحرين ريثما تأتي القوافل من الاحسا فتنقلها وعن يمين وشمال الداخل من باب الخان توجد غرفتان مشغولة من قبل موظفي الكمرك وهناك يسمى احتساب يعطى بالالتزام وكان الملتزم حينذاك علي بن فارس وهو في الوقت نفسه متعهد أرزاق الجنود المقيمين في الاحسافتعطى

له أوراق بقيمة الارزاق يخصمها من التزامه للكمرك .

وفي وجه الخان توجد دكاكين يباع فيها التمر والسمك المقدد والتوتون والشخاط ولايوجد غير ذلك . ويوجد برج (مفتول) منفرد على مسافة نصف ميل تقريباً الى يمين الخان المذكور وذلك اذا وقفت في باب الخان ووجهك الى البحر فيكون المفتول عن يمينك وإسم البرج هذا (ابو زهمول) وبالقرب منه توجد عين ماء ملحه تصلح للشرب للضرورة تؤدي وظيفة المسهل بعد ثلاثة ايام من الاستمرار على الشرب منها ولا يوجد عين غيرها للمسافر أما المقيمون هناك بصورة مستمرة فيجلبون الماء من مسافة بعيدة عن الساحل للشرب فقط ، وأما الطبخ والحوائج الاخرى فيستعملون لها ماء ابي زهمول .

فاقمنا ثلاثة ايام ننتظر القافلة اما رفقائي فهم اليوزباشي محمد علي افندي ونحن الاثنان ليس لنا من نعرفه في الاحسا و الملازم الثاني شوكت بك فهو ابن اخ البيكباشي احمد بك آمر طابور الاستر سوار (البغاله) وقد تعين في طابور عمه والملازم الثاني شفيق افندي هو ابن البيكباشي وفيق افندي وقد تعين في طابور والده ، اما الملازم البحريه محمد افندي فقد فارقناه عند وصولنا الى العقير في سفينة الى قطر للالتحاق بالبارجة الحربية (كليد البحر) كما قدمنا . فشوكت بك وشفيق افندي كتبوا هذا الى ابيه وذاك الى عمه ينبئانهما بوصولهما الى العقير ولما لم يكن موعد القافلة ارسلوا الينا ركائب (جمال) مع انفار ضبطية من الهجانة (هجين سوار = عكيل) فركبنا وبتنا الليلة الاولى في واحة كبيرة فيها نخل كثير تدعى البسيتين (تصغير بستان) وقد حدثت من قبل القوافل عند أكلهم التمر هناك ثم سرنا منها قبل الفجر فمررنا بالوادي المسمى بريمان وبتنا فيه وفي الصباح واصلنا السير وبعد قليل اذا بنا نرى فرساناً كثيرة على بعد فلما تقربنا منهم القيدناهم البيكباشيان احمد بك ووفيق افندي ومعهما بضعة ضباط وثله من الخيالة الاستر سوار (البغالة) والسبب في خروجهم لإستقبالنا من هذه المسافة هو قد طرق سمعهم بأن قد خرج علينا قطاع الطريق من البدو فجاؤا لنجدتنا والحال لم يحدث شيء من ذلك . وبعد الملاقاة انزلونا من الجمال وأعطوا كل واحد منا بغلا فركبناها . وقد احاط بكل من الملازمين شوكت بك وشفيق افندي بعض الضباط وكذا اليوزباشي محمد علي افندي وقد عرفه بعضهم لقدمه في الجندية وبقيت انا لايعرفني احد لست من الذين لهم اقارب في ذلك الجمع كالملازمين ولا كنت معروفاً في الجيش قبل ذلك

فبقيت امشي وحدي لا يلتفت الي احد إلا ان الملازم الاول رشيد افندي معروف لاحظ وحدتي فجاء لإيناسي والترحيب بي فكان يمشي الى جانبي ويكلمني طول الطريق جزاه الله خيراً ، ثم وصلنا الجشه وهي اول قرية لقاصد الاحسا فاسترحنا هناك قليلا ثم واصلنا السير فدخلنا الاحسا قبل الغروب ، فالملازمان ذهب احدهما الى دار ابيه والثاني الى دار عمه وأنا مع اليوزباشي ذهبنا تواً الى مركز بلوكنا (سريتنا) وهو في القره غولخانه (المخفر) المسماة (حميديه) وذلك بعد مواجهتنا آمر طابورنا (فوجنا) القول آغاسي عبد المجيد افندي.



اخذت الصورة سنة ١٩٢٤ تجد البلام المشاربة واقفة وفوقها النطاه (الظلال) للذهاب من العشار الى البصرة منتظرة ركوب الركاب حسب الاولوية وهذا المنظر اخذ مع جسر الهنود (جسر الصيادة الان) الذي انشأته وناسة بادية البصرة باشراف المؤلف ايضاً

الفصل الثاني

مدة البقاء في الاحسا سنة واحدة

وفي اليوم التالي بدأت الدعوات كل يوم عند احد الضباط فاولا عند البكباشية (المقدمين) ثم عند القول أغاسية (المساعدين) ثم كتاب الطوابير (الافواج) وهلم جرا الى اليوز باشيين ثم الملازمين وكان محل آمر طابور النشانجي (فوج الرماة) الحادي عشر الذي انتسب اليه شاغراً ومساعده كان في بغداد بالاجازة وكان قد استعير مساعد الفوج الثالث من الالاي الثالث والاربعين واسمه عبد المجيد افندي موقتاً لإدارته فكان للمومى اليه الفضل كله في تدريبي على الاعمال جزاه الله خير الجزاء، فقد عينني عضواً في مجلس الفوج وعضواً في هيئة الانشاآت العسكرية وبعد مدة في هيئة ديوان الحرب (مجلس الجزاء العسكري) ثم خسته لراغاس (مدير المستشفى العكسري) ووكيل خرج الطابسر اي مأمور استلام الارزاق وتوزيعها يومياً لمطبخ اللوج هذا عدا وظائف البلوك المختلفة ثم قدمني الى شعبة الاملاك السنيه (املاك السلطان عبد الحميد الخاصة) فكنت اشتغل للشعبة المذكورة بعمل الكشوف الهندسية وأخذ الخرائط باجره.

وكنت اخذت كتاب توصيه من بغداد من السيد مصطفى الواعظ الى الحاج عيسى الامام بالبصرة ومن الاخير الى السيد احمد افندي معاون رئيس شعبة الاملاك السنيه في الاحسا فصار لي معارف كثيرة، وتمرنت على الاعمال كلها مع ادارة السريه التي انتسبت اليها لان الرئيس محمد علي أفندي حفظه الله كان قد أودع إلي جميع الاعمال التي تخص السريه، فكنت أعمل برأي وأخبره بالنتائج فيستحسنها تشجيعاً لي مما زادني شوقاً الى الوظيفه، اما فوج الرماة فكان موزعاً أولا السرية الاولى في باب الكوت والثانيه في القشله والثالثه في قلعة خزام والرابعه في مخفر الحميديه.ثم تغير الوضع فأدى ذلك الى إنتقال سريتنا من الحميديه الى القشله كما سيأتي. بقينا مدة ثلاثة او اربعة أشهر في مخفر الحميديه ثم أمرنا بالانتقال الى القشله وهنا كنا نشترك في اليوقلمه (التفتيش اليومي) وقت العصر مع الافواج الموجودة في القشله وكيفية ذلك:- يصطف كل فوج على حده والفوج الآخر الى جانبه وهكذا على حسب الموجود وسعة المحل ربما تكون القوه كلها على خطين او اكثر في الساحة التي امام القشله وهي كبيره كما رسمناها في

الخارطة التابعة لهذا الفصل وبعد تمـام الاصطفاف يأتي نوبنجي بيكباشي (المقدم الخفر) او القول أغاسي المساعد فيأمر البورى زن (البوقي) فيضرب نقطه فيأتي جميع الضباط يقفون امام المقدم بشكل قوس فيلقي عليهم الاوامر الصادرة مـن القائد في ذلك اليوم ليفهموها الى الجنود ثم يذهبون بأشارة منـه وعند مجيئهم الى قطعاتهم يجدون الصفـوف قد إفترقت أي أن الصف الخلفي رجع خطوة الى الوراء والصف الامامـي دار الى الوراء فصار الصفان يواجه أحدهمـا الآخر فيمر الضابط بين الصفين ويلقي اليهم الاوامر وفي اولها يذكر لهم حتماً أنهم يجب عليهم أن يقيموا الصلوات الخمس في أوقاتها ثم الدعاء للسلطان ثم الدقة في الوظيفه الملقاة على عواتقهم مهما كانت وذلك بالتركية هكذا (بش وقت نماز، پادشـاهه دعا، قره قوله دقت) وعندما يجد المقدم ان قد حصلت الكفايه تقريباً يأمر البوقي فيضرب نقطه فيخرج الضباط من بين الصفوف وترجع الصفوف الى وضعيتها الاصليه ثم يضرب البوقي نقطة ثلاث مرات وفي آخر كل مـره يصيح الجنـود والضباط جميعاً وبلسان واحد پادشاهم چوق يشا (ليعيش سلطاننا كثيراً) ثم يضرب پايدوس (أنصراف) فيذهب كل الى محلـه ، وبعد ذلك يضرب قروانه (قصعـه) فيذهب المكلفون بجلب الطعام من المطبخ ثم يتناولوه في غرفة المنام او خارجها ، ولا نرى حاجة لاعطاء التفاصيـل عن الحياة العسكرية في ذلك الوقـت لان حياة الجنديه متشابهة في جميـع الاوقات وأنما ذكرنا ما تقدم لما فيه من الاساليب القديمه ، وكان القائـد في الاحسا في ذلك الحين امير اللواء فائق باشا وهو المتصرف أيضاً ، ومن الافواج العسكريه :-

فـوج الـرمـاة الحـادي عشر	آمره القول أغاسي عبد المجيد أفندي
نصـف فـوج البغـالـه	آمره المقدم احمد بك - النصف الآخر في بغداد
الفوج الثالث من الالاى الثالث والاربعين	آمره المقدم نعمـت أفنـدي
الفوج الرابع « « «	آمره المقدم وفيـق أفنـدي

أما الفوجان الباقيان من الالاى المذكور وهما الاول في قطـر والثاني في القطيف ، فالقوة التي كانت في الاحسا مجتمعة كلها فى القشله ومعها سريه مـن المدفعيه إلا فوج الرماة فكان موزعاً كما ذكرنا والبغاله كانوا في قشله (ثكنـه) خاصة ، والثكنة المذكـوره تسمى قصر ابراهيم وهو ابراهيم باشا المصري أبن محمد علي باشا ويوجد داخل الثكنة مسجد (جامع) تقام فيه الجمع

والاعيـاد والمكتوبات وله مناره والصـلاة فيه مباحه للجنود والضباط ولغيرهم من الاهالي خاصة أيام الجمع والاعياد ، وبما إنا نحن الضباط الثلاثه أتينا تواً من الاستانة ولدينا المعلومات الاخيره عن التعليم والتدريب العسكري وعندنا من النشاط الفكري والبدني مـا يجب الاستفاده منه ، صدر آمر المقدمين على مباشرة كل منا يوماً واحداً في تدريب الجنود فجمعت الافـواج ورتب منها فوج واحد ذو عدد كبير حسب الاصل لان الافواج كان موجودها ناقصاً جداً ، وان يتولى احدنا الامرة عليه وأجراء التمرينات المقتضيه ، فكنا كل بيومه نجري ذلك بكل شوق ولكن الرؤساء والضباط الآخرين كانوا يستاؤن من هذاالوضع يقولون (ان هذا آخرزمان يأتينا اولاد لاينقصهم الا المهدفيأمرون علينا) لانهم كان أكثرهم يبلغون السبعين من العمر و أكثرهم أغـاوات لايقرأون ولا يكتبون ، فلما رأى المقدمون أمرآء الافواج الحقيقيون ذلك أكتفـوا بهذه المده وكان كل منا قدباشر باجراء هذه التمرينات مرتين لانهم لايريدون ان يوغدوا صدور هؤلاء الرؤساء لان استيائهم في الحقيقة كان منهم لا منـا لانا انما قمنا بذلك بأمرهم ، وفي هذه المده حدثت الكوليرا (الهيضه) في الاحسا كما انها كانت عامه في العراق جميعه ، وفي أثناء اقامتي فى الاحسا هذه سافرت الافواج من العراق وكذلك من الشام مساعده لابن الرشيد في حربه مع ابن سعود وسنذكر تفصيل ذلك في الفصل السادس من هذا القسم .

وكان المتصرف فى الاحسـا قبل فايق باشا هو السيد طالب باشا النقيب ، قيل ان السيد المومى اليه أتى الى الاحسا عندمـا كان الامن غير مستتب فيها والفوضى سائده ولا هيبة للحكومـه وكانت شهرته قـد سبقته اليها فوصل الى العقير وأرسل الخبر الى الهفوف وسائر العشائر بأنـه سيسير من العقير الى الاحسا بمفرده فمن شاء التعرض لـه فليتقدم فلم يتجاسر على ذلك احد ، وعندما وصل قرية الجفر ولم يبق سوى ساعة او أقل بينه وبين الاحساء كانت معه عربة صغير محمله قطعاً على الجمال فاراد ان يدخل بها وهو سائقها زيادة في الابهه والتأثير حيث الاهالي ما كانوا رأوا عربة قبلها ولكن لسوء الحظ لم يتمكنوا من تركيبها لنقص طرأ على بعض أقسامها بواسطة التحميل على ظهور الجمال فدخل راكباً فرساً ، وأول عمـل أجراه أرسل الاخبار الى العشائر المتمرده بانه قادم اليها فلتستعد كي لا تقول انه فاجئها ثم أمـر فجهزت العساكر وقسم غير قليل من الاهالي فعسكروا في الركيجه (محل يبعد قليلا عن جنوب المدينه) لان العاده ان



السيد طالب باشا النقيب - نقيب البصرة

يعسكر الجيش اول ليلة في محل قريب لكي يتكامل ويستحضر معداته ويسمون هذه (تبريز) فبات تلك الليلة هناك على نية السفر في الصباح التالي ، فما أصبح الصباح إلا وقد أتت الوفود من كل جانب لعرض الدخاله وهكذا انتشر الامن فلم يتجاسر احد للتعرض والعصيان بعد ذلك وكانت سطوته ومهـابته عظيمه بدرجة ان الامهات كن يخوفن أولادهن بقولهن جاء السيد طالب وهذا بخلاف الازمان الاخرى ، فقد كان الاولاد اذا رأوا جندياً يمر في الطريق يصيحون

وراءه (عسكر ابو تيله (اليسكوله = زر الطربوش) انشاء الله تموت هذه الليله) واهم مشكله تعترض وظيفة المتصرف والقائد او قـل المشكله الوحيدة هي تأمين طريق العقير لان القوافل تذهب من الهفوف خاليه الى العقير وترجع حاملة أمـوال التجار الآتية من البحرين والبـدو تعترضها في الطريق فتسلبها فالقائد والمتصرف الذين يتمكنان من محافظـة القوافل هم السعداء فالمحافظة ممكنة بأسهل شيء وذلك بتخصيص مبالغ لرؤسـاء العشـائر تدفع لهم من التجار عن طيبة خاطر ولكن هذا هو العيب كلـه على الحكومـة اذن ما العمـل يجب محافظة القافلة بالقوة على كل حال فكانت القـوة الموجودة هناك ذاهبة آيبة مع القافله كل خمسة عشر يوم او كل شهر مرةواحده وفي بعض الاحيان تذهب قافلة غير رسمية تسمى (سريعه) بين كل قافلتين فهذه تذهب بدون قوة ولكن تتبع سطوة الحكومـه فأذا كانت قويـة ولهـا مهابة في نفوس البدو سلمت السريعة والا فتسلب وتسقط مكانت الحكومة في نفوس البدو والاهالي معاً .

وطريق العجير هذا صحراء قاحلة كلها رمال متحركة ترى اليوم هنا تلولا ويسمونها طعوس (وأحدها طعس) فتصبح بعد مـدة ارضاً بسيطة وتتشكل طعوس غيرها وهلم جـرا ولايمكن وضع علائم اصلا والسير في الطريق المذكور ليلا يكون بواسطة الجدى ونهاراً بواسطة الشمس والمسافة عباره عن ستة عشر ساعة للفارس المجد تقطعها القافلة في ثلاث او اربعة أيام ومنازلها من العقير الى البسيتينة ثم الى بريمان ثم الى الصبخة أو الجشة ثم الى الهفوف ، والطريق لا يوجد فيه ما يلتجأ اليه عند الضرورة حتى لو أمكن انشاء مخافر في المواضع القليلة التي يمكن انشاؤها فيها فلا يمكن إنجـاد أحدها الآخر عند وقوع هجوم عليها، وكثيراً ما فكرت الحكومه بانشاء المخافر المذكورة ثم عدلت عن ذلك لانها تكون قد سلمت الجنـود الى مخالب الموت هناك ولا يمكن حراسـة هذا الطريق الا بواسطة البدو ضد اخوانهم البدو ، فالحكومة كانت قـد خصصت رواتب لرؤساء العشائر هناك باسم أعانة او خدمه او هديه او ما اشبه من الاسماء وفي الحقيقة كانت تعطيها لهم رشوة لئلا يتعرضوا للطريق المذكور وكثيراً ما كانت تماطلهم به ولا توفيه بالتمام فيتعرضون للقافلة على حين غرة وهناك الطامة الكبرى ، ضياع بالاموال والارواح وتذمرات الاهالي وسقوط هيبة الحكومه ، وهؤلاء الرؤسـاء يقنعون بالشيء اليسير لانهم ليس لهم مورد رزق سوى المواشي فهم في فقر مدقع وسوف ترى في سفري الثاني الى الاحسا كيف

انهــم تعرضوا لسريعة ونهبوا أمـوال القافله لعـدم استيفائهم رواتبهم ومماطلة الحكومة لهم وسوف ترى ايضاً قضية اخرى عند رجوع فوجنا الى البصرة ماراً في الطريق المذكور في الفصل التاسع من هذا القسم اما في سفرتي هذه الاولى لم يحدث شيء من هذا القبيل .

تعرفت هناك بالعالم الزاهد الشيخ ابو بكر بن الشيخ عبد الله بن الشيخ ابو بكـر بن عمـــر الملا الاحسائي وطناً والعينتاني أصلا وبالشيخ عبد اللطيف من آل الملا ايضاً وهـو مفتي الاحـــا وولده الشيخ محمد وبالتلميذ الذكي الشيخ عبد العزيز بن عمر آل عكاس وأخويه محمد وعثمان وبالتلميذ النشيط الشيخ محمد من آل الملا أيضا (كلهم حنفية المذهب) ،وقد باشرت بقراءة الأجرومية شرح الكفراوي في النحو على يد الشيخ عبد اللطيف الملا ولم اكملها واكملتها في سفرتي الثانيـة وذلك كان في المدرسة الصغيره الكائنه بجانب المستشفى العسكري وشيئاً من شرح القطر لابن هشام على صديقي الشيخ عبد العزيز آل عكاس المذكور آنفاً ، كنت قد خصصت فصلا لوصف ما كانت عليه الاحساء في ذلك الحين ثم أرجات ذلك الى سفرتي الثانيه فتجد ذلك موضحا في الفصـــل التاسع من هذا القسم .



الفصل الثالث

(الرجوع من الاحسا الى بغداد ثم السفر الى الناصريه والبقاء فيها اربعة أشهر)

وبعد البقاء فى الاحسا سنة واحدة ورد جدول الترفيعات وفيه ترفيعي الى رتبة ملازم أول وتعييني الى الفوج الثالث من الالاى الحادي والاربعين ومن ضمن الترفيعات قائد طابور النشانجي المستعار وهو القول اغاسي (المساعد) عبد المجيد افندي فقد رفع الى رتبة مقدم فسافرنا من الاحسا ومعنا ضابطان آخران فقطعنا طريق العقير بدون حادث يذكر وفي سفينه الى البحرين ومن هناك في باخرة تجارية انكليزية الى البصرة وفي باخرة نهرية تدعى (برهانية) من البصرة الى بغداد ، فبقيت في بغداد شهر واحد او اكثر واكملت معداتي وسافرت منفرداً الى مركز الفوج الذي عينت اليه في الناصريه فاولا في أحد بواخر الاداره النهرية الى كوت الأماره ومن هناك في سفينة في نهر الغراف الى الحي وفي بلم (زورق عشاري) الى شطرة المنتفك وقبل وصولنا اليها رسونا في البدعة وهو محل تفرع نهر الغراف فرع يذهب الى الشطرة وفرع يسمى (البدعه) يمر في بعض العشائر ويصب في هور الحمار فبتنا هناك تلك الليله وكان مبيتنا في داخل البلم ولا تسل عن (البق) هناك فهو بدرجة عشرين واحده في الديسمتر المكعب من الفضاء وقد ملأ الفضاء كله وقد احس بنا مأمور الكمرك هناك وهو قريب منا على الساحل فجاء الينا ودعانا لشرب القهوة ومحله عبارة عن خيمة يسكنونها بالنهار وفي الليل ينامون على أسرة من سعف النخيل خارجها وهو له (كله) فوق سريره فبعد شرب القهوة الح علي أن أنام في سريره تحت الكله لئلا يلسعني البعوض فلم اقبل قلت له نحن مسافرون وقد تعودنا على البق وغير البق وهذه ليله وتنقضي فلا معنى لازعاجك ولم اقبل فنمت في الزورق وغطيت جسدي كله حتى رأسي (أي ورأسي لا الى حد رأسي لان البق لا يعافه كما يعاف بعض الناس رأس السمكه فلا يأكلونه) بجاجيم (حرام) وقصدي كان من التوقف في البدعه ولم يبق بيننا وبين الشطرة سوى ساعة واحده تقريباً هو ان لا أفاجئ أعمامي في الشطره في ساعة متأخرة من الليل وكنت أود ان أصبح عندهم ، وعند الفجر تحركنا فوصلنا الشطره عند طلوع الشمس ، وبعد بقائي في الشطره اربعة ايام سافرت هذه المره في مشحوف (وهو بلم خفيف وسريع السير معمول من الخشب ومطلي بالقير من الخارج) والسبب

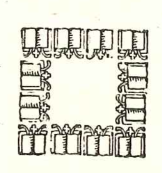
في ذلك ان نهر الغراف يضيق ويقل عمقه بالتدريج من الكوت الى الناصريه فالوسائط المستعمله فيه كذلك من الاكبر الى الاصغر ، تحرك بنا المشحوف رافعاً شراعاً كبيراً يبدلون وضعيته كلما أقتضى ان يدور في منعطفات النهر والريح كانت مساعده لنـا وكان معي نفر واحد او نفران من الضبطيه للمحافظه فبعد ان سرنـا من الصباح الى المساء وصلنا الى محـل عشيره بين الشطره والناصريه لا اتذكر أسمها والمحل الى الناصريه اقرب وجدنا النهر مسدوداً قد سدته تلك العشيره ووجهته الى مزروعاتها وأوقفت على محل السد حراساً مستعدين لبذل كل غال ورخيص في سبيل منع من يتجاوز على فتحه ولو جـر ذلك الى حرب ومهما كان الذي يتجرأ على فتحه كبيراً او صغيراً فقال لي احد الضبطيه الذين كانوا معي يجب ان نمضي الليله هنا ولكن لاجل ان لانكون صغيرين في أعينهم سأخبرك قبل ان نصل الى محل السد فتظاهر بانك مللت ولاتريد السفر ليلا وتود المبيت هنا وانا ادبر الباقي فلما تقربنا وقلت له ما قررنـاه على مسمع مـن الحراس قال ولكـن اخبرني هل تريد السفر عند الفجر ام بعد طلـوع الشمس قلت لـو كان عند أول الفجر يكـون أوفق حيث نصل الناصرية قبل اشتداد الحر وكان يعرف أن عادتهم ان يفتحوه عند الفجر فبعـد ان تلقى أمري خاطب الحراس بانهم يجب أن يفتحوا النهر عند الفجر لان الافندي لايحب الحر ويريد ان يقطع المسافه الباقيه قبل ازدياد الحراره فقالوا له نفتحه عند أول الفجر تماماً كما يحب وهكذا انطلت عليهم الحيله بأنا لسانا نعباء بمنعهم وانما أردنا المبيت من تلقاء أنفسنـا ، وعند الفجر تماماً فتحوا الماء فسار المشحوف والماء يجري أمامه الى ان دخلنـا نهر الفرات من محـل يسمى (السدينادية) وسرنا فوصلنا الناصرية وهناك توجهت الى القشله وواجهت آمر الفوج المقدم والكاتب والضباط فقابلوني جميعاً بالترحاب وكان الرئيس آمـر السرية التي تعينت فيها عـلي أفندي مظلوم وهو الذي كان معلم الرياضيات عندنا في المدرسة الاعدادية العسكرية في بغداد ، فرحب بي كثيراً وجمع السرية وأجرى رسم نصبي قائلا ايها الجنود يجب عليكم ان تطيعـوا أوامر فلان كما كنتم تطيعون أمري ولا تراجعوني في شيء أصلا أنما هو المرجع الوحيد لكـم وبهذه أخجلني فكنت احترمه وأراجعه في الكبيرة والصغيرة واصدر الاوامر باسمه كيـف لا وهو معلمي وله الفضل علي أولا فاولاني هذا الجميل آخراً ، وقد بقيت في الناصرية اربعة اشهر لم افارقها الا مرة واحدة بمأمورية (مهمة) خاصه وهي اعطائي الفوج (سند مخصوصه) اي تحويل

على مالية قضاء سوق الشيوخ قدره عشرون ليره تحسب على ما خصص للفوج من المبالغ هذه مهمتي منفرداً ومع الرئيس عبد الغني أفندي بمهمة اخرى وهو التحقيق عن الاختلاس الذي ادعى العرفاء انه جرى من قبل الرئيس خسروا اغــا في الخميسيه وذلك باعطائهم استحقاقهم مــن الارزاق ناقص الوزن فبعد ان وصلنا سوق الشيوخ على ظهـر احدى السفن راجعت مدير المال واخبرته ان يحضر المبلغ المحـول على صندوق القضـاء ريثما نرجع من الخميسيه ثم سافرنـا في مشحوف وحققنا المسأله فظهرت ما هي الا سوء تفاهم واجرينا المصالحة ما بين العرفاء ورئيسهم ثم رجعنا الى سوق الشيوخ وكتبنا التقرير الملائم عن القضيه ووقعناه كلانا ثم بدأت اراجع ماليه سوق الشيوخ لاجل تحصيل المبلغ فبدأ مدير المال بالمماطله كما هي العادة ، ويجب ان نشرح هذه العادة لانها غريبه اليوم .

كانت الجهة العسكرية في استانبول تخصص لكل فوج مبلغاً من المـال سنوياً حسـب معدل الصرفيات وتكتب بذلك تعاميم لكل اردو (مركز الجيش) تعلمه بها ولكل ولايه بما يصيبهـا من المبالغ حسب اقامه الافواج فمثلا تحول على ولاية بغداد المبالغ الخاصة بالافـواج المقيمـه ضمنها وعلى ولاية البصرة كذلك ، فالفوج يأخذ المبالغ المذكورة تقسيطـاً وحسب احتياجاتـه شهريـاً او نصف شهري او كلما احتــاج الى مبلغ ما ، ومن الجهـه كان دفتردار والولايات يجتهدون ان يؤخروا تسديد هذه الطلبــات ليتيسر لهم ارسال مبالغ اكبر واكبر الى استانبول والشكايات مستمره بواسطة المشيريه وهذه تكتب الى الولاة والاوامر تصدر من الولاة الى مأموري المال وجميع ذلك حبر على ورق لايطبق منه شيئ فاذا حصلت ضرورة ووافق الدفتردار استكثر المبلغ فتبدأ المماطله عندهم بقولهم لايوجد مال في الصندوق انتظروا الى ان تأتينا دراهم من التحصيلات واذا اتتهم الدراهم اخفوها وانكروها وهكذا فلا يحصل الفوج مطلوبه الا بشق الأنفس ، وكثيراً ما يطالبوننا بعدد الجنود وعدد الضباط ويتداخلون في الكبيرة والصغيرة من امور الفوج فيعمد الفوج الى الخدعه والحيله ولما كانت ارزاق الجنود مما يقدم على كل شيئ والمسؤول الوحيد عن عدم فوران قدر الجنود هي الجهه الملكيه (موحالده قزغان قاينابه حق) فيكتب الطابور عدد الجنود زائداً عن الحقيقه ويكتب مصاريف اخرى مثل تبييض القدور والقروانات (القصع) وشراء دهن لتنظيف الاسلحه وصابون لالبسة الجنود وحصر تفرش تحتهم وكل مـا هـو ضروري

ومحتوم فيقبضون ما يريدون (واكره ما يكون بنظر الماليين اذا كان في القائمة المقدمه رواتب للضباط كأن الضباط يمكنهم ان يعيشوا على الهواء) ويصرفون المبالغ حسب ترتيباتهم فيخصصون ما يلزم منه للارزاق والضروريات الملحه وما بقي لرواتب الضباط اما دفاتر الفوج فتمشي حسب الصرفيات الحقيقية ومحاسبة الفوج لا تجري من قبل الملكيه بل من قبل العسكريه وهؤلاء يعرفون المقبوض ولا يسئلون باي حالة قبض والمشادة كانت مستمرة بين العسكرية والملكيه على الدوام وبما ان الجهة العسكرية لها السطوة والقوة فكثيراً ما يستعملون هذه السطوه لأرهاب الملكيين وكثيراً ما وقع حبس الدفتردار او المحاسبجي او مدير المال في غرفته بوضع جندي مسلح على بابها والبرقيات تشتغل بين المراجع المختلفه وعلى هذا المنوال جرى اخذ العشرين ليرة من مالية قضاء سوق الشيوخ فقد انتظرت المحصلين (الجباة) ودخلت واياهم الى غرفة مدير المال فقبض منهم وقبضني في وقت واحد وذلك بعد التشديد والجدل مع مدير المال فرجعنا الى الناصرية .

وفي تلك الاثناء بمناسبة الاعتداء الذي جرى على حياة السلطان عبد الحميد من قبل الارمن بالحادثة المشهورة ونجا منها باعجوبة سنة ١٣٢٣ هجرية فأراد ان يقوم بعمل خيري فآستشار مقربيه حسب ما سمعنا واشتهر في حينه وكل اقترح شيئاً ولكنه اقترح ان يعطي ارزاق نفرين لكل يوزباشي ولكل ملازم اول او ثاني وذلك اضافة لما يتقاضونه منها فصار للرئيس ارزاق اربعة انفار و للملازمين ارزاق ثلاثة انفار فصدرت الارادة بذلك فاجريت لنا واستمرت الى النهايه الى ان أدمجت قيمة الارزاق بالراتب بعد المشروطيه ، ثم صدر الامر بسفر الفوج جميعه الى البصرة :

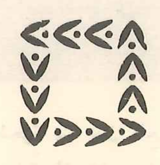


الفصل الرابع

ما عرفته عن الناصرية في ذلك الحين

كانت تسمى المركز او مركز الناصرية والنسبة اليها مركزاوي ، خططها المهندس البلجيكي (جولس تلي) في عام ١٢٨٦ هجرية ١٨٦٩ ميلادية) في زمـــن الوالي مدحت باشا ، سميت باسم ناصر باشا السعدون ، شوارعها واسعة ومستقيمة ومتعامدة مع بعضها ، فيها القشلة كما يسميها العسكريون والسراي كما يسميها الملكيون وهي بناية واحدة كبيرة مربعة الشكل تقريباً لها جبهة واسعة ذات طبقتين من الجهات الثلاثة الامامية والجانبتين اما الجهة الخلفية فليس فيها بناء سوى جدار السور ، وهي مطلة على النهر بينهما فسحه تساوي عمق القشلة واكثر.

وهذه الفسحة لتدريب الجنود والاجتماعات الرسمية وغيرها فأذا دخلت القشلة من بابها التى في وسط الجبهة تكون الفسحة ومن ثم النهر خلفك ويكون على يمينك الجهة الملكية الطابق الفوقاني للمتصرفية ودوائر الحكومه الاخرى والتحتاني للضبطية والبوليس والسجن وغيره وعن يسارك الجهة العسكرية الطابق الفوقاني للقائد ودوائره ومركز الفوج والضباط جميعاً والتحتاني للجنود وواجهة البناية جميلة للغاية وذات بهاء ورداء لائقة بدار للحكومة،اما البلدة فاسواقها لابأس بها فيها كل مايحتاج اليه من الضروريات وحيث ان المدة التي بقيتها فيها قليلة لايمكن ذكـــر شيء عن احوالها واحوال اهاليها ولكن بالجملة اقول انها بلدة ريفية اكثر منها متحضره لاتجد فيها من المتحضرين غير موظفي الحكومة ومنتسبي العسكرية وقليل من التجار والمتمولين .



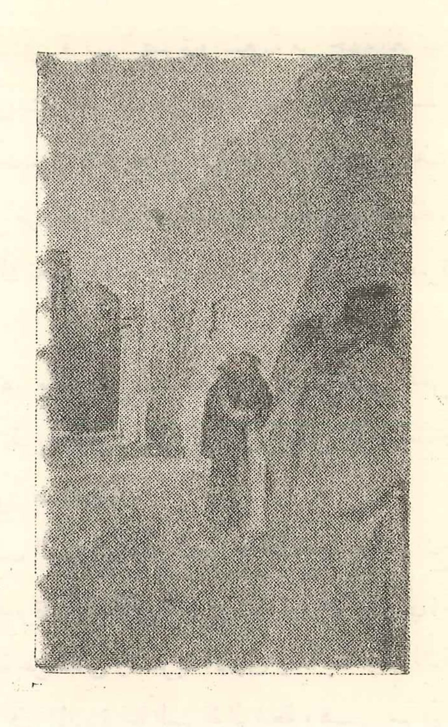
الفصل الخامس

السفر من الناصرية الى البصرة والبقاء فيها سنتين

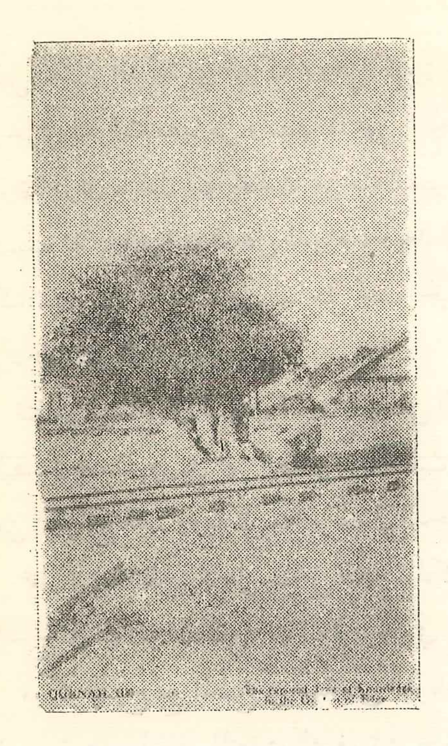
سافرنا من الناصرية في سفن شراعيه في نهر الفرات حصلنا عليها بصعوبة لان اصحاب السفن عندما فهموا ان الفوج يسافر الى البصرة هربوا بسفنهم خوفاً من ان نأخذ سفنهم بطريق السخرة وذلك في ظننا انهم يخافون من اخذها منهم بدون اجرة وفهمت بعد ذلك ان اصحاب السفن يسمون ذلك سخره حتى ولو كانت باجرة لانهم يكونون تحت أمر الجنود وليسوا احراراً في سيرهم ووقوفهم وسائر تصرفاتهم واخيراً تقررت الاجرة وصارت تمخر بنا عباب الفرات مارين بسوق الشيوخ وكرمة بني سعيد والمزلك وهنا تبتدئ بحيرة او هور الحمار (وتسمى من



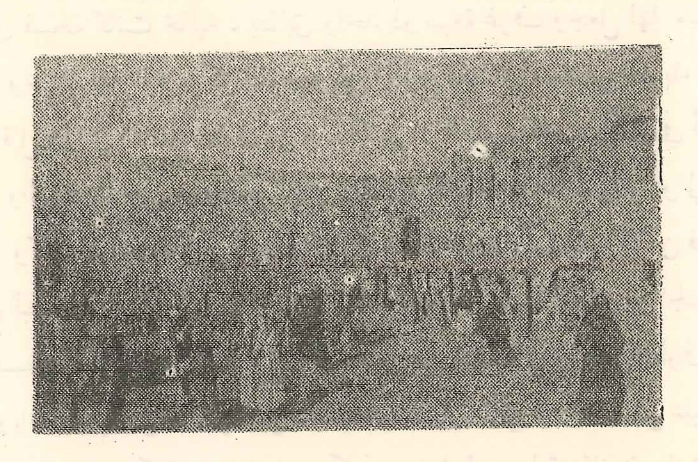
شجرة آدم « ع » وتسمى شجرة جنة عدن تقع في قضاء القرنة على ساحل نهر دجلة وقد قطعت الشجرة من قبل سلطة الاحتلال سنة ١٩١٥ ولشكاوي وتذمر الاهالي اعاد الانكليز بناء قاعدة لها بالاسمنت ولازال الجذع مطروح للان على الارض نظراً لانهيار البناية المذكورة وذلك لمرور اكثر من خمسين سنة عليه



منظر قديم لابنية القرنة في العهد العثماني
اخذت الصورة سنة ١٣٣٠ هجرية



سكة القطار العسكري الذي يعود للاحتلال
البريطاني سنة ٩١٥ ماراً بالقرنة



منظر قديم للسوق الريفي العشائري في قضاء القرنة بالعهد
العثماني سنة ١٣٣٠ هجرية

قبل العشائر البركة اي البركه) وهي كبيرة جـداً تنتهي قرب البصرة والشعيبة من جهة الغرب ويجري الفرات معها من وسطها فتنتهي بالجبايش ويستمر الفرات من هناك بساحليه واضحـاً مرة اخرى ، يقال انها تخلفت عن ماء البحر الذي انحسر بالتدريج في الازمنه القديمة،ولم تجف بسبب تغذية الفرات لها على الدوام ، وبعد الجبايش مررنا بالمدينة (تصغير مدينة) ثم القرنة ، كنا نسير نهاراً ونبيت على الساحل تحت الخيام وهناك نعمل الطعام للجنود الى ان وصلنا البصرة ودخلنا نهر العشار .

تنقسم البصرة الى قسمين قسم منها يسمى العشار وهو واقع على شط العرب والقسم الثاني نفس البصرة بعد المرور في نهر العشار مسافة ثلث الساعة تقريباً فبقينا تلك الليلة في السفن الاما نقلناه من الحوائج الضرورية الى مخفر سوق الدجاج بصور مستعجلة .

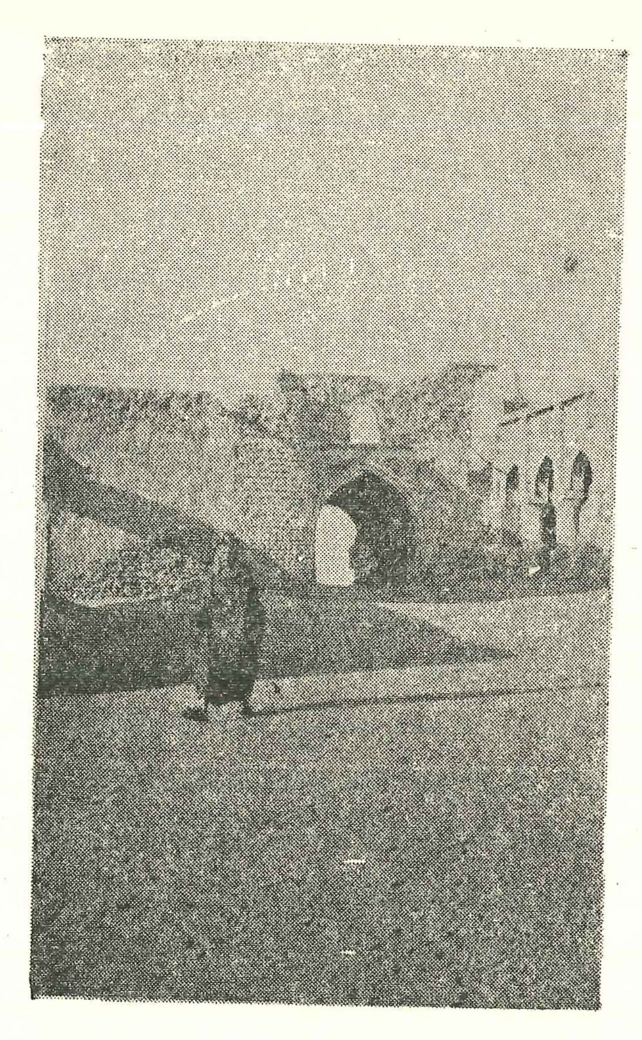
عملنا الطعام للجنود على ساحل النهر المذكور بجانب السراي وفي الصباح نقلنا جميع حوائج الفوج الى المخفر المذكور وبما انه لم يوجد في نفس البصرة بناية تكفي للفوج فقد توزعنا كما يأتي:-

مركز الفوج مع المطبخ في مستشفى الغرباء في محلة عز الدين والسرية الاولى والثانيـة والثالثة توزعت على المخافر المتعدده الصغيرة في جميع أطراف المدينة اما السرية الرابعة وهـي سريتي فبقيت في مخفر سوق الدجاج ثم صدر الامر بتوسيع المخفر المذكور باحداث بناية اخرى اكبر منه الى جانبه في فسحة كانت خاليه ، بطابق واحد ذو سبعة غرف وجعل لها مسلك يتصـل بالمخفر القديم وحينئذ نقل اليه مركز الفوج وبقي المطبخ فقط في مستشفى الغرباء .

ذكرت لك قبل هذا في الفصل الاول من هذا القسم ان البصرة كانت لاتخلو في أكثر الاوقات مـن اللصوص والسرقات حتى في وضح النهار ، امـا الان ففيها القائد وهو الوالي ايضاً الفريق مخلص باشـا وكان قد اتخذ تدابير واسعة النطاق لحفظ البلدة واستتباب الامن فيها وفعلا كان موفقاً فقد قسم البصرة والعشار الى مخافر عدة في أطرافها وفي قلبها فوضع من الجنود كل عشرين أو اكثر في احـدها وكل مخفر له فروع وهي قمار من خشب في رؤوس الطرق كافة وفي كل منها نفرين يتناوبان السهر ومن المخفر الذي تنتسب اليه القمارة تأتي دوريه تفتش عليها وعلى يقظتها وعدا ذلك تخرج دورية مشكلة من ضابط عسكري وضابط ضبطية وقانون چاوش (انضباط) وبوقي وخمسة انفار نظاميه ومثلها ضبطيه فيفتشون جميع القمار والمخافر من الغروب الى نصف

الليل وبعد ذلك يستبدلون بمثلهم من نصف الليل الى الصباح وفوق ذلك يخرج المقدم الخفر او المساعد الخفر (قول أغاسي) يفتش على الجميع في وقت مفاجيء غير معلوم هذا في البصرة و في العشار ايضاً ترتيبات مماثلة لما في البصرة يقوم بها الفوج الموجود هناك وتخرج احياناً دوريه مشكله من البغاله بين البصرة والعشار وفوق جميع ذلك يخرج القائد الباشا نفسه ومعه ثلة من الخياله في ليلة غير معلومة ووقت مجهول وعلى هذا المنوال كان الترتيب جاري بكل نظام وشدة ولم يحصل في ذلك تهاون قط وفي مدة الوالي المشار اليه لم تحدث اي سرقة واي فوصى مطلقاً حتى بعد مده طويلة من تبديله ايضاً بقيت تلك الهيبه في النفوس .

وبعد مدة من الزمن استلمت مخفر جسر الغربان فصار يعود الى سريتي ووضعنا فيه قسما من السريه واعطيت لهم بغال فصاروا بغاله (استرسوار)، وبعد مرور سنه ونصف تقريباً في البصرة امرت باخذ عشر نفرات معي بغاله وذهبت الى الزبير والقصد من ذلك محافظة الامن هناك ومنع دخول السلاح الى الزبير عن طريق الكويت وكان المقرر ان اخرج واتجول حوالي البلده ليلا ونهاراً في اوقات مختلفه وخاصة عندما احس بورود قافله آتيه من الكويت وكان معي ضابط آخر من الطابور الذي كان في العشار ومع عشرة نفرات مشاة وظيفته مسك السلاح في داخل البلده ولكن عبثاً حاولنا ان نضبط شيئاً من هذا القبيل لان البر واسع والطرق متشعبه والداخل كذلك فكان البيع والشراء في الاسلحه يجري في الخفاء وفي البيوت والمشتري يظهر حاملا ما اشتراه ولانعرف لانه ليس لنا قلم استخبارات فيخبرنا عند خروج السلاح من الكويت او حين دخوله البلد وكذلك معرفة البيوت التي يباع فيها وخروج المشترين منها الا ما نعمله من التحقيق بانفسنا وجميع الاهالي ضد الحكومه في هكذا مسائل وهم حتى في امورهم الخاصه لايراجعون الحكومه الا اذا كانت لهم شكاية عجز الشيوخ المحليون عن حلها بالحسنى ، فهم في واد والحكومة في واد وكانت هذه البلدة ناحيه وفيها مدير امره لايتعدى باب داره والحاصل ارسلتنا الحكومه لذر الرماد في العيون اي كونها ارسلت قوة لضبط السلاح وهذا كان اقناعاً للمتحمسين لها وهم قسمان فأما أنهم لهم حاجة في نفس يعقوب او حقيقين يحبون ان تكون الحكومة ذات سطوة ومهابة والامن مستتب اطنابه ، وكان علي ان اعمل دوريه الى صفوان وام قصر كل خمسة عشر يوماً مرة فأذكر اني لم اتمكن من عمل ذلك الا مرة واحدة خلال



دروازة الزبير إحدى أبواب قصبة الزبير التي كانت متصله بسور البلده وقد زالت هذه الباب وغيرها ولم يبقى اثر لها والسور الان اخذت الصورة سنة ١٢١٥ هجريه

الشهر والنصف الذي بقيته هناك وبعد ذلك طلبوني لاجل السفر الى الاحسا حيث صدر الامر بذهاب الفوج جميعه الى الاحساء .

ذهابي الى صفوان وام قصر :-

اجريت الاستعداد قبل يوم واحضرنـــا طعام للجنود واكمال معدات السفر ولما بدأنـــا نريد

الركوب جاءنا احد خدم الباشا (وهذا الباشا رجل متنفذ من الاهالي استحصل هذه الرتبة التي لقبها باشا بواسطة احد الولاة وامره لا مـرد له في القصبة وخارجها وهو خالد العون باشا) قائلا ان الباشا يدعوكم الى الحضور في الشعيبه والعربة حاضرة وهو في انتظاركم فقلت لـه بلغه مني السلام وقل لـه ان الواجب يقضي علي ان اذهب للدوريـه الى صفوان وام قصر ولي يومان وانا استعد لذلك فالان لا يسعني ترك ذلك وخاصه امام جنودي فيرون اني تركت واجباً عسكرياً لأجل دعوة خصوصيه ولو لم نجري الاستعداد وتصميم النيه للبيت دعوته فارجو ان يسامحني ويعفو عن قصوري ثم ركبنا حالا وسرنا ووجهتنا صفـوان .

لا ادري اذا كان في ذلك اليوم قافله قادمه من الكويت وحاملة للسلاح ام لا ان كان الامـر كذلك فخوف الباشا من تفتيشي ليس في محله ، ولكن هي بقية مـن سطوة الحكومة فيما مضى مـن الزمن زمـن قوتها وهيبتهـا والا فالبر واسع وانا سوف امشي من الطريق المألوفة وقد لا اصادفها او من المحقق أني لا اصادفها حيث هي تشمر كما تقـول العامه من بعيد اي تمشي مـن اطراف البر البعيد لا تراني ولا أراها .

ولكن الباشا المشار اليه بقى خاطـره على ولم اهتم لذلك ولا فاتحه بها بل تواجهنا بعـد ذلك مراراً كالمعتاد كان لم يحدث شيىء .

وصلنا صفوان وهي اراضي تسمى بهذا الاسـم وعلى جهتها اليمنى جبـل سنام وهو تل عال كبير منفرد لا وجود لغيره في تلك الانحاء .

وهناك قلعة او هي بناية مربعة بسيطة في داخلها غرف للضباط وللجنود فيها سرية مع ضابط واحد اسمه جميل افنـدي بن نجيب باشا فالجنـود في هذا البر المقفر لاهم لهل الا طبخ الطعام واكله ونوم وكسل مستمر الا وظيفة الخفر في باب القلعة وفوق السطح يتناوبونها وهم كثره لا يتضجرون منها ولا يسأمون فبتنا هناك في ضيافة الضابط،وعند الصباح ارسلوا معنا جندياًيدلنا على الطريق الى ام قصر فركبنا واردفناه مع احد الجنود وتوجهنا الى ام قصر الواقعةعلىساحل البحر تماماً واستقامة الطريق الى يسار مستقبل باب قلعة صفوان اي في شرق قلعة صفوانوكان المقرر ان نمشي الى الجهة المذكورة آنفاً باستقامة واحدة الى ان نرى تلا من التراب قد صنع بواسطة وضع الاشـواك التي تسمـى (العرفج) وهي كثيرة هناك وفوقها التراب ثـم عرفج ثم تراب

وهكذا كي لا تسفيه الرياح وقد صنع بواسطة الجنود الذاهبه والآيبه بين صفوان وام قصر لئلا يضلوا الطريق وعندرؤيةهذا التل نميل قليلاالى اليسار ايضاً فنصل الى ام قصر والمسافة بين القلعتين ثماني ساعات يقع التل في نصفها تقريباً وهو الى ام قصر اقرب ولكنا بقينا نمشي من الصباح الى الساعة الثامنة غروبية ولم نرى التل لان الدليل قد ضل الطريق ولما تحققنا موضعنا في النهايــة وجدنا انفسنا قريبين من صفوان فرجعنا اليها وبتنا ليلــة اخرى فاعطونا دليلا غيره ومشينا معه الطريق كله بسـلام فدخلنا قلعة ام قصر وهي على خور صغير من البحـر وفيها سرية ايضاً وضابط واحد اسمه قاسم افندي فبتنا ليلــه اخرى هناك ثم صعدنا الى الزبير من طريق آخر مستقيما يوازي البحر وشط العرب والمسافــة اثني عشر ساعة بالضبط تحركنا صباحا ووصلنا بعد الغروب اما وظيفةسرية ام قصر فهي كوظيفة اختها في صفوان تماماً وفهمنا بعد ذلك ان كلا السريتين تستعملان الحشيشة والكسل آخــذ بخناقهما ولا ادري ماذا يعملان اذا داهمهما عــدو وبقينا في الزبير الى خامس عشر الشهـر الثاني من حلولي في الزبير ثم نزلنا الى البصرة للسفر الى الاحساء.

وقبل ان نختم هذا البحث طرق سمعي وانا في الزبير ان الجيش الذي كان في القصيم من اراضي نجد والذي تجمع هناك بقيادة المشير احمد فيضي باشا مساعدة لابن رشيد على خصمه ابن السعود القسم العائد للجيش السادس منه يتحرك من موضعه الى بغداد عن طريق بري صرف الى البصرة ويمر بالزبير وصارت الاخبار تأتينا كل يوم بوصوله الى محله يسمونه فاكتب الى قائد الفوج وهو نخبر قائد البصرة بالكيفية فاتاني أمر من القائد بان اكتب اليــه راساً عندما يصلون الزبير واول الاخبار التي اتتنا كتاب بامضاء عبدالعزيز آل سعود الى احد مختصيه في الزبير وقد اراني اياه والجمله الخاصة بالجيش هي هذه كتبتها بحروفها :ـ الى مرجعي بالبصرة وهـو اخبر بها القائد (وصلنا البكيرية وتمكنا على دفع هذه الاذية عن المسلمين الا وهي العساكر التي في نجد) والاخبار هي عن وصولهم مرحلة فرحاــة الى ان وصلوا الزبير فعسكروا في الدريهمية مسافة نصف ساعة عن الزبير للماشي وبعد مواجهتنا معهم نذكر ما استخبرنا منهم يقولون انه جرت مصادمتــان او ثلاث بينهم الجيش وجماعة ابن رشيد من جهة وجماعة ابن سعود من الجهة الثانية بدون نتيجه وبعد ذلك بقوا سنتين تقريباً وهم لم يروا من ابن سعود شراً وكان قد ذهب عنهم



عبد العزيز آل سعود

المشير فبقى القائد الفريق واخيراً عملوا مضبطه وقعها جميع الضباط والقادة بانه ليس من فائدة في بقائهم هناك اكثر من تلك المدة وفي رجوعهم الى معسكراتهم في بغداد وفي الشام مصلحة وقرزوا السفر بعد ان اتفقوا مع ابن السعود على ابقاء مفرزتين (سريتين) الواحـــده في عنيزه والاخرى في بريده لسببين الاول كان الحمله توقفت فيما قصد من ارسالها وبالنتيجة وضعت

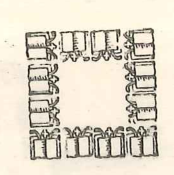
قوة في محلين من البلاد ثانياً بما ان جزيرة العرب جميعها تعتبر من املاك الدوله ولو أسمياً فقد وضعوا المفرزتين بناء على مصلحة ارتأتها الدوله ولها الحق في ذلك .

اما احوالهم عند رؤيتنا لهم فكانوا في شر وضع لا يشبهون الجيوش بوجه من الوجوه وان اكثر الجيش قدمات بالامراض المختلفة واهم الاسباب هي قلة الغذاء لأن الدفعات التي كانت ترسل اليهم كانت متباعده بحيث يأكلون ما يرسل اليهم ويبقون ينتظرون، لقد اخبر بعضهم انهم اكلوا جلود الاحذيه الجديدة التي ارسلت لهم وكانوا يفتشون في روث الخيل علهم يجدون فيها حبات شعير لم تهضم فيأكلونها والبعض الاخر نفوا مثل هذه الاخبار وعلى كل فهذه الاخبار المتناقضه تدل على ضيق اصابهم من جراء قلة المأكولات وعند سفرهم اعانهم بن سعود بتسهيل تدارك الجمال وغير ذلك وقد حملوا المدافع على لوحة كبيرة من الخشب وفي جانبيها اعواد طويله ممتده لمسافة تكفي ان يكون المدفع بين جملين الواحد أمام الاخر وقد شدت رؤس الاعواد بحبال متينه وربطت في رحلي الجملين كهيئة التختروان تماماً فيمشي الجملان وبينهما المدفع محمول على اللوح والبنادق الزائده عن الحاجه بسبب موت اصحابها قد حملت في صناديق على ظهور الجمال وهي كثيرة وكذلك الخيم والقدور والقصع وجميع حوائج الجيش .

وعندما نزلوا في الدريهميه ارادوا أن يتصحبوا فقال الرئيس صديقي الذي كنت في خيمته وهو جميل فهمي لجندي أعمل لنا ضوء فأتى بصحن صغير واضعاً فيه قليلا من السمن وخيط من القطن مغموس احد طرفيه في السمن والطرف الاخر بارزاً قليلا عن حافه الصحن فاشعله فاضاء المكان فقال الرئيس ان هذا هو ضياؤنا هناك والحاصل اتو في حاله يرثى لها وكنت كتبت للقائد في البصرة عن وصولهم قبل ان احضر عندهم في الدريهميه وارسلت الكتاب مع احد الضبطيه فبعد المبيت هناك ليله واحدة سافروا الى البصرة .

اما الزبير فبلدة نجدية قبل ان تكون عراقية فهي لاتشبه مدن العراق حتى ولا البصرة القريبة منها بمبانيها واسوقها وأهاليها فالمباني من الطين والجص مستعمل فيها بكثره لوجود الحجر الصالح لذلك وهناك يحرق الجص ويرسل الى البصرة ، تجد البنايات مبيضه كلها بالجص من الداخل والطرق والعقائد مستعمله بكثره لقلة الاخشاب هناك وغلائها اذا جلبت وسقوف الاسواق كلها عقائد وقباب وهي ضيقة وغير منتظمة ولايوجد فيها ميادين الا قليلا والميدان

الكبير المسمى (الصفا) تكثر فيه الجمال و البقر والغنم وهي تباع فيه ولا بناية هناك للحكومة و للمديرية دار بالايجار ، اما نحن العسكريون فقد اجرت الحكومه لنا خاناً فيه بعض الغرف و الباقي كله أصطبل للبغال وهو طبقة واحده كما ان اكثر البيوت ذات طبقة واحده والحاصل ومن اراد ان يرى الاحسا وعنيزة وبريده وحائل والرياض وغيرها فليرى الزبير ولايسعنا اعطاء التفاصيل هنا اكثر ومن اراد ذلك فالبراجع الفصل الثاني والفصل العاشر من هذا القسم وفيها تفصيلات عن حالة الاحسا وهي شبيهه بالزبير كما قدمنا .



الفصل السادس

ما عرفته عن البصرة في ذلك الحين

المحلات في البصرة –

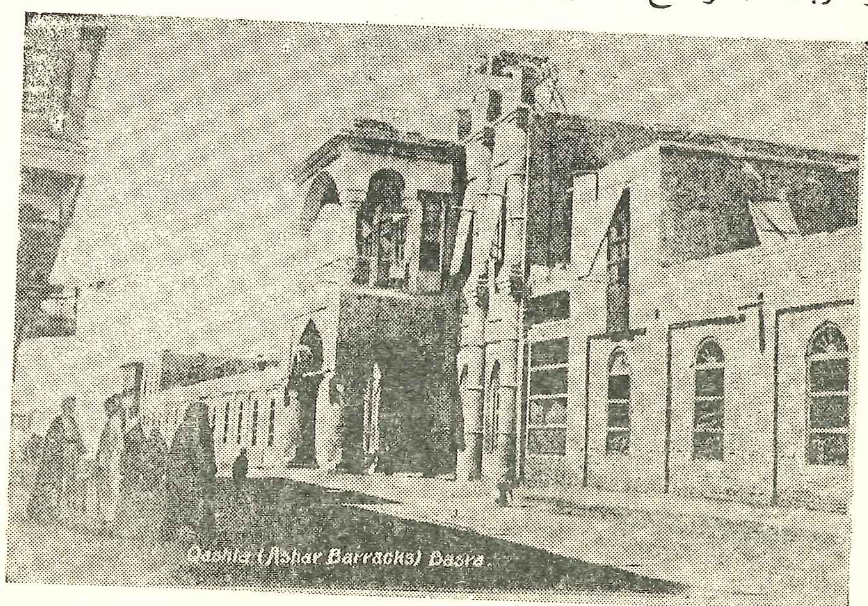
العباس ، الفرسي ، السمير ، جسر الملح ، ابو الحسن ، يحي زكريا ، المجصه ، جسر العبيد ، بستان قصب المشراق ، القبله ، البلوش ، الباشا ، السيف ، سوق الدجاج ، الخضر ، المعصره ، الصبخه الكبير الصبخه الصغيرة ، نظران ، كوت الحجاج ، العبودة ، البو صالح ، خفاجه .

المحلات في العشار –

الساعي ، ام البروم ، العشار ، المقام ، ام الدجاج ، الرباط الكبير ، الرباط الصغير ، الكزاره المناوي ، البراضعية ، الخندق .

الجسور –

جسر الخندق ، جسر الرباط ، جسر الخورة ، جسر العشار ، جسر الصبخة ، قنطرة بيت اندريه جسر الغربان ، جسر الملح ، جسر العبيد ، جسر حسن داده ، جسر الخضرايـة ، جسر العروة.



القشلة العسكرية التركية في البصرة – العشار والتي اصبحت سوقاً لبلدية البصرة الان

اماكن الحكومة –

مستشفى الغرباء – في محلة عز الدين ، مستشفى البحرية – في التنومه ، السراي – المدرسة الاعداديه الملكيه في محلة السيف – وفي العشار ، قشلة البحريه – في المناوي ، الطوبخانـه – في المناوي ، الكمرك ، في صدر نهر العشار ، السجن – في السراي ، مخفر سوق الدجاج – في محلة سوق الدجاج .

البساتين والمزارع –

هذه مكتنفة البلده ومتغلغله فيها ومتصله شمالا الى القرنه وجنوباً الى الفاو وغرباً الى مسافة غير قليله تبلغ مساحة هذه الارض الزراعية حوالي المائة الف إيكر اما المزروعة بالنخيل فقط فخمسة وسبعون الف إيكر اما عدد النخيل فيبلغ حوالي ستة ملايين نخلة ومجموع انتاجها السنوي يقدر بمائة وثلاثين الف طن يصدر منها مائة الف طن تقريباً .

الحمامات –

حمام السيف – في محلة السيف بالقرب من السراي ، حمام الصبخة – في محلة الصبخة الكبيرة ، حمام قصب – في محلة بستان قصب ، حمام سبتي – في محلة القطانه ، حمام العشار – في العشار .

الحكومة –

البصرة مركز ولاية مسماة باسمها ولها من الألوية ثلاثة العماره والمنتفك (مركزه الناصريه) ونجد (مركزه الاحسا) يرأسها والى وتشكيلاتها الادارية كولاية بغداد وهي مركز قياده عسكرية تراجع الفرقة الحادية عشرة في بغداد .

اللغة –

ونقصد اللغة العاميه وهي كما في بغداد الا بعض الكلمات الفارسيه و العربيه الاخرى الخاصه باستعمال اهل البصرة نذكر لك ما أطلعنا عليه منها :–

امريخان	= الضباب	) حصبى	= الحصبه
تورشع : بتورشع	= تعلق بـ : تشبث بـ	) حرب القلم	= قطع القلم او قطه
تلعوس : يتلعوس	= تلـوث	) دحروجه	= بيضة جمعها دحاريج
تفطر : يتفطر	= افطر في رمضان	) راوي	= ناضج للفواكه وغيرها

جود : يجود	أمسك	سحق : يسحق	داس ضغط برجله
حامي	ستارة السطح	شاكاسه	كاسه (الاصل وشاه كاسه)
حر	كلمه يحث بها الحمار	طاح : يطيح	سقط
طوفه	جدار	عور : يعور	ألم : يؤلم
قاع	بستان	كوچه	شارع : زقاق
كشته	تنزه	متليك	ربع القرش الضاغ
ملاسي	النبق بدون نوى	واجد	كثير
هست	موجود		

الحاصلات —

التمر وانواعه كثير تتجاوز ٣٦٠ نوعاً واشهرها الحلاوي والخضراوي والساير (اسطه عمران) والبريم والبرحي والخنيزي واسحاق وليلوي والفرسي والحساوي والعويد والحويز والأشكر والسكر والخصاب والدكل ، والخضروات بانواعها والفواكة قليله .

الاسواق —

سوق كاظم اغا ، سوق الخفافه ، سوق القطانه ، سوق الحكاكه ، سوق السيمر ، سوق العشار

الاماكن العامه —

هي المقاهي لا غير اشهرها قهوة الحاج داغر في سوق كاظم اغا من جهة محلة البلوش ، قهوة سلمان في سوق السيمر قرب السراي ، قهوة خضير في العشار .

العملة —

هي العثمانية بانواعها وزيادة على ذلك الروبيه واقسامها والقرآن الايراني واقسامة ومضاعفاته.

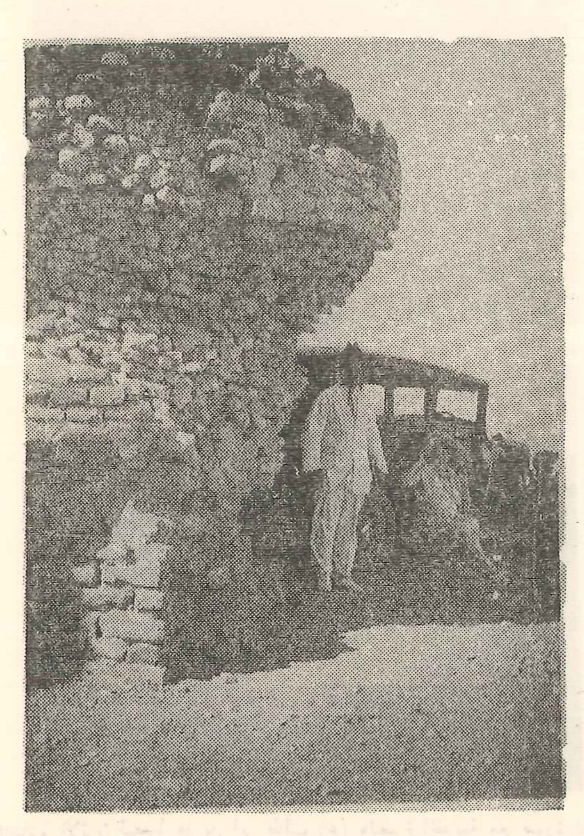
التجارة —

تنحصر فى شراء التمور من ملاكيه وتعبئته في صناديق وارساله بالبواخر البحريـــة الى لندن والى امريكا وفي الخصاف الى الهند وسواحل افريقيا وكـذلك شراء الحنطه والشعير وارسـالهما الى اماكن مختلفه وجلب المواد العطارية من ايران والهند وسائر المواد الكماليـه والاقمشة مـــن بغداد للأستهلاك المحلي .

الأستقاء ـ

تنقل المياه بواسطة السقائين الذين هم على الاكثر من اصل ايراني يحملونه على الحمير في قربتين صغيرتين على كل جانب من الحمار واحده والأثنتان تعادل واحده من التي يستعملها سقائـو بغداد والماء على نوعين من نهر العشار حين المد وهو لجميع الحاجيات البيتية عدا الشرب وطبخ الطعام ومن شط العرب يؤتى به في براميل موضوعة في زوارق كبيره يشتري منه زبائنه السقائون يوصلونه الى البيوت والماء هذا يسمى ماء حلو او ماء الشرب والذي قبله ماء خرج .

المقاييس ـ



صورة المؤلف ـ عند اشتغاله ملاحظ فني في رئاسة بلدية البصرة وبجانبه ركن لجامع سيدنا علي بن ابي طالب (ع) المتداعي والمطلوب تعميره خوفاً من سقوطة فقد اشرف عليه المومى اليه على البناء المذكور في سنة ١٩٢٥م ولاول مرة حيث قد اجرى تعمير الركن المذكور بعد التعمير الاول مرتين بسنتين مختلفة .

للطول : الذراع البصري وهو يارده انكليزية بالضبط .

للوزن : الوقيه وهي حقتان ونصف استانبوليه = ١٠٠٠ درهم ، المن ٦٠ حقة .

المن ٦٠ حقه استانبوليــه	=	٢٤ وقيــه .
الكاره الكبيرة ٤٠ مــن	=	٢٤٠٠ حقه استانبوليه .
الكارة الصغيره ٢٠ مــن	=	١٢٠٠ حقه استانبوليه .

الآثــار ـ

منارة جامع البصرة القديمة او هي ركن الجامع المذكور وقسم من جدار الجامع المتصل بهـا



ركن من اركان الجامع الاثري لسيدنا علي بن ابي طالب (ع) بالبصرة القديمة مع صورة للؤلف بملابسه المدنية ان الخطاب المشهور لسيدنا علي عليه السلام في الجامع المذكور والمدرج في معجم البلدان صفحة ٢٠٢ الطبعة الاولى ـ يقول الا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني وجدت البصرة ابعد بلاد الله من السماء واقربها من الماء واخبثها ترابا وأسرعها خراباً ليأتين عليها يوم لا يرى منها الاشرافات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر

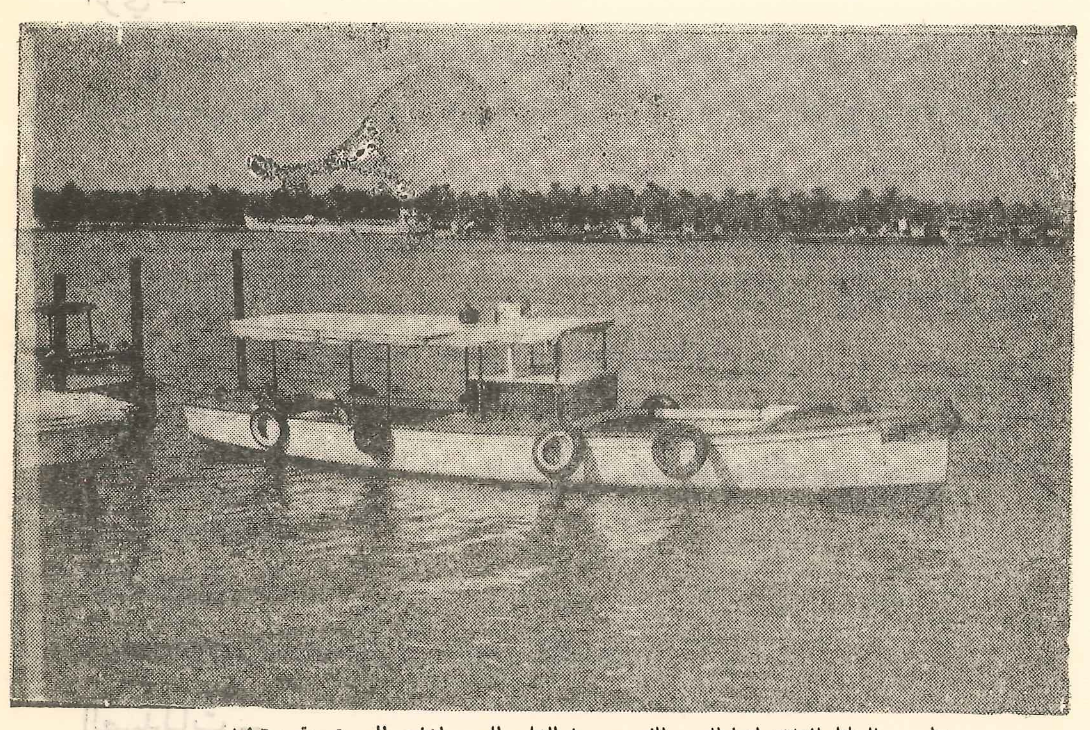
وهي في طريق الزبير وبالقرب منه . قبة حسن البصري وهي في المقبره في جانب قصبة الزبير ، وجامع الزبير بن العوام في قلب البلده ، وجامع الكواز ومنارته في محلة المشراق ع

وسائط النقل -

الزوارق في نهر العشار وهي للسفر بين العشار والبصرة ونقل التمور وغيرها من البساتين الى ضفة شط العرب و نقل الاشخاص بين جميع اقسام البصرة والقرى الجنوبيه والشماليه وهذه الزوارق تدخل وتتغلغل في جميع الانهار الكبيرة والصغيرة والحمير بين البصرة والعشار والقرى الجنوبية كذلك وقليل جداً من العربات التي تجرها الخيل .

نظرة عامه -

البصرة قسمان نفس البصرة والعشار فالعشار يقع في الزاوية الشماليه من نهر العشار احدى



منظر من المناظر الخلابه لشط العرب الذي يصب في الخليج العربي اخذت الصورة سنة ١٩٦٠م

جهاتها على شط العرب والثانية على نهر العشار والبصرة تقع على ضفتي نهر العشار بعد امتداده مقدار نصف ساعة لراكب الزورق (البلم) القسم الاكبر على الضفة الجنوبيه والاصغر على الضفة الشماليه وكلاهما البصرة والعشار متشعبة ومتفرقة غير مجتمعة بينهما فراغ او بساتين (والجنوب) وهي القرى والبساتين الكائنة بين البصرة والفاو فالبصرة بدون الجنوب ليست بشيئ لان اكثر اهل البصرة لهم املاك واتصال بالقرى و البساتين هناك وكل ثروتهم منها فتراهم ذاهبين آيبين في جميع فصول السنه .

العادات -

يسدون دكاكينهم ظهراً ويذهبون الى بيوتهم للغداء ثم يعودون .

المناخ -

هواء البصرة حار ورطب وماؤها مخلوط بماء البحر وماء الاهوار وفيه بعض الملوحه .

الري -

يجتمع دجله والفرات في القرنه ويشكلان شط العرب والبصرة واقعة على ضفة شط العرب اليمنى فتتشعب منه انهار كثيرة من هذه الضفة تتجاوز الـ ٥٠٠ نهر وتتفرع تبتدئ من القرنه وتنتهي في الفاو وتتفرع في الداخل كثيراً ولا يوجد لديهم آلات للسقي بل الانهار هذه يرتفع ماؤها بسبب مد البحر ويسقي جميع البساتين ثم ينخفض مرتين في اليوم .

التصوير -

المصور عبد الكريم فقط كان يقيم احياناً بالعشار وبعضاً بالبصرة .

الجرائد -

(جريدة البصرة) الرسمية فقط مؤسسها علي أفندي تحت نظارة المكتوبجي وتصدر باللغتين العربيه و التركيه .

المطابع -

مطبعة الحكومه فقط تدار تحت نظارة المكتوبجي .

الصيدليات -

صيدلية عزيز في البصرة بجانب قهوة البلديـة .

الاطباء -

الطبيب قسطنطين واطباء الافواج العسكرية كانوا يطببون احياناً لحسابهم .

الزي -

كأهـل بغـداد بالتـمام .

المكتبات -

دكان واحد تباع فيه الكتب في سوق كاظم آغا عند باب جامع عزيز آغـا .

المدارس -

المدرسة الحلليه وهي دينيـه .

الفصل السابع

سفري الى الاحسا للمرة الثانيــه

وفي ١٦ كانون الاول ١٣٢٢ (٣ كانون الثاني ١٩٠٦ و ٨ ذو القعده ١٣٢٣) طلبت من الزبير مع جنودي فأتيت البصرة وخيمنا في داخل القشله في العشار إستعداداً للسفر وسافرنا يوم ١ كانون الثاني ١٣٢٢ . أخذنا معنا ارزاق لمدة ستة أشهر في الباخرة (جان سكوت) ملك عبد الله العبد الرحمن البسام وهي صغيرة يقال لها (چايه) تستعمل لنقل الاموال الى البواخر الكبيرة الراسية في صدر الفاو . ركبنا فيها السرية الثالثة وكاتب السطور أنا وكنت منسوباً الى السرية الرابعة ومأموراً على الجبخانه (العتاد) التي اخذتها معي في هذه الباخرة أيضاً وبقية فوجنا (س ٤١ . ط ٣) مع الفوج الآخر (س ٤١ ط١) المنسوب الى عبد الرحيم أفندي لأن الافواج كانت تسمى بإسم قوادها إختصاراً أثناء الكلام .

ركبوا في الباخره (محمدي) العائدة ملكاً لآغا جعفر وسافرنا الى الفاو ومنه الى عرض البحر متوجهين الى رأس التنورة وعند خروجنا الى عرض البحر كانت الريح شديـدة جداً فكانت جان سكوت تتحرك طولا فيرتفع مقدمها وينخفض مؤخرها حتى لتظن انها ستغرق ثم ينخفض المقدم ويرتفع المؤخر وهكذا فكنت مضطجعاً في الغرفة فأصابني الدوار فرأيت احسن وسيلة ان اصعد الى سطح الباخرة فوقفت في وسطها من جهة الطول ومن جهة العرض وصرت اتفرج على الامواج ونزول الباخرة وصعودها فلم تؤثر في الحركة وعند انخفاض مقدم الباخرة كانت الامواج تدخل في الباخرة من الجانبين كالجبال وعند صعودها ثانية يخرج المـاء من الثقوب الموجوده بجانبيها وهكذا وبقيت الساعات بهذه الوضعية الى ان سكن الريح فوصلنا في صباح اليوم التالي رأس التنورة وكان التصميم ان ننتقل الى السفن التي تأتينا من القطيف بالميعاد المضروب ونتوجه الى العقير فلم تأت السفن والبواخر لا يمكن ان تبقى فقبطان الباخرة (محمدي) اقترح ان تنقل حمولة باخرته الجنود والموادالى الباخرة (جان سكوت) وتذهب هي وتبقى (جن سكوت) تنتظر انتقالنا منها الى السفن فلم يوافق قبطان (جان سكوت) وحجته في ذلك ان مقدار الجنود يتجاوز الالف

ولاتوجد مراحيض كافية في باخرته فيحصل اضطرار لتوسيخ الباخرة جميعها وهذاغيرموافق صحياً وأدبياً فقر الرأي على الخروج الى البر جمعياً وترك الباخرتين وهكذا كان فنصبت الخيم ونقلت الارزاق والمهمات وكل شيء وبتنا هناك تلك الليلة وفي الصباح التالي اتت السفن فانتقلنا اليها فحصل هناك تهالك بين الضباط والكل يريد الركوب في السفن الكبيرة لظنهم انها آمن من الصغيرة فيما اذا حدث حادث وحصل هذا التهالك من قبل الضبـاط الذين معهم عائلاتهـم على الاكثر . أما انا فركبت في احدى السفن الصغيرة ومعي الجبخانة (العتاد)وقسم قليل من الجنود ومعي الرئيس عثمان آغا قائد السرية الثالثة فسرنا بمرافقة الريح من وقت الضحى ووصلنا قبل الغروب الى العجير لم يسبقنا الا سفينة واحدة صغيرة ايضاً فقد وصلت قبلنا بنصف ساعة تقريباً فكان فيها الملازم الاول عبد القادر افندي الملقب (آلمـان) اما السفن فبـدأت تصل بالتدريـج في اليوم نفسه وتأخرت منها ثلاث وهن الكبيرات ولا ندر ما حل بها .

فذهبنا في اليوم التالي الى المقدم عبد الرحيم افندي الذي كان قـد وصل فوجه جميعـاً . ولأن آمر فوجنا القول آغا سي عبد القادر آغا كان في إحدى السفن المتأخرة (اما المقدم فقـد تأخر بالبصره لبعض الاشغال الرسمية) فطلبنا من عبد الرحيم افندي الأذن بالذهاب في احدى السفن للتفتيش عن السفن المتأخره فلم يأذن لنا لإن الريح كانت شديـده وكان يخشى علينا ايضاً والريح في هذا الوقت تسمى (الاحمر) يخشاها كل من يسافر في البحر وخاصة في السفن، و أصحاب السفن يعرفون وقتها فلا يسافرون مطلقاً وحركتنا من رأس التنورة كانت قبل بدايتهــا ولكن السفن المتأخرة اصابتها بسبب تأخرها .

فبتنا تلك الليلة على احر من الجمر ولاندري ما نفعل وفي الليلة التاليه فهمنا من بعض اصحاب السفن ان احدى سفننا راسية قريباً من الساحل جداً في محل آخر من هذا الخليج من جهة الشرق فتصورنا امكان تخليص من فيها براً فتحمس الجميع وكل تبرع ان يذهب لانقاذهـم وأخيراً اصررت على الذهاب فوافق الباقون فأخذت معي مقدار عشرة جنود مسـاحين ونفر بوري زن (بوقي) لأجل اعطاء الاشارات عند الايجاب فذهبنا على طول الساحل وكانت الليلة مقمرة وبعد مسير ساعتين وجدنا شبح سفينه عن بعـد كانت جالسه على الارض ولكنها بعيدة عن الساحل فأشرنا اليها بالسلام وذكرنا وحدتها فاجابتنا بالسلام ايضاً ففهمنا انها غير التي قبل لنا عنهــا فسرنا

ساعة اخرى فلم نشاهد شيئاً رغم اعطائنا الاشارات البرقية كل مســافة فلم نحصل على جواب فرجعنا . ثم فهمنا ان الخبر الذي وصلنا من اصحاب السفن غير صحيح ولايمكن انقـاذ احـد من جهةالبر مطلقاً وقد ظننت ان الضباط الذين اخذ الحماس وكل منهم كان يتبرع بالذهاب للتفتيش لا بد وانهم بانتظاري ليفهموا النتيجة او على الاقل ليفهموا ما حل بي واني ذاهب الى محل غير مطروق ربما لا يخلوا من الوحوش او من البدو قطاع الطرق فرأيتهم جميعاً نائمين . وبعـد ان صرفت الجنود الى محلهم جئت الى خيمتي فرأيت خادمي نائماً ايضاً وانا جائع وكان الخــادم قد اعد لي سمكاً اشتريته من دكان هناك وهو من النوع المقدد الرطب المسمى (خباط) لم نعتد على اكله لأنه لا يخلو من نتانة بسبب القدم ولكنه مشهور ومرغوب فيـه في البحرين والاحساء وغيرها فاعتنى بتقطيعه وغسله وغليه ثم طبخه مـع التوابل لنعتاض به عن اللحـم لإنا كان لنا عشرة ايام لم نذق فيها اللحم فطلبته منه اتدري ما كان جوابه ان الضباط اصدقائي طلبوه منه واكلوه ولم يتركوا لي منه شيئاً فتصور حالتي عند ئذ فقلت للخادم هات ما عندك غير ذلك قال لا يوجد عندي غير الخبز وتمرات يابسه قلت هاتها فأكلت قليلا من الخبز والتمر استجلاباً للنوم ونمت .

وفي صباح اليوم التالي أتت احد السفن المذكورة وفيها القول آغاسي عبــد القادر آغا وكان خوفنا على السفن هذه ان يكون ماؤهم قد نفذ وليس لديهم مايحرقونه لأجل طبخ الطعام وهناك الطامة الكبرى فكان ما تخوفنامنه تماماً اما الفرق فكنا مطمئنين عنه لأنهم كانوا داخل الخليج وكنا متأكدين ان السفن جالسه في الرمل والهواء الاحمر قد انتهى هبوبه .

اما سفينة القول آغاسي فكانت على احسن ما يرام وكان باقياً عندهم من المـاء مايكفي لعشرة ايام اخرى لأنه رجل قديم في الجندية ومجرب وقدير في امور السفر وانه كان قد تولى توزيـع الماء بنفسه فلا يعطي من معه الا بمقدر الضرورة للشرب وللخبز فقط ولهذا كانت صحته وصحة من معه جيده وعند ئذ اصدر الامر بإرسال سفينتين صغيرتين كل واحــدة منها فيها ضابــط ومقدار عشره انفار في احدهما جراح الفوج وفي الثانية الصيدلي واخذوا معهم اوعية فيهـا مـاء الشرب ومعهم بعض الادوية للمعالجه وخاصة ما يجب ان يضاف الى الماء لتسكين العطش بقليله فذهبوا وكل سفينة لاصقت السفينة الاخرى التائهة فأراد الجنود الهجوم على الماء فاوقفوهم عند

حدهم بالقوه وبدأ موظف الصحه يعطيهم الماء بالفنجان مضافاً اليه الدواء اللازم فاذا انتهى من جميعهم بدأ مرة اخرى من اولهم وهكذا الى ان سكن عطشهم ولو شربوا مرة واحدة لمات الكثير منهم بالماء والباقي بالحرمان منه ولحصل قتل وقتال ومات الجميع .

فرجعوا بالاشخاص تاركين السفن الكبيرة بما فيها وكانوا كلهم مرضى فبقوا تحت المعالجة مدة الى ان سافر الفوج الى الاحساء . ولنرجع الى الارزاق والمواد الاخرى التي بقيت في السفن فقد فهمنا من هؤلاء المرضى بأنهم لما جلست سفينتهم في قاع البحر ارادوا تخفيفها لتنهض وتسير فبدأوا يرمون اكياس الطحين والارز في البحر ورغماً من رميهم اكثر من نصف الموجود لم تنهض السفينة فخافوا ان يرموه كله فصبروا وشربوا الماء جميعه وأخيراً بدأو يشربوا كل بوله بعد ان يبرده والحاصل مصيبة جرت لو لم يتدار كهم الله بفضله وبواسطتنا للقوا حتفهم على اردأ ما يكون من الحالات . وخصوصاً اذا تصورنا انهم كانت مع بعضهم نساؤهم .

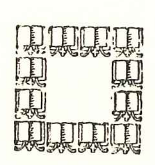
فكان الواجب على الضباط ان يحتاطوا للامر بالاقتصاد بالماء اولا ثم اذا نفد ان يستحصلوا ماء مقطراً من ماء البحر وذلك باغلائه في قدر يضعوا فوق فم القدر اعواد وفوقها شيئاً من القطن او الصوف وهو كثير عندهم يأخذونه من الدواشك واللحف ثم يضعون فوق القدر غطاء بصورة محكمة على ان لايخرج منه بخار اصلا وكلما امتلأ القطن من البخار عصروه في اناء وهكذا يسدون به رمقهم . وبما انهم كانوا غير بعيدين عن الساحل كان يمكنهم ارسال احد منهم او من النوتية بواسطة زورق السفينة الى الساحل ومن هنا مشياً الينا ليخبرونا عن الحالة التي وصلت بهم هذا لم يكن مجيئهم الينا كلهم بهذه الطريقة فلم يفعلوا اي شيء مما قدمنا ولولا ما عملناه من جهتنا لماتوا جميعاً .

ثم جهزنا سفينتين ايضاً ومعها قانجات (اعواد طويلة في رأسها كلاليب حديدية لسحب الاكياس من البحر قد جهزها (لنا البنادقي) وهو حداد حسب صنعته فمضت السفينتان وفي كل منها ضابط وجملة جنود فانتشلوا جميع الاكياس الا اقلها الذي لم يتمكنوا منه واتونا بها فجمعت الارزاق في محل واحد ثم حرر محضر بالنقص الموجود من الاكياس ثم جرى تقدير النقص الذي طرأ على الاكياس المنتشلة فكان بالمائة ١٥ على ما اذكر لإنا وجدنا الطحين والارز قد لصق قسم منه بجدران الاكياس بثخن سانتمتراً ونصف تقريباً ولم يؤثر ماء البحر على الباقي

فكان سليماً وجدران الاكياس بعد ان تشربت بالماء ثخنت صارت هي الواقية للباقي . وبنتيجة هذه الاحوال لم نفقد سوى جنديين ممن كان في السفينة المذكورة ماتا من جراء العطش والمشاق الاخرى فكفناهما ودفناهما في العقير لأن الفوج كان محتاطاً لمثل هذه الاحوال وكان قد اقتنى ما اقتنى من مواد التجهيز والتكفين في البدء السفر .

فكان بقائنا في العقير من اول يوم وصولنا نحن الاولون عشرة ايام وبعد ذلك اتتنا الجمال من الاحساء وسائر ما يلزم من الحيوانات فحملنا امتعتنا وسرنا فكان لنا من البصرة خمسة عشر يوماً لم نذق اللحم خلالها الا في الايام الاولى عند ما كنا في البواخر والسفن . اذكر لما كنا في السفينة ومعي الرئيس عثمان اغا وهؤلاء الآغوات مستعدون للاسفار ولهم من التجربة ما يفوقون بــه المتخرجين من المدارس في اول دخولهم الحياة العسكرية طبعاً . وكان عندي نصف (باصدرمه) فأردت طبخ نصفها مع الفاصوليه اليابســه فلم يرض وقطــع منها قسماً صغيراً وترك البــاقي للطوارىء اذ ربما نتأخر عن الحصول على اللحم وهذا القسم الصغير يكفي لان يجعل الطعــام الذي يطبخ طعم ورائحة اللحم ثم نفذ الباقي بعد ذلك والسمك الذي حصلت عليه لم اذقه كما تقدم وباقي الايام بقينا بدون لحم .

فوصلنا منزل وهو البسيتين ثم بريمان ثم الجشه و قد تقدم البحث عنها في سفرتي الاولى الى الاحساء (الفصل الاول من هذا القسم) ووجدنا في الجشه قصــاباً فارسلت خادمي لشراء اللحم فقال كم تريد ان تشتري قلت له هات لحم فحسب فلا احدد ذلك المقدار فأتاني بمقدار غير يسير منه فطبخناه جميعه مع البتاتا كانت معنا واكلته واياه وفوقه التمر ايضاً فشبعنا وسرنا من هناك فوصلنا الاحساء .



الفصل الثامن

مدة البقاء في الاحساء ثلاثة سنوات ونصف

زمن القائد يوسف باشا

فوجدنا القائد السابق الزعيم حلمي بك لم يزل هناك ثم سافر بعد قليل واتى الزعيم سعيد بك القائد الجديد اما القوة فقد جرت العادة ان يقيم الاي كامل في نجد لمدة سنتين ثم يبدل بغيره ويكون الفوج الاول منه في قطر والثاني في القطيف والثالث والرابع في الهفوف وبعد سنة واحدة يستبدلون فيما بينهم فيأتي فوجا القطر والقطيف الى الهفوف ويذهب الفوجان الموجودان فى الهفوف احدهما الى قطر والثاني الى القطيف .

ثم اتى بعد قليل امير اللواء يوسف باشا ومعه الفوجان الاخران بقية الآينا الحادي والاربعون وهما الفوجان الثاني والرابع فكان قائداً فوق العادة وهذا عنوانه (نجد فوق العادة قوماندانى) والافواج الاربعة القديمة بقيت كل في محله فصار في نجد ثمانية افواج اثنان في قطر والقطيف والستة الباقية في الهفوف .

وهذه الوضعية استمرت ريثما يستتب الامن لأنه حسب الاشعارات التي كانت من حلمي بك القائد السابق ان الامن كان مختلا بدرجة ان كتب الى مركز الجيش في بغداد اذا لم تأت نجدة قويه فيجب قراءة الفاتحة على لواء نجد . فبقى يوسف باشا هناك مدة تسعة اشهر تقريباً ولم يحدث خلال هذه المدة اي حادث فقد كان الامن مستتباً تماماً وسطوة الحكومة على ما يرام .

اما سعيد بك فقد استاء من مجيىء يوسف باشا لأنه هو المعين قائداً للواء نجد ولكن ما الذي يعمله يوسف باشا ما دام قد امر بالسفر وبصفته قائداً فوق العادة فاضطر ان ينظم القوه الموجودة الى الايين جعل ثلاثة افواج من الهفوف ومعها الفوج الذي في قطر الا واحداً سماه الآلاي الاول وقائده سعيد بك والثلاثة افواج الاخرى و معها الفوج الذي في القطيف الا آخر وسماه الآلاي الثاني وقائده المقدم احمد بك فاستاء هذه المرة اعظم استياء واخذ يبين استيائه لمقربيه جهاراً وبدأت المشادة بين القائدين ولكن سعيد بك لم يسعه ان يرفض التقسيم هذا حيث هو معقول لتمشية الامور ولم يعمله يوسف باشا بدون اذن الاردو (مركز الجيش) طبعاً فبقى سعيد بك

يمضي الاوراق بعنوان (قائد نجد) وليس قائد الآلاي الاول اما احمد بك فكان يمضي قائـد الآلاي الثاني .

والاعمال التي قام بها يوسف باشا في الخارج لا شيء لعدم الحاجة الى القوة فمجرد وجودها كاف لاستتاب الامن واما في الداخل فهو تقسيم القوة الى الايين لتمشية امور الادارة كما قدمنا. وبما ان القوة في الهفوف كبيرة فالحاجة ماسـة الى ضبط الجنود من العبث وسوء الاخـلاق فانتخب ثلة من رؤساء العرفاء بقيادة ضابط اسمه عبد القادر افندي من فوج احـمد بك سمي باصطلاح ذلك الوقت (قانون ضابطي) والعرفاء بإسم كل منهم (قانون چاوش) فالعرفاء يحملون سيوفاً كالضابط وكلهم الضابط والمعيه يعلقون قوردن تحت اباطهم يشد فوق الكتف وهو من الخيوط الصفراء للمعيه ومن القصب (سرمه) للضابط وفي صدر كل من المعيه قطعة من المعدن صفراء بشكل الهلال مكتوب عليها كلمة (قانون) يبرزوه من المعدن وفي رأسي الهلال خيطين يشد احدهما بالآخر في قفا الرقبه فيكون الهلال على الصدر تقريباً من العنق وجعل احمـد بك قائدا للمركز اضافة الى وظائفه ليكون مرجعاً للمذكورين .

ثم عند حلول شهر رمضان بما ان ضرب المدفع للافطار والسحور والامساك لم تجربه العادة في المواقع الصغيرة او الالوية كالحسا ولكون صرف الطلقات لامبرر ضروري له وان الاوفق ادخارها للحاجة الموكوله بها خاصة في هذا الموقـع النائي امر يوسف باشا بأن يضرب البوقي نفطه عند الافطار ومثلها عند السحور وعند الامساك فلما رجع يوسف باشا الى بغداد اول عمل قام به سعيد بك هو الغاء هذه الامور كلها صارفاً النظر عن فوائدها وهذا شأن القواد العثمانيين وموظفيهم يأبون ان يقروا عمل غيرهم مهما كانت له من المزايا وفوق ذلك انـه لم يخرج من داره لتوديع يوسف باشا مما جعل القلوب تنفر منه .

وقد صدر الامر من بغداد برجوع الافواج الذين جاء الايا لتبديلهم لأنه لم تبق حاجة مادام الامن مستتباً ويوسف باشا قد قضي مهمته ورجع فبقينا نحن الفوج الثالث والفوج الرابـع في الهفوف والفوج الاول سافر الى قطر والفوج الثاني الى القطيف .

زمن القائد سعيد بك

كان في دائرة القائد سعيد بك احدالضباط المدعو يونس افندي بصفة كاتب وملاحظ امور الدائرة فبعد مدة من سفر يوسف باشا احتاج الى كاتب آخر فطلب ذلك من مقدم فوجنا فقدمني

وآخر يدعى شاكر افـندي الخوجه فاجرى امتحاناً فيما بيننا كان طاب منا ان نكتب صورة تحرير الى الفرقة ابان لنا مفهومه فكتبناه فوقع اختياره علي فداومت فكان اتصالي بـه كثيراً فاطلعت على جميع اسراره فسترى كيف اني ذكرت اموراً كثيرة في شكايتنا عليه عندما يأتي بحث ذلك. ومن جملة الوقائع التي حدثت في زمنه ان قد حصل سوء تفاهم بين الحكومة وبين اهالي المبرز لا اذكر الآن اسبابه فقد قطعوا الطريق بين الهفوف والقلعة التي في المبرز والمسافة بينهما نصف ساعة تقريباً للراكب . وهذه القلعة ملاصقة للبلدة تقريباً ومن جهتها الغربية فضربت القلعـة البلدة بالمدافع لأنهم كانوا يهاجمونها فاريد ارسال نجدة مع ارزاق فضربوها ورجعت قبل ان نتناوش واياهم تاركة الارزاق وامتعة الضباط فاستولوا عليها وبعد التوسط بواسطة الشيخ ابو بكر وهو محترم لديهم ولدى الحكومة حصلت المصالحة وجرى تضمين الارزاق والادوات الاخرى فسلم قيمتها اهالي المبرز ولكن هذه المصالحة اسقطت هيبة الحكومـة لانهـا هي التي طلبت المصالحه وفي نظر القائد ظاهراً انها جرت رغماً عنه وانه ما كان يريد المصالحه .

وابن سعود كان يكاتب القائد هذا عن بعض الامور التي تعود الى افراد القبائل وكان هـذا بداية للتدخل وكان الجواب يكتب من قبل كاتب السطور أنا باللغه العربية ومرة جاء من ابن سعود عتاب وفيه تمثل ببيت من الشعر وهو (فإن كنت لا تدري فتلك مصيبـة وان كنت تدري فالمصيبة اعظم) فكتب القائد له كتاباً بالتركيه وطلب مني ترجمته فرأيتـه لا يليق بالجواب عن ذلك الكتاب لأن فيه شدة لا معنى لها ولين لا فائدة منه يدل بجملته على الارتباك فقلت له هذا ليس شغلك ولا شغلي المسألة دقيقة يحتاج لها الشيخ ابو بكر فوافق فذهبت اليه نكتب الجواب الملائم وبعد المخابرات المتنوعه ارسل ابن سعود في يوم من الايام ممثلا له يقيم في الهفوف في محلة النعاثل بصورة غير رسمية طبعاً ولأن نجد في نظر الدوله هي من املاكها وان ابن سعود من رعاياها وهذا الممثل يدعى (ابن معشوق) ومعه رجاله وحواشيه طبعاً فأخـذ يفد على القائـد احياناً ووراءه رجلان او ثلاثة ثم اخذت الرجال تزيد فتقدم منهم واحد او اثنان امامه والباقون وراءه وبعـد صاروا خمسه وصاروا عشرة وبدأو يمشون كنظام الجنود على خط واحد ووراءه اضعاف ذلك وصارت شكاوي الاهالي النجديين ترد اليه ثم غير النجديين وكل الاختلافات التي تحـدث بين

الناجين الهاربين حتى لو كان الـ فان هؤ وفين وهكذا فتضايق سعيد بك من هذه الحالـة وقال لي يوماً كيف اقدر على العمل وهنا عندي حكومه ضمن حكومه وهو في كل اوقاته لا يمل من الكتابة الى بغداد فيكتب الكتب الطوال تقريباً في الاسبوع ثلاثة كتب على الاقل يشرح فيها الحالة ويذكر اسماء الاشخاص ومنهم ابن معشوق وكل دقيقه من احوالهم بكمال التفصيل ويطلب نجده وهذا هو بيت القصيد كأن الفرقة في بغداد لهـا مجلس شورى لتدقيق كتبه وإنـما كانت تهملها ولا تجيب عليها الا ما ندر ولا تقدم منها الى قائد الاردو إلا خلاصة مقتضبة على ما كنا نسمع .

وكان في الهفوف قائد فوج الجاندرمه (الضبطية) اسمه محمود بك وهو من الاكراد الاشداء فارس شجاع فكان يميل الى الحق ويشـــدد على البدو في استرداد المنهوبات التي تحصل من تسلطهم على اموال الاهالي عند اسفارهم فكمنوا له في السوق وكان قد خرج وقت العصــر للتجول في السوق وشراء بعض المـواد وكان شهر رمضان فقتلوه فاسقط في يد سعيد بك وهذه اخلت بسمعته اخلالا كبيرا .

(اعلان المشروطيه العثمانية) رأيت فيما يرى النائم وانا في الحسا بأن البراحه (السـاحه) التي امام القشلة قد انفتح ضلعها الذي من ضمنه القشله وصار خلاء متصـلا بالبر وان قبائل بدويه تريد الهجوم علينا ولكني لم أر منها شيئاً والوقت ليلا والقائد سعيد بك يتجول في البراحة بإرتباك كثير يستحث الجنود على الدخول في الحرب ضد تلك القبائل الموهومة وفي آخر الضلع الايمن من البراحة من جهة البر يوجد برج وفيه جنود مدفعية يضربون الطلقات ضد القبائل ورأيت النار تخرج وتضيىء من المازغال (الثقب) وكتلة كبيرة من البدو متراصة وواقفه على مسافة مائة متر تقريباً مقابل فوهة المدفع والطلقات تخرج متوجهه اليهم ولكن لا اراهم اصيبوا بضرر بينما الطلقات تخرج مستمرة اعلم ذلك من الضوء الذي يخرج من الثقب بين دقيقة واخرى وفي هـــذه الاثناء امرت ان اذهب الى العقير وآتي بالارزاق للجنود فذهبت واتيت بها محملة على الحمير وهي في اكياس (كواني) وكانت المسافة تطوي لي عند المسير وتتراىء لي جملة واحدة عند النظر وقد رآني القائد وانا آت بالارزاق من مسافة كبيرة ورأيته يستعجلني للوصول اليـــه ويقول اسرعوا بالارزاق التي مع فلان فتقربت ودخلت من باب للبلدة شبيه بالباب الوسطاني ، في بغداد فدخلت

الحمير وصارت في البراحه ففرح القائد بمجيئها هذا ما رأيته في المنام وقد بقى بخاطري عند اليقظة فكتبته في هامش كتاب كان بجانبي مع التفاصيل اللازمه ورسمت خريطة المحل بالشكل الذي رأيته للاستعانة بها عند اعادة قراءتي ماكتبت وأرخت ذلك بالتاريخ العربي والعثماني .

وقد واجهت صديقي الشيخ عبد العزيز بن عمر آل عكاس ففسرها لي بأن يحدث حدث كبير في الدولة مثل وفاة الملك او ما هو في قوة ذلك . فما مضت على هذه الرؤيا مدة يسيرة حتى جاءتنا الانباء من الاستانة تخبر باعلان الحرية اولا في مكاتيب خصوصية فارتبنا بها ولم نفهم مايقصد اصحابها لأن المسألة غريبة علينا ثم جاءت الجرائد ايضاً مرسلة بصورة خاصة من اصحاب تلك المكاتيب لاصدقائهم وفيـها من الكتابات الغريبة وفي حماس يشـبه الجنون وهي تعرف الحريه والمشروطية والامه والرقي والتمدن والسعادة والثراء وكل شيء وكل نسخه تكرر وتردد مثل هذه الامور وكأنها تريد ان يتعلم الناس ما نهوا عن البحث فيه طيلة مـدة جلوس السلطان عبد الحميد في زمن قصير وهذا لا يمكن .

وهنا لا نريد التطرق لهذا الموضوع لانه كبير ومتشعب وقد كتبت فيه الكتب الطوال فضلا عن الجرائد والمجلات وقداصبح لقراء اليوم شيئاً لايستحق عناية كبيرة. بل نريد ان نذكر كيفية تلقى هذا النبأ ونحن في الحسا فهناك الاهالي لا يهمهم هـــذا الامر ولا يفهمونه اما الموظفون فاكثرهم ان لم نقل كلهم تشربوا روح الخضوع لتنفيذ الامر مهما كان وليس لهـم من الثقافة وخصوصاً الثقافة الجديدة بالنسبة لذلك الوقت شيء فلم يبق الا الضباط وهم قسمان الاغاوات ثم الافندية الذين لم يتخرجوا من المدرسة الحربية او اي مدرسة اخرى وهم (يقرأون ويكتبون وقد نشأوامن اقلام الافواج فهؤلاء ينظرون الى افواهنا نحن خريجوا الحربية ويصدقوننا عن كل ما نقول ويطلبون منا تفسير كل كلمة نقولها اما نحن فبقينا نفسر الموضوع بعضنا الى بعض مرة نخطىء ومرة نصيب الى ان فهمنا الكيفية بصورة اجمالية وجهـدنا في تفهيم الذين قصروا عن ادراك ما ادركناه نحن .

اما المقدمون ومعهم القائد فلم ينبوا ببنت شفه وجهلوا او تجاهلوا الحاله ولم يرضوا ان يعلنوا ذلك او على الاقل يتعلموا او يستبشروا به وحتى ان بعضهم تكلم ضد ذلك بقوله بما انا جنود ووظيفتنا اطاعة الاوامر فما نحن والحرية وامـا القائـد فلم يذكر شيئاً من ذلك لا رسمي ولا

خصوصي ولا تحبيذ ولا تقبيح ولكن الجرائد كانت تأتي باستمرار ثم بدأت جرائد بغداد التي انشأت حديثاً تردد وكلهــا تبحث عن الحرية وتفسرها لتعليم الناس . منها جريــدة الزهور ومن البصرة جريدة (مرقعة الهندي) فكنت اكتب في هذين في الاولى باسمي الصريح وفي الثانية بإسم مستعار وهو (الجراد النجدي) بمحاورته مع البلبل البصري الذي كان يكتب عن لسان صاحب الجريدة فأتخذته خدنبا لي نتحاور فيما بيننا.

وقد اتانا الامر القاضــي بضرب احدى وخمسين من الطلقات المــدفعية سروراً بيوم اجتماع مجلس المبعوثان (النواب) في الاستانة (البرلمان) والامر كان برقياً وبما ان البرقيــات تأتي الى البصرة ثم تنقل بالبريد الى الاحساء فكان اليوم الذي ضربنا فيه الطلقات هو نفس اليوم الــذي رأيت فيه الرؤيا بموجب التاريخ العربي من السنة الثانية فلا ادرى بم افسر ذلك هل من التصادف او اي سبب آخر كل هذا والقائد والمقدمون لم يتكلموا بشيء عن الحرية فنحن الضباط المكتبلية (خريجي المدرسة العسكرية) واشترك معنا اكثر الضبـاط الباقين (الا القليل منهم فانحازوا الى القائد) بدأنا نعترض على كل عمل لا يوافق روح النظام والقانون وابينا الخضوع الاعمى فصرنا كتلتين الواحدة ضد الاخرى .

وكان القائد يتدخل في امور البريد فلا يرسل شيء الا ويطلعــه مأمور عليه لأن البريد كان محدوداً للاوراق الرسمية التي تصدر منه ومن المتصرفية وما نــدر من المكاتيب الخصوصية وهـــذه الخصوصيات معروفة اصحابها من خطوطهم او من اي علامة اخرى قد درسها مأمور البريــد فهو لا يفتحها ولكنه يخبر بها القائد لانه لا يوجد دائرة بريد في الاحسا الا ان مأمور الاوراق في المتصرفية قد كلف بهذه المهمة واحياناً ترسل اليه من البصرة طوابع يبيعها ويرسل قيمتها اما الاوراق الرسمية فكانت ترسل بدون طوابع ولديه ختم بريدي لا يشابه الاختام البريدية بل يشبه اختام المختارين ولهذا تركنا ارسال اي شيء بواسطة البريد .

وصادف ان القول اغاسي (المساعد) لفوجنا عبد القادر اغا وكان من حزب القائد اخــذ يشاكسنا ويحتقرنا ويتعظم وينجبر لادنى سبب وكان عمره يتجاوز الثمانين عامــاً فكتبنا مضبطه ووقعناها جميع الضباط الطابور الا ثلاثة على ما اذكر ذكرنا فيها بأن المومى اليه قد وصل الى ارذل العمر وتبين منه حركات المعتوهين وذكرنا تجاوزاته علينا ثم قدمناها الى الاطباء الموجودين

هناك وهم اثنان فصدقوها وذكروا انه مصاب بالعته وبعد ذلك طلبنا من المقدم ان يقدمها الى الفرقة في بغداد رأساً فوقع عليها فاخذتها وتعهدت بارسالها وبما اني كنت كاتباً عند القائد سعيد بك فقد وضعتها بين الاوراق الكثيرة التي تذهب للفرقة لاني انا الذي اختم الظروف وارسلها للبريد فذهبت الى بغداد بهذه الصورة لعدم امكاننا ارسالها منفردة في البريد لما قدمناه من الاسباب فالفرقة ارجعتها محولة الى القائد سعيد بك للتحقيق ولم تعلمه بكيفية وصولها اليها فرأى فيها توقيعي فسألني عن طريقة ارسالها قلت له ارسلناه بواسطة من الوسائط وبقي يماطل ولايكتب التحقيق وابقاها لديه .

وقد جاءنا الامر من الفرقة تأمر الافواج ان يعملوا تمرينات في الرمي باطلاق خمسة طلقات لكل نفر وهذا لم تجري به العادة في زمن السلطان عبد الحميد اي قبل الحرية فكان الجندي يقضي مدة خدمته ولا يعرف كيف يستعمل البندقية وكيف يرمي بها الا نظرياً فكنا نخرج الى البر ونجري التمرينات المذكورة ثم اتى آمر آخر بعد مدة كافية باطلاق عشرة طلقات ثم صارت سنة كل مدة محدودة .

ففي يوم من الايام واذا بي ارى في دار القائد تمثالا للملوية سامراء قد عمله من المقوى والورق ووضع في اعلاها العلم العثماني فعجبت من ذلك فقال لي كيف ترى هذا البرج قلت هذا يشبه الملوية قال نعم اريد ان اعمل مثل الملوية هنا في الحساقلت وماهو السبب قال للمدافعة عن البلد وبدأ يريه لكل من يأتي اليه من الضباط والملكية والاهالي وحتى شيوخ البدو الى ان تركزت الفكرة عند الجميع والكل وافق عليها رياء فبدأ بجمع الدراهم بطريق الاعانة لاجل تشيدها فكان كلما يأتي اليه احد يطلب منه مقدار من المال واخذ يرسل على التجار والملاكين وحتى السوقه فيأخذ منهم ما تصل يدهم اليه بالملاطفة واحياناً بالتشديد فلما عرفوا مطامعه اخذت تأتيه الهدايا كل كذلك بإسم الملوية فكانت لديه حقيبة للاوراق يأتي بها كل يوم من البيت فيرجعها وهي لا تخلو من الريالات قلت ام كثرت وبعض الهدايا من اللؤلؤ وغيره وقدامر ان تعمل الجنود اللبن لاجل بناء الملوية فعملوا منه شيئاً كثيراً وبعد ان احضر قال يجب ان نستفيد من احد الابراج الموجودة فنوسع قاعدته باضافة مسافة اخرى حواليه فانتخب البرج الذي يطل على الخارج والذي في الجهة الشمالية من القشلة فجمع وجوه الاهالي والامراء العسكريون والملكية والضباط فذبحت

الخراف فوق الاساس وبوشر بالبناء ووكل على البناء احــد الضباط . فالجنود هم الذين عملوا اللبن وهم الذين باشروا البناء ولم يصرف مما اخذه فلساً واحداً الى ان وصل البناء الجديــد قمة البرج القديم وترك .

ومن جملة اعماله كان في الاحسا رجل اسمه صديق افندي وهو معاون قائمقام قضاء قطريقيم في الهفوف له نجل عمره ثمانية عشر عاماً على أكثر تقدير قــد عينه بوظيفة كتابية موقته بدون طلب منه او من ابيه فمانع ابوه في ذلك ومنع ولده من الدوام وكان ابوه صديق أفندي قد قدم عن نفسه بدل شخصي ليجري خدمة الرديف بدلا منه حسب قانون الجندية العثماني فرفض سعيد بك هذا البدل بحجة انه لم يستكمل الشروط القانونية فقدم غيره وغيره فلم يقبل منــه وأخيراً طلب اليه ان يلبس بنفســه فما رضي فامر فوجنــا بجلبه بالقوة والباســه اللباس العســكري واستخدامه .

فبدأت الفكرة تختمر لاجل الشكاية عليه وكتابة المضبطة وكان الاجتماع في كل ليلة عنــد كاتب السطور في باب الفتح مقابل بيت القائد لا يفصل بيننـا شيء سوى البراحة . فقــال لي الضباط يوماً ما دمنا نحن في وضعيتنا هذه وانت معنا والقائد ضد الجميع فما بقاؤك لديه فاستقل قبل ان يأتيك منه ضرر . فاستقلت وصرنا نجاهر بتقبيح اعماله وهو ينتهز الفرص للتنكيل بنـــا واحداً فواحداً من جهة ويجلب منا من يتمكن عليه بواسطة مقربيه الى حزبه من جهــة اخرى ليضعفنا تماماً ولكن خاب فأله كما سيجيء .

فاول ضحية اراد ان يوقع به هو كاتب السطور أنا . كنا في يوم عيد وقد خرجنا من معايدة احد المقدمين ونحن في البراحة ومعنا الرئيس حسين فوزي افندي كان قــد عينه القائد آمراً لفوج الضبطية موقتاً لغيبة الآمر الاصلي فجاءه احد افراد الضبطية ومعه رجل لا ادري ما يريد منه فأمره حسين فوزي أفندي ان يأخذه الى السراي ريثما يأتي هو فينظر في قضيته .

فكررت قوله بأن يأخذه الى السراي قاصداً بذلك صرفه من عندنا لبحث كنا فيه وقد قطعه فوصل الخبر الى القائد سعيد بك من احد مقربيه بأني انا الذي امرت بحبس المذكور وهذه خارج وظيفتي فبنى عليها وأصدر أمره الى المقدم بحبسي لمدة خمسة عشر يوماً على ما اذكر فأبيت طاعة الامر كل الاباء وقدمت تقريراً الى المقدم شارحاً القضية واني لم آمر بحبسه الا اني كررت امر

الموظف المختص الذي امر بايصاله الى السراي ريثما يأتي هو وينظر في قضيته فلم يقبل القائد وأرجع الامر بعدم قبول عذري ويطلب حبسي اولا ثم ينظر في عذري فأبيت فكتب الى المقدم ان لم يتمكن من حبسي فسيأمر قائد المركز احمد بك بحبسي . فكلمني آمري بأني اذا كنت سأقبل الحبس بآمر احمد بك فبالاولى ان اقبل ذلك بأمره قلت له اني سوف لا اقبل الحبس بأمر أي كان فكتب الجواب فجاء الامر الثاني الى احمد بك فأمرني فلم أقبل فكتب هو ايضاً كذلك فسكت القائد ، وعمد الى طريقة اخرى فأرسل لي اثنين من مقربيه يرجواني ان اقبل الحبس وان احترم الامر مهما كان ـ وقالا لي من باب النصيحة انا هنا محاطون بالعشاير وأنت تعلم حالتهم مع الحكومة ، وينبغي ان لا يفهم شيء مما يحدث بيننا بل يبقى سراً مكتوماً وليس من اللياقة لامثالك ان يكون ضد آمره وهكذا فقلت لهم اني اعلم بانكم تعلمون جيداً بأني لست مسؤولا عن حبس الرجل ولكنكم لا تقولون الحق فما شأن حبسي وحالة العشاير ، وقد دافعت واوضحت فما بقي لهذا الاصرار من معنى . عليكم ان توضحوا الكيفية للقائد وتبينوا له براءتي لا أن تلحوا في قبول هذا الحكم الكيفي ، ولم أقبل مطلقاً ، فتركت المسألة . وكنت يوماً في باب القشلة وكان هناك جمع من الضباط فتكلم البعض عن القوانين فقلت هذه القوانين القديمة سوف تبدل ونحن ننتظر غيرها تتفق والحرية ، فأخبروه أيضاً فكتب ليعرفنا فلان عن القوانين الجديدة فلم يكتب المقدم له جواباً عن هذه واهملت . وكان المقدمون جميعاً ملتزمين طرف الضباط في الخفاء وبالظاهر هم على الحياد . ثم عمد الى طريقة اخرى لايتنزل الطفل اليها ، وهي كان عندي جملة من الحمام عملت لها اعشاشاً بجانب باب غرفتي أتسلى بها أوقات الفراغ فأمر بابعادها من هناك فلم اصر على بقاءها فوزعتها على بعض الاصدقاء هواة هذا النوع يحفظونها في بيوتهم ثم رأى دجاجتين او ثلاث كانت لدي للذبح فأمر بأن لا يكون حيوان في المحال العسكرية الرسمية فذبحتها واكلتها الواحدة بعد الاخرى لان الاصرار على مثل هذه الامور التافهة لا يليق خاصة اذا استفحلت المسألة ووصل صداها الى بغداد .

فجاء وقت تقديم الشكاوى عليه لانه تجاوز حدود استبداده فكتبت اوضح فيها كل شيء وفي هذه المرة ارسلت بواسطة احد المسافرين فوصلت بغداد وكان قد تعين الميرآلاي اركان حرب حقي بك قائداً على الحسا فجاء بالمضبطة وقد امر بتحقيق ما جاء فيها فكتب الى جميع الضباط

اصحاب التواقيع يأمرهم ببيان ملاحظاتهم والموجب الحقيقي لشكاياتهم فكتب الجميع بصورة مفصلة ما صادفه كل منهم من اعماله ما ذكرناه هنا وما لم نذكره واكثرهـم تفصيلا كاتب السطور أ الاني كنت مطلعاً على جميع اموره فجمعت الاجوبة فكانت كثيرة جداً فلم يجد حتي بك كافياًوقتاً لقراءتهاواستيعاب مافيها فطلب من كتابه ان ينتخبوا احد الضباط ممن لهم القدرة على اختصارها ولما كان لي من الاتصال مع كتابه فقد انتخبوني فقمت بذلك وقد لخصتها متوخياً حفظ الاصول تماماً وان لا اترك شيئاً منها فجاء الاختصار في ١٢٠ صفحة كبيرة فقـدمتها فربطها مع الاوراق الاصلية والمضبطة وبعد ان كتب خلاصة الخلاصة من قبله فكانت ثلاث صفحات على ما اذكر وقدمها الى بغداد وبعد مدة قليلة طلب سعيـد بك من قبل الاردو فسافر الى بغداد . وقد صدر قانون يقضي بان العساكر الذين في البـلاد الحاره وهي (اليمن والحجاز وطرابلس الغرب ونجد نصف الراتب فوق راتبهم والمدة تحسب لهم يعطي لهم) نصفها فوقها فـكل سنتين تحسب ثلاثـة سنوات فبدأنا نأخذ الراتب على هذا الترتيب وقد مللت البقاء في الاحساء واحببت الاتصال بالعالم الثقافي لانا هنا لم نستعمل شيئاً مما تعلمناه ولم نقرأ شيئاً لا كتاباً ولا جريدة فطلبت نقلي بترفيعي درجة اخرى (ولكي لا احرم مما اتمتع به وانا في نجد من علاوة الراتب وعلاوة المدة) الى فرقة الحجاز او طرابلس الغرب فجاء الجواب بأنه لا يوجد شاغر في طرابلس الغرب واما في الحجاز فيمكن نقلي بدرجتي وانتظر شاغراً هنـاك وهذا اذا كانت احوالي البدنية والعينية تساعد على هذا النقل فأجرى لي الاطباء المعاينة وكتبوا بموافقة بدني الى هذا النقل واكدت وعيني في الجواب على اني اطلب ترفيعي ايضاً ولا اريد النقل بدون ترفيع فتركت المسألة .

زمن القائد حتمي بك

وكان هو مدير دائرة الاملاك السنية العائدة للسلطان عبد الحميد وملكه الخاص كما كان سعيد بك وقبله غيره وكل قائد هو مدير هذه الدائرة لا يحتاج الى امر او تعيين والاملاك المذكورة عبارة عن بساتين ودور كانت في السابق ملك آل سعود فاستولت عليها الحكومة عندما احتلت هذه القطعة ولا نعرف كيفية صيرورتها للسلطان عبد الحميد وهي املاك نخيل واسعة ودور معدودة داخل البلده وكانت هذه الدائرة قد انشأت مدرسه رشدية ذات اربعة صفوف تصرف عليهـا وهي

المدرسة الوحيدة في البلدة على الترتيب العصري ولها معلم من اهالي السليمانية ومعهم له من اهالي البلدة والاخير يدرس القرآن الكريم فقط والمعلم يقوم بتدريس جميع العلوم الاخرى فصادف ان المعلم ترك التدريس وانزوى في محل من البلدة بسبب عدم زيادة راتبه فبقيت المدرسة محلولة فكلفني حقي باك ان ادبرهـا وهو سيكتب لأجل استحصال معاش لي منها اضافة الى راتبي العسكري فلا ادري أكتب ام لم يكتب ولكن المعلم ندم ورجع او كان غاضباً فصالحوه بعد مضي شهر تقريباً فتركتها له لأن هذه مهنته وليس له مورد رزق غيرها وهو بعيد عن اهله هناك.

وصادف ان الاهالي تذمروا من بقاء اموالهم في العقير ولم تأت جميعها مع القافلة التي رجعت فارسلوا سريعة فنهبت فأرسلت الحكومة جنوداً ورتبت قافلة لجلب الاموال الباقية وللتنكيل بالبدو فكانت النتيجة ان البدو تعرضوا للقافلة ونهبوها وقتلوا المقدم عثمان افندي والملازم الاول شاكر افندي الكركوكي وعدداً من الجنود فرجع العسكر الى الجشة القرية القريبة من البلد ولم شعثه هناك ولم يرجع الا بعد ايام ودخل البلد ليلا من الخزي الذي اصابه واصاب الحكومة.

ومع ان القوة التي كانت موجودة في الهفوف كبيرة لأن حقي باك كان قد اتى معه بالافواج التي تبدلنا نحن لأنه قد مضى على وجودنا المدة المفروضة وهي سنتان فبقينا نحن مع القوة الجديدة مدة سنة ونصف اخرى وبعد هذه الوقعة اخذ القائد يستعد للدفاع عن البلدة وما حاجت البلدة الى الدفاع فالتعدي يجري في الصحراء ولا يوجد تعرض على البلدة ، فبدأ في ترميم جدران السور والابراج فسلم مهمة ترميم السور الى كاتب السطور وكل برج الى ضابط ففمنا بالترميم والاصلاح جميعاً فكتب لنا الى الاردو يطلب تزيين صدورنا بنياشين، (أوسمه) لما قمنا به من الخدمات الممتازة وللمقدمين ايضاً ولكن الاردو لم يلتفت الى طلبه هذا واجاب عن كل واحد منا بالممنونية فقط دون ان يستحصل لنا نيشاناً واحداً.

ثم بدأ القائد بعمل الخرائط والكشوف لإنشاء ستة مخافر في طريق العقير وقد عين مواقعها على الخارطة فكلفني بذلك فقمت بعمل التصميم وتقدير المصاريف المقتضاة نقدمها الى بغداد دون نتيجة.

وبعد تلك الوقعة المشؤومة كتب لنا منشوراً يدعونا فيه الى النشاط والحماس وغير ذلك استهله

بجملة (حاضر اول جنكه اكر ايستريسه‌ك صلح وصلاح) اي اذا كنت تريد الصلح والاصلاح فاستعد للحرب وكله لا يخرج عن كونه نصائح ، ولكنه لم يطلب من الافواج عدد جنودهم والموجود من الاسلحة والعتاد والالبسه والادوات الاخرى وصلاحيتها للاستعمال ويكتب الى الاردو اكمال النواقص ويعمل على تدريب الجنود ويبث فيهم الروح المعنوية وهو لو كتب لاجابوه ولو بقسم من طلباته وكان عليه ان يسعى لجعل المالية تدفع مخصصات رؤساء العشائر شهراً بشهر دون مماطلة او تسويف فيكون قد جاهد وحصل اسماً كبيراً دون قتال فقوله (حاضر اول جنكه) باللفظ فقط لا تجدي نفعاً ، سألني مرة صديقي الشيخ عبد العزيز عن حقي بك هذا ومقدرته فقلت له انه عالم ومقتدر فقال هو اخوف في رأينا من القواد الذين جاؤا الى الاحساء.

وفي اواخر ايامنا في الاحساء جاء الوالي والقائد ناظم باشا الى بغداد ومعه قسم غير يسير من الضباط فجمع الجيش كله في بغداد وابقى فوجاً واحداً في كل من الاحساء والبصرة والعمارة والناصرية من ولايته البصرة فجاء الفوج الذي سيقيم في الاحساء ومعه آمره القول اغاسي (المساعد) عباس بك وبعض الضباط فقالوا اثناء المحادثة بأنهم اتوا لاصلاحنا نحن ضباط العراق والصحيح انا كنا محتاجين لا الى الاصلاح فقط (لأن الجيش كله كان محتاجاً الى الاصلاح) بل الى بث روح النشاط والقسم المهم هو اكمال الادوات والمعدات وهذا يعود الى الحكومة والاصح ان الحكومة نفسها كانت في حاجه الى الاصلاح الشامل فكيف نتفاهم عن امور ليس في مقدور ضباط متألمين وهم نحن وضباط جاؤا بهذه الفكرة من مركز السلطنة وهم يتيسر لهم ان يحصلوا بعض النشاط لم يتيسر لنا الحصول عليه يفهم ذلك من الاحوال التي ذكرناها في ما تقدم فاختصرنا البحث خاصة ونحن نريد السفر عاجلا بعد اقامة ثلاث سنوات ونصف في خمول ما بعده خمول من الرأس الى القدم لا تدريب للجنود ولا اي عمل آخر يسمى عمل جيش .

(الفصل التاسع)
حالة الاحساء في ذلك الحين

نظرة عامة :

الاحساء هو قطر بهذا الاسم يدعى رسمياً (لواء نجد) مركزه مدينة (الهفوف) والنواحي المرتبطة بمركز اللواء اربعة المبرز والجفر والعيون والعقير وله من الاقضية اثنان وهي القطيف وقطر وليس لهذين من النواحي شيء وناحية المبرز بلدة كبيرة على مسافة نحو عشرين دقيقة في شمال الهفوف ولها قلعة خارجها تقع في الغرب منها وناحية الجفر تقع على بعد ساعة واحدة تقريباً في جهة الشرق على الطريق الذاهب الى العقير ، وناحية العقير تقع على الساحل وهي مرفأ السفن الآتية من البحرين وهي ميناء الهفوف وقد وصفناها في الفصل الاول من هذا القسم اما ناحية العيون فلم أرها ولا اعرف بعدها عن الهفوف ولا جهتها وتوجد قلعة نظير قلعة المبرز خارج بلدة الهفوف من جهة الجنوب الغربي تبعد عنها مسافة عشر دقائق منفرده في الصحراء تسمى قلعة خزام .

اما الهفوف فهي مدينتان الواحدة ضمن الاخرى الداخلة تسمى الكوت ولها سور خاص بها متين ذو ابراج في اركانه الاربعة وكذلك على طول الاضلاع بين كل مسافة واخرى والخارجه تتصل بالداخله من جهة الشرق والجنوب فقط اي اذا مددت الضلع الشمالي على استقامته لجهة الشرق ثم مدت الضلع الغربي على استقامته لجهة الجنوب كل منها الى مسافة ما ثم وضعت ضلعاً عمودياً على الاول وآخر على الثاني فيتلاقيان في زاوية تقابل زاوية السور الداخلي الحاصلة من تلاقي ضلعيه الشرقي والجنوبي فتكون المدينة الخارجية قد احتضنت الداخليه من ضلعين منها فقط ، اما ضلعاها الآخران فيبقيان مطلين على البر الخارجي (انظر الخارطه) والخارجيه تحتوي على محلتين كبيرتين احدهما تسمى (الرفعه) وهي من جهة الشرق والثانية (النعاثل) وهي من جهة الجنوب وسور المدينة الخارجية عبارة عن جدار بسيط وفي بعض الاماكن هي جدران البيوت متصلة ببعضها ، اما الابواب فللداخلية بابان فقط احدهما الى الشمال ومطلة مباشرة على

الخارج تسمى (الدروازة الشماليه) عند الاهالي (وباب الفتح) عند الحكومة وموظفيها لأن فتح الاحساء صار منها وثانيتهما الى الشرق وتطل على محلة الرفعة وتسمى عند الاهالي «الدروازة الشرقية) ولدى الحكومة باب الكوت وللخارجية اربعة ابواب باب الخميس وهي في الضلع الممتد من الضلع الشمالي والذي ينتهي عندها سوق الخميس والثانية باب الجفر وهي تقابل باب الكوت ويخرج منها من يريد ان يتوجه الى ناحية الجفر والثالثة الكائنة في الضلع الجنوبي لاأذكر اسمها وهي قليلة الاستعمال والرابعة باب خزام وهي التي تقع في الضلع الممتد من الضلع الغربي.

اسم المدينة :

الاحساء اسم للمنطقة كلها معناها الآبار او العيون والمدينة اسمها الهفوف وكثيراً ما يقال الاحساء ويراد به الهفوف وهي مركز اللواء .

نبذة تأريخيه :

ان هذه البلاد استولت عليها الدولة العثمانية ليس في زمن مدحت باشا كما يظن البعض ولكن قبل ذلك بكثير وقد وجدت كتابة فوق باب او شباك احد المساجد وفيها اسم السلطان سليمان القانوني او السلطان سليم ومدحت باشا انما اجرى اصلاحاً هناك في سنة ١٢٨٥ .

أماكن الحكومة :

القشلة وتسمى قصر ابراهيم فيها غرف للضباط ومضاجع للجنود ومخزن وغرفة فوقانية لمركز الفوج ومحل للمدفعية والجامع وباب الفتح ، الطابق الفوقاني للقائد وللموسيقه وغرف للضباط والتحتاني غرف للضباط ومضاجع للجنود والادارة وهي محل مسور وفيه غرف يسكنها بعض الضباط والجنود وفيه السجن الملكي وباب الكوت وفيها غرف للضباط وللجنود وفوق الباب برج في اعلاه غرفة لمركز الفوج الآخر ، السراي وهو لا بأس به ذو طابقين فيه جميع دوائر الحكومة الملكية وبجانبه دار خاصة لسكنى المتصرف ، المستشفى ذو طابق واحد لا بأس به بالنسبة الى المحل والى ذلك الوقت قشلة البغالة وهي اصطبل للبغال وفيها غرف للضباط وللجنود وهي عن يسار المستشفى بينهما مدرسة صغيرة دينية يدرس فيها الشيخ عبد اللطيف آل الملا النحو والفقه ، المطبخ العسكري يقع بجانب السراي ومقابل قشلة البغالة الى هنا جميع ما

ذكرنا في القسم المسمى بالكوت ، ومخفر الحميدية خارج الكوت وفي آخر سوق الخميس من
جهة الجنوب وقلعة خزام منفردة في الصحراء تبعد عن البلدة بمسافة عشر دقائق الى الجنوب
الغربي ، قلعة المبرز تقع في ناحية المبرز وفي كل من القلعتين تقيم سرية من الجنود (قيل ان رجب
باشا المشير الذي كان في بغداد اقام في قلعة المبرز لما كان في رتبة قول اغاسي) وكل هذه المباني لم تضع
الحكومة فيها حجراً واحداً الا من قبيل الاصلاحات وهي منشأة قديمـاً قبل الفتح الا مخفر
الحميدية فهو من انشاء الدولة ويقال ان موضعه كان بناء قديماً وقد تهدم فأنشىء في محله هذا
المخفر وسمي افتخاراً مخفر الحميدية بإسم السلطان عبد الحميد والمستشفى فيه بعض الاقسـام
تشبه طرز بناء المستشفيات يظهر انه منشأ في زمن متأخر .

النفوس :

تقدر دورها بستة آلاف دار ونفوسها بـ ٣٥ ألف نسمة تقريباً.

اللغة :

عامية خاصة بهم فيها الفاظ غير مألوفة عندنا واليك هي :-
(الحل = النفط)(البسمار = القرنفل) (الكمال = زمبلك الساعة) (السنداس = المرحاض)
(مول = ابداً بالكلية) (التتان = بائع التوتون)(بسر = الخلال ، التمر)وهو اصفر قبل ان
ينضج) (معاميل = ابارق القهوة ولا مفرد لها) (سراج = السراي) (جهودي = يهودي)
لأنهم لا بد وأن فهموا ان بعض العرب يلفظ الجيم ياء ففي وهمهم انهم يرجعونه الى اصله.
مير = كلمة يذكرونها اثناء الكلام لم اجد لها معنى وأظنها زائدة وغاية ما فكرت فيها انها
تأتي بدل كلمة (ولكن) او (ومع ذلك) يختصرون الاسماء بصورة غريبة أي يصغرونها مثل
(برية = ابراهيم) (رحيم = عبد الرحمن) .

العادات :

يحملون اللحم تحت ثيابهم لئلا يراه احد للحسد الموجود عندهم . يلبسون العباءة مقلوبة الى
ان يتغير لونها ثم يلبسونها على وجهها قدر تلك المدة لفقرهم المدقع . القصابون يضعون اللحم
على لوحات خشبية ولا يعلقونه لئلا يشبه المصلوب . يركبون الحمير قعوداً فوقها ورجلاهم
على جانب واحد وهو الايسر من الحمار ويقولون لا يليق بالرجل ان يركب الحمار كما يركب
الخيل . يعطون القهوة بيدهم اليمنى ويمسـكون الابريق في اليسرى كما عليك تستلم الفنجان

يمينك ، بطيئون في حركاتهم في البناء وغيره واذا ارادوا حمل شيء ثقيل مثل جذع نخله او ما اشبه يجتمع عليها رجال كثيرون ومعهم دمام يدق لهم فيحركونه ببطائة كبيرة ، لا يستعملون الخبز في طعامهم وانما يستعملون الحنطة للهريسة فقط في رمضان وغيره ، يتصافحون بالايدي ولكن بدون ضغط ، يستعملون الجهات الاربع لتعريف الاماكن ، تحيتهم بالسلام عليكم فيرد الثاني عليكم السلام فيقول الاول مباشرة مساك او صبحاك الله بالخير فيرد الثاني عليه بمثلها ، يستعملون البخور العود يجلبونه من الهند فإذا اردت مغادرة المحل بعد شربك القهوة قال لك صاحب الدار تطيب تطيب فتجلس ثانياً فيأخذ المبخرة وهي من الخشب لها مقبض من اسفلها ومبطنة بالنحاس فيضع فيها الجمر ثم يخرج من جيبه كيساً صغيراً يأخذ منه قطعة من العود بعد ان يرطبها في فيه يضعها فوق الجمر وينفخ عليها وعند صعود الدخان يتطيب بها هو أولا يسوق الدخان بكفه الى جانبه ويشمه بأنفه بصوت مسموع ويضعها تحت لحيته ثم تحت عباءته وثيابه ثم يعطيها للجالس بجانبه فيفعل مثل فعله وهذا الى الذي بجانبه وهكذا فتدور المبخرة الى ان ترجع الى صاحب الدار ثم يعطيها كذلك للدور الثاني ثم ترجع اليه الى ان يضمحل العود الذي بها ولا يخرج منها دخان ، يعملون لكل وافد سواء كان شخصاً واحداً او اكثر قهوة جديدة باسمه فاذا جلس الضيف قال صاحب الدار لعامل القهوة شب او شب الضوء فيقول الضيف لا القهوة زاهية أي اعطوني من القهوة الموجودة قال الاول لا بالله شب يكررونها مرتين او ثلاثاً وأخيراً تنتهي القضية باشعال النار وعمل القهوة مجدداً ليس منها محيص الا في العيد فيعيدون هذه النغمة ولكن الضيوف لا تقبل .

فيقول الضيف قهوة العيد زاهية ولا يدعهم يشبون الضوء الا ما ندر كأن يكون الضيف غريباً عن الديار او قد اتى من احدى القرى البعيدة او كان شخصية كبيرة ولو من نفس البلد فيشبون الضوء على كل حال فاذا اشتعلت النار ذهب عامل القهوة او احد اعضاء البيت او صاحب الدار نفسه الى داخل الدار فأتى بشيء من القهوة في يده وأعطاه لعامل القهوة وأحياناً تكون حاضرة عند صاحب الدار فيخرج منها مقداراً يعطيه لعاملها فهذا يضعها في المحماس فيقليها ويعملونها شقراء على حد قولهم ثم يصبها في طبق صغير من الياف الاشجار فتبرد فيضعها في الهاون (الجرن)

ويدقها ثم يأخذها وفي هذه الفترة يكون الشربت قد فار على النـــار فيضعها في احـــد المعاميل (الاباريق) ويصب عليها من الشربت فتطبخ ثم يصب صافيهـــا في ابريق اصغر منه ثم يغسل الفناجين ويعرضها على النار لتذهب عنها الرطوبة ثم يصب ويقدم للضيوف وللموجودين قبلهم واذا اتى احد بعد ذلك فيعملون كذلك وهكذا .

يعتبرون العسكر والملكيين والغرباء الذين في السوق من خياط وبائع توتون وغير ذلك كلهم عسكر فاذا قال عسكر يجب عليك ان تستفسره عن نوعه ولا يخالطون هؤلاء الذين يسمونهم عسكراً مطلقاً بل اذا كان احدهم قد خالط يشار اليه بالبنان بأنه خالط العسكر وربما هو قد خالط خياطاً او امثاله فمدة بقاء لواء نجد تحت ادارة الحكومة العثمانية لم يحصل ائتلاف بين الاهـــالي وبين موظفي الحكومة فترى كلا على حده لايتزاورون ولا يتخالطون الاما ندر وعاداتهم بالختان والزواج لم نطلع عليها الا ما نقل لي صديقي عبد العزيز ان الزفاف يقع الى بيت العروس فيدخل العريس الى الغرفة ويكون قد رأى اربعة نسوة قـــد وضعوا العروس فوق حرام (جاجيم) وحملوها كل منهن من ركن فيقولون للعريس اشتر فيجب ان يعطيهن ما تيسر له من الاكرام (البخشيش) وحينئذ يضعونها ويتركونها ويخرجون وعلى العريس ان يبقى في بيت العروس ثلاثة ايام لايخرج خلالها مطلقاً فاذا فعل قيل انها لم تعجبه.

اذا دعوا احداً في الايام الاعتيادية (غير الولائم الخاصة) يقدمون له القهوه فقط وللاكرام يتقدمها تمرات يقال لها كدوع واذا اضيف الى ذلك اللبن كان مبالغة في الاكرام وعادت البدو لم نطلع الا على القليل منها فالمصافحة عندهم هو مس الانف بألانف واذا طلبت من البدوي حاجة قال لك على هذا الخشم ووضع سبابته فوق انفه كقولنا على رأسي وفي الحروب لايلفظون غالب ومغلوب بل يقولون الرحبه للفلانيين اي انهم الغالبون يقولون عنـــد حث الحمار على الجري (حر) بفتح الحاء وتشديد الراء ويسمون كل حمارين زمالة أي رفقه فاذا قيل لك زمالتين أي اربعة حمير .

دوائر الحكومة :

وهي دائرة المتصرف والتحريرات والمحاسبة والمحكمة الشرعية والبدائية ورئيسهما القاضي الشرعي دائرة الاملاك السنية وفوج الضبطية ولا يوجد غيرها لانفوس ولاطابو ولا أوقاف ولامعارف

أما تسجيل الاملاك في المحكمة الشرعية وليس من يسجل ملكه سوى أملاك السنية وبعض الغرباء يأخذون بها حجة شرعيه .

الأعياد :

يؤدون صلاة العيد في احد الجوامع الثلاثة فى القشلة وفي الكوت وفي النعاثل ثم يتزاورون فيما بينهم فقط ، أما الاطفال وبعض الشبان فيركبون الحمير لا غير .

مشارب القهوة :

يوجد في سوق الخميس على حافة الخندق مشارب للقهوة لا تتجاوز الاربعةاو الخمسة الاولى بقرب باب الكوت خاصة بالضباط والباقي للجنود وبعض الاهالي الفقراء والجميع يرون من العيب الفاضح ان يجلس الانسان في مقهى على قارعة الطريق ومن الخزي ان تباع القهوة بهذه الصورة والقهواتي يدعونه المقهوي .

المدارس (الدينية) :

وهي كثيرة ولكن لا تدريس الا في القليل منها حتى ان الشيخ ابو بكر له ثلاث مدارس او اربعة يذهب اليها واحدة بعد واحدة ويعظ فيها بدل التدريس والمستمعون هم انفسهم يذهبون معه اليها وقصده عدم حرمان المدارس من التدريس وكذا ايفاء بشرط الواقفين ،وللشيخ المومى اليه رباط يسكنه بعض الغرباء يصرف عليهم من الوقف .

(العصرية) مدرسة واحدة أنشأتها دائرة الاملاك السنية في داخل الكوت قرب باب الكوت (الدروازة الشرقيه) تلاميذها من أبناء الضباط والملكيين وقليل جداً من الاهالي .

الآبار والعيون :

جميع اهالي البلدة يستقون من الآبار الموجودة في كل مكان وماؤها معدني عذب وحار صيفاً وشتاءاً وواحدة منها موجودة في داخل القشلة يستقي منها الجنود لشربهم وطعامهم فاذا خرج الماء من البئر ووضع في الكوز يبرد بعد دقائق معدودة وتوجد عيون كثيرة غزيرة الميـــاه تكفي لسقي البساتين جميعها حتى ان بعضها يجري ليل نهاراً وتوجد عين في ناحية المبرز قبال القلعة منعزلة في البر بينها وبين القلعة نصف ساعة للماشي تسمى (عين نجم) نحينما كنت في قلعـــة المبرز كنت اذهب اليها احياناً للاستحمام ومعي ثلة من الجنود المساحة لاننا لا نأمن على انفسنا في بعدنا عن مقرنا هذه المسافه والعين المذكورة قد عمل فوقها بنانة مدورة تحتوي على اواوين

شمال
باب الخميس
باب الفتح الدروازة الشمالية
القشلة
قصر ابراهيم
الكوت
باب الكوت
الدروازة الشرقية
الرفعة
باب الجفر
شرق
غرب
* مخفر الحميدية
باب خزام
النعاثل
بـــاب
جنوب
قلعة خزام

وللعين المذكورة وفوقها قبه وفي الوسط حفره مبنية اطرافها وفيها الماء ننزل فيها ونستحـم مجرى تحت الارض قد سد بالاتربة من الاهمال يذهب الى مسافة بعيدة فيسقي الارض التي كانت تزرع فيما مضى من الزمن وقريب من قبة الحمام يوجد بناء قديم لم يبق منه سوى سوره الخارجي قيل ان هذا كان مستشفي للجنود الذين اتى بهم ابراهيم باشا المصري كما أنه هو الذي أنشأ الحمام المذكور بهذا الشكل على نمط الحمامات المعدنية (قابليجه) وكانوا يزرعون الخضروات لطعامهم وهذه العين حارة أيضاً ومعدنية صالحه ومفيدة للاستحمام اكثر من غيرها وتسمية القشلة بقصر ابراهيم ووجود الجامع في داخلها بشكل الجوامع التي في مصر والعراق وبناء هذه العين وبقربها المستشفي كل هذه تؤيد مجيئ ابراهيم باشا الى هذه الديار واقامته مـع جنده مدة من الزمن .

البساتين :

فيها كثير من البساتين تحتوي على مليوني نخلة حسب احصـاء سنة ١٣٠٦ هجرية وكلها في الجهة الشرقية من البلده الى مسافة كبيرة تصل الى قرية الجشه التي ليس ورائها الا البر القاحل والرمال حتى أنهم اذا ذهبوا الى بساتينهم قالوا انهم ذاهبون الى الشرق كمـا ان أهل البصرة يسمون بساتينهم الجنوب .

الحاصلات :

اهمها التمر وأنواعه كثيرة أحسنها (الاخلاص) ويشبه المكتوم في بغداد الا انه الذ منه يؤكل منه رطباً بكثرة يأتون به في زنابيل صغيرة تسمى مخارف أحدها مخرف (بكسر الميم وفتح الراء) تباع التمور على البدو ويرسل منها الى الهند وفي بعض السنين الى البصرة فترسل مع غيرها الى انكلترا وأمريكا وعندهم الليمون الحامض والاترج (الطرنج) ومن الفواكه البطيخ الاخضر والاصفر والرمان والخوخ والعنب والتين ومن الخضروات البامـيـة وهي من الذ انواعها التي رأيتها في بلاد كثيرة والباذنجان الاسود والاحمر (الطماطه) واللوبيه والشجر والباقلاء وغيرها ومن الحبوب الحنطه والشعير والدخن وغيره ومن العلف الجت .

يسقون بساتينهم بواسطة الدلاء من الآبار الموجودة في كل بستان تجرها الحمير تنزل وتصعد بنفسها والفلاح واقف يراقبها ويستحثها اذا هي وقفت او تباطأت بعصا بيده او يؤشر لها بها فقط .

الحمامات :

لا يوجد عندهم حمام بل يستحمون في بيوتهم بماء حاراً او بارد وبعضاً بالعيون الموجودة في اطراف البلده أما عين نجم لم أر احداً يذهب اليها ويوجد حمام صغير في المستشفى العسكري وهو من عمل الحكومة على طراز الحمامات البخاريـــة في بغـــداد وهو خاص بالمرضى كان الضباط يذهبون اليه بإجره يدفعونها لجندي يقوم بتسخينه وخدمته وقد دعوة مرة بعض اصدقائي من الاهالي فبهروا بما وجدوه من الارتياح بواسطته .

الصحة :

لا يوجدعندهم طبيب ولا متطيب ولا غيره ويكتفون بالوصفات التي يصفها بعضهم لبعض يشترونها من العطارين ومع ان اطبـــاء الجيش لا يردونهم اذا راجعوا للتداوي فلا يراجعون اصلا .

التجارة :

تنحصر في جلب الارز والقهوة والاقمشه القطنية والحريرية والمواد العطارية والنواعم وبخور العود والروائح العطرية من الهند والزوالي من ايران ولا يصدرون غير التمر ولهم مخابرات مع الهند والبحرين والبصرة وبغداد .

الاسواق :

اهمها سوق الخميس وهو الشارع المستقيم (عرضه نحو خمسة وعشرين متراً) خارج الكوت على امتـــداد الخندق بعـــد الخروج من باب الكوت يبتدىء باب الخميس وينتهي في مخفر الحميدية لا دكان فيه وإنما هو سوق سيار يجتمع فيه يوم الخميس من كل اسبوع من الصباح الى المساء الباعه من كثير من القرى ومن نفس البلدة فيشتري أهل البلدة حوائجهم الاسبوعية منه وهو يحتوي على كل الضروريات تقريبـــاً ، اذا بـــدأت من مخفر الحميدية متوجهاً الى باب الخميس ترى اولا الحصران ثم التمور والقدور الطينية والاحطاب ثم السمك المقدد والاطباق والاوعيه من الليف والخوص والاقفاص والسرر ثم الفواكه والخضروات ثم الحبوب بأنواعها والمراوح والحصران من الخوص وسفرات الطعام وما أشبه ثم الكوازة والغنم والبقر والحمير والجمال ، وكذلك يوجد رواق ذو أساطين يطل على سوق الخميس مواز له فيه دكاكين تباع

فيه انواع العطاره والتوتون والنواعم وداخل هذا الرواق توجد اسواق متعامدة معه تحتوي على دكاكين في طرفي كل منهـــا تباع فيها انواع الاقمشـــه وغيرهـــا ولا يوجد فى هذه الاسواق شيء كمالي .

الحيوانات :

الخيل نادرة والبغال أندر الا ما وجد من بغال الحكومة والحمير كثيرة جداً وهي مشهورة بسرعتها وشكلها وقوتها ولونها الابيض وهي مستعملة للركوب ولحمل الاثقال ولسحب الماء من الآبار والابقار كثيرة جداً بحيث لا يخلو منها دار وهي للحليب ومنتوجاته وهي جوالة تخرج صباحاً وتعود ظهراً تلتقط كلما تراه في طريقها ، وحيوان يشبه البقرة منها يسمى وضيحي وهو وحشي ونادر يأتون به من الصحراء ويألف بسرعة ، والجمال للاسفار البعيـــدة والسقنقور بقدر سام ابرص يشبه السمكة يعيش في الرمال يغرز رأسه بالرمل ويخرج بعد مسافة ثم يدخل وهـــكذا فاذا ارادوا اصطياده يمدون ايديهم امام محل دخوله في الرمل بمســـافة يعرفونها فيمسكونه ويأكله بعضهم قيل انه يفيد للنشاط والقوة وعندهم الحيات والعقارب والكـــلاب والهررة والدجاج .

البناء :

بناءهم بالحجر المستخرج من الجبال ومن رأى تلك البلاد لا يرى فيها حجراً ولكنهم يعلمون مواضعه فيأتون الى تل من الرمل فيزيلون طبقة الرمل فيظهر لهم الحجر فيقطعونه بالمعاول وهو رطب يتهشم بسرعة فيأتون به على الحمير فيضعونه الى جانب جدار الدار الذي يريدون التعمير فيه ويتركونه مدة طويلة ربما سنة او اكثر فيصلب فيبنون به بالطين او الجص وسقوفهـــم من جذوع النخيل او عقائد وقباب وترتيب الدار ان تكون فيه ساحه في الوسط مكشوفة وتسمى الربعه يجلسون فيها صيفاً وفي الشتاء في احدى الغرف ويكون فيها موقد القهوة في وسط الربعه اما فى الغرفة ففي صدرها متوسط بين الجدارين وعلى جانبيه يقعد صاحب الدار في جانب وعامل القهوة يقابله في الجانب الآخر والضيوف يجلسون بعدهم كأن لسان حال القهوة يقول (لنا الصدر دون العالمين او القبر) وفي الجدار الذي في الصدر رفوف من الجص توضع عليها اباريق القهوة المختلفة ويسمونها المعاميل والفناجين والمبخرة وغيرها .

الالعاب :

لا يوجد عندهم شيء من الالعاب الا ما يسمونه العرضه وهي يجتمع في البراحه (الساحه) او اي فسحه اخرى في حلقة كبيرة وكل سلاحه بيده وفي الوسط الدمام يضرب عايه احدهم وهم يترنحون على نغمته ويطلقون بعض الطلقات من بنادقهم وينشدون اناشيد حماسية وهذه ليست من الالعاب في شيء وانما كما يتبين من اسمها (استعراض عسكري) واستحضارات للحرب وهي تشبه لعبة الساس في بغداد (انظر الفصل الرابع من القسم الاول ـ مادة الافراح) .

المذاهب :

في الكوت شوافع ٦٠ بالمائه وأحناف ٥ بالمائه وشيعه ٣٥ بالمائه اما خارج الكوت فالنعائل كلها حنابله والرفعه كلها شيعه لهم اتصال مع علماء النجف وهم من الشيخية هذا التقدير حسب المسموع وحسب ملاحظاتي الخاصة .

الصنايع :

العبي وهي على نوعين (الكيلان) سداها الحرير أو القز ولحمتها الصوف مقصبه (ام كتف) وغير مقصبه (والمدخل) سداها ولحمتها الصوف متداخل ببعضه ، (اباريق القهوة) من النحاس الاحمر وتطلى بالقصدير والاصفر وهي مشهورة بلطافتها وكل ما يعمل من النحاس القدور وغيرها ، الحصران من الخيزران وسداها من ليف النخل وهي مشهورة بحسنها ومتانتها السيوف والخناجر ، عاملها يقال له الصيقل ، الكوازه ، الحباب والمشارب على اختلاف انواعها وكلها اذا جفت بعد استعمالها تنسد مساماتها فلا تفيد للماء فيجب ملاحظتها وعدم اخلائها من الماء ليلا ونهاراً ، القدور الطينية مشوية عملها خاص غير الكوازة ، ما يعمل من مواد النخلة الاسرة والاقفاص والاطباق والمراوح وما أشبه ، الحلي من الذهب والفضه يعمله الصاغه ويعمله مشبك من الفضه كهيئة القبه يربطونها في وسط فنجان القهوة يوضع تحتها العنبر لتمسه القهوة فتطيب نكهتها به .

العمله :

يستعمل الريال النمساوي علامة ماريا تريزا كما في جميع الجزيرة العربية والروبيه الهنديه ومن اقسامها ربعها وثمنها والبيسه المسقطيه وهي من النحاس والطويلة وهي خاصة بآل سعود وهي

قايلة تكاد تزول وهي من النحاس ويقال ان فيها قليلا من الذهب وهي على هيئة الملقط (الماشه)
تماماً إلا أن رأسها مفتوح قد عكف طرفاه قليلا الى الخارج طول إنج واحد تقريباً وعلى جانبيها
أثر طابع لا يقرأ وهي الوحـــدة القياسية فمثلا الريال تتراوح قيمته بين ٩٠و١١٠ من الطويلات
والروبيه ٧٠ طويله وربعها ٢٠ تقريباً والبيسه كل أثنين بطويله وإذا ساومت أحداً قال لك بكذا
طويله إلا إذا تجاوزت القيمه الريال فيقال ريال وكذا طويله ، والكرش (الغرش) هو ثلث
الريال وهو شيء موهوم لا توجد عملة تساويه .

المقابر :
تقع خارج سور البلد يذهب الاهالي لزيارتها والاعتبار بها لا يقصـــدون قبراً معيناً وذلك
صباح يوم الجمعه أما الجهة العسكرية والملكية والغرباء فلهم مقبرة خاصه داخل سور البلد أمام
المحل المسمى ادارة وهي مسورة وللنصارى واليهود القليلين من الاطباء والصيادلة والجراحين
في العسكرية فلهم مقبرة خاصة متطرفه خارج السور فيها قبور الذين ماتوا في أوقات مختلفه
أثنا وظائفهم هناك عرفتها عندما دفن فيها صيدلي فوجنا وهو رومي الاصل (يوناني) .

الرق :
كان موجوداً عندهم يتبايعون بالعبيـــد السود والاحباش ذكوراً وأناثاً ، ورأيت مرة شاباً
أسود جالساً في دائرة الكمرك (الاحتساب) فسألت عنه فقيل محجوز لقاء رسم الكمرك لأن
أصحابه كانوا آتين به للتجارة .

المقاييس :
للطول الذراع ولكن لا أدري كم يســاوي من المتر لأني لم أتحققه أما الاوزان فأولها الربعه
وهي حقة استانبول زائدة قليلا والجياسه (القياسه) ٨ ربعات والمن ٢٤ قياسه تساوي ١٩٢
ربعه .

الزي :
الجميع يلبسون الدشداشه ويسمونهـــا الثوب من البز الخام الابيض اوالاسمر اذا كانوا من
الفقراء أما الاغنياء فيلبسون فوقها الدكله وهي كالزبون عندنا في بغداد إلا أن قسمها الامامي
لا يزيد فينطبق الواحد فوق الآخر بل يبقى مسدولا على خط مستقيم كالجبه ولا يشدون حزاماً

فوقها وفوق ذلك العباءة للجميع ولباس الرأس العمامه البيضاء للعلماء والغترة (الكوفيه) البيضاء او المطرزة أو اليشماغ الاحمر للباقين وفوقها العقال ذو الطيتين وفي أرجلهم النعال ، فالفقراء لايغسلون ثيابهم إلا فيما ندر واذا رأوا أحدهم نظيف الثياب قالوا له هل أنت مطوع (أي عالم) .

الجوامع والمساجد :

فالمساجد الجامعه ثلاثةاحدهما في داخل القشله المسماة قصر ابراهيم وهو ابراهيم باشا المصري ويقال انه من أنشأه له مصلى متوسط السعه تعلوه قبه وله مأذنه وهي الوحيدة في البلدة وله منبر مثل المنابر في بغداد والاستانه وغيرها وآخر في داخل الكوت جبهته تقابل جبهة القشله وبينهما البراحه تحجبه عنها بعض الدور والمصلى فيه يحتوي على اساطين عديدة في صف واحد تعلوها قباب صغيرة ومنبره داخلة في الجدار ذات قد متين والثالث في محلة النعاثل ويقال انه من أنشاء ابراهيم باشا المصري أيضاً ولاظن ذلك صحيحاً أساطينه عديدة على صفوف كثيرة على مثال الجامع الاموي في الشام وفي الحقيقة ان شكل المساجد الجامعه كلها كانت تبنى على هذا المثال يدلك على ذلك أنقاض المسجد الجامع في سامراء ومسجد الامام سيدنا علي في الكوفه ومنبره ليس كمنابر بغداد بل كبعض منابر الاستانه ومنبر السـيد سلطان علي ومنبر التكيه الخالديه في بغداد وهو درج ضمن الجـدار ينتهي بقطعة مربعة وقد خرج منها ما يشبه الاطناف محدودة بعواميد من الخشب أو الحجر والجص فيقف الخطيب هناك وهذا المنبر لايأخذ من أرض الجامع شيئاً بل يكون الصف الاول ممتداً لا يفصله شيء وهـذه الثلاثة تقام فيها الجمعه وكل منها يعد وحيداً في بلدة خاصة فالذي في القشله فهي تعتبر بلدة منفردة لأنها مسورة والثاني في الكوت وهي كذلك مسورة والثالث في البلدة الخارجية وهي تعد منفصله عن الداخليه ومسورة والذي في القشله ليس قاصراً على الجنود وحدهـم بل يدخل اليه ويصلي فيه من أراد من الاهالي أما المساجد فكثيرة جداً وجميعها نحو ٨٠ مسجداً .

الطعام :

للاغنياء الارز المطبوخ مـع اللحم والهريس وبعض الخضروات ولكنهم لا يحسنون طبخها والمتوسطين الارز وأحياناً اللحم ومثله الهريس واللبن الرائب والتمر للطبقتين وأما الفقراء فالتمر

مع السمك اليابس النوع الصغير منه أو ما يسقط منه كالتراب يسمونه (احساس) يأتدمون به مع التمر فقط ولا يعرفون الخبز مطلقاً وأما الحيوانات فجميعها تأكل التمر من البعير الى البقرة فالغنم والماعز والكلاب والقطط والدجاج .

والافراح :

من حيث ليس لنا اختلاط بالاهالي لا نعرف عن أفراحهم شيئاً إلا أن أحد الضباط أجرى ختان ولده فجئ بنسوه من العبيد يرقصن على نوع آلة لا أتذكرها .

المآتم :

لم نسمع ببكاء أو عويل عند وقوع وفاة أما تشييع الجنازة فطبق الشرع الشريف ولا نعرف ما جرى العرف عندهم في ما خرج عن نطاق ما ذكرنا .

البلديه :

لا عمل لها سوى كنس الشوارع في منطقه دوائر الحكومة والقريبة منها وتنويرها بالنفط والفوانيس كالتي كانت في بغداد قديماً وأما الشوارع الاخرى فالظلام فيها دامس وليس للبلدية من الواردات سوى الذبحيه والارضيه لسوق الخميس ولا تحصل منها ما يكفي لسد النفقات .

الحوادث :

حدث وباء بالبقر فكانوا يذبحونها فيجدون في معدتها كرة واحدة أو أكثر قدر الرمانه وكلها شعور ملتفه على بعضها مرصوصه بقوه لا يمكن قطعها أو كسرها بسهولة فكان الاولاد والشبان يخرجون فيدورون ليلا فى الازقه صارخين (يارافع الباس عنا وعن الناس) وقد شدد العلماء وأئمة المساجد بحضور الجماعه فكنت أذهب لصلاة العشاء فى بعض المساجد فبعد الصلاة يقرأ المؤذن أسماء أهل البيوت القريبة من المسجد والذين أعتادوا أن يصلوا فيه فيجيبون بلفظة حاضر وقليل جداً كان غائباً فينبه الامام الجماعه بلزوم حضورهم ويرجوهم أن لا يتخلفوا، أما الحوادث الخاصة بالادارة العسكرية فقد ادرجت فى فصولها الخاصه .

(الفصل العاشر)

الرجوع من الاحساء الى البصرة ثم العمارة ومدة البقاء فيها

فباشر بعض من له عائله من الضباط بعمل محامل أو كجوات لحمل عائلتهم فيها على الجمال وهيأنا جميع أسباب السفر وسافرنا على بركــة الله تعالى فنزلنا فى الصبحخه نصف الليل تقريباً وبتنا هناك ثم الى بريمان وكنا نمشي فى الليل ونستريح فى النهار لأن الوقت كان صيفاً فحدث أن حصل بعض الاشتباه من الجنود وأحسوا بوجود من يريد التعرض لقافلتنا لأنها فى نظرهم غنية بواسطة العائلات وما يحملون من الحلي وأدوات البيوت وخاصة بنادق الجنود لأن جنود الفوج أصبحت ربع عددها في وقت السلم أي ان الفوج كان لا يتجاوز المائــة والستين نفراً والبنادق الزائــدة كلها في صناديق محملة على الجمال وبعد التوقف وأعمال الرأي تمكنا من مواجهة بعض شيوخ البدو الذين كانوا يريدون التعرض لنا حقيقة أو نحن توهمنا ذلك واتفقنا معهم على ان يأتوا معنا الى العقير مقابل خمسة ريالات دفعناها للشيخ ولكن باسم هديه وذكرنا لهم بأننا نسافر من الاحساء ويجب المواداعه معهم ولهذا نود ان يأتوا معنا للاستئناس بهم فاقتنعوا بالخمسة ريالات وهم لو أرادوا لأبادونا عن آخرنا وأخذوا جميع مامعنا فانظر ولاحظ فقرهم المدقع ومسكنتهم فنتأكد بأن الحكومة لو أحسنت معاملتهم وسددت لهم رواتبهم التي لا تزيد عن نسبة ما أعطيناهم لما وقع لها من المشاكل وتسيير الجيوش أحياناً ولكن دون جدوى وعند وصولنا العقير كانت حكومة البصرة قد هيأت لنا باخرة انكليزية دخلت الى أقصى حد يمكنها في مرفأ العجير فسارت بنا الى البصرة فخرجنا ثم في باخرة نهرية من بواخر الادارة النهرية الى العمارة .

فتلقتنا فى العمارة الهيضــة (الكوليرا) وكانت الوفيات من الاهالي بالعشرات يومياً الى ان تضائل العدد وزال في الشتاء وبعد الاستقرار في العمارة أيام معدودة جاءنا القائد للفوج وهو القول أغاسي حسين بك من جملة من أتى مع القائد الفريق ناظم باشا لأنه عين رؤســاء للافواج من جماعته قصد الاصلاح على زعمه والحقيقة انه قد حصل بعض النشاط حينذاك وسببه اعــلان الحكومة المشروطية والانتعاش حصل من خلوص النيــه من الجميــع ما دامت الحكومة أو بالاحرى الامه تريد المساومات الفعليه .

وكنت طلبت رخصه (اجازة) وأنا فى الاحساء للتأهل في بغداد فقضت الظروف ان يكون

ذلك في العمارة فجاء والدي وكثير من ذوي لحضور الافراح وبعد خمســة عشر يوماً أمرت بالذهاب الى البصرة للحاجة الماسة الى الجنود هناك فذهبت مع سريتي وكان قائد السرية الرئيس احمد نطقي وأنا كنت ملازم أول وبعد بقائي هناك أقل من شهر طلبت رخصه (اجازة) للذهاب الى العمارة لجلب العائله فبسبب وقوع حادث هيضه في الباخرة منعت الباخرة أن تقف بالعماره واستمرت بالسير وأنا فيها الى بغداد، وفي بغداد ادتشبثت للاشغال بالانشاآت العسكرية على أن يبقى انتسابي للفوج فتأخر صدور الامر بذلك فالفوج لا يدري والبصرة تريدني وقد انتهت مــدة الاجازة وأكثر اهلي في العمارة والعيد صار على الابواب ووجودي في بغداد بلا مبرر وسوقي مطلوب من آمر المركز ببغداد وهذه كلها تراكمت علي فلم أتمكن من البقاء وقضاء أيام العيد بهذا الارتباك على أمل أن يصدر الامر بعد العيد ولابد يحتاج الى مراجعات كثيرة قد تطول فتركت المســأله وسافرت الى العمارة فوصلتها في آخر يوم من أيام العيد وكانت مدة بقائي أحد عشر يوماً فوجدت أكثر من في العمارة قد سافروا الى بغداد ولم يبق سوى والدي مع قسم صغير من الاهل فبقيت في العمارة خمسة عشر يوماً أخرى أمرت بالسفر بعدها الى البصرة فأخذت عائلتي وسافرت الى البصرة والوالد الى بغداد وبعد مدة شهرين تقريباً تمرضت العائلة في البصرة فكتبت الى بغداد فجاء والدي وذهب بهم الى بغداد للتداوي ثم رجعنا مع السرية الى العمارة وبقينا فيها مدة سنة ونصف تقريباً سافرنا بعدها الى لواء المنتفك فأول ما جابهني عند وصولي العمارة مسألة في غاية الاهمية وذلك اني كنت آمراً للسريــة لأن موضع رئيس السرية كان شاغراً وأنا كنت الوكيل فطبعاً كل شيء في السرية كان في عهدتي وأنا المسؤول عنه فعند مجيء الرئيس أحمد نطقي كان يجب أن أسلمه جميع ذلك وأخرج من عهدته فانشغلت وتكاسلت وهو لم يطالبني بالتسليم الى أن حدثت سفرة البصرة فبعد رجوعنا هذه المرة الى مركز الفوج بدأنا بالدور والتسليم وعند تسلمي البنادق وجدنا أثنين منها مفقودة فدققنا الارقام فتعين لدينا رقم البندقيتين المفقودتين فصدر أمر آمر الفوج بمحاكمتي ، أما كيفية ضياعها هي لما كان موجود السرية أقل من الملاك المقرر له فبالطبع كانت البنادق زائدة وهذا الزائد كنت وضعته في صناديق محفوظة في غرفة خاصة وعليها خفر فلما سافرنا مع السرية جميعها أخبرنا آمر الفوج عنها فقال لا بأس فالسرية الثالثة تخفرها بدلا منكم فالسرية المذكورة لم تعتن بها كما يجب ولم تسلمها لا بالرقم ولا بالعدد

وكان يوجد للغرفة التي فيها شباك على الطريق فسرقت من هذا الشباك بقلعه واعادته والسراق هم من جنود هذه السرية الثالثة ونحن في أثناء المحاكمة والسؤال والجواب جاءتنا برقية من قائد البصرة بأن لديه بندقيتين أرقامها كذا وكذا فمن فقدها فليخبر عنها ،وأرسلت مثل هذه البرقية للافواج التي في المنتفك ونجد وغيرها أيضاً فلما طابقنا الرقمين وجدنا هما بعينهما ضالتنا فكتب آمر فوجنا اليه ورجاه ان يرسلها فجاءت وبطلت المحاكمه ونجوت من العقاب والتضمين ولكن التحقيق بقي لمعرفة السارق فعرف الجنود الذين سرقوها وجرت محاكمتهم وعوقبوا ، كان هؤلاء السراق قد أرسلوها بالواسطه الى الكويت لتباع هناك فاشتبه منها رجال شيخ الكويت وأخبروا الشيخ فارسلهما الى قائد البصرة وهكذا وصلنا بوقتها ، ثم نقل آمر الفوج حسين بك وجاء بدله آمر آخر .

كانت وظيفة الجنود فى ذلك الزمن تحقيق الأمن والنظام كما هو شأن الشرطة السيارة اليوم فأمرنا أن يذهب الفوج الى شطرة العمارة (قلعة صالح) لتسليم مقاطعة الكسرة والحفيرة الى فالح الصيهود الذي كان منفياً فى بلده أشقد دره من الروم ايلي (وهي اليوم ضمن حكومة البانيا) فى زمن السلطان عبد الحميد ورجع فى تلك الايام وكان بعد اعلان المشروطيه بزمن , فعلينا تخلية المقاطعة من ملتزمها السابق ، وهذه المقاطعات فى نظر الحكومة توضع فى المزايـدة وتعطى لمن يدفع أكثر وبشروط أكثر ملائمـة وفى نظر العشائر ان الحكومة تهديها الى أحـد الشيوخ المقربين عندها فيقولون ان الحكومة شيخت فلان على المقاطعة الفلانية فيعملون له احتفالا فى البلدة وتأتي الموسيقى وأبو طبل وتعمل الضيافات ، ولكن لا ينتقل منها الملتزم السابق إلا بالقوة وبالاكثر لا يقوم من محله الا بعد أن يرى بأم عينيه القوة الكافيه متوجهة اليه ليعذر أمام عشيرته فيقول لهم انه لا قبل له بقوة الحكومة وها هو جيشها آت فيذهب من هناك الى محل آخر ينتظر أخذ مقاطعة اخرى غيرها وبالاكثر الحكومة لا تقيم احداً من مكانة الا وتعطيه محلا آخر وأكثر المقاطعـات هي بيد شيوخ لا يتغيرون على مر السنين والاعوام وكلما جاء دور فسخ الالتزام أعطته اياها مجدداً وهكذا دواليك . وهذه الحادثه التي نحن بصددها كانت ضرورية بسبب ورود فالح الصيهود من المنفى وهذه كانت مقاطعة قبل النفي فخيمنا فى محل خارج بلـدة قلعة صالح وأرسلنا كتاباً للملتزم السابق ان يقوم من محله فلم يلب الطلب وأرسل يعتذر ويطلب مدة كافية

للانتقال فعبر الفوج الى الجانب الآخر من النهر وخيم هناك وقت العصر على أن يسير اليه فى صباح اليوم التالي بعد ان ارسلنا اليه كتاباً اشد من الاول فأذعن وبدأ بالانتقال فتم ذلك فى ثلاثة ايام وعندئذ جاء فالح الصيهود بأهله وخدمه وخيمه وعشايره فاحتلوا المقاطعة المذكورة .

وبعد ذلك جاء ترفيعي الى رتبة رئيس فتعينت على السرية الاولى من نفس الفوج ، كانت تحدث بعض الامور فستدعي ارسال جنود الى الاماكن القريبة من مركز اللواء وكان المقدم آمر الفوج يرسل كل مرة احد السريات بالمناوبة ولما كنت آمر السرية الاولى ارسلت الى ناحية المشرح لتعد وقع من بعض عشايرغضبان على بعض الساكنين هناك فذهبت الى هناك والتعليمات التي اخذتها هي ان اصل الى هناك ثم اكتب الى مدير الناحية استفسره عن الامن هناك وذلك عن اليوم الذي اكتب له فيه وهو يجيبني بأنـــه لا يوجد شيء فى الحال الحاضر او فى ذلك اليوم ولا يوجد تعد او غيره والامن على ما يرام فارجع ، وهذا ذراً للرماد فى العيون لأن اهالي العمارة طلبوا التعقيبات من الحكومة فتكون الحكومة قد قامت بذلك فذهبت ورجعت كمـــا ذكرت آنفاً ، وكل اعمال الحكومة كان وقتياً يقصد به التسكين لا غير .

حدث فى العمارة مرض التيفوس بين الجنود فأصاب منهم كثيراً فكان الطبيب يباشرهـــم فى المستشفى وهو لا يليق ان يكون اسطبلا للحمير فضـــلا عن الخيل فمات كثير منهم وكنا نتألم لذلك لأن وفاتهم لا من شدة المرض بل من ضيق المكان وعدم لياقته ونقصان الادوات فراجعنا آمر الفوج فلم يهتم بالقضية الا بقدر ما يهتم بقضية بسيطة لاتستغرق من وقته شيئاً يذكر وكان الطبيب نفسه مريضاً وكبير السن فلما يأسنا من مراجعة الآمر المذكور كتب له كتاباً رسمياً دعوته فيه الى الاهتمام بالقضية قانوناً وانسانية وذكرت ان هؤلاء الجنود وديعة الله والامة بيدنا فالقانون يحاسبنا وضميرنا يؤنبنا فضلا عن عقاب الآخرة فواجهني وقال ماذا اعمل اوجد لي داراً فآخذها بالايجار قلت كيف نجد لك داراً وانت آمرنا ووكيل المتصرف والبلدية تحت يدك فاذا اهتممت بالمسألة يمكنك ان تغربل البلدة وتحصل على الدار التي تريدها ولو باخراج اهله منه لا بالقوة بل بالمروؤة والانسانية وقلت له لو اتتك برقية من متصرف تعين حديثاً او مفتشاً او كبيراً آخر يريد الاقامة هنا لمدة محدودة ويطلب فيها ان تحضر له داراً مناسبة اما كنت توجد الدار بأيـــة صورة وبكل سرعه قال نعـــم هـــذه مســـألة اخرى قلت ومســـألة هؤلاء

المرضى اهم من ذلك بكثير فلم يهتم ايضاً وهو من الذين يصلون الخمس ويتكلمون بالتصوف فصادف ان ابدل الطبيب بآخر فطلبت الاخير حوض استحمام فاوصينا احد السمكرية فعمل لنا واحداً منه من الزنك وحتى يتم عمله استعمل قدر الطعام فاغطس المرضى واحداً فواحــداً في الماء الدافئ وكان المرض قد خف فنجى الباقون منهم ثم كمل الحوض ولكن بعد خراب البصرة وقد ضحينا بما يزيد على خمسة عشر جندياً تقريباً .

وحدث ان المتعهد بدأ يغير الخبز فكان الطحين قديماً ومن النوع الردئ وكنت في هيئــة الاعاشة ولي رآستها والاهتمام بشؤنها فراجعناه ايضاً على الاصول فوعد ان ينبه المتعهد ونحن نبهناه ايضاً فوعد بتغيره بأحسن منه ومضت ايام ولم يتأكد شيء من ذلك فجئت المتعهد وانذرته بعدم اخذ الخبز غداً اذا كان من هذا النوع وعليه ان يشتري لنا غيره من السوق حسب الشروط او نشتريه نحن وهو يؤدي ثمنه فوافق وعند الصباح وجدنا الخبز هو هو وبقي يلتمس ان قد حصل سوء تفاهم بينه وبين الفران فرفضت الخبز وذهبت الى السوق واتفقت مع خبازين ان يجهزونا بثمانمائة رغيف او اكثر لا اذكره الآن فوعد واراني المخبز وباشرهو وعماله بعمل الخبز ولعلمي ان المتعهد سوف يذهب الى الآمر ويرجوه قبول خبزه لذلك اليوم فعجلت بأخذ مائتي رغيف وارسلتها الى الجنود وامرتهم بأكلها حالا ريثما ارسل اليهم الباقي ثم ذهبت الى محلي واذا بالآمر يطلبني فحضرت فقال لماذا لم تخبرني بعدم صلاحية الخبز ورفضه دون امري ومن اين لك علم انه غير صالح للاكل فهذا عمل الطبيب فلا نعرفه نحن قلت له اولا ان المسألة من صلاحيتي ولا حاجة لمراجعتك لأني مكلف بتطبيق بنود المقاولة واما الخبز لا نعرف صلاحيته للاكل من عدمها فهي وان كانت من وظيفة الطبيب الا انا ومنذ نحن اطفال نأكل الخبز الى اليوم فكيف لا نعرف جيده من رديئه قال يجب ان ترسل الى الطبيب ليعطينا تقريراً بذلك بصورة رسمية قلت له افعل فأخذ رغيفاً (صمونه) من خبز المتعهد امامي وكتب معها ورقه سائلا الطبيب معاينة الخبز وهل هو صالح للاكل ام لا فجاء الجواب بأن هـذا الخبز المرسول رسالتكم وهو اسود ومر و غير صالح للاكل بتاتاً .

فاسقط في يد الآمر ولكن لكي لا يخجل قال هاك انظر ورمى لي الجواب وقال هـذا هو الاصول فبعد ان اعترف الطبيب بعدم صلاحه للاكل يمكننا رفضه الآن لا كما عملت انت قلت

ولله الحمد أني لم أعمل غير الصواب ، ثم دعاني في عصر ذلك اليوم وقال ان المتعهد سوف يعطينا خبزاً جيداً ولكن بعد يومين أو ثلاثة على كل حال وفي هذه المدة سوف يخلط مع القديم نصفه من الجديد موقتاً فقبلت وفي الحقيقة صدق المتعهد بوعده فتغير الخبز قليلاًفي اليوم الثاني وبعد المدة المضرور بتجهز لنا خبزاً لا نظير له من حنطة خالصه فبدأت احفظ منه نماذج لكل يوم مع اثبات تأريخها فوقها ولما استمر بدون تغيير لمدة طويلة تركت حفظ النماذج .

كان اكثر الامراء من رتبة قول آغاسي (رئيس اول) فما فوق لهم تعيينات (ارزاق) لخيولهم من الشعير والتبن حسب ما هو مفروض عليهم ان يقتنوا منها حصانين او ثلاثـة وكلما زادت الرتبة زاد عدد الخيول وفي الاصل عمل هذا الترتيب لتشويق المومى اليهـم لتربية الحيوانات لتحسين جنس الخيل او لسبب آخر لم ندركه فكانوا يأخذون التعيينات المذكورة محوله الى نقود بدل الشعير والتبن ولا يقتنون من الخيل الا ماندر والنادر هذا حيوان واحد لا غير فصدر امر جديد بأن لا تعطى لهم التعيينات المذكورة مالم يقتنوا الحيوانات فعلا او على الاقل قسماً منها ولو حيوان واحد على اقل تقدير فما كان من صاحبنا آمر الفوج الا وقد اقتنى حصاناًبالاسم فقط وجعله في اصطبل يعود للمتعهد وصار يتكلم عنه في كل مناسبه وأرانا اياه مرة او مرتين واستمر يقبض التعيينات لذلك الحصان وللاحصنة الأخرى المفروض عليه اقتناؤها .

كان عندنا صيدلي وله جندي يخدمه يعود الى سريتي فطلبت جميـع الخدام وخادمي معهم طبعاً ان يحضروا في التدريب العسكري حسب الاصول يومياً ساعتين تقريباً فلم يرسله الصيدلي فأخذته بالقوة فشكاني الى الآمر فساعده فأصررت على اخذه يومياً فاغتاظ مني وكان الاولى به ان يفهمه المقصد من اخذه وان ذلك من الاصول بأن لا يبقى جاهلا التمرينات ولكنه اراد ان يسايره ولا أدري ما هو السبب في ذلك .

(الفصل الحادي عشر)

حالة العمارة في ذلك الحين

نظرة عامة :

تقع العمارة على الزاوية المتشكلة من نهر دجلة ومن احدى رواضعه (الكحلاء) ويتفرع من الكحلاء بعد مسافة صغيرة جداً نهر اصغر منه يدعى المشرح بحيث انك تعبر جسر الكحلاء ثم تعبر جسر المشرح مباشرة وكلاهما على خط واحد والزاوية التي بين النهرين المذكورين في مبداهما لا تتجاوز الخمس درجات تقريباً ثم يتباعدان بالتدريج فيذهب كل منهما الى جهته .

المدينة متوسطة السعه وهي متصرفية تابعة لولاية البصرة فيها جاده على طول ساحل النهر ولها مسناة بينها وبين خط المباني مسافة كافية لأن يتجول فيها المرء ويستنشق الهواء صباحاً والمباني على الجادة المذكورة في استقامة واحدة إلا إنحرافات قليلة لاتؤثر في منظرها البديع ليلا ونهاراً شوارعها عريضة ومتعامدة الا القليل منها فغير منتظم ويقابلها من نهر دجلة جانب آخر صغير بسيط البناء لا يتناسب مع الجانب الشرقي ترسوا عندها البواخر الذاهبة والآيبة بين البصرة وبغداد.

الاسم :

كانت تسمى قديماً (الاردو) معسكر اقيم هناك فتأسست البلدة بسببه منذ مدة غير بعيدة واطلق عليها العمارة بعد ذلك ولفظة الاردو نوسيت ولا يزال بعض الاعراب يسميها (الاوردو) وفيها محلة تدعى السوارية (الخياله) تدل على صحة اقامة المعسكر فى هذه الارض .

البساتين :

والبساتين فيها غير كثيرة وهي على النهر تكتنف البلدة من رأسيها وفي الجانبين فيها النخيل والفواكه والخضروات .

أماكن الحكومة :

السراي وهو عتيق البناء عند رأس الجسر وبجانبه شمالا القشله واجهتها كانت متهدمه فعمرت بواسطة الاعانات وبقيت الجهات الثلاث الباقية متداعيه ودائرة السنية في رأس الزاوية بين دجله والكحلاء وهذه جديدة البناء صغيرة الحجم خاصة بدائرة الاملاك الخاصة بالسـلطان

عبد الحميد وبعد اعلان الدستور وعند انتقال الامـلاك السنية الى الحكومة اشغلت من قبل المتصرفية ودوائر الحكومة الاخرى وبقي في السراي القديم الظبطية .

المستشفى العسكري :

وهو في جنوب الجسر بناية قديمة وصغيرة ودار غضبان وعربي الشيخين الذين كانا يسكنانهما عند حضورهما في مركز اللواء وهما كانتا محجوزتين في الحكومة وكانتا مشغولتين بجنود الفوج فالسرية الاولى في دار عربي والثانيه في دار غضبـان والثالثة في المستشفى الذي ذكرناه آنفاً والرابعة في القشله ، وبناية قديمة اخرى بجانب المستشفى مشغوله من قبل الكمرك .

الجسور :

فيها من الجسور ثلاثة اثنان على الكحلاء والمشرح ثابتان على دعائم خشبية والثالث على نهر دجلة يربـط الجانب الشرقي الكبير بالجانب الغربي الصغير رأسه عند الجانب الكبير عند باب السراي .

الجوامع والمساجد :

فيها جامعان احدهما في شارع قرب السوق وقريباً من الساحل يصلي فيه السيد مصطفى افندي المدرس والثاني في وسط البلدة يصلي فيه محمد سليم افندي وبعض المساجد .

المدارس :

الدينية في الجامعين المذكورين والرسمية وهي المدرسـة الرشدية قريبة من السراي القديم ولا يوجد غير ذلك .

الحمامات :

فيها ثلاثة حمامات احدها على الساحل في وسط جبهة البلـدة تقريباً والثاني في آخرها من الجنوب خلف الابنية والثالث في الداخل في محلة السوارية .

الاسواق :

وهو سوق واحد يقع عمودياً على جبهة البلدة يبتدئ من الساحل ويدخل الى اواخرها وهو المهم وفيه كل انواع المبيعات يبتـدئ بالبقالين والنواعميه (الخرده فروشيه) والخياطين ثم

البزازين والنجارين والنحاسين وباعة الحبوب وغيرهم ويوجد غير هـذا السوق ولكنه دونه في النظام والاهمية .

الصنايع :

لايوجد فيها من الصنايع الا ما كان ابتدائياً ولايخلو منه محل في العالم وهو النحـاسه والنجاره والحدادة والخياطه .

الصحه :

لا يوجد فيها غير طبيب واحد خاص بالبلديه والطبيب العسكري وهذا مرتبط بالفوج يأتي ويذهب معه ويندر من يراجع الطبيب من الاهالي وتوجـد عدا صيدلية الفوج صيدلية اهليه واحدة ولا يوجد مستشفى .

البلديه :

في حاله ابتدائيه بسيطه لم نر من اعمالها غير الكنس والتنوير ونقل الزبل وعنـد فصل الشتاء يحفرون سواقي فى وسط الشوارع ليتجمع فيها مياه الامطار ثم تجف من ذاتها وبعضها لا يجف لما يضاف اليها من المياه القذره من البيوت بحجة انهـا ميـاه الامطار والمباني تعطى لها اجازة بدون كشف والمهندس الذي يتعين موقتاً وهو احد الضباط للفوج فاذا ذهب الفوج ذهب معه ولا توجد تعليمات خاصه للمهندس وانما يعمل برأيه وهذا يطلبونه لأجل اجراء تخمينات قيمة الاملاك التي تقدم لكفالات الموظفين واعمال اخرى تتعلق بالماليه اكثر مما تخص البلـدية فمثلا شكى مأمور السجن ضيق المكان على المساجين وطلب ايجاد محل مناسب اوسـع منه او اضافة غرفة اخرى من السراي اليه فطلب مني وكنت مهندساً للبلـدية ان انظر سعة السـجن وما يستوعب من النفوس فأخذت المساحه وقدرت ستة عشر متراً مكعباً من هواء الغرفة الواحدة لكل سجين فاسقط فى يد الحكومة لأن ذلك كان دون الموجود من المساجين وتأيدت فكرة مأمور السجن وأمثال هذه المتنوعات كثير .

وجاءت البلدية بمصابيح من نوع لوكس تشتعل بالنفط وعلقتها فى اعمدة على طول الساحل فصار منظر البلده ليلا نهاراً فى غاية البداعه .

المباني :

يوجد فيها بعض المباني تشابه مباني بغداد في ذلك الحين وهناك سبعة دور على الســاحل من جهةالجنوب تعود لأملاك الدائرة السنية وهي على نسق واحد في كل منها شبابيك فى الطابق التحتاني وشناشيلات (شاه نشين) وهي ما قيل بنيت لتكون انموذجاً للاهالي لينشؤا دورهم على طرازها وقد أنشأ في جنوبها على الساحل ايضاً في آخر البلدة المثري عبودي طويق مع شركاء له سبعة دور ايضاً على نسق واحد تشابه تلك الدور التي انشأتها دائرة السنيه .

التجارة :

ليست العمارة بالاهمية التي تذكر تجارتها لأنهم يرسلون حاصلات البلد وما يجاورها (وينحصر ذلك بالحبوب والجلود والصوف والدهن) الى بغداد او البصرة ليباع للتجار المصدرين ويجلبون الاقمشه وغيرها من بغداد او البصرة للاستهلاك المحلي .

(الفصل الثاني عشر)

السفر من العمارة عن طريق القرنه والناصرية الى قلعة سكر والحي

صدر الامر الينا في شهر رمضان بالسفر الى الناصرية ولما لم يكن موعد باخرة تأتي من بغداد قريباً والمسألة مستعجلة ركبنا السفن الشراعية وأشغلنا سبعه اوثمانية منها وتحركنا صباح يوم ١٥ رمضـــان ١٣٣٠ (١٤ أغستوس ١٣٢٨ ووجهتنا القرنه فنزلنا فيها وأبدلنا السفن بزوارق (ابلام) اصغر منها فكانت اثنى عشر بلم وهي كبيرة كالسفن وتسمى ابلام لأن شكلها مثل البلم العشاري بالبصرة قعرها افقي يمكنها المرور في الماء الضحل وتحركنا من القرنه عند المساء داخلين فى نهر الفرات فاخترقناه الى الجبايش ودخلنا البركه (البحيره) الى المزلك ومن هناك فى مجرى الفرات الى سوق الشيوخ والناصرية وكان فيها القائد الزعيم فريد بك وكانت له شهره عظيمة فقد اخضع العشائر بعد ان كانت متمردة سنين عديدة لاتدفع الرسوم الاميرية وقيل ان اول من اطاع منها عشيرة حجام كما انها هي التي تمردت اولا وكانت لديه باخرتان قديمتان من بواخر الادارة النهرية وهما بغدادي الصغير الذي كانت هيئته كبواخر البحار والثانيةالمسماة (رصافه) وقد صفحتا بالواح حديدية ووضعت فيها المدافع والرشاشات وبواسـطة هذين الباخرتين تمكن من اخضاع العشائر المذكورة فبقينا في الناصرية اسبوعاً او اقل سافرنا بعدها الى الشطرة ولكي اعطي للقارئ عن حالة النقليات العسكرية فى ذلك الزمن (وذلك حتى بعد اعلان الدستور) ولعدم وجود بغال كافية فى الناصرية فقد تداركوا لنا جمالا لتحميل ادواتنا عليها فجاءوا بها قبل الغروب بقليل فأمر آمر الفوج بالتحميل والقائد فريـد بك واقف في الساحه التى امام القشله (السراي) فترى الجمل يجيئ ويمشي ثم تقع الاحمال منه فيناخ ثانية وتربط عليه ويمشي هنيهة ثم تسقط والنادر من الجمال من مضى مسافة كبيرة فجاء القائد ليرى مسير الجمال في الشارع الجانبي للقشله فرأى الذي لا يسقط احماله فى الساحه يسقطها فى الشارع فآمر الفوج كان خجلا ويوعز الينا بإيصـال الاحمال ولو بأمساكها من قبل الجنود من جانبي الجمل حتى تدور من ذلك الشارع وتختفي عن اعين القائد وبعد ذلك ان سقطت فلا بأس وهكذا صرنا اعجوبة واضحوكه والقائد كان ينظر ولا يتكلم ويحرق الالم في قلبه حتى اذا مضت الجمال وتحركت الجنود واختفت ودع الآمر القائد وتحركنا ولا تسل عن حالنا بعـد ذلك فالى ان

خرجنا من الجهة الثانية من البلدة مضى علينا عدة ساعات واصلحنا من حالنا بعد الخروج من البلده وسافرنا على هذا الترتيب اتدري ما هو سبب هذا التذبذب هو عدم احضار حبال كافية للتحميل وكنا نطلب ذلك فلا نجاب عليه فوصلنا الشطرة بوضع لابأس به نسبة لأنا في الطريق عملنا كل ما في وسعنا من الاصلاح فاستقبلنا اهل الشطرة من مسـافة بعيدة فرحين بنا فاحتلينا القشله وبقينا مقدار شهر او اكثر بقليل سافرنا بعدها الى قلعة سكر ففي هذه الدفعه احمالنا كانت على البغال والحمير بعد التجربه الاليمة التي اصابتنا من الجمال عفى الله عنها وكان نهر الغراف يابساً فكنا نمشي في وسط النهر حتى اذا قاربنا نصف الطريق واذا بماء الطغيان بجانبنا وهو يرعد وينساب انسـياب الافعى بزبده وقشه فهربنا منه بصعودنا من جانبه الأيسر الى اعلى الساحل فوصلنا قلعة سكر وقد احضر لنا خان ودور فالدار لمركز الفوج والخان لسكنى الجنود .

أما نحن الضباط فتفرقنا فى خانات اخرى وبعد زمن قليل جاء ترفيع آمر الفوج المقدم الى رتبة عقيد فسافر وكنت وكيلا الى ان اتانا الآمر الجديد المقدم (محمد علي بك) وبعد بقائنا مدة لا تقل عن الشهرين تقريبـاً سـافر الفوج الى الحي ولم اكن معه لأني فارقته من قلعـة سكر ذهبت الى بغداد لشراء حصران للجنود وهي من البردي اوصيت عليها فى جانب الكرخ بعدد الجنود ثم رجعت بها الى الكوت بالباخرة ومن هناك الى الحي بسفينه فرأيت الفوج قد جاء الى الحي.

(الفصل الثالث عشر)

مدة البقاء في الحي

وعند رجوعي من بغـداد ومعي الحصران فقسمناها على الجنود ، وبقينا كل يوم نخرج الى الفلاة للتعليم العسكري ونباشر ادارة الجنود لا غير .

وقد اتانا امر باستلام البنادق من الناصرية . كانت زائدة عن حاجة الفوج هناك فكلفني آمر فوجنا بالذهاب الى الناصرية وجلبها . فسافرت ومعي عشرة من الجنود في سفينة عن طريق الشطرة ، فوصلنا قلعة سكر وهنا عملت لنا ضيافة فاخرة لي وللجنود من قبل ابراهيم المدرس التاجر المعروف هناك ، لما لي من الصحبة والمودة معه ومع أخويه محمد حسن وحمد ثم سافرنا الى الشطرة ومنها الى الدجة ومن هناك على الدواب حيث لم يكن النهر صالحاً للسير فيه بخـلاف الوقت الذي سافرت فيه قبل عشر سنوات تقريباً لأنه الآن مملوء بالترسبات . واخترقنا عـدة أنهر نعبر النهر ونحن على الدواب وقد عثرت بعض الدواب بنا وسقط بعض الجنود في المـاء وهناك فكرت في الحالة والى متى سنبقى بهذه الحالة ولا توجد حتى قنطرة من جذوع النخل على هذه الانهر خاصة هي على طريق دائمي يستعمل في كل ايام السنه ولم تعن الحكومة بشيء من هـذا القبيل لا يهمها سوى جباية الاموال التي أمست تتضاءل يوماً فيوماً بسبب عدم الاعتناء ونحن بعصر المدنية ، فلو رجعنا الى الوراء الى حكومة العباسيين وقبلها الى حكومة السومريين هل كنا نرى هذه الانهار بغير قناطر اللهم كلا ثم حولت مجرى فكري لما نحن فيه الى ان وصلنا الناصرية فبقينا فيها خمسة ايام تقريباً استلمت خلالها البنادق وقدرها ما يقارب الستمائه على ما أذكر كنا نستلمها واحدة فواحـدة نقيد رقمها ثم نذكر أوصافها ان كانت سليمة الاخشاب والحديـد او في الاخشاب خدوش ورضوض وان كان في الحديـد اي علامة من الداخل او الخارج في المقانيزمه او الناملو (السبطانه) وكنا نعتني في الاكثر اذا كانت الحلزونات (البيو) في داخل السبطانة جيدة أم فيها تآكل ويسمى هذا التآكل بالتنمل (قارنجه لي) أي ذو نمل ومحل هذا التنمل قرب الفم او في الوسـط او قرب المقانيزمـة قليل أم كثير . ولا أدري لماذا كل هذا الاعتناء وليس من يدقق هذه الدفاتر ويستخرج منها صلاحية البنادق أم عدم صلاحيتها

حتى ولا من يطبق هذه الملاحظات مع دفتر الاستلام الاول لها وبعـد اكمال ذلك ووضعها في الصناديق وربطها استأجرنا سفينة لأنا ارتأينا الرجوع عن طريق القرنة نهراً .

ومن هناك بالباخرة في نهر دجله الى الكوت ثم في سفينة الى الحي وذلك للمشقة التي تكبدناها في طريق الشطرة ولتحبيذ هذا الطريق من قبل أصدقائي من الضباط فى فوج الناصرية الزعيم فريد بك والمتصرف بديع نوري وقائد فوج الضبطية عاطف بك وبعد وصولنا الى سوق الشيوخ أظن انا ابدلنا سفينتنا بغيرها فأخذت تسير بنا في نهر الفرات وجهتنا القرنه .

فلحق بنا قائد الضبطية في الباخرة المسماة بغدادي وكان قد عمل لها درع أي احيطت بسياج من ألواح الحديد كما ذكرنا في الفصل السابق ومعه ضابط مدفعي وفي الباخرة مدفع اعتيادي ومدفع رشاش توقفت الباخرة لخلل طرأ على آلاتها فأخبرني انه ذاهب لتعقيب زورق بخاري آت من البصرة يحمل تعليمات عدائية ودعاية من قبل السيـد طالب النقيب الى عشائر المنتفك وأنه استخبر ان الزورق المذكور هو الآن في حوالي كرمة بني سعيد او المزلق وكلفني ان انا صادفته يجب علي ان ارميه وأتغلب عليه ريثما يأتي هو بعد اصلاح الخلل ، ولو علمتم ان هذه الباخرة انزلت الى النهر منذ خمسين سنة على اقل تقدير تفهمون حالة الخلل . وامكان اصلاحه في تلك الساعة فاجبته بالايجاب ولكني فكرت ان أنا عملت ما طلب مني اولا ليس بيدي أمر تحريري من آمري او منه على الاقل مستنداً الى أمر القائد وثانياً اني في وسـط سفينة خشبية ومكشوفة فالرمية التي تأتينا من الزورق تصيبنا حتماً وهم يتمكنون من النزول الى البر بسرعة ويحتمون بالارض وعوارضها وأنا يقتضي لنزولي بعد تحرشي بهم طبعاً نصف ساعه على الاقل فلا يخرج أحداً منا سالماً وان نزلت قبل التحرش بهم ثم ضربتهم فالعشاير القريبة تساعدهـم والحرب بيننا تكون غير منتجة طبعاً وتكون في مصلحتهم وثالثاً الستمائة بندقيه التي معي سوف تذهب اليهم يستعينون بها على مقاصدهم فنكون قد قتلنا أنفسنا وسلمناهم سلاحاً كثيراً وان لم أعمل بما قاله لي ومررت من جانبهم مر الكرام لأجل تخليص الاسلحة التي معي سوف يكتب عني ما يلوث سمعتي واستوجب الجزاء وهو صادق فيما سيقوله والمسألة صريحة أمرني بأمر لم انفذه وبما ان المسألة في غاية الخطورة والوقت ضيق فادعائي عـدم اعطائي أمر تحريري او ليس لدى أمر من آمري فيحتج علي بأني وافقت ولم أطلب شيئاً من ذلك والحال لو اني طلبت

ولم يعطني لقيل لي ان الوقت ضيق وحرج وكان يجب ان تطيع وتنفذ ما آمرك به :

يارب ماذا اعمل فدعوت الله وتمنيت ان لا اصادف احداً ثم سرت وبعد قليل رأيت الباخرة آتية خلفي وقد سبقتني فشكرت الله على ذلك ولكن بعد قليل وصلت اليها فوجدتها قد وقفت تصلـــح خللا آخر او نفس الخلل الاول فكرر لي الامر وأنا سائر في طريقي فسرت الى القرنه ولم اصادف شيء مطلقاً وبعد ذلك فهمت ان مجيء الزورق الى تلك الربوع كان صحيحاً ولكن لم نعلم غايته ثم رجع قبل أن اصل اليه والغريب في هذه السفرة حينما كنا قرب الحمار (الچبايش) لم نكن خرجنا من السفينة او رسونا وكلنا كنا في ضرورة لقضـــاء حاجه ، وطلب مني الجنود وقوف السفينة لذلك الغرض فـــلم اوافق فقضى حاجته البعض منا بصورة علنية تقريباً وذلك بالقعود على حافة السفينة ووجهنا اليهـــا وظهرنا الى الماء أي نصف جسدنا معلق في الفضاء ولابسين العبي وماسكين بايدينا بعض الحبال لتوقى السقوط في الماء ، وكان ذلك لخوفي من ان تهجم علينا العشيرة هناك فتسلب الاسلحة التي معنا وهناك الطامة الكبرى فلماذا أخذت الجنود معي اذن اليس لأجل المحافظة على الاسلحة ولماذا لم احافظ عليها وسلمتها وان أنا مت دونها (فأن مت مدافعاً فلا حفظ السلاح) وكان الاسلم ان لا نرسوا مطلقاً .

واستمرينا في السير الى ان وصلنا المدينة (تصغير مدينـــه) فوقفنا وكنا في أمان فاسترحنا وقضينا بعض الحوائج ثم ركبنا ووصلنا القرنه بعد الغروب بقليل واروحاه !

فبتنا ليلتين أو ثلاث ننتظر باخرة تأتي من البصرة فركبناها وسرنا الى الكوت ومن هناك في سفينة الى الحي فسلمت الاسلحه للفوج واسترحت تماماً .

وفي يوم من الايام طلبت الحكومة المحليه من الفوج ضابطـــاً ليكون على رأس لجنة تذهب لتخمين بيادر الحنطة والشعير العائدة الى الشيخ محمد الياسين على مسافة ساعة تقريباً في غربي الحي فأمرني المقدم فذهبنا ووصلنا قبيل الغروب الى مضيف الشيخ المذكور فبعد أن تعشينا أحضروا لنا فرشاً كافية في خيمة خاصة بنا فنمنا وفى الصباح ركبنا وتجولنا بين البيادر لتخمينها ، وقبل أن اسرح في بقية الخبر اقول اننا لما جلسنا للعشاء قدموا لنا الارز وفوقه الذبيحه وبعض الاطباق من الكباب والخضر الاخرى والخبز وضعوهـــا حوالي صحن الارز الكبير وخصوني بأطيبها وكان عن يميني كهل يظهر من هيئته انه له من القرابة بالشيخ حظاً وافراً وابن الشيخ نفسه جلس

الى يساري اما الشيخ نفسه فكان مسافراً بعيداً عن محله فكان الشخص الذي عن يميني يلاطفني ويقدم لي ما طاب من الطعام وكنت آكل كما انا في بيتي وعلى مهلي وما دريت ان العادة ان يأكلوا مسرعين ليقوموا ويفسحوا المجال لجماعة ثانية تأتي بعدهم وتأكل وقد رأيت رفاقي المتحضرين وهم الاعضاء من المالية ومن العدلية ومن وجوه الاهالي يلتهمون الطعـــام التهاماً وبكل سرعه ومع ان حرارته لا تطاق فقد احترقت حلوقهم حتماً وبعد هنيئة لا تتجاوز الخمس دقائق قام احدهم وتبعه آخر وآخر الى ان قاموا جميعهم وبقيت انا ومضيفي فاسقط في يدي فبقيت بعدهم ليس اكثر من دقيقة واحدة فقمت انا الآخر ولم يدخل جوفي ما يسد الرمق ولو لساعة واحدة اي ان معدتي لا أظنها تتنازل لاجراء عملية الهضم مستصغرة الكميه التي اهديت اليها من قبلي فعدم معرفتي بالعادة المذكورة جعلتني اندم على عدم التهامي الطعام مثلهم أو لو كان لدي من التجارب قدراً كافياً او لو كنت فى عقل اليوم لا شبعت معدتي ولم أدعها تضطرب وعلى الاقل كنت اسحب ما استطيبه من الطعام الى جانب وأذم عادتهم بحضورهم ولكن لم أفعل فبعد ما شربنا القهوة مضينا الى خيمتنا وليس معنا احد فقلت لزملائي لماذا لم تخبروني عن عادة الجماعه فأنتم ملأتم بطونكم وجعلتموني أقوم جائعاً فأنا سوف لا آكل عندهم مرة أخرى ما لم يكن ذلك خاصاً بي أو بجمعنا على حده وعليه ارسلوا لهم ان يأتونا بفطورنا (طعام الصباح) الى هنا وأن لا يشاركنا منهم فيه أحد فكان كما طلبت ثم ركبنا وفتشنا البيادر واحداً فواحداً وخمناها فكل قدرها حسب تجاربه أما انا فقدرتها بالمساحة وجعلت كل متر مكعب كذا كيلوا مثلا وعند اجتماعنا حصل بيننا اختلاف ، وكلهم قدروها اقل من تقدري ولكن أحدهم وهو الذي من الاهالي قدرها أقل من نصف تقديري أنا فقلت لهم تعالوا نأخذ الوسط من كل بيدر ، نجمع ما قدره كل منا ونقسمه على عددنا فالناتج نجعله مما اتفقنا فيه ونقـــدم التقرير كذلك فوافق الجميـــع وعندئذ ذهبنا الى ضيافة أحد الشيوخ وقت الغداء ومحله بالقرب من البيادر المذكورة اسمه حاج چليب فقدموا لنا الارز بالسمن وفوقه لحم الذبيحة التي جهزت خصيصاً لاكرامنا فشمرت عن ساعدي ونويت الاسراع في الاكل لـكي اعوض معدتي ما فاتها من طعام المساء واذا بي اواجه اللحم غير ناضج يتطلب تقطيعه بالخنجر ولا خنجر معي غير مسدس وهو لايصلح لذلك وأما الارز فكان فرحاً وهو يسبح فى السمن لأن السمن هرب من المقلاة خوفاً من حرارة النار شوقاً

اليه فتعانقا وتعاهدا على حرماني منهما فلم أتمكن من أكل شيء إلا لقيمات .

ثم ركبنا ورجعنا الى الحي وقبل الوصول الى البلدة جلسنا خارجها في ظل جدار قبة سعيد بن جبير و من حيث ليس لنا هناك حبر ولا قلم كتبنا التقرير بقلم الرصاص ولم نوقعه وعند وصولنا كتبته بالحبر وأرسلته للأعضاء فأمضاه الجميع إلا صاحبنا الأهلي نكل عما اتفق عليه معنا وقال أنا لا أمضي إلا كما ضمنت فأفهمناه إن ذلك لا يمكن ما دمنا لجنه ولا يمكننا أن نتبعك جميعاً فالذي عملناه هو تسوية معقوله فلو طلب من كل منا أن نقوم بتقديم تقرير على حده أمكنك أن تبدي رأيك وحدك فلم يفد معه شرحاً فكتبت شرحاً تحت تواقيعناوذكر تقدبره ووقعه ويظهر أن نكوله حصل من مواجهته بعض من له صلة بالشيخ المذكور أو أحد موظفي الماليه وبالنتيجة أن الماليه أرسلت من يخمنه لها مرة ثانية ولم نقبض الاجرة التي كنا موعودين بها .

وقبل أن ننهي هذا البحث نشير الى حالة العشائر جميعاً ودرجة طاعتهم للحكومة فى ذلك الوقت بمناسبة محادثة جرت بيني وبين عبد الله محمد الياسين فبعد أن أبديت رأي بوجوب ايفاء الضرائب للحكومة بأوقاتها لأن هـذه الطريقة اسلم وأشرف بالنظر الى العشيرة فتكون مقدره محترمه فقال المومى اليه إنه لم يذكر أن عشيرتهم أخرت ما عليها من الرسوم في يوم من الايام وإنهم اطوع الجميع للحكومة . هاتوا جنوداً وخذوا دراهم نقلت له اذا كنتم فى طاعة تامة ولم يبق عليكم رسوم للآن فلماذا تطلبون ان تأتيكم الحكومة بالجنود لكي تدفعوا ما عليكم اذن فأين الطاعه فقال أتريد ان نذهب بأنفسنا او بمجرد ارسال طلب من الحكومة فندفع لها هذا لا يكون ابداً فالعشيرة المطيعة هي التي تسدد ما عليها بعد وصول الجنود اليها لكي تعذر امام أفرادها والعشائر الاخرى ، أما اذا دفعت من تلقاء نفسها فيعيرونها بقولهم ماذا جرى عليكم فعلى الاقل ان تأتيكم الجنود فتشدد عليكم ويبقى الجند عندكم ولا يتحرك ما لم يقبض الطلب فتسلموا ماعليكم عند إذن للتخلص من الصرف عليهم مدة بقائهم عندكم فتختصرون المسألة وتعطونهم مايطلبون وتصرفوهم وأما التي غير مطيعة هي التي لا تعبأ بالجنود ولا تشديداتها وتحاربهم ولاتعطيهم شيئاً . وبهـذه المناسبة نذكر لك ما كان يجري من قبل الجنود وضباطهم بحق الشيوخ الذين يماطلون بالدفع ولا يعطون الضرائب التي عليهم بالحسنى .

كانت تخرج مفرزة وتنزل عند مضيف شيخ العشيرة المديون للحكومه والمفرزة تختلف بين ان

تكون فوجاً بكامله او نصفه (سريتين) او واحده او أقل مع ضابط او بضعة انفار مع عريف وذلك حسب طاعة الشيخ وحسب المبلغ المطلوب تحصيله او غير ذلك فيرحب بهم الشيخ واتباعه وتقدم لهم القهوة بينما الذبيحة او اكثر قد ذبحت فيقدم لهم الارز بالسمن وفوقه اللحم فيأكلون ومثله بالمساء وفى الصباح الخبز والخميعه وهو الحليب مغلى مع الدهن او غيره ه اما الضباط فيقدم لهم الارز من النوع الجيد المسمى (العنبر) مع الدجاج وفى الصباح البيض والحليب والخبز وفى كل صباح يأتي احد اتباع الشيخ فيأخذ من الجنود اكياسهم الخاصة بالتوتون فيملؤها توتوناً يشتريه من تتان العشيرة (بائع التوتون)او من داخل البيت من التوتون الذي قد جرى احضاره للضيوف ولمثل هؤلاء الضيوف الثقلاء فى نظرهم فالجنود لا يدخنون هذا التوتون جميعه فى يوم واحد بالطبع ولكنهم يعطوه الاكياس فارغة فى كل يوم فيملؤها ايضاً وهكذا فيبقى الشيخ يصرف عليهم وهم لا يفارقونه حتى يأخذوا طلب الحكومه وطيلة بقائهم يطالبونه وهو يعدهم بجمعها واحضارها فإذا رأوا ان الموعد غير مثمر يبدأون بإهانته بالكلام ثم الضرب بالعصا او القرباج واذا اقتضى الامر يقيمونه بالشمس عريان بعد ان يلطخوا جسده بالدبس فيجتمع عليه الذباب والزنابير وأخيراً يفتح الصره التي كان قد احضرها من أول يوم وفيها مطلوبهم بكامله فهو لا يعطيها ما لم يشاهد منهم الجد والاصرار والتشديد عليه لأن عشيرته تقول له ما ذا جرى عليك هل اهنت هل ضربت هل صرفت عليهم مالا قبل لك به فقد سلمت لهم مطلوبهم (بارد مبرد) وهو لو سلمها حال وصول الجنود اليه لما اهين وضرب وعذب ولأبقي مصاريف الايام التي بقوا عنده فيها ولكن هذه عاداتهم .

وكل ما ذكرناه فعلا نقلاعن اصحابنا الضباط الكثيرين وكلهم متفقون على روايتها بشكل واحد لأني لم اتلق مثل هذه الوظيفة وفوق طلب الحكومه للشيخ يعطى للجنود على رأس كل ليره روبيه واحده فاذا سلم للحكومة مائة ليره فيعطى مائة روبية وذلك خرجيه للجنود وهذه الروبيات لهم في تقسيمها اصول وقواعد فيأخذ الضباط قسماً كبيراً منها كل حسب رتبته والعرفاء اقل منهم والجنود اقل من الجميع فكيف لا يشددون و يجتهدون في التحصيل ما دام لهم فيها رزق مؤكد . و توجد فى كل زمان عشائر تتمرد على الحكومه و تحاربها ولا تدفع شيئاً فتتبعها غيرها فتضطر الحكومة الى تسيير الجيوش وهكذا .

وحدث ان احد اولاد آمر الفوج تمرض ولم يكن بالفوج طبيب والصيدلي لا يمكنه ان يقوم بمقام الطبيب طبعاً ذهب الآمر بولده الى بغداد للتداوي بعد ان استحصل الإذن برقياً من الفرقة فصرت أنا وكيله فحدث ان أحد الجنود تمرض بانحباس الادرار والصيدلي لم يتمكن من عمل شيء له الا بعض التدابير فتفيده وقتياً ثم يعود المرض فكتبت برقية الى مرجعنا قائد الناصرية طلبت فيها ارسال طبيب حالا فتأخر الطبيب واشتد المرض فتألمت كثيراً وابرقت ثانية وثالثة طالباً طبيباً و لو بصورة موقته ثم تعين طبيب الى الفوج فشفي المريض بتكرار التدابير التي اتخذها الصيدلي و لم يأت طبيب لا وقتي ولا دائم و بعد مدة و بعد ان رجع الآمر من بغداد جاءنا طبيب اصلي تعين للفوج فاسترحنا .

كان الفوج في اكثر الاوقات بدون طبيب فيأتينا طبيب لمدة اشهر معدودة ثم ينقل فقد كان عندنا طبيب وقد جاءنا قبل رجوعي من بغداد لشراء الحصران بقليل فلما صرت في الحي سمعت عنه الحادثة الآتيه :-

اتفق مع الصيدلي ان يطببوا الاهالي وحيث لا يمكن اعطاء شيء من الادوية الرسمية الخاصة بالفوج يجب ان يرتبوا صيدلية من مالهم الخاص وفي محل يستأجرونه في البلدة وليس لديهم المال الكافي فصادف ان احد الاهالي اصيب بمرض التيفو فطلب الطبيب منهم لأجل المعاينه مبلغاً غير اعتيادي وبعد ان قبضه ذهب اليه ثم اشتد به المرض فطلبوه فطلب لأجل الذهاب الى البيت والمعاينة عشرين ليره فأعطوه اياها وبعد ايام مات المريض وبهذا المبلغ ارسلوا الى بغداد فاشتروا ادوية متنوعه من محل عزره خزام ووضعوها في دار استأجروها ولكن بعد ايام قليله نقل الطبيب ثم الصيدلي ولم يستفيدوا شيئاً مما كانوا يؤملونه .

وصدرت تعليمات من استانبول بأن يفتح في مركز كل جيش (تعليمكاه) اي محل التعليم وهي دورة دراسية نظرية وعملية يدرس فيها الضباط من رتبة ملازم ثان الى رتبة قائمقام (عقيد) يكررون ما قرأوه في المدرسة الحربية وهي الفنون العسكرية فقط والمعلمون من الضباط ايضاً الذين تخصصوا في هذه الفنون اما مدة الدراسة فثلاثة أشهر يدعى اليها من كل فوج ضابط واحد أو اثنين فاذا تمت الثلاثة أشهر صرفوهم وطلبوا غيرهم وهكذا بالمناوبه وكان مدير المدرسة القول اغاسي أركان حرب رشيد الخوجه والمعلمون ممن مهر في الفن الذي أمر ان يدرس فيه كما تقدم

فدعيت اليها وذهبت الى بغداد ورجعت بعد اتمام الدراسة . فوجدت ان مفرزة من الفوج ذهبت للاقامه في قلعة سكر حسب امر صدر بذلك ولما انتهت مدتها او شاء الآمر ان يبدلها أرسلني ومعي سريتي الى البلدة المذكورة فأقمت هناك ولما كنت حريصاً على تعليم الجنود وتدريبهم وكنت هناك في كامل حريتي كنت ادرب الجنود حتى صاروا في غاية من اطاعة الامر وحسن تلقي التدريب وغير ذلك .

لم يحدث خلال المدة التي اقمتها في قلعة سكر سوى حادث بسيط وهي ان اغنام احد المنتسبين الى بعض العشائر تجاوزت على أرض مزروعة خلف البلدة مباشرة فجاء اصحابها اي اصحاب الارض ومنعوهم فتحمس اصحاب الاغنام واطلقت بعض الطلقات النارية من الجهتين فخرجت مع جنودي ووقفت هناك انتظر الوقت الملائم للتدخل اذا استفحل الامر وجرى التعدي من أحد الفريقين على الآخر او اشتعلت الحرب فيما بينهم فعلي منعهم مما عزموا عليه واذا بالشيوخ حضروا وصرفوا الطرفين فعندها رجعت الى محلي وأرسلت خلف مكطوف المشاب كبير الطرفين لأنهم كلهم ينتمون الى افخاذ تحت رئاسته ، وأحضرت رئيس الطرف الثاني وهو من الذين يسكنون البلدة ويدعى شيخ البلده واسمه عطيه السعيد في ذلك الوقت كان في كل بلدة صغيرة او كبيرة عائلة تدعى مشيخة البلد والاهالي يحترمونها ويتقاصون عندها بصورة غير رسمية الا في المدن الكبيرة فلا يوجد مثل هذا ويوجد بدله وجوه واعيان لهم دالة عند الحكومة يتوسطون حاجات الناس لديها ، فنصحتهم ووبختهم ولمتهم على السماح بحدوث مثل هذه فوعدوا بأن لا يحدث مثل هذا مرة اخرى وهكذا كان عملنا تسكين وعدم اعطاء المجال لحدوث شيء مطلقاً .

حدوث احوال مخطرة في قضاء الشطرة - وتوجد عشيرة تسمى عبودة (وفي التاريخ بإسم عبادة) في قضاء الشطرة تحتها بطون وأفخاذ فبين الاصل وفرع منها لاتذكر اسم الفرع إلا أن شيخه يدعى سويلم حدثت منازعة تتعلق بتقسيم مياه الزرع وأنا في قلعة سكر كانت تأتي الاخبار عن استفحال الامر بينهم وتحزب العشائر لهذا الفريق او ذاك فكنت اكتب يومياً الى مرجعي آمر الفوج في الحي كل ما يصلني من المعلومات عن سير الاحوال في تلك الربوع ومضت على ذلك ايام تقارب الشهر وفي يوم من الايام جاءني من الآمر أمر عسكري مع ثلاثة ضباط وهم طه ومكي

وحسين ومعهم طبيب وثلة من الجنود اضافة الى الموجود معي فآخذ الجميع واذهب الى الشطرة فأكون تحت امرة القائد هناك وذلك لتقوية الحامية لإبراز سطوة الحكومة فالمسألة كانت لم تستفحل بعد لا يوجد خصومه ضد الحكومه وانما كان قصد الحكومة حل النزاع بين الطرفين بالحسنى فركبنا سفينة شراعية وسرنا فى نهر الغراف ووجهتنا الشطرة فوصلنا الى محل رأينا فيه على طول الساحل الايمن للنهر جماعات غفيرة لمسافة لا تقل عن نصف كيلو متر وبيدهم بنادقهم وهم بين لاه ومتجول ومترقب وغير ذلك فوضعيتهم تدل على الشر وهم عشيرة بني ركاب وشيخهم يدعى الحاج شلال ولا ادري حينذاك ما وصل اليه سير الخصومه هل تحولت ضد الحكومه ام لا فاوجست شراً وانا ليس معي الا ستين جندياً حسب ما اتذكر والسفينه خشبية لا خير فيها فتوقفت بجانب بناية على الساحل الايسر بعيداً عن العشيرة المذكورة فخرجت اتمشى منفرداً في الساحل اتشمم الاخبار فإذا انا برجل صابئي وهؤلاء الصابئه على الحياد لا يتحزبون لأحد ويسيرون القضايا احسن منا فلمح مني ترددي فتكلمت معه عن شؤون مختلفة فهمت منه خلالها بالاشارة بأن لا خطر علينا في اجتيازنا ولا توجد أية خصومة ضدنا في الحال الحاضر فسرنا وقد اكمل لي المسألة رجل من الضبطية كان معنا ما افادني فى اجتياز هذا الخطر فلما حاذينا العشيرة المذكورة قلت للنوتى ان يرسو هناك فى وسط جبهة العشيرة تقريباً فلما رأوا اتجاه السفينة نحوهم كل امسك بندقيته بجانبه وبقي ينظر ويحملق فينا وعند وقوفنا تجمهروا ليعرفوا سبب وقوفنا فقلت لهم دون سلام بلهجة الامراء الكبار (اين الحاج شلال) قالوا كلهم بصوت واحد حاضر قلت (نادوه) اي احضروه فذهب البعض راكضاً وتقدم آخر فركب فرساً وذهب مسرعاً فأتي الحاج شلال بعد قليل راكباً ايضاً ولما ترجل وتقرب قلت ارموا له الدوسه فدخل الى السفينة فعملت له ربع قيام فجلس فقلت له دون مقدمة كيف يليق بك يا حاج شلال ان نسمع باختلال يقع في جوارك وانت المحنك في نظر الحكومة والمحترم لديها ولا تحرك ساكناً ولا تقوم باصلاح ذات البين فقال يا محفوظ المسألة كذا وكذا وبدأ يقدم الاعذار ويعد بالاصلاح فقلت له يلزم ان تأتي معي الآن الى الشطرة لنحل القضية معاً بالاشتراك مع القائمقام فقال سامحني سوف آتي بعدك قلت لا يمكن ذلك أبداً وبعد ان أكد لي انه في صباح الغد سوف يأتي الى الشطرة تركته فودعني وخرج وهكذا نجونا اقول نجونا لأنا

و ،مر ا دون اكتراث بهم لصرنا هدفاً لإستهزائهـــم و سماع الفاظ جارحه منهـــم لا يمكن السكوت عنها فوصلنا الشطرة وهناك فهمت الوضعية تماماً .

ثم تطورت القضية حتى صارت ضد الحكومة ولكن لما يزل للحكومة هيبة فى النفوس وكان هناك القائمقام محمود بك من عائلة آل ياسين بالبصـــرة يعرف احوال العشائر ولعائلته احترام عندهم وذو طبـع ملائم فسعى في القضية الى ان جعل الشيخ خيون يوافق ان يأتي للدخاله على الحكومة وهناك تكتب الصكوك بتعهداته للحكومة في انه اصطلح مع الشيخ سويلم ويتصالح الطرفان صلحاً راسخاً وينتهي كل شيء وقد حضر القائمقام فى القشله وجميع الضباط فى جمـــع حافل ووقار شامل ووضع احد المدافع عند باب القشله ليقبله خيون عند دخوله من الباب و يدخل ويسلم ســـلام خضوع ويجري كل ما ذكرناه آنفاً ثم يخرج ويذهب الى محله ويأتي بين كل حين وآخر للســـلام على القائمقام واذا بكتاب يأتي من متصرف الناصرية وهو معين من الاستـــانه يأمر القائمقام بأن لا يعمل شيئاً وان لا يقبل دخالة خيون مالم يحضر هو فاسقط في يدنا جميعاً وارسل القائمقام خبراً الى خيون بالكيفيه وانه ان كان في نيته المجيئ للدخاله فيجب ان يبقى في القشله لحين ورود المتصرف فيتصرف بالقضية حسب رأيه لأن القائمقام مضطراً ان يرسل هذا الخبر لأن الدخيل لا يأتي إلا اذا اعطى الامان من قبل القائمقام ولا يتمكن القائمقام اعطـــاء الامان فليس عليه ان يورطـه فى القضية وبعـد مجيئ المتصرف اول عمل قام به عزل القائمقام وتعيين يوزباشي مدفعي من العسكريين بدله اتى به معه من الناصرية قائمقاما للشطرة ثم كتب منشوراً علقه في جدار السراي بأن من يأتي بخيون حياً او ميتاً فله اكرامية مائة ليرة على ما أذكر .

فمن الذي يتمكن ان يأتي بخيون العبيد وهو شيخ مشايخ تلك الربوع حتى اهالي البلدة انفسهم يمتون الى عشائره بصله او قل هم من نفس عشائره الا بعض الغرباء من بغداد وغيرها فهؤلاء مستضعفون وقد استجاروا به فأجارهم وبتعبيرهم انهم قصراء له اي كل منهم قصيراً له اي محتمي به فلو كان عند المتصرف هذه المعلومات لما طلب احضاره حياً او ميتاً بواسطة الاهالي لا بواسطة الجيش اما الجيش فلا طاقة له بذلك حيث الموجود لا يزيد على الستمائة جندي على اعظم تقدير والعشائر المذكورة تعد بآلاف وكلهم مسلحون بالبنادق واذا حاصروا البلـــدة اماتونا جوعاً لأنهم يسكنون اطراف الشطرة ويحيطون بها احاطة السوار بالمعصـــم فاتجهت

الخصومة بأشد حالاتها ضــد الحكومة وكان المتصرف قد رجع الى الناصرية والنيران مستعرة والقائد فى الشطرة برتبة مقدم اسمه عمر افندي وكان رجلا صبوراً وموافقاً لما يعمله القائمقــام محمود الياسين ثم جاء قائد آخر مقدم اسمه سيف الله بك فقسمت الجنود على المفاتيل (الابراج) التي حول البلدة فكانت العشائر تأتينا ليلا وتقف على مسافة بعيدة وتضرب علينا بعض الطلقات ففي اول الامر كنا نقابلهم ولا نراهم ونصرف الشيء الكثير من عتادنا وكان قصدهم ان ينتهي العتاد عندنا فيهجمون علينا فلما فهمنا قصدهم بدأنا نستعمل كما يستعملونه واحدة بواحدة .

وفي تلك الاثناء ارسل المقدم من الحي يطلبني من القائد سيف الله بك الى مركز الفوج و تبقى جنودي تحت امرة احد الضباط الذين كانوا معي لأني كنت عضوا في هيئة الصنــدوق للفوج وكانوا في حاجه لحضوري فلم احضر وأحببت ان ابقى الى انتهاء القضية فقلت للقائد اني اود ان ارجع معكم بعد الانتهاء من هذه الحرب فكتب للمقدم فى الحي بذلك ولكن المقدم المذكور لما رأى الحاجة ملحه لحضوري عنده ومسألة الشطرة قد طالت وربما تطول كثيراً طلبني مرة اخرى فذهبت الى الحي وبعدي كانت الوقائع مستمرة قتل فيهــا القائــد عمر افندي وبعض الضباط وكثير من الجنود وجاءت جنود اخرى من محل آخر حتى ان جاويــد باشا (الفريق الاول) قائد الجيش فى بغداد جاء بنفسه ومعه قوة كافية في الباخرة موصل وقــد وصل الى الكوت ولو لم يداهمنا النفير العام واعلان الحكومه الحرب بجانب المانيا لوصلت حالة الشطرة الى درجة لايعلم مداها إلا الله تعالى كل ذلك بفعل المتصرف الذي أراد ان يحصل على الشهرة ولكنه لم يهتد الى طريقها .

وبعد بقائي في الحي مدة وجيزه رأيت في المنام (لا تظنن اني اعتمد على الرؤيا ولكن حسب تتبعي فكرت بأن بعض الرؤيا لها مدلول على المستقبل) اني في بغداد عند حضــرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وعندنا جنود واقفون هناك وهم فى حالة تذبذب من جهة الالبسة المختلفه التي عليهم وليس بأيديهم سلاح وعلى رأسهم ضباط يحثوهم على الاصطفــاف والظهور بمظهر الانتظام لأنهم سيداهمهم عدو وكأن جدران الجامع صارت شفافة فرأيت من خــلالها جيشاً يشبه بقيافته الجنود الهندية الانكليزية تمشي مشية المتلصص واحداً فواحداً من خلف الجامع لتأتي من شارع خلفي آخر ويقابلوا جنودنا فتركت هذا المحل وذهبت الى دار يقــع بعيداً عن

الجامع وهو بيت الواعظ رأيت الناس يدخلونه فدخلت ورأيت جمعاً من الناس وبينهم بعض الضباط منهم جمال أفندي وهو من ضباط فوجنا فجلست معهم فدخل رجل اعرفه يدعى علي الشيخلي من سكنة العمارة وكانت بيده عصا من الخيزران فصاح اسمعوا وليخبر الحاضر منكم الغائب بأن الحكم صار حكم خيون وكنا نتصور انه يقصد الحكم ببغداد فاعترضه الضابط جمال افندي قائلا ان الحكم هو حكم الدولة من هو خيون حتى يحكم هنا وعندها ضربه علي الشيخلي بعصا ضربة قوية على ركبته ثم استيقضت فنقلت الرؤيا لأحد الاصدقاء من الفوج فقال تقع حوادث مهمة ويصيبك من ورائها خير كثير فقد فسره لي حسب العاده ان يتفائل المفسر للرأي بأمور خيرية.

مضت ايام اخرى قليلة فاذا بالنفير العام (السفر بلك) اعلن فى ٢١ تموز سنة ١٣٣٠ (٣آب ١٩١٤) ورجع جاويد باشا الى بغداد وجمعت الافواج في مراكزها فأتتنا مفرزتنا التي في الشطرة وبدأ ضابط الرديف عندنا في الحي يجمع الجنود ويرسلهم الينا فنسحبهم فتكاثر موجود الفوج والحاصل تركت مسألة الشطرة واذا بالرؤيا تفسر بالتدريج فيكون دخولنا الحرب ضد الانكليز ورأينا جنودهم كما رأيتهم فى المنام وخيون العبيد صار قائمقاماً في الشطرة تعين من قبل الحكومة وجمال افندي اصيب بساقه في الحرب.

القسم الثاني - حياتي العسكرية -

(الفصل الرابع عشر)

السفربرلك والحركة من الحي الى الكوت والى العزيزية والرجوع الى العمارة ومدة البقاء في العمارة

في شهر نيسان من السنة ١٩١٤ وكنا اذ ذاك في الحي وردت من مركز الاوردو (الفيلق) في بغداد برقية يطلب فيها من الفوج ان ينبىء وزارة الحربية في الاستانة رأساً ببرقية عما لديه من المهمات الحربية والتجهيزات فعجبنا من ذلك وفسرها آمر الفوج المقدم محمد علي افندي بأن لابد وستقع حرب في جهة من الجهات وكان من نتيجة ارسال هذه المعلومات للاستانه جرى تقسيم الاسلحة بصورة متساوية تقريباً ومنها الامر الذي صدر الينا ان نستلم البنادق من فوج الناصرية وكانت زائدة عن حاجاتهم وحاجتنا نحن اليها وأنا الذي ذهبت وأتيت بها كما تقدم في الفصل السابق .

وبعد ذلك بقليل وردت الواح من الورق السميك الى ضابط الرديف في الحي عزت افندي مطبوع عليها الملاحظات عن النفير العام وفى وسطها الكلمات الآتيه بحروف كبيرة (سفر برلك وار) ولكن الراء الاخيرة من كلمة وار كانت من الشكل المدور بحيث يمكن قرائتها (وان) من قبل العامه طبعاً ويطلب ان تعلق عند الامر بذلك (وفي ٣ آب ١٩١٤) (٢١ تموز ١٣٣٠) ورد الامر بالنفير العام ولضابط الرديف بتعليق الالواح المذكورة .

فقرأها الناس سفر برلك وان) وفسروها ان التأهب للحرب والاجتماع في مدينة وان يكون تجاه الروس وعلى فرض أن لفظة وان صحيحة فالجملة غير مسبوكة ولا معنى لها حسب قواعد اللغة التركية .

ففهمنا بعد ذلك ان الجملة قرأت كذلك حتى في بلاد الاناضول وغيرها ، وقد قيل بعد ذلك ان الحرب نشبت من رصاصة التلميذ (برنزيب) التي اطلقها على ولي عهد النمسا والمجر الارشيدوق فرنسيس فرديناند وقرينته في احد شوارع سراي بوسته (سراجيفو) فهذه الحادثة وقعت في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ وطلب انباء وزارة الحربية عن ما ينقص الفوج من المهمات كان في نيسان وبعد ذلك بقليل ورود اوراق النفير العام فهذه لا تتفق وقول القائل بأن سبب

الحرب هو اغتيال ولي عهد حكومة النمسا والمجر .

ويعجبني قول آمر الفوج الذي انتسب اليه بأن من يربي كبشاً ويعتني به مدة طويلة لا بد وأن يعرضه للنطاح يوماً ماوهذاهو ماعملته المانيا وبالنتيجة كما قدمنا في الفصل السابق صدر الامر للفوج بجمع المفرزات (الارتال) حتى ان جاويد باشا رجع الى بغـداد ولما كان الوقت شهر رمضان فقد صدر الامر بالسماح الى الجنود بالافطـار بناء على الفتوى الصادرة في الاستانة ليتمكنوا من الاشتغال بالتدريب واجراء التمرينات المختلفة زائداً عن الاوقات الاعتيادية .

وفي ١٤ آب ١٩١٤ (١ آب ١٣٣٠) صـدر الامر للفوج بمغادرة الحي والتوجه الى الكوت فوصلناها وأقمنا على الساحل تحت الخيم مدة أيام سافرنا بعدها متوجهين الى بغداد وعنـد وصولنا العزيزية واذا برجل على الساحل وبيده ورقة يؤشر للباخرة ان ترسو فرست واذا ببرقية تنبىء بلزوم الرجوع حالا الى العمارة فخرج قائـد الآلاي سيف الله بك وكان معنا الى دائرة البرق فتخابر مع ولاة الامور في بغداد وبعد ان تأكد رجع الى الباخرة فدارت حول نفسهـا واتجهت الى العمارة .

واقمنا في العمارة مدة شهرين ونصف تقريباً بين تمرين للجنود واستلام جنود جدد بالتدريج الى ان بلغ الفوج أكثر من ٨٠٠ جندي وبين جمع المهمات والارزاق الكثيرةفكنا حسب الامر نأخذ كل ذلك بوصولات تدفع لحاملها بعـد الحرب فصار عنـدنا من الغنم الف رأس ومن الطحين والارز والدهن والبصل والصابون وغيره الشيء الكثير يتناسب مـع كمية الغنم وكذا حيوانات خيل وبغـال لأجل النقليات وكنـا نظن ان الحرب ستنتهي في اوربا قبل ان تعلن حكومتنا الحرب ولم نسمـع عن عزم حكومتنا هل تريد الدخول في الحرب او تبقى على الحياد وانما اجرت هذا النفير العام من باب الاحتياط حسب الاصل المتبع عند الدول ، ثم سمعنا بإعلان الحرب ونحن مقيمون في العمارة ولكن لم يرد الينا أي أمر بحركة أو سفر .

والسبب الذي سمعناه بعد وذلك عن رجوعنا من العزيزية ان القوات الموجودة في العراق كان في النية تسفيرها جميعاً الى الجهة الشمالية اي تجاه الروس وقد صـدق تنبؤ العوام من الاجتماع سيكون في وان في قرائتهم (سفر برلك وان) إلا أن السيد طالب باشا النقيب وجماعته من أهل البصرة وبغداد شكوا الى الاستانة و بينوا المحذور الذي سيقع من اخلاء العراق وطلبوا أن تبقى

عندهم قوة فقر رأي الحكومة على توزيع مدافعة العراق من جهة بحر فارس الى الفرقة الثامنة والثلاثين (فرقة البصرة) وهي فرقتنا تعاونها عشاير العراق . وهذه الفرقة تركوها تهدئه لخواطر العراقيين لأنه ما كان يدور فى خلد ولاة الامر ان الانكليز سوف يتعرضون للعراق من هذه الجهة معتقدين ان نتيجة الحرب ستكون في اوربا حتى ان الرئيس سامي بك رئيس أركان حرب الفرقة قال لي مرة ونحن في كوت الزين كما سيجيىء ان الانكليز سوف لا يأتون مطلقاً .

بقينا في العمارة وأيسنا من أي امر يرد الينا بالسفر حتى ان الاكثر منا كانت عائلته معه وأما أنا فكنت ابقيت عائلتي في بغداد لما زرتها للتعليمكاه فقر رأيي على جلبها الى العمارة وفعلا استأجرت داراً وكتبت برقية الى بغداد وطلبت مجيئهم وبعد ارسال البرقية بساعات معدودة ورد الامر بالسفر الى البصرة وماذا وراء هذا السفر غير الحرب فأرسلت برقية اخرى لبقائهم في بغداد ولحسن الحظ وصلتهم وكانوا قد انتقلوا الى باخرة لتسافر بهم في صباح اليوم التالي فخرجوا منها ورجعوا ، فهمت ذلك بعد وصولي البصره فحمدت الله على ذلك . وقبل ان اغادر العمارة يجب ان اذكر ما حدث خلال بقائنا فيها .

كان شغلنا المهم فى العمارة هو تدريب الجنود بصورة جدية ومستمرة والاعتناء في ضبطهم وربطهم أي تأمين ايفاء وظائفهم واطاعتهم لأمرائهم فكنا نشدد فى ذلك غاية التشديد خصوصاً وأكثرهم كان جديداً أما نفر قرعة أو رديف أو معينز فكنت لا اسامح أحداً عن أي مخالفة صغيرة كانت أم كبيرة وأشدد فى المراقبة والقصاص حسب الجرم بعد اجراء التحقيق الدقيق حتى لم يبق لدي شك بذنب المجرم وفي الاكثر كان المذنب يعترف بذنبه والاعتراف لايستوجب العفو لئلا تحصل فوضى بل تحقيق الجزاء فحصلت من ذلك ضجة في العمارة ضدي وكانت الضجة من العماريين فقط لأنهم كانوا يريدون المبيت في بيوتهم في أغلب الايام وكان هذا التذمر فيما بينهم وجرى ذلك مرة في مجلس محمد سليم أفندي مفتي العمارة فوصل الخبر الي فذهبت الى المفتي المومى اليه وفاتحته بالمسأله وأفهمته نقطة نظري فى هذا التشديد وطلبت منه ان يوعز لمن يتذمر أن يشتكي علي رسمياً اذا كان يرى نفسه محقاً في دعواه فصدقني حفظه الله وطلب الي الرفق بهم دون اخلال بالواجب فاجبته الى ما أراد وشكرني على حضوري عنده وايضاح الكيفية اليه فبرغم هذا التشديد كانت جنودي تحبني وتحترمني ليس فى وقت السلم ونحن في القشله ولكن

في نفس خط الحرب لم أشاهد إلا الطاعة المفرطة العمياء والاحترام الذي ما بعده احترام . حتى ان احد الجنود ونحن في خط الحرب كانت بندقيته وقفت عن عملها بعد أن رمى بها عدة طلقات راجعني وطلب ارشاده عما يجب عمله لإكمال واجبه فأفهمته بما يجب أن يفعل فكانوا يطلبون رضاي في أحرج المواقف . والظلم والاستبداد لا يفعل ذلك بل حينما تقع فرصة للانفلات يسارع المظلوم الى الانتقام أو على الاقل الى عدم الاكتراث بايفاء الاوامر وهذه لم يقع منها شيء وكثير من الجنود (غير جنودي) وبعض الضباط (غير المنتسبين الي) تصوروا ان بعض جنودي حين يرون فرصة للانتقام مني خصوصاً اذا دخلت معهم خط الحرب فربما يجهزون علي ولكن ذلك كان بعيداً عن تفكيرهم مطلقاً . والسبب في احترامهم أولا العدل بينهم ثم قضاء اشغالهم والانصات الي شكاويهم جائني مرة أحدهم وهو من أهالي هيت وكان منزعجاً جداً والسبب في ذلك ان له خطيبة يراد تزويجها لغيره وهو يحبها فكتبت كتاباً الى والد البنت والى ضابط الرديف هناك ورجوتهم بلطف شارحاً حال الجندي المذكور وأن ذلك ليس من الوفاء بشيء طالما هو باقي على وفائه فجاء الجواب كما أراد وفرح ثم آخر له مسألة شبيهة بهذه فكتبت لوالده ولمن يجب ورجوتهم أن يفعلوا حسب رغبة الجندي المذكور وغير هذه كثيرة من المسائل الخصوصية مثل اعطاء الاجازات لقضاء بعض الاشغال وهلم جراً مما لا يقع تحت حصر .

وحدثت مسألة اخرى وهي اتى جملة جنود بأحد البواخر النهرية ومعهم ضابط وهو مأمور السوق فحدث بينه وبينهم سوء تفاهم ومجادلات بشأن يومياتهم فأدعى الجنود انه اعطاهم يومياتهم ناقصة ودعواه هو انه اشترى لهم بعض الاطعمه بقسم من المبالغ وأعطاهم الباقي والحاصل سوء تفاهم بالحساب وهم لم يتجاسروا عليه بشيء سوى مطالبتهم وتذمرهم من معاملته لهم لاغير .

فقدم الضابط المذكور تقريراً عن اربعة او خمسة منهم بأنهم هم المحركون للباقين وقد تجاسروا عليه وما أشبه ، فصدر الامر بتشكيل ديوان حرب (محكمه عسكرية) للتحقيق واعطاء الحكم حسب قانون الجزاء العسكري فكان البيكباشي (المقدم) محمد علي أفندي رئيساً وكاتب السطور احد الاعضاء وكان من جملة الاعضاء اليوزباشي (رئيس) قيل انه منسوب الى جمعية الاتحاد

والترقي وكان الاتحاديون مزودين بتعليمات خاصه بأن يشددوا في الجزاء ويمكنهم ان يحكموا بالاعدام ولكن لا يجوز لإتحادي ان يحكم على اتحادي بالاعدام مطلقاً ويمكنه ان يحكم بغير الاعدام متى ما رأى ما يوجب ذلك.

هذه المسألة سمعناها بوقته ولانجزم بصحتها او بطلانها ، فرئيس اللجنه اودع الي وللبوزباشي (الرئيس) المذكور والعضو الآخر الملازم ان نحضر ونجري التحقيق بحضر ثم معنا البيكباشي (المقدم) في الجلسة الاخيره ونصدر الحكم حسب اوراق التحقيق ، فبدأنا نسأل الجنود واحداً فواحداً عن ما جرى فى القضية ونكتب ما يقولون فعند التحقيق مع اول جندي قال صاحبنا الاتحادي ان هذا ذنبه كبيراً يستوجب الاعدام فصدقته لعلمي أنا لانبت بشيء الآن ثم حققنا مع الثاني فقال كذلك وهذا ايضاً يستوجب الاعدام ثم الباقين فقلت له ماتقول فى هؤلاء الباقين فقال ان هؤلاء ليسوا بدرجة الاثنين الاولين وخاصة الاول منهم فقلت له لا سبر غور ما فى جعبته اما في نظري فكلهم يستوجبون الاعدام فقال مسرعاً نعم وأنا معك ولكن لا يمكننا ان نجعل ولاة الامر يوافقون بإعدامهم جميعاً (هيسني اعدام ايتد يره مه يز) ولهذا نكتفي بالاول منهم فقط.

وهنا تشجعت وقلت له تبين بأنا اذا امكننا ان نجعل ولاة الامر يوافقون على اعدام الجميع فنحن نعدمهم واذا لم نتمكن ننصرف النظر ونكتفي بالواحد فقط . فأين التحقيق اذن وأين الوجدان وأين العدل فاذا كانوا حقيقة يستوجبون الاعدام فالقانون يأمر باعدامهم ولادخل لولاة الامر بالقضية وان كانوا لا يستوجبون ذلك فالقانون ايضاً كفيل بتخفيف الجزاء عنهم أو برائهم ، خصوصاً والمسألة فى غاية البساطة هؤلاء الجنود طالبوا المأمور بحقهم ليس الا لم يقتلوه ولم يجرحوه ولم يشتموه ، وعند اجتماع الهيئه كلها افهم البيكباشي (المقدم) اليوزباشي (الرئيس) المذكور بالواجب على الهيئة وافحمه تماماً .

(الفصل الخامس عشر)

السفر من العمارة الى البصرة

فركبنا الباخرة المسماة (بصرة) يوم ٢٤ تشرين اول ١٣٣٠ (٦ تشرين ثاني ١٩١٤) ومعنا جميع الارزاق بأنواعها والمهمات والحيوانات وكل شيء فوصلنا البصرة يوم ٢٦ تشرين اول ١٣٣٠ (٨ تشرين ثاني ١٩١٤) ورسونا فى المحل المسمى المحولة امام بيت الوكيل (شركة لنج للبواخر النهرية) وشركة ماكنزي ولكن لم يبق هناك لا وكيل ولا مكنزي وسلمنا جميع الارزاق والمهمات الزائدة عن الحاجه والحيوانات جميعها الى ادارة الفرقة (٣٨ نجى فرقة اداره هيئى) وهي التي تتولى توزيع الارزاق على الافواج ، وفي الحال توزعنا حسب الامر الصادر الينا فكانت حصتي ان اقيم مع سريتي في قصر السيد هاشم بك النقيب فى السعودية وسرية فى القنصلية البريطانية والسريتين الباقيتين تبقى على الساحل في محلها ، وعلى ذكر القنصلية اذكر لما كنا بالعمارة اتتنا برقية بتوقيف القنصل البريطاني اذا مر من طرفنا متوجهاً الى بغداد لأنه قد فارق البصرة فيظهر ان السلطه فى البصرة ما كانت تدري الى اين توجه وإلا فماهو بالمجنون حتى يأتي على طريق بغداد ويخترق البلاد العثمانية كلها ليفارقها من جانبها الآخر .

انما اقصر طريق هو البحر فتبين اخيراً انه ذهب بحراً عن طريق شط العرب ، وقد أمرت ان ارمي البوارج الانكليزية اذا هي مرت من امامي فاجبت بالطاعة طبعاً وهذا التوزيع والامر بهـذه الصورة كانا يدلان على اليأس وتوقع الكارثة ، فقلت فى نفسي اذا كان يترقب دخول البوارج الانكليزية ووصولها الى هذا الحـد يكون قد انتهى كل شيء وتكون البصـرة قد سقطت اذن فما معنى هذا الامر فعولت ان اطيـع الامر مهما كلفني ذلك فنكون على الاقل كالسنور الذي هوجم لا بد و أن يجرح باظافره قبل ان يموت فمضت تلك الليلة بسلام ، اما الاخبار التي سمعناها عندئذ فهي ان الانكليز قد ضربوا قلعة الفاو و استحكاماتها فى ٢٤ تشرين اول ١٣٣٠ (٦ تشرين ثاني ١٩١٤) ومعهم من البوارج الحربية اربعة وهي (اشبيكل و يدين ودلماوس ولورنس) فسقطت الفاو بمدة أربعة ساعات وضربت كوت الزين فى ٢٦ تشرين اول ١٣٣٠ (٨ تشرين ثاني ١٩١٤) اي كان سقوط الفاو يوم حركتنـا من العمارة وضرب كوت

الزين يوم وصولنا الى البصرة .

وكان لنا زورقان حربيان Motor Boat انشأت في بلادالانكليز قشرها من الخشب يحمل كل منها ميتر اليوز (رشاش كبير) خراطيشه ذات البوصه والنصف جلبت خصيصاً لتوطيد الامن فى الداخل وهي تتطلب اقل ما يمكن من الماء كي تدخل في الانهر الصغيرة والاهوار تقدم احداهما وتعرض بأحد البوارج فضربته ضربة قاضيةفاغرقته وجرح الربان ومساعده فى ساقيهما فاخذوا اسرى وبقوا تحت التداوي فتوفى احـدهم المدعو شوكت افندي في پونه من بـلاد الهند وسنأتي على تفصيل ذلك .

ثم احتل الانكليز موقعين آخرين وهما السنية والدواسر وذلك قبل وصولنا البصرة ، وفهمنا ان حكومتنا لـكي تعرقل مرور بوارج الانكليزفي شط العرب قـد اغرقت الباخرة المسـماة (اكبتانا) (الاسم القديم لمدينة همدان الايرانية)وهي تعود للالمان في شط العرب عرضاً وكان اكثر الاهالي مطمئنين لهذا التدبير ، والذي نتج من ذلك اخيراً ان البواخر الانكليزية تمكنت من المرور بسهولة لعدم التمكن من اغراقها كما يجب .

القسم الثالث - حياتي الحربية -

(ألفصل الاول)

تدابير الدفاع في البصرة ثم السفر الى سيحان وحدوث المصادمة الاولى

وفي صباح يوم ٢٧ تشرين اول ١٣٣٠ (٩ تشرين الثاني ١٩١٤) صدر الامر ان يسافر فوجنا سريتان منه براً وسريتان نهراً فسافرت السريتان الثالثة والرابعة براً مع مدفعين جبليين وسريتي وهي الاولى ومعها السرية الثانية نهراً نزلنا في سفن وقد ربطت السفن بالباخرة التي اتينا بها من العمارة وصارت تسحبها الى ان وصلنا الى محل يسمى قصر صالح باك فجائنا زورق من البارجة العائدة لنا (مرمريس) فيه الملازم اول بحرية السيد حسن افندي السامرائي وأشار لنا بالوقوف فلم نفهم السبب وأخيراً وصل الينا وفهمنا منه بأن الانكليز قريبون منا وقد ضربوا كوت الزين بالقنابل فيجب والحالة هذه ان لا نتقدم اكثر من هذا وان نخرج الى البر فخرجنا متوقعين ان نلاقي الانكليز حالا او نكون هدفاً لمقذوفاتهم من البوارج فررنا داخل البساتين مخترقين السواقي والانهار الصغيرة تارتاً . خوضاً وآونة عبوراً بما صادفناه من الوسائط الى ان وصلنا البلجانية .

حقاً ان حركتنا كانت غريبة ولا تشبه الحركات العسكرية بوجه من الوجوه لأنا تركنا كل امتعتنا ومهماتنا في السفن التي بقيت معرضة للتلف ومن جملتها الجباخانه (العتاد) . الامر يطاع طاعة عمياء ولكن الى اين نحن ذاهبون أكل الفالوذج الا يقتضي لنا عتاد ومن الذي يحمله ؟ أين العربات ؟ (العجلات) وأين البغال ؟ وصناديق العتاد ؟ خاصة انها ثقيلة ليس بمقدورنا حملها على اكتاف الجنود بالمناوبة الى ان خلصنا من الانهار والنخيل وصرنا في البر بعيدين عن الساحل . وفي البلجانية رأينا الطوبجية (المدفعية) ولمحافظتهم سرية حدود القرنه وقسم من فوج ضبطية البصرة فرأيناهم في حالة يأس شديد فاستمرينا بالمسير الى ان وصلنا الى كوت الزين عند المساء ولكن بصورة مبعثرة لا نظام فيها ولم يتكامل الطابور (الفوج) إلا بعد الغروب بساعة ونصف تقريباً .

وماذا أعد للجنود من الطعام ؟ دع عنك الخيام والمنامات فإنهم ينامون على الارض و هم لم يتناولوا شيئاً من صباح ذلك اليوم فماذا عمل الجنود ياترى ؟

كان قد وصل قبلنا الى المحل المذكور الفوج الثاني من الآلاي ١١٢ الذي كان في بي الخصيب ومن حيث انــه كان اولا في باب الزبير ثم اتى الى ابي الخصيب على مهله كان له من الوقت اوسع مما عوجلنا به كان قد تدارك معه بعض الادوات والاطعمه وغيره'وتمكن من طبخ الطعام لذلك المساء فعند ورودنا كان وقت توزيــع الطعام لجنودهــم فما كان من جنودنا إلا و قد استحصل بعضهم قروانات (قصع) من الفوج المذكور ومضوا ووقفوا أمام القدر فوضع لهم الطباخ الطعام ظاناً أنهم من نفس فوجه و كان الظلام ساتراً لهم وطبعاً كان الطعام الذي سرق بهذه الصورة قليلا فتبلغ البعض به سداً للرمق والبعض الآخر لم يفطن لهذه الحيله و لم يذق شيئاً ومضى الليل كله بدون نوم تقريباً واصبحنا وصرفنا النهار ايضاً بدون عمل .

وعنــد العصر تمكن سامي باك من عمل قروكي يبين وضعية الارض باستعانة بعض عارفيها وصفاًحيث لم تكن لديه خارطة فاستنسخنامنه نسخاً للاطلاع عليها وفي الساعة التاسعة غروبية يوم ٢٨ تشرين أول ١٣٣٠ (١٠ تشرين ثاني ١٩١٤) سافرنا من هناك على شبه نظــام محاذين للبساتين من جهة البر ولا طعام مطلقاً طول النهار ايضاً و عنــد ساعة السفر كنا ارسلنا بعض الجنود الى قرية للتفتيش عن ما يسمى طعاماً فرجــع الرسل ومعهــم خصافات تمر (٢) على ما أذكر فيها تمر يابس لونه أسود من النوع المعروف بإسم سعاده فوزعوها على الجنود وهم يمشون فالبعض اصابه كثيراً والبعض الآخر قليل وكثير لم يصبهم شيء وعند التوزيــع كان التمر يسقط منهم على الارض فيلتقطونه وهم مشاة فما فات الاماميون يلتقطه المتأخرون كأنما يلتقطون لؤلؤاً غير تاركين ولا واحدة منه .

وبقينا نمشي الى ان ساد الظلام فدخلنا بستاناً وبقينا رابضين فيها وطبعاً على غير نظام لأنه كما قدمنا ليس معنا شيء لا من الفراش ولا من الخيم ولا أي شيء آخر ونحن الضباط لم نذق شيئاً مطلقاً منذ ليلتين إلا ما يتصدق به علينا جنودنا بين الحين وآخر من تمرات او كسرات يابسه من الخبز . واذكر عند انزوائنا في البستان تقدم الي احــد الجنود واعطاني ثلثي صمونه ومعهالاتتجاوز العشرة فكيف استأثر بها وبجانبي ثلاثة من الضباط في مثل حالتي فقسمتها بيننا إلا ان احدهم الرئيس للسرية الثانية ابى اخذ شيء قائلاان هــذه الكمية اذا تجزأت لا تفيد أما اذا أكلت من واحد فقط ربما فيها بعض الفائدة و أصر على اباءه فاقتسمناها نحن الباقون كل

هذا والألف رأس غنم والمواد التي اتينا بها من العمارة كلها بقيت في البصرة لأنها ستوزع من الادارة حسب الاصول وان نحن من الادارة وماذا تنفع الاصول .

الطريق من البصرة الى هناك غير وعر و فيه كل السهوله والحيوانات موجودة بكثرة لا أدري لماذ لم تحمل وترسل الينا بعد ان مر على سفرنا ليلتين كان يمكن ان يصلنا خلالها كل شيء فمضت تلك الليلة وقبل الفجر أمرنا بالمسير فسرنا ونحن صامتون دون ان يسمع لنا صوت وكان القصد ان نعمل كشف تعرضي فنفاجيء العدو على حين غرة ونتحرش به لنعرف مقدار قوته ولكنا قبل وصولنا اليه بمسافة قليلة أمرنا بالوقوف فافرز ١١٩ جندياً من الفوج الاول من الآلاي السادس والعشرين و٢٥ جندياً من فوج ضبطية البصرة تحت امرة ضابط يدعى تحسين أفندي مع اليوزباشي (الرئيس) سامي بك تقدموا فتحرشوا بالعدو والنتيجة قتل وجرح نصفهم ورجع النصف الآخر والضابط كان شهيداً ولم يفهم عن العدو شيء اللهم إلا انه كان اقوى منا وهذه هي المصادمة الاولى .

وعلى ذكر الآلاي السادس والعشرين الفوج الاول منه هو من مرتبات الاناضول وقد اتى الى البصرة مع الفريق سليمان شفيق باشا بناء على ما اقترحه غير معتمد على الجنود العراقية وكان مزود بتعليمات خاصة عن سيد طالب باشا النقيب قيل انه الشقي الكبير هناك ويجب عليه أن يعطي نهاية الى شقاوته ولهذا أتى بالفوج المذكور معه وعند وصوله أمام المحمرة ذهب اليه السيد طالب باشا مع أعيان ووجوه البصرة للسلام عليه واستقباله وقدم السيد طالب نفسه ثم قدم اليه أعيان البصرة فرداً فرداً ورحبوا به وهنأوه بسلامة الوصول وما أشبه من عبارات المجاملة فتغير فكره في تلك الساعة. سيد طالب! الشقي ! يأتيه الى الباخرة ! وهو رجل مهذب اذن فليس هو الشقي و انما هذا سوء تلقي من الحكومة كان يظنه مثل أشقياء الاناضول (چاقرچه لي وغيره) وأولئك رؤساء عصابات فرأى غير ما سمع . ومن الباخرة انتقلو جميعاً الى قصر الشيخ خزعل بناء على دعوة صدرت منه وباتوا في الفيليه ليلتهم و قضوها بالأنس والطرب .

ومن ثم استسلم الباشا للانس والطرب حتى لبس العباءة العربية ولذلك دعوه ابو العبا والفوج المذكور بات في مناخ لم يتعوده فأخذت منه حمى البصرة كل مأخذ حتى مات أكثرهم فالباقي منهم ادمج ببعضه فتشكل منهم سريتين بينما كانوا أربعة وقيل كانوا ثمانية وموجودهم ثمنمائة جندي .

(الفصل الثاني)

الحركة الى سيحان والبقاء فيها يومين

وبعد هـذه الواقعة تقدمنا جميعاً الى محل يدعى سيحان فاحتلينا البساتين هناك وبقينا فيها ثلاث ليالي لم نعمل خلالها شيء مطلقاً وكان هناك قرية كنا نرسل اليها فنطلب طعاماً مما يوجد فيها لنا نحن الضباط لأن القرية صغيرة جداً ولا يمكن ان يوجد فيها ما يكفي جنود وبالجهـد حصلنا على دجاجة شويناها وأكلناها وأما الجنود فانهم حصل بعضهـم على تمرات وغيرها يسدون بها رمقهم كل ذلك وهم بجنان ثابت لا يتذمرون وتراهم ضاحكين مستبشرين يريدون مجابهة الموت والهجوم على العدو ويعللون أنفسهم بما سيجدونه فى معسكر العدو من طعام .

وفي صباح الليلة الاولى وردتنا اكياس طحين اعطى لكل فوج كيسـاً واحداً فوزعناها على الجنود بالحفنات اذ ليس هذا وقت الوزن ثم أين الميزان في النتيجه اصاب كل واحـد نصف رغيف او ثلثيه ولكن كيف عجنوه وكيف خبزوه ياترى ! عجنوه فى الغتره (الكفية التي على رؤوسهم) وبدون ملح وشووه شيأ على عيدان التقطوها من داخل البستان كل اثنين او ثلاثة على حده .

و مما يجب ان اذكره ان الخيل التي كانت تجر المدافع لم تذق شيئاً فكيف تستطيـع الجر ؟ فكلف الرئيس سامي بك المقدم علي أفندي أن يرى له تدبيراً لهذه القضية فاستطاع المومى اليه ان يحصل على مقدار من الشعير من القرية بالنقد طبعاً فكم كان فرح سامي بك وتهنئته للمقدم على هذه المعونة العظيمة التي ابرزها فى هذه الساعة فكان يفخر به قائـلا لضباط آخرين بجانبه انظروا كيف ان محمد علي بك تمكن من ان يوجد لي شعيراً .

كان القواد العثـمانيون يهتمون بالمظاهر اكثر من الحقائق يريدون ان يكون الجيش يحسن الحركات ويتقن التدريب ويهتم بقيافته وان يكون نشيطاً سريع الحركة نبيهاً يتلقى الامر ويجريه بسرعة و ينتهز الفرص و يبتكر الاساليب عند المفاجآت و يتصف بجميع الاخـلاق الحسنة و الخلال الحربية اللازمة و معنوياته فى درجة عالية ان يكون شجاعاً يلقى بنفسه الى الموت عن طيبة خاطر راسخ العقيـدة يستسهل الصعاب و الحاصل يريدونه ان يكون محارباً من الدرجة الاولى .

كانت قد نصبت آلات تلغراف هناك وربطوا السلك فى الخط المار من هناك بين البصرة والفاو لاجل المخابرة مع القائد صبحي بك في البصرة أذكر إنا ارسلنا برقية و أخذنا جوابها ثم انقطعت المخابرة لنقص طرأ على الآلة ولا اتذكر إنا اصلحناها .

و بعد ذلك بدأت الارزاق تأتينا فأتتنا كمية اخرى من الطحين ثم أتت الغنم و الارز و السمن والقدور والقروانات (القصع) فبدأنا نخبز ونطبخ وشبع الجنود وشبعنا نحن الضباط أيضاً لأنا كنا نأكل معهم من قدر واحد لأن القاعدة فى السفر ان نحسب حساب الضباط أيضاً عند توزيع مقادير الطعام ولكن بم تقدر المقادير كل شيء كان يجري بدون وزن وبدون حساب . وكم كان الطعام هذا لذيذاً اذا فكرت انا جائعين منذ خمسة ايام وأكلنا اللابة (الحساء الثخين) فيها قطع اللحم بكثرة والسمن الكافى وما كان ينقصها غير الفلفل وتوابعه . وقد امطرت السماء ونحن تحتها مباشرة ليس لدينا ما يحمينا منها لا خيمة ولا غيرها ولم نخلص من المطر حتى بعد انقطاعه لأن النخيل بدأت تمطرنا بدورها .

في هذه الاثناء اتانا رجل من العلماء معين من قبل الحكومة ليعظ الجنود ويحثهم على الثبات فى الحرب وان الحرب كنا مشتاقين اليها ولما نؤمر بها فجمعنا له الجنود اطاعة للأمر فبدأ يتلو عليهم الآيات والاحاديث الدالة على ذلك مثل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (ان الله يحب الذين يحاربون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وغير ذلك وأكثرها تحث على الاستحضارات والاستعدادات وهي من واجب الحكومة . فضحك الجنود وقالوا أية حاجة بالوعظ فنحن مستعدون للموت ولكن ان القوة اليس هي الطعام قبل كل شيء وقال احد الضباط لا ينقصنا سوى طعامين طعام للجنود وطعام للبنادق (العتاد) وليس لدينا ما يكفي منهما .

ومرة أمر سامي بك بجمع الضباط فأجتمعنا فأمرنا ان نشدد عزم الجنود على الثبات فى الحرب فكل ذهب الى جنوده وخطب فيهم بعناية من الحماس .

كل هذه كانوا يظنونها اجرآت وما الاجرآت لا تزيد القوة واكمال معداتها على اختلاف انواعها ومع كل ذلك فكنا أطوع لهم من بنانهم راضين بما قسم لنا ومتأهبين لخوض غمرات المعارك والحق

يقال ان الجنود ما كان ينقصهم شيء من الحماس وكانوا صابرين على الجوع في الايام الاولى مطمأنين من الفوز في العراك وكانوا يتعللون بضبط طعام العدد كما تقدم .

وأقول لو كانت قوتنا تعادل نصف قوة الانكليز وعتادنا فيه الكفاية لأمكننا تحقيق أمنية الجنود من ضبط طعام العدو على أهون سبيل ولكن يا للاسف كانت اقل من الربع ومع ذلك كبد ناهم تلفات عظيمة لا تتناسب وقوتنا كما سيجيء ،

في الليل كنا نرسل جنوداً حوالي المعسكر خاصة من جهة الجنوب (جهة العدو) (ايلري قره غول) بصفة خفر أمامي يكون بين كل جندي وآخر خمسة عشر خطوة تقريباً ووجوههم الى العدو وكنا نحن الضباط نفتش عليهم بالمناوبة لنتأكد من انتباههم فبينما كنت في نوبتي سمعت أحد الجنود ينادي قائلا (من أنت يا هذا) فأتيت اليه وسألته ما ذا حدث هل رأى شيئاً وفي أثناء كلامي معه جاء سامي بك وكان يفتش أيضاً فسأل عما يدور بيننا من الحديث فأفهمته الكيفية فقال لا أظنه رأى شيئاً وهو متوهم والانكليز سوف لا يأتون مطلقاً ولهجته تشف عن الجد وكلها اطمأنان .

وبعد اقامة ثلاثة ليالي بهذه الكيفية فى داخل البستان في سيحان وكانت الجنود منتشرة بطول البستان وعرضها جائنا المقدم عادل بك واستلم القيادة ما ذا يرى يمكن تشبيه الحالة بأي عالم آخر اما الجندية فلا . وقد وصل الفوج الثاني من الآلاي ١١٣ الينا نهاراً ليلة (تشرين ثاني ١٣٣٠) (١٤ تشرين ثاني ١٩١٤) .

(الفصل الثالث)

الرجوع الى المكرية وحدوث المصادمة الثانية

فأمر القائد الجديد عادل بك الافواج في ١ تشرين ثاني ١٣٣٠ (١٤ تشرين ثاني ١٩١٤) وكانت ثلاثة ان يتراجع منها فوجين الى الوراء مسافة كيلو متر ونصف تقريباً الى محل يسمى (المكريه) والثالث يبقى في محله فتراجع فوجنا (ي ١١٣ ط ١) وفوج آخر (ي ١١٢ ط ٢) وكانت قد اتت خيم جديدة فنصبناها بالنظام الخاص بها وكانت من النوع غير المألوف لدينا لأنها كانت تنصب لنفر واحد منفرداً واذا اقتضى فكل اثنين معاً لجندين او كل اربعة او كل سته او كل ثمانيه وهكذا فصارت الافواج تشبه المعسكر شبهاً لا شائبة فيه وقد وردنا ايضاً كفيه وعقال فوزعناها إلا الملابس فلم يأتنا شيء والتي كانت على الجنود خليط منها شتويه ومنها صيفيه ومنها السترة شتويه والبنطلون صيفي وبالعكس :

اذكر عند ما كنا في كوت الزين شكى لي احد جنودي البردو قال ان ملابسه لاتكفيه وقد عضه البرد بنابه وقضى النهار مستدفئاً بحرارة الشمس ولكن اتى الليل فأين المفر وقال عند ما يصبح الصبح افرح وعند المساء احزن والآن جاء المساء ايضاً كأنه يريد ان لا يأتي الليل ويود لو كان الوقت كله نهاراً فماذا اعمل له تصور .

فبتنا تلك الليلة في المكريه وعند الفجر بدأت المناوشه بين الانكليز والفوج الامامي (ي ١١٣ ط ٢) آمره المقدم عبد القادر افندي السوري وعند طلوع الشمس حمى وطيس الحرب فامد الفوج المذكور بالفوج (ي ١١٢ ط ٢) وفوج ضبطية البصرة فوجهت مدفعيتنا مدافعها وبدأت باطلاق قنابلها وبعد قليل سكتت اذ قدم الانكليز وبدأت جنود الفوجين المذكورين تتراجع وفي تلك الاثناء رأينا الرئيس سامي بك عائداً من المعركة على ظهر حصان مكشوف الرأس والذراع وعلى عضده عصابه تدل على جرحه فلم يعرفه الجنود وظنوه انكليزياً فأرادوا ان يرموه لولا ان منعناهم وافهمناهم من هو ولم يفكروا كيف يمكن ان يأتي الانكليزي بمفرده ويخترق صفوفنا بهذه الصورة وهذه تدل على جهلهم الامور اولا ورغبتهم في الاشتباك مع الانكليز ثانياً ولما كان الواجب يقتضي بتأمين رجعة المنسحبين اي تقليل الاصابات ولم يبق في المكرية الا فوجنا ي ١١٣ ط ١ امرني المقدم ان انشر السريةوهي الاولى وآخذ موضعاً واوجه

النار الى العدو لألهيه فيتمكن الجنود من الرجوع حسب الاصول .

فكان هناك من حسن الصدف نهر مندرس مواز للجبهه يكفي ان يكون ستراً للرأس - باش سبتري فاحتليناه وبدأنا نوجه مقذوفاتنا الى العدو فألهيناه مدة طويلة بينما كانت الجنود الامامية تتراجع من الجهة الاخرى وكان الانكليز يأتونا في العراء نتمكنا من التأثير عليهم فوجهوا علينا نيرانهم الى ان قربوا منا كثيراً ولما نظرت الى المتراجعين لم ار احداً بقي منهم والتفت الى الوراء فرأيت ان المدفعية الذين كانوا خلفي لم يبق منهم احـد ولا اي شيء آخر ومع ذلك كنت غير مطمئن بأني قمت بواجبي وكنت اظن بأني يجب علي ان اقوم بأكثر من ذلك واخيراً لم يبق بيني وبين العدو سوى مسافة قليله ولو لم ارجع لتلفنا جميعاً او اخذنا اسرى بدون لزوم .

فتراجعت عندئذ وافهمت جنودي ان لا يقوموا دفعة واحدة بل ينسحبوا زحفاً واحـداً فواحداً على طول النهر الى ان يدخلوا البستان ولو قمنا مرة واحدة لقتلنا جميعاً وفي هذه الوقعة جرح الملازم الاول طه افندي في رقبته وقتل نفر واحد وجرح ما يقارب العشرة بجروح بسيطة وكنت حانقاً حيث لم يمدني المقدم بسرية على الاقل وتركني وسريتي طعمة للنار ولم يرسل لي امراً بالاكتفاء والرجوع لأني عند رجوعي لم اصادف احداً في طريقي من الجيش الذي ورائي ولا جندي واحد وكان في نيتي معاتبته فيظهر انه ادرك ما في نفسي وتلقاني قبل ان افوه بكلمة بعبارات الاستحسان بأني قضيت اكثر من الواجب وساعدت في الانسحاب القوة الامامية خير مساعدة على محضر ومسمع من القائد عادل بك فاخجلني وطمئنني في آن واحد واراه معذوراً حيث لم يكن في يده شيء بدليل سكوت القائد عادل بك فيظهر انه هو الذي امر برجوع القوة الباقية وتركني اعتـماداً علي ان اعمل بما يترآى لي عمـله حسب صلاحيتي ثم سألني اذا كنت مجروحاً فاجبته بالسلب .

(الفصل الرابع)

الرجوع الى كوت الزين وحدوث المصادمة الثالثة والوقوع في الاسر

ومن هناك صدر الامر برجوعنا جميعاً الى كوت الزين فلم يمهلنا العدو للم شعثنا واعادة تنظيم الجيش سوى ذلك اليوم واليوم الذي بعده وفى اليوم الثالث جائنا عند الصباح وابتدأت الملحمة الكبرى بجميع القوات التى لدينا دفعة واحدة وتفصيل ذلك : -

في يوم ٣ تشرين ثاني ١٣٣٠ (١٦ تشرين ثاني ١٩١٤) كان وضعنا كما يلي :

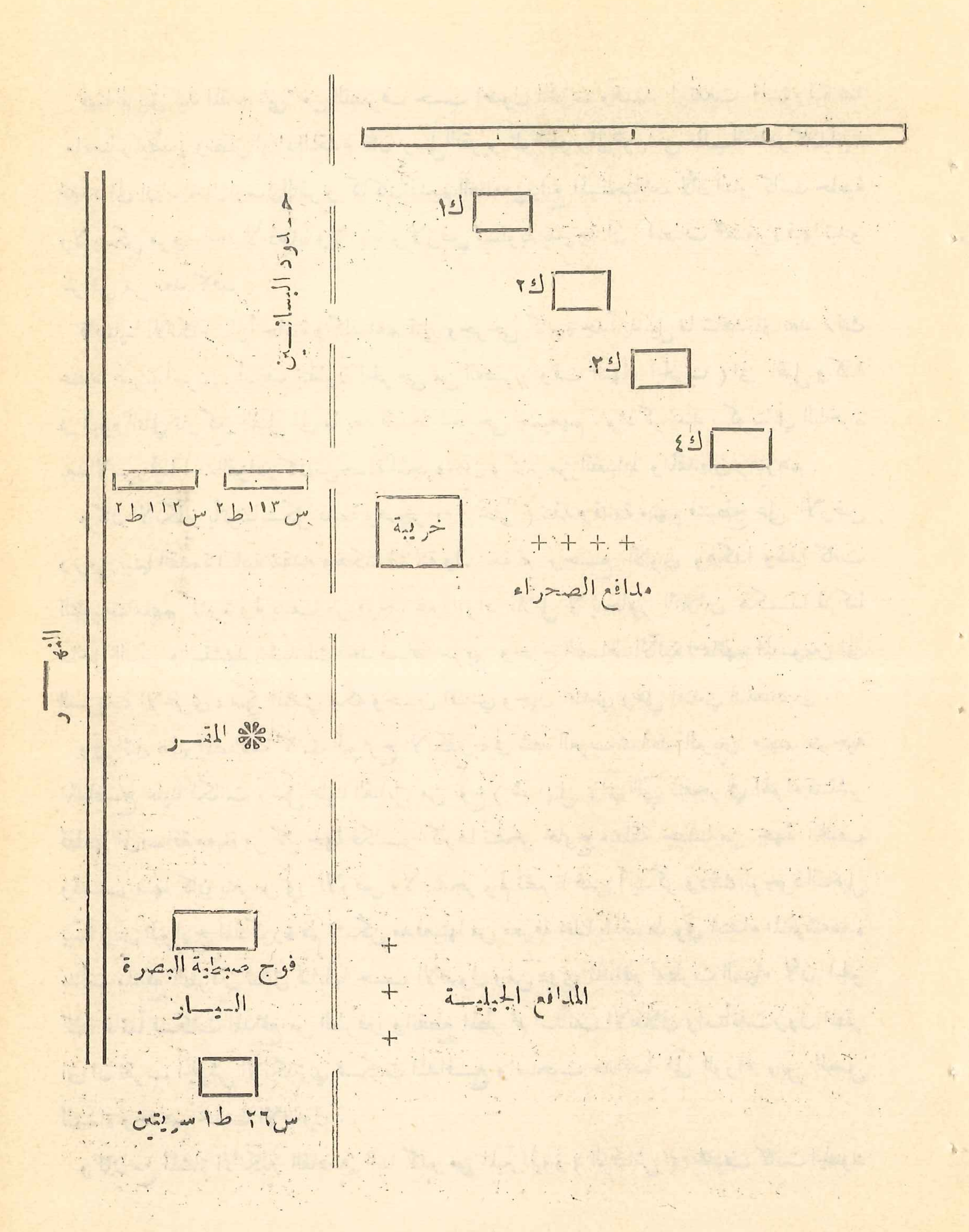
داخل البساتين وابتداء من النهر ى ١١٢ ط ٢ ثم ى ١١٣ ط ٢ وخلفهم القرار كاه (المقر) وخلف المقر فوج ضبطية البصرة السيار وخلفه السريتين من فوج ى ٢٦ ط ١ وخلفهم عن يمين المقر الثلاثة مدافع الجبليه وعن يمين ما ذكر من القوات فوجنا ى ١١٣ ط ١ في العراء مرتباً بشكل قدمه وعن يساره بجانب الخربة الاربع مدافع الصحراوية .

فطلب القائد منا ان نحفر استحكاماً لنا ولكن لا يوجد لدينا آلات (قزمه وكرك) فبماذا نحفره فجائنا القائد عادل بك فشكونا اليه فقدان الآلات فقال مغتاظاً ان هذه الارض رخوه ويمكن حفرها بالقساطوره وبالقروانه وحتى بالاضافر .

نعم كان محقاً فى قوله هذا اذا حصل الاضطرار لا يتوقف الجندي عن تدبير كل شيء ولكن لماذا لا توجد لدينا آلات ونحن في بلادنا وفى اول الحرب .

واذا كان تقدمنا فجائياً لماذا لم يرسل الينا ما يكفي بالحاجة من هذا القبيل ؟ فباشرنا بالحفر بالقاسطورة وبالقروانه وبالاظافر كما طلب منا تماماً . ولكننا بدأنا من الصباح فالى غروب الشمس لم نتمكن سوى ما يكفي لستر الرأس (باش سبري) وكان في النيه ان نشتغل بما نقدر عليه في اليوم الثاني لجعله اكثر فائدة ليكون ستراً للجاثي (ديز سبري) على الاقل .

ولكن عند الصباح ارسلنا زمرة كشافة (كشف قولي) ولم نرى الا رجوعها فابتدأ الانكليز بالتقدم نحونا وعندها دخل فوجنا جميعه في المخبأ واستقر فيه فاعطيناه الامر باطلاق النار وكان القائد امرنا ان ندافع حتى النفس الاخير والى الموت وان لا نقوم من محلنا مطلقاً (ومن قام فالاعدام حاضر له طبعاً) .


ك١
ك٢
ك٣
ك٤
حدود البساتين
خريبة
مدافع الصحراء
س ١١٣ ط ٢ س ١١٢ ط ٢
النهر
المقر
فوج صبطية البصرة
الخيال
المدافع الجبلية
س ٢٦ ط ١ سريتين

فهنا لم يبق بيد المقدم شيء من التصرف حسب اصول الحرب وقد ارتفعت المسؤولية عنا مادمنا رابضين ونطلق العتادفالمقدم كان يرسل التقرير تلو التقرير الى الوراء في طلب العتاد وكان يأتينا العتاد الى ان استحال ارسال التقرير كما كان تقديم العتاد من رابع المستحيلات لأن النار كانت حامية ولا يمكن مرور احد لا ذهاباً ولا اياباً والارض مستوية بدرجة ان الحصات الصغيرة فيها تبدو للرائي من بعد كاف .

فاصلينا الانكليز ناراً حامية وكلفناهم قتلى وجرحى كثيرة جداً بدليل ما شاهدناه بعد ذلك عندما صرنا اسرى رأيناهم ينقلون الجرحى من العصر (وقت انتهاء الحرب) الى الليل وكذا في اليوم التالي تاركين القتلى الى ما بعد التقاط الجرحى جميعهم . واذكر عند ركوبنا في الباخرة بعد الاسر رأينا احد القواد وكان من جملة المجروحين وكثير من الضباط والمقدمين وغيرهم .

وكان الانكليز يأتوننا بشكل قدمة وصچرامه (تحفز) تتقدم قدمة منهم فتنبطح على الارض وترمي بينما القدمة الثانية تتقدم وهكذا الثالثة والرابعة ثم ترجع الاولى وهكذا ولهذا كانت التلفيات منهم كثيرة ولم يتلف من فوجنا غير افراد قلائل لا يتجاوز الثلاثين هكـذا لما كنا داخل الستر واستشهد رشيد بك احد ضباط سريتي وجرح الضباط الآتية اسمائهم المنسوبين الى السريات الاخرى ، مكي افندي مكه وحسين افندي وجمال افندي وعلي افندي البغداديين .

وفي اثناء هذه المصادمة كانت البوارج الانكليزية في شط العرب تساعد البريين منهم بتوجيه المدافع علينا فكانت ترسل علينا القنابل من نوع (شراپنل) اي التي تنفجر في الهواء فتنتشر قطعها الى مسافة معينة من كل جهة فكانت اكثرها تنفجر خارج منطقة جيشنا من جهة الخلف وقسم منها كان ينغرس في الارض ولا ينفجر ولم تضرنا ضرراً يذكر وذلك لوجود النخيل بيننا وبين البوارج المذكورة فلم تتمكن مدفعيتها من معرفة محلنا بالضبط وفي ابتداء المناوشه هذه بدأت مدافع الطرفين تطلق قنابلها حسب الاصول ومن دوي المدافع امطرت السماء لأن الجو كان غائماً فسكتت المدافع من الطرفين وانقطع المطر ثم استأنف الاطلاق واستأنفت نزول المطر الى ان تقرب الجيش الانكليزي فسكتت المدافع وانسحبت مدافعنا الى الوراء وبقي العمل للمشاة وحدهم حسب الاصول .

وكان مع المشاة الانكليز القادمين الينا كثير من الميترا ليوز (الرشاش) الخفيف كانت الجنود

تحمله على اكتافها جندي يحمل الرشاش نفسه وآخر يحمل قاعدته والثالث عتاده والخلاصة ان معداتهم كانت كاملة من جميع الوجوه .

ولما انتهى العتاد عندنا وكان الانكليز قد تقدموا على بعد ثلثمائة متر تقريباً امر المقـدم بأن تعمل الجنود (سونكو طاق) اي ان تستعمل السلاح الابيض فبلغت الأمر الى الجندي الذي

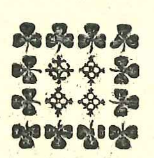


تصوير المؤلف (رحمه الله تعالى) بالبزه العسكرية في المصادمه الثالثه بواقعة كوت الزين البصرة بعد ان دافـع وجنوده دفاع الابطال عن وطنه الحبيب وقـد نزعت منه الرتبة العسكرية بعد تأسيره من قبل الانكليز ، وإن مقبرة كوت الزين لا زالت موجودة فهي تحوي العدد الكبير من جنوده حيث لم ينج منهم إلا العدد القليل جداً .

بجانبي وهو الى الآخر وكل بدوره يبليغه الى من يليه الى ان وصل الامر الى آخر الفوج حسب اصول تبليــغ الاوامر فى مثل هذه الوضعيه فما ان سمع الجنود بهذا الامر الا وابتدؤا بالانسحاب اي الوجوع الى الوراء بصورة مبعثرة لا نظام فيها وبالمعنى الصحيح الهروب ابتداء ذلك اولا من السرية الرابعة وهي الاخيره من جهة الصحراء ثم الثالثه ثم الثانيه بضباطهــم الباقين غير الجرحى طبعاً اما سريتي فتبعتهم ايضاً مبتدئة من الجانب البعيد عني اما الذين يمكني ان اسمعهم صوتي فبقوا ونجوا .

وعند ذاك كان العدو قد قرب جداً فأخذ يصلي الراجعين ناراً حاميه بأشد ما يمكنه فسقط اكثرهم ويا للاسف ولم ينج منهم الا من اخطأته المنيه .

ثم تقدم ليلتقط من بقي في الستر اما قــتلا اذا قابلوه او تأسيراً اذا سالموه فلم ير سوى الانفار القليلة الذين كانوا بجانبي انا والمقدم والذي صادفناه امامنا منهم كان ضابــط انكليزي ومعه بضعة جنود من الهنود فلم يوجه علينـــا خصومه ولكن احــد الهنود وجه بندقيته نحونا فمنعة الضابط وتصافح مع المقدم واخذ سيفي وابقى له سيفه وكذا اخذوا بنادق الانفار القليلة الذين كانوا بجانبنا ومضوا وتركونا وراءهم فمن هنا يبتدىء الامر يوم ٤ تشرين الثاني ١٣٣٠ (١٧ تشرين الثاني ١٩١٤) كما سيجيىء فى الفصل الآني .



(الفصل الخامس)

مدة الاسر الى حين الانتقال الى الباخرة اوماريا

فبقينا في محلنا وبدأت تأتينا القدمات الاخرى واحدة بعد واحدة فالثانية منهم وجه احدهم بندقيته نحو (المقدم) لو لم نلتفت ويقع نظرنا عليه لذهب (المقدم) ضحية هذا الاسود المسخر بدون داع فأشرنا اليه بأننا عزل عن السلاح فتركنا ومضى وبقية القدمات لم تعمل شيئاً مثل ما تقدم من الخصومه .

فى هذه الحرب كانت قواتنا لا تزيد عن الثلاثة آلاف نفر الا قليلا وذلك مع الاهالي الذين اتوا لنجدتنا تحت زعامة قاسم باشا الخضيري .

وفهمنا من احد الجنود الهنود المسلمين في الباخرة اوماريا بأن قوة الانكليز كانت ثلاثة عشر الف وخمسمائة وفى هذه المصادمة فقد سامي باك ولم يعلم عنه شيء .

وكنا نعلم ان الانكليز ليس لهم قوة برية تذكر وقوتهم كلها بحريه فهنا اخطأ ظننا واتى آخر الجميع الطبيب ومعه السرر النقاله فأول ما رآنا صافحنا وقال بالافرنسيه (blesse!) هل انتم مجروحين لعلمهم ان الضباط العثمانيين يحسنون الافرنسية فاجبناه بالسلب فاستصحبنا معه ومعنا الجنود الذي كان في السيپر (المخبأ) فمشينا معه مارين من بين القتلى والجرحى وهم مبعثرون على الارض كأحجار الشطرنج هنا وهناك فكان الطبيب ينظر الى كل واحد منهم ويفتح عينيه فمن كان فيه رمق من الحياة امر فحملوه ومن كان قد قضى نحبه تركه الى ان اتى بنا وسلمنا الى القائد الذي كان واقفاً بجانب الخربه ومعه ضابط يظهر انه ياوره (مرافقه) على كتفة ثلاث نجمات ، فبعد سؤال بسيط سألني المرافق المذكور انت يوزباشي ! قلت نعم قال انت عرب بنغمة التعجب وليس الاستفهام قلت له انا عثماني وهذه اول بادرة منهم سمعتها بأذني ولسان حاله يقول انت عربي ولماذا تخدم الاتراك .

وسيأتي بعد ذلك كيف انهم استعملوا هذه النغمه بمقياس اوسع في ادوار الاسر المختلفه ورأينا بيد القائد المذكور خريطه مفصله وملونه لنهر شط العرب وساحليه وخاصة الساحل العثماني الذي نحن فيه وفوقها اصغر التياصيل ونحن كما قدمت لم يكن عندنا شيء من ذلك مع ان البلاد بلادنا .

ثم اخذوا سيف البكباشي (المقدم) وكانوا قد جمعوا جنوداً آخرين غير مجروحين التقطوهم وأوقفوا بعض المارة من اهالي القرى حتى الشيوخ والعجائز اذكر ان احد العجائز كانت عمياء فجعلونا اربعاً اربعاً غير مفرقين بين المقدم والضابط والجندي او الاهالي كأننا مواشي ورتبوا امامنا وخلفنا وعن جوانبنا جنود مسلحين ومركبين الحراب في رؤوس البنادق فسرنا الى داخل بستان هناك فأمرونا بالجلوس كومة واحدة متقاربين وشاغلين اصغر جزء ممكن من سطح ارضنا التي كنا نمرح فيها ، وكان معنا الملازم الثاني مكي افندي مكه من السريه الثانيه من فوجنا كان مجروحاً في كوعه فجلسنا نحن الثلاثة المقدم وكاتب السطور ومكي افندي الواحد بجانب الآخر لا بحث لنا سوى الحاله التي نحن فيها وتذمرنا من هذه المعاملة ، وكان علي پله رين (نوع من المعطف) فعندما دخلت الى السپر (المخبأ) تركته مع خادمي ولا أدري ما حل به وكذا البيكباشي (المقدم) فاحتجنا اليهما لأن البرد كان لاذعاً فى الليل ولكن من حسن الصدف عندما التفتنا الى الجنود اللذين معنا لمح البيكباشي (المقدم) پلهرنيه (معطفه) مع احد الجنود والجندي لايدري لمن هو فأخذه منه وبقيت انا ومكي افندي ليس لدينا ما نتدفأ به ناهيك ببساتين البصرة فأرضها رطبة على الدوام لأن ماء المد يسقيها مرتين في اليوم فكان جلوسنا عند نخلة مستدين اظهرنا اليها ومتراصين الواحد بالآخر للاستدفاء بالحرارة الغريزية مجتمعة الى ان اصبح الصباح بدون طعام وبدون غطاء وكان الحرس الذي يقوم بمحافظتنا من الهنود غير المسلمين رأى احدهم ما نحن فيه من البرد فجمع عيداناً صغيرة واشعلها للتدفئه وأظنه اراد ذلك لاحتياجه هو ايضاً فجاء هندي آخر وربما عريفه فداسها برجله واطفأهـا موبخاً الحارس المذكور على ايقادها فلا ندري اذا كان لأجل ايفاء النظام العسكري بوجوب عدم ايقاد النيران لئلا يعلم الخصم مقرهم او تنكيلا بنا ولكنا فى الوقت نفسه نيراناً توقد في المعسكر ففهمنا ان القصد كان هو الاخير .

وكان الحارس الذي قبله اعطانا فتاتاً من الخبز اليابس الرقيق شيئاً قليلا فاردنا عدم اخذه ولكنا رأينا عدم اكله ليس من الشجاعة فى شيء فاقتسمناه وأكلناه لتدفئة اجوافنا على الاقل وكان يقابلنا في مربضنا جماعة من الهنود المسلمين كانوا طلبوا من قائدهم ان يقدموا لنا شيئاً كضيافة فساعدهم على ذلك وهو الذي اتى الينا ودعانا وكان (مقدم مدفعي) والجنود قطعة

مدفعية ايضاً فلم نرد دعوته لحاجتنا الى مثلها ففرشوا لنا الكليمات (الابسطه) واجلسونا عليها وقدموا لنا الشاي مع الحليب وخبزاً وتمراً وغيره مما تيسر عندهم فأكلناه وشكرناهم وعدنا الى مربضنا .

وكان الضباط الانكليز والجنود يأتون فرادي وجماعات يتفرجون علينا وكل من يأتينا من الضباط نطلب منه ان يأخذونا الى محل اوفق ملائمة من هذا فكانوا يعدونا بالانتقال الى الباخرة ولم ينجز احد منهم ما وعد ولم ندر ان هذه سجيتهم الى ان تأكدناها بعد ذلك .

وكان كلامنا معهم بالافرنسيه ثم اتانا ضابط يظهر انه اركان حرب وقد علق في رقبته الدوربين (المنظار) وبدأ يكلمنا بالتركيه الاستنابولية الصحيحه كأنه من الاتراك الاقحاح فهمنا بعد ذلك انه هو القنصل الانكليزي الذي كان في البصرة .

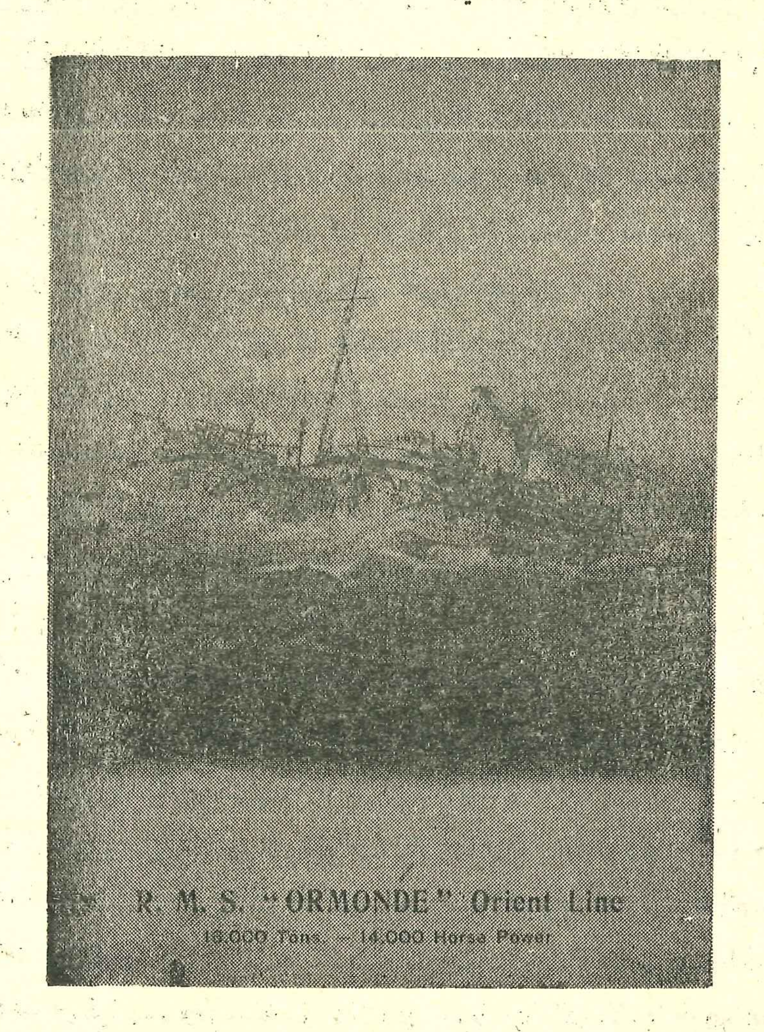
فبدأ يناقشنا عن انه كان من الاوفق لنا حكومة ان تبقى على الحياد فتستفيد في آخر الحرب فاجبناه ان الاستفادة غير مضمونه مادامت تتوقف على نتيجة الحرب وعليه فالدخول اولى ثم تكلم عن استخدامنا للدارعتين غوبن وبرسلاو الالمانيتين الذين سميتا في ذلك الحين (سلطان ياوز) (ومدللي) فقلنا له لأنكم ضبطتم دارعتينا الموجوده عندكم في التعمير وهما (رشادية) (وسلطان عثمان) فقال لأنا بحاجة اليهما فقلنا له ونحن اعتضنا عنهما بغيرهما للحاجه عينها .

ثم تكلمنا عن احتمال دوام الحرب فقال (لا اظنها تنتهي قريباً اما نحن فنستعد الان لحرب ثلاثة سنوات) فعندها اسقط في ايدينا وقلنا في خلدنا اننا سنبقى اسرى مدة ثلاث سنوات يا للمصيبه ولم ندر ما خبأه لنا القدر فقد بقينا في الاسر اربع سنوات واربعة اشهر وواحد وعشرون يوماً من (١٧ تشرين الثاني ١٩١٤). الى (٨ نيسان ١٩١٩)

ثم شكونا له محلنا ومحروميتنا من كل شيء فإن كان ولا بد من نقلنا وذلك طبعاً رجونا منه ان يكون ذلك سريعاً فقال الا ترون جنودنا كلهم بمثل هذه المحروميه الآن فقلنا له انهم مضطرون لتحمل ذلك حيث لديهم وظيفة اما نحن فقد انتهت وظيفتنا وكنا راضين بهذه الحاله وغيرها لما كنا في قطعتنا ، فمن هذه المحاوره فهمنا ان الانكليز صعبوا المراس الا اذا حاججتهم بما لاقبل لهم على دحضه على شرط ان لا يكون لهم من ذلك ضرر او نفع اما اذا كان لهم ضرر او يتوقعون من المعاكسه نفع فيتجاهلون القضية ويرسلون لك آخر يقول لا ادري بما جرى بينك

وبين فلان وقد امرت ان اعمل كذا وعليك ان تطيع .

فهذا الرجل (القنـــصل) ادى الواجب الحقيقي وسعى في ارســـالنا الى الباخرة وكان اسمها No 33 Umaria وبعد مراجعته مـــع القائد الاكبر أمرونا بالمسير اليه فوجدناه جالساً على الارض فوق بطانيـــات فرشت له وبين يديه اوراق ودفاتر وخرائـــط كثيرة وهو منهمك



احدى البواخر التي اقلت المؤلف اسوة مع رفقائه الاسرى الى الهند وكان برتبة يوزباشي «رئيس اول» سنة ١٩١٤ وقد وزعوا تصوير الباخرة على الاسرى فاحتفظ المؤلف بهذه الصورة .

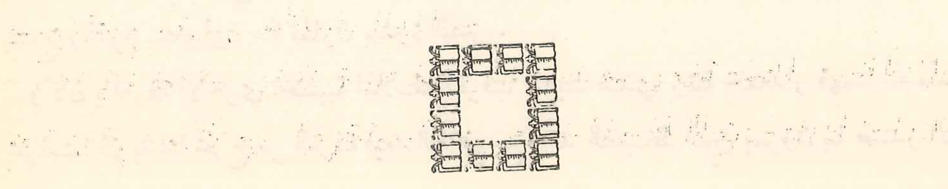
ـبلاحظتها فبعد ان رآنا امر فذهبوا بنا الى ساحل النهر ركبنافي زورق كبير نحن وجنودنا وركب معناقسم من جنودهم الهنود ايضاً معنا ضابط برتبة قائمقام (عقيد) فكان المومى اليه يســاعد الجنود الهنود لأركابهم فى الزورق ويدهم بيده .

ومما يجب ذكره هنا وجدناهم عند نقل الجرحى فى السديات (النقالات) كان يحمل كل نقاله اثنين من الجنود ولكن اذا كان المجروح هنــدياً فيحمله انكليزيان واذا كان انكليزياً فيحمله هنديان يعملون ذلك للتآلف بين الجنسين هذا من هذه الجهة ومن الجهة الاخرى ولا يساوون بين الانكليز والهنود لا في الرتب ولا فى المأكل أو الملبس ولا فى اي شيء آخر فكــان الهنود المســاكين ينخـدعون بأمثـال هــذه الشفقه اليابسه التي لا تكلف شيئاً مطلقاً .

أول الأسر ١٧ تشرين ثاني ١٩١٤ .

إطلاق سراحي ٨ نيسان ١٩١٩ .

اليوم	الشهر	السنه	التاريخ
١٣	١	٠	١٩١٤
٠٠	٠	١	١٩١٥
٠٠	٠	١	١٩١٦
٠٠	٠	١	١٩١٧
٠٠	٠	١	١٩١٨
٨	٣	٠	١٩١٩
٢١	٤	٤	المجموع



القسم الرابع - حياتي في الاسر

(الفصل الاول)

مدة البقاء في الباخرة اوماريا UMARIA

فوصلنا الى الباخرة اوماريا وكان ذلك في ٥ تشرين ثاني ١٣٣٠ (١٨ تشرين ثاني ١٩١٤) أنا والبيكباشي (المقدم) وأما مكي أفندي فقد أرسلوه الى باخرة اخرى خاصة بالمرضى فأرسلوا جنودنا داخل الانبار مع جنود آخرين كانوا هناك وهم الذين كانوا أسروهم فى واقعة سيحان وأرادوا ان يحشرونا معهم نحن الضباط ولكنا أبينا ذلك .

وعندها خصصوا لنا احدى الغرف الخشبيه ولا يوجد فيهـا شيء مطلقاً وحسب المهوم ان هـذه الغرف اليابسه هي معمولة لأجل اسكان بعض الركاب من الدرجة الثالثة فيها وهـم اصحاب الخيل الذين يـذهبون من العراق الى بومبي للحضور في السـباق تطبيقاً لخواطرهـم فاحتليناها ومعنا الچاوش (العريف) خليل مصطفى أبقيناه معنا لخدمتنا ثم أتونا بفراش من الجنفاص (قناويچه = كواني) محشوه بالحلفاء (القش) ومخاديد كذلك مثلهـا وبطانيات صوفيه بيضاء ولكن اللون الابيض كان قد فارقها منذ زمن لا يعلمه الا الله والراسخون فى علم كمياء الاوساخ . ثم فتشوا جيوبنا فأخذوا ما وجدوه من النقود وأعطونا وصلا بذلك كل بيده وعند اضطجاعنا على هذا القش والتحافنا بالبطانيات ماذا نرى جيشاً عرمرماً من القمل فاسقط في ايدينا (وصلت السكين الى العظم) قبلنا كل شيء الا هذا القمل وهو قد ملأ ثيابنا وانزوى في كل مفصل منا ، لو علمنا ذلك لرجحنا ان ننام على الخشب او نبقي ساهرين ، فلم يبق لنا بعد ذلك من شغل سوى التقاط القمل وقتله العملية الشاقة القـذرة ، فكلما افهمنا الذين اتوا بنا او الذين يمرون بنا بين حين وآخر من ضباط الانكليز للتفرج علينا بأنا ضباط مثلهم وكان يجب ان يضعونا فى قمار الموقع الاول او الثاني او على الاقل يخصصون لنا فراشاً نظيفاً فمن يقرأ ومن يسمع والقوم مشغولون عنا ثملون بنشوة النصر .

وكان بالغرفة الاخرى الخشبية الملاسقه لغرفتنا ضابط هندي برتبة جمعدار فهمنا انه مأمور بحراستنا فلم يدعنا نخرج من الغرفة فبعد التفاهم مع احد الضبـاط الذين يمرون بنا صدر الامر

للجمعدار المـذكور بأن لا يعاملنا معاملة المجرمين وأنما نحن محجوزون في الباخرة فقط وعلى ذكر الجمعـدار يجب ان ابين الرتب الهنديه التي تبرع لهـم بها اسيادهـم الانكليز وهي اولا الجمعدار (صاحب الجمع = الذي يجمع الجنود) .

ثانياً السپيدار (سپاه دار = صاحب الجند) .

ثالثاً السپيد آرميجر سپاهدار Migor = صاحب الجند الاعظم) .

وهـذه الرتب الثلاثـة هي دون أصـغر رتبه للانكليز وهي الكورپورال = الاونباشي نائب العريف Corporal) وفهمنا انه توجد رتب اخرى اعلى مما ذكرنا فلم نطلع على اسمائها ولا على درجاتها .

وعند المساء اتونا بخبز اسمر مدهون كخبز الصاج قد شوى فوق حديد المطبخ ومعه مرقة عدس يسمونه دال نصـفه تقريباً فلفل وما أشبه وأرز مطبوخ بدون سمن يدعونه (چاول) فلم نتمكن من الأكل الا يسيراً جداً سداً للرمق فكـان املنا ان نحصل هنا بعض الراحه بالنسبه لوضعيتنا في البستان فلم نحصل على شيء لا في الرقاد ولا في الغذاء .

وفي صباح اليوم التالي ذهب البيكباشي (المقدم) الى ربان البـاخرة وافهمه وضعيتنا فمـا كان منه الا ان امر له بمقدار من الخبز الابيض ومقدار من الجبن الهولندي وشيء آخر لا اتذكره بصفة هديه فجائني بها مسروراً وقال انظر كيف حصلت لك طعاماً شهياً قلت له وما نصنع بعد ذلك اذا نفذ هذا وهو لا يكفي سوى وجبة واحدة او يمكن جعله وجبتين اضطراراً هل نذهب الى الربان ونطلب غيره هذا لا يكون ابداً .

ثم انتظرنا فرصة مجيء احد الضباط وطلبنا منه تغيير الطعام فأجابنا بعدم امكان ذلك لأن هذا هو المخصص لنا وعرض علينا اذا كنـا نريد طعامنـا غير مطبوخ فانفرجت الازمه فوافقنا وفرحنا فبدأو يعطونا كل يوم مقدار من الطحين والدهن والارز وشيئاً من البتاتا اما اللحـم (فبعيـد اللبن عن وجه مرزوق) فبدأنا نطبخ الارز بالسـمن ونخبز الخبز بواسـطة الچاوش خليل يذهب الى المطبخ (مطبخ العمله طبعاً) فيستعمل ادوات الطباخ وصرنا نأكل طعامنا عمل ايدينا ، وكذا طلبنا من الضابط ان يأمر القمارو ت (البو طلر) ان يعطينا ما نريـد من الكانتين (الحانوت)

بالثمن فحصلنا على هذه المساعدة ايضاً فبدأنا نشرب الشاي ونأكل الخبز الابيض مع المربى وغيرها وتقدمنا فى الطلبات فصرنا نطلب طعاماً مطبوخاً من اللحم والدجاج وغيره فاسترحنا من جهة الأكل ولم يبقى غير مسألة القمل وهذه لايمكن حلها الا بتغيير الملابس وتبعيد الفراش وابن الملابس ! اتى مرة المتعهد من المحمرة لتزويد البوطلر (الحانوتي) بما يحتاجه من المأكولات الطريه في زورق فكلفناه بإحضار قمصان وسراويل لنا من النوع الفانيله فوعد ولم ينجز، فكنت البس السترة والبنطلون (السروال) على جسدي وأشرع بتنظيف الملابس الداخلية كل يوم مرتين والمصيبة الكبرى هي اذا نظفناها نوعاً ما ثم نمنا على الفراش المذكور فتمتلئ من جديد وهكذا الى انتقلنا الى الباخرة الثانيه وقد استمرت هذه الحاله عشرين يوماً .

رأينا باخرة آتية من جهة البحر وفيها فرج هندي ايضاً عنوانه (مدد ياهو) وهو آت كنجدة للقوات الموجودة فى البصرة فهمنا من جندي هندي مسلم كان فى الباخرة التي نحن فيها فسألناه عن سبب هذه التسمية فقال هذه هي العاده وكل الافواج الهنديه لها عناوين تشبه هذا العنوان ورأينا الجنود الانكليز الذين ينقلون بعض المواد الحربيه الي حصلوا عليها من جيشنا الى باخره كانت راسية بجانب باخرتنا انهم يرمون بنادقنا التي لا تصلح للعمل في النهر .

وقد اجتهدنا اثناء هذه المده بكل وسيله ان نرسل خبراً الى أهالينا في بغداد عن اسرنا وصحتنا ، من ذلك وجدت احداً من اهالي البصرة اعرفه لااتذكره الآن في زورق كان ماراً من جانبنا فكلفته ان يخبر عبد الرزاق چلبي السليم العباچي في البصرة عني وهو اذا فهم ذلك لا بد وأن ينتهز الفرصه لإرسال الخبر الى بغداد واذكر مرة جائت باخرة نهرية فاتصلت بباخرتنا وصعد منها الينا فرج افندي يوسف فرج الذي كان كاتباً فى بواخر شركة لنج من القديم وهو صديق والدي وهو الذي عدنا معه من البصرة الى بغداد كما ذكرنا في الفصل الثاني من القسم الاول من هذا الكتاب رآني فكلفته بإرسال الخبر الى اهلي فى بغداد فوعدني خيراً وأظنه لم يتمكن من شيء في ذلك الوقت ، ومرة اعطوا كلامنا ورق وظرف لنكتب كتباً الى اهالينا فيما اذا اردنا ذلك فكتبنا ما اردناه وسلمناه لهم ففهمنا بعد ذلك انهم لم يرسلوه وغالب الظن انهم ارادوا الاستفادة مما نكتبه لعلهم يستخرجون منه شيئاً يفيدهم .

وفى احد الايام جاء احد ضباط الانكليز وبيده اوراق فكتب فيها اسمائنا واسماء آبائنا ورتبنا والقطعات التي ننتسب لها وتاريخ اسرنا ونحو ذلك ثم اخذوا طولنا وأحضر ميزاناً فوزنونا به وقيدوا ذلك بجانب اسمائنا وكان وزني ١٨٠ باوند (ليبرة) وذلك في يوم ١٧ تشرين ثاني سنة ١٣٣٠ (٣٠ تشرين ثاني ١٩١٤) م

(الفصل الثاني)

الانتقال الى الباخرة ارينبورا (NO: 141 . ERINPURA)

والسفر بها الى بومبي

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٣٣٠ (٢٨ تشرين ثاني ١٩١٤) امرنا بالانتقال من هــذه الباخرة الى باخرة اخرى لأجل السفر الى بومبي فتحاسبنا مع البوطلر (الحانوتي) واعطيناه طلبه ثم تأخرنا الى يوم ١٨ تشرين الثاني ١٣٣٠ (١ كانون الاول ١٩١٤) وفيه انتقلنا الى باخرة نهرية حاذت باخرتنا اسمها (مالا مير) تعود الى حكومة المحمرة فســارت بنا الى باخرة اخرى بحريه تدعى (ارنيپورا)(No . 141 . Erinpura) كانت راسيه امام المحمره تماماً ولم نتمكن من اعطاء حق البوطلر لليومين الاخرين لأن دراهمنا كانت مع الانكليز وقــد طلبنا شيئاً منها لنعطيه فلم يلبوا طلبنا حيث كان يجب الانتقال تواً ولكنهم وعدوا ان يعطوه طلبه الذي بيناه لهم ثم فهمنا بعد ذلك انه لم يقبض شيئاً فصعدنا الى الباخرة المذكورة نحن الثلاثة البيكباشي (المقــدم) محمد علي افندي وكاتب السطور وضابط آخر يدعى لطفي افندي كان قد اتانا الى الباخرة الاولى قبل يومين او ثلاثة من مفارقتنا اياه وقد تركنا العريف خليل فى الباخرة الاولى حيث لم يوافقوا على ترفيقه معنا .

ومشينافوق هذه الباخرة بصحبة جنود محافظين ورئيسهم الجمعدار وهو غير ذلك الجمعدار الذي كان بجانب غرفتنا ثم امرنا بالوقوف وجاء مساعد الربان وسأل بالهنديه كيتنا سردار (كم ضابط) فاجابه الجمعدار بقوله تين سردار (ثلاثة ضباط) فذهب ثم رجــع وقال ليأتوا جميعاً فذهبنا خلفه وسرنا بين القمارير (المقاصــير) ذات الدرجه الاولى وبقينا نمشي الى ان اتى بنا الى قمارة (مقصورة) ففتحها فرأينا فيها البيكباشي (المقــدم) عبد القادر افنــدي وكان مجروحاً في عضده وهو آمر الفوج الامامي في واقعة سيحان وكانت القمارة (المقصورة) ذات ثلاثة اسره فوضع البيكباشي (المقــدم) محمد علي افندي معه وكان يقابلها قمارة (مقصورة) اخرى مثلها تماماً خصصت لنا انا والملازم لطفي افندي وقال لنا هـذا محلكم فعجبنا من ذلك، فصرنا انا ومحمد علي افندي كل ينظر فى وجه الآخر وقلنا أن المسألة فيها غلط فليس هذا محلنا لأن هذه المعاملة

تختلف عن معاملة الباخرة الاولى كثيراً فبهت البيكباشي (المقدم) عبد القادر افندي عندما رآنا قد أخذ منا العجب مأخذه فنقلنا له القصه بحذافيرها فقال هذا شيء عجيب لماذا لم تطالبوهم بحقكم قالنا اتظن اننا لم نفعل ذلك ولكن لم نجد من يصغي الينا .

ثم أتى مساعد الربان مرة أخرى وسألنا اذا كنا مطمئنين من محلنا هذا فشكرناه وذهب ثم اتى ثالثة وأرانا المصباح الكهربائي والمروحه وافهمنا كيفية فتحها وغلقها وبعد قليل اتانا بيبكباشي (مقدم) انكليزي حاملا يده معلقة في عنقه كان قد جرح في الواقعه وطفق يسألنا بالافرنسيه اذا كنا مستريحين في محلنا هذا ثم اتى مرة اخرى وقال تفضلوا لأريكم محل طعامكم فذهبنا معه وأرانا المطعم الخاص بالدرجه الاولى وقال هذه مائده (وكانت طويله تكفي عشرة اشخاص أو أكثر) لنا نحن الانكليز وإن شأتم أن تجلسوا معنا وإلا فهذه مائدة اخرى (وكانت مربعة الشكل وهي لأربعة أشخاص) إن أحببتم أن تشغلوها وأنتم أربعة فرجحنا هذه وكان قصده هذا طبعاً ولكن انظر الى أدبه الجم وحسن تعبيره ثم سألنا عن ما نشتهي ان يقدم لنا من الاطعمه ليأمر الخدم فيجهزوه لنا - فقلنا يمكننا نتناول كل ما يقدم لنا الا المسكر ولحم الخنزير فأمرهم بذلك ورجعنا الى محلنا فقلت للبيكباشي (المقدم) محمد علي افندي (من اين طلعت عين الشمس) هل بقي لديك شك في توهمهم فقال اما الآن فلا هذا هو ما يجب ان نعامل به واما اولئك اصحاب الباخرة الاولى فليسوا في شيء من الذوق وهنا اتسائل هل لإلحاحنا ومحاورتنا مع القنصل الانكليزي دخل في مسألة معاملة الباخرة الاولى ، لا أدري ! وسترى فيما يأتي من سفرتنا هذه ان المعامله التي رأيناها تختلف وتتشكل تبعاً للاشخاص المأمورين علينا .

وهنا وجدنا فراشاً نظيفاً فقبل كل شيء خلعت الملابس الداخليه ونظفتها من القمل على قدر الامكان واعطيتها لأحد خدام الدرجة الاولى فغسلها ثم نظفها مرة اخرى وكذا الملابس الخارجيه وطلبت ماء دافئاً فاغتسلت بحمام الباخرة ولبستها ونمت على هذا الفراش الوثير فاسترحت من القمل .

وبعد يومين قضيناها في هذه الباخرة وهي راسية امام المحمرة تحركت في ٢٠ تشرين ثاني ١٣٣٠ (٣ كانون اول ١٩١٤) ووصلت في ٢٦ تشرين الثاني ١٣٣٠ (٩ كانون اول ١٩١٤) بومبي (Bombay) .

كنا ندعى الى الطعام خمس مرات يومياً يأتينا احد خدام المائدة فيقول بالهنديه كانا (طعام) ولكن بعد يومين من سفرنا بدأت الباخرة تترنح وبدأ الدوار ولم نجد له من علاج الا الاضطجاع على السرير فبقينا هكذا بدون طعام وبدون حركة يومين كاملين تقريباً ومع هذا فخادم المائدة كان يأتينا على العاده في كل وقت فجائني مرة فطلبت منه اذا كان فى الامكان ان يأتيني بقطعه من الجبن وشيئاً من البسكت فأتاني بهما فصرت آكل وأنا نائم وفي اليوم التالي سكن البحر وقمنا وصرنا نذهب الى المائدة كالعاده وصرنا نتجول فى الباخرة في كل زاويه منها وكانت اخبار الحرب تأتي باللاسلكي فتعلق في لوح يقرأها كل من أراد .

وعند وصول الباخرة الى بومبي كنا فى سطحها نتفرج على الرائح والغادي فوق الرصيف فاحتجنا الى سكاير وكان شراء ذلك من البوطلر (الحانوتي) فى تلك الساعة غير ممكن رأى احد الاولاد الانكليز الذين يلعبون فوق الرصيف حيرتنا وفهم انا نريد شراء شيء ما وكانت معه دراجه فتركها وصعد الينا طالباً انجاز حاجتنا فأعطيناه دراهم فذهب على دراجته تواً وأتانا بما اردنا ويظهر انه كان كشافاً في الحين الذي ما كنا نحلم ماهو الكشاف فشكرناه ، فاستدللنا من ذلك على اخلاق الانكليز وهم صغار وهي لا تقاس بما يتخلقون به وهم كبار سيما فى الشرق وخاصة السياسيين منهم .

(الفصل الثالث)

السفر من بومبي الى (پونه)(poona)

ثم توجهنا مع احد الضباط الانكليز في سيارة بدون حارس الى المحطه وركبنا القطار فتقرب الينا بعض الهنود مرحبين بنا وقدموا لنا بعض المأكولات الناشفه كالبسكت وكذلك السكاير ومما يجب ذكره ان الهنود المسلمين سواء فى الباخرة الاولى أو الثانية او حين ركوبنا القطار كانوا يهدوننا بعض المأكولات اليابسه والسكاير خلسة سألنا بعضهم لماذا يهدوننا ذلك قال لأجل الثواب ففهمنا إنا كنا مستحقين الصدقه فى نظرهم .

وبعد ان تحرك القطار فى الساعة ١١ زواليه قبل نصف الليل اتانا رجل انكليزي ظهر لنا من شكله انه بوطلر القطار فسألنا ماذا نريد لأجل الفطور فى الصباح التالي فقلنا له اي شيء يتيسر ومتى تريدونه قلنا له بعد طلوع الشمس بقليل فجلس بجانبنا وتفاهمنا بالاشارات وبعض الكلمات الهنديه والافرنسيه لأنه كان لا يحسن غير لغته واشترينا برتقال من احدى المحطات فأعطيناه اثنتين منا فوضعها في جيبه الاعلى الخارجي وهو يضحك ويتلطف فى محادثته نفهم منها القليل ثم ذهب وأتانا صباحاً حسب الموعد حاملا بيده صينيه وعليها ادوات الحليب والشاي والبسكت وغيره فأكلنا وانتظر ثم اخذ الاواني وذهب وسترى انه هو بعينه فعل نفس الكيفيه عند رجوعنا من پونه الى بومبي وستعلم من هو عند الكلام هناك .

وبعد ان مررنا خمسة عشر نفقاً (تونل) او أكثر تحت الجبال وكنا نشم رائحة كريهه عند دخولنا كل نفق فظننا ان رائحة عفونة الارض هناك اذ ربما الجبال المذكورة تحتوي على معادن هذه رائحتها وأخيراً فهمنا انها رائحة دخان القطار لأنه كان ينحبس داخل النفق ويدخل غرف القطار فلما احكمنا اسداد النوافذ لم نعد نشم مثل هذة الرائحه .

فوصلنا پونه عند الصباح والمحطه كانت بعيدة عن المدينه وكان معنا مقدار ثلاثين نفراً اسرى من جنودنا ، فبعد تأخرنا مقدار ساعتين بين بقاء فى عربة القطار وبين انتظار فى المحطه صدر الامر من الضابط الذي استلمنا بان ننتظم اربعه اربعه بدون تفريق بين الضباط والجنود كالوضعيه التي رأيناها عند اول اسرنا عندما حشر معنا حتى العميان تكتنفنا الحرس شاهرين الحراب فى

رؤوس بنادقهم ظننا ان المسافه قصيره فلم تزل نمشي اكثر من نصف ساعه وكلما تباطأنا في المشي غمزونا بمؤخر بندقيانهم ، ففي انتقالنا من محل الى محل لا بد وأن يقع تسلم وتسليم من قبل الضباط الموكل اليهم امر سوقنا ومحافظتنا فليت شعري هل استلمنا الضابط بأنا جنود هذا لا يكون ابداً فيستحيل انه كان يجهل حقيقتنا خاصة وأن العلائم لم تزل كانت موجوده فوق اكتافنا ولكنه تجاهل ذلك وغمز الجنود الهنود المسخرين لنا بمؤخر بنادقهـم لا بد وأنه كان بأمره فسلمنا امرنا لله ومشينا مسـرعين خوفاً من التحقير اكثر من هذا . وهذا الضابـط من اوحش من رأيناه من الانكليز وليس عنده ذره من الذوق والمجامله المعروف بها الانكليز حتى مع اعدائهم الشخصيين ونحن لسنا اعدائه شخصياً وانما العداء سياسي وبين الحكومات فأين هذا من اولئك الاشخاص مساعد الربان والبينبكباشي (المقـدم) فى الباخره No 141 Erinpura والشخص الذي قدم لنا الطعام فى القطار وحتى اولئك في الباخرة الاولى فقد كانت عندهم مجامله وانسانيه بالنسبه لهذا الجلف الى ان وصلنا المدينه ثم الى ثكنه هناك في طرف من المدينه واقعه على تل وفي أثناء المسير كان الهنود يمرون ويقفون افواجاً يتفرجون علينا فدخلنا الثكنه وفارقنا ذلك الوجه الاغبر .

(الفصل الرابع)

مدة البقاء في بونه (عشرون يوماً)



صورة المؤلف بلباسه المدني في پونه ـ الهند عندما كان أسيراً ومدة الاسر كانت اربعة سنوات وأربعة أشهر وواحد وعشرون يوماً من ١٧ تشرين ثاني ١٩١٤ الى ٨ نيسان ١٩١٩ .

خصصوا لكل منا غرفة وفيها سرير حـــديـــدي وفراش من القش ولكن لا بأس به مغلف بقماش خاكي وهو قطعتين توضع الواحـــده بجانب الاخرى تسمى كل منها بسكت لأنها بشكل البسكت الكبار الخاص بالجنود وبطانيات نظيفه متعـــدده منها لأجل مدها فوق السرير ومنها لأجل الغطاء فكان الموظف علينا هناك عريفان انكليزيان احدهما اسمه توماس والثاني اسمه هاين وكانوا في اتصال معنا في اغلب الاوقات فانهما لا بأس بهما فقد عملا معنا من الانسانيه كل مافى وسعهما وصلاحيتهما وتعذرا صراحة فى ما خرج عن دائرة صلاحيتهما .

فقدموا لنا طعامنا في اليوم الاول لا بأس به اقول طعامـــاً ولكن لا تتصور انه متنوع وعلى مائدة منظمه بل طعام جندي انكليزي ولكنه مطبوخ جيداً ثم اتانا الجنرال فى اليوم التالي وسألنا اذا كنا مستريحين وطلب ان نعرض عليه طلباتنا فطلبنا ان يكون طعاماً ناشفاًفنطبخهنحن فاجابنا الى ذلك وامر حالا فشيدوا لنا مطبخاً فى محل خال من الثكنه وبالقرب من غرفتنـــا من الواح الچينكو (Corrug ated gon Sheets) والخشب وجهزوا لنا قدوراً وصحوناً وملاعق وادوات شاي وكل ما يحتاج اليه المطبخ فكان يأتينا اللحـــم والخبز الابيض والارز والســـمن والبتاتا والشاي والسكر اي تعيين انكليزي وليس هندي فالذي كان يعطى لنا بالباخرة الاولى فكلفنا احد جنودنابادارة المطبخ فبدأ يطبخ لنا الطعام ويقدمه حسب طلبنا .

بقي علينا المهم ان نحصل على البسه داخليه لأن البستنا ذات القمل لم تعد تصلح لشيء فأرسلنا خبراً الى الجنرال بواســـطة العريفين الآتي الذكر فحضر فى صـــباح اليوم التالي بلباسه الرسمي وفوق قبعته الريش الابيض فطلبنا منه شراء الثياب المذكوره وبعض الادوات الاخرى كأدوات الحلاقه والسكاير وغيرها وكان لا يعرف الافرنسيه فحاولنا افهامه بالهنديه التي كناقدتعلمنا منها شيئاً يسيراً فلم تكفي وأخيراًتكلم مع العريفين توماس وهاين بالانكليزيه ففهمنا انهم اشاروا عليه باحضار عريف آخر ذكروا لهاسمهبأنهيعرف العربيهفأمر باحضاره حالا فحضر فسأله ان كان له معرفه بالعربيه فأجاب بالايجاب فوجه العريف المذكور نظرة علينا فبدأنا نبين طلباتنا بكل تفصيل ووضوح وهو مصغ الينا ثم قال (كويس) بلغة سوريا او مصر فسأله الجنرال عمازيده فكلمه بالانكليزيه ولم ندري ما دار بينهما الا انه توجه بنظـــره الينا للمرة الثانيه كأنه يستفهم فسردناله الموضوع مرة اخرى فقال (زي بعضو) ثم تكلم هو والجنرال فعرفهالجنرال فتبين

ان المسكين لا يعرف من العربيه غير (كويس وزي بعضو) والذي اوقعه في هذه الورطه لابد ان يكون ادعائه بين رفقائه انه يعرف العربيه وكانوا يصدقونه طبعاً لعدم معرفتهم بها .

واخيراً عن للجنرال ان يكلمنـا بالفارسـيه لأنه يحسنها فانفرجت الازمه فكان البيكباشي (المقدم) محمد علي افندي له المام بها تساعده الاشارات ففهم الجنرال ما أردناه تماماً فوعد ان يرسل الينا ضابطاً يحسن الافرنسيه ليذهب معنا الى المدينه فنشتري ما نريد وأنجز وعده .

فجاء الضابط المذكور فتفاهمنا معه وأخذنا ومضى بنا الى السوق في عربه فأتى الى مخزن بضائع صاحبه انكليزي بالطبع والمحل من الطراز الاول بناية ضخمه جميلة المنظر حواليهـا حديقة ويحيط بالحديقة سور كأنه قصر ملكي والاشياء هناك غاليه الاثمان خذ مثلا واحداً وهو فرشة الصابون للحلاقه ثمنها اربع روبيات وأربع آنات وقس عليها ، فاشترينا ثياب قطنيه وصوفيه وسراويل وقمصان خاكي وربطات رقبه وأدوات حلاقه كامله وسكاير وغيرها وحقيبة جلديه لوضع هذه الاشياء بها دون مساومه طبعاً فأتتنا الى الشكنه ومعها قائمة بالحساب لكل منا فدفعت من الدراهم المحفوظه لنا في المكتب عنـدهم ثم طلبنا مرة اخرى ان نعمل البسه فوقانيه فاتونا بخياط انكليزي (بالطبع) ومعه نماذج من الاقمشه فرأيناها غالية الاثمان لايوجد من بينها ماقيمة البدله منه اقل من (٩٠ روبيه) على ما أذكر فلم نرض بهذه الاثمان وطلبنا بعد يومين ان نذهب الى السوق لأجل عمل الالبسه المذكوره فجائنا ضابط آخر يعرف الافرنسيه وهو غير الضابط الاول فقال ماذا تريدون من الذهاب قلنا لأجل عمل البسه قال ثم ماذا (قلنا لنجرب ونطلب منه التجوآل في المدينه) فقلنا ثم نتفسح قليلا فرأى ان هذا الاخير ربما يتطلب نفقات فقال هل تحملون معكم دراهم فقلنا لا نحمل شيئاً وإنما دراهمنا معكم في مكتب الشكنه فإن شئت رجعنا واتينا بمقـدار كاف منها فقـال لا حاجـة لنذهب فركبنا عربة وذهبنا الى المدينه فأدخلنا في نفس المخزن الآنف الذكر واذا بنا تجـاه نفس ذلك الخياط الذي رأيناه في الشكنه فتعارفنا وقلنا له نريـد بدلات ارخص من التي عرضها علينا اولا فقال هذه لا تجدونها عندي ففهم الضابط القصـد فمضى بنا الى خياط هنـدي في سوق المدينه فتسـاومنا معه واخيراً قر الرأي على عمل بدلتين الواحده لي والثانيه للبيكباشي (المقدم) محمد علي افندي قيمة كل واحدة منهما ٣٥ روبيه ولـكن يجب الاعتراف بأن هذا القماش غير تلك الانواع التي عرضها علينا الانكليزي وبعد اخذ قياس

اجسامنا وعدنا ان يأتينا بهما بعد اربعة ايام ثم ذهب بنا الى مقهى (كازينو) اصحابها انكليز وهي من حيث البناء والحديقه وسورها اجمل وافخم من مخزن البضايع المار ذكره فجلسنا هناك مدة اكثر من نصف ساعه وطلبنا الشاي فجيئ به وشربناه مع الحليب وانواع من الكيك فدفع الضابط المذكور قيمتها من جيبه مع البخشيش ولا ندري اذا استوفى ذلك من حكومته او من دراهمنا المحفوظه عندهم أم لا . وكان فى تلك الكازينو دواليب ملأى من انواع البسكت والكيك والجبن والمربى وغير ذلك بأشكال الفواكه وحتى بأشكال بعض الادوات الاخرى مثل الصابون وغيره من المواد الاخرى .

وكان احد رفقائنا المدعو شوكت افندي بحريه مريضاً وهو الذي جرح في واقعة الزورق الحربي (وعامة البصرة والعشاير يدعونه وآخر مثله بفروخ اي اولاد مرمريس البارجة العثمانية) فقد اشتد مرضه ولم يعد يفيد فيه علاج الاطباء بعد ان قطعوا ساقه مرتين فتوفى وقبل وفاته اتانا الجنرال يسالنا غن حضورنا وما نريده عن كيفية تجهيزه ودفنه وغير ذلك فقلنا له لا بد وأن سيتولى ذلك بعض المسلمين الهنود عندكم وهم يعرفون الاصول ويكفي ان يأتي لتشييعه بعض المسلمين ونحن معهم فقال نعم يأتي معكم مسلمون ولكنهم جنود قلنا لا بأس فرأيناهم بعدذلك بزي اهلي على نسق واحد ورقم وحداتهم مسطور فى لوحة معدنية مربوطة فى وجه احذيتهم ثم طفق يسألنا اذا كان ممكناً حضوره هو وبعض الانكليز قلنا هذه انتم تعرفونها مع المسلمين عندكم اذا كانت قد جرت بحضوركم مثل هذا التشييع واما نحن فلا نرى بأساً بما هو متبع فى البلاد وأظنه اراد ان نمتنع لكي لا يحضروا ويعمل بذلك علينا فضلا وفي النتيجه لم نر احداً منهم قط فتوفى الرجل فى كانون الاول ١٣٣٠ (٢٢ كانون الاول ١٩١٤) فحضر امام مسجد القصاب في پونه وبضعة رجال آخرين فتولوا غسله وتكفينه بحضورنا والقصاب هذا رجل كان من الاغنياء فأنشأ جامعاً فى بومبي وآخر فى بونه وربما غيره في بلد آخر وقد اشتهرت بإسمه .

وقد استعملوا اغلى المواد للتجهيز والتكفين واعتنوا اعتناء لا مزيد عليه ثم وضعوه على نعش مسطح كلوحة باب لها اربع خشبات ممتدة من الاركان الاربعة وعمل فوق النعش كهيئة القبه من اغصان الاشجار مشبكه فى بعضها ووضعوا فوقها قماشاً ثميناً وفوقه شبكة معمولة من التيل الذهبي الذي يستعمل في تطريز الثياب وفى كل عقدة منها ازهار متنوعه ملونه احمر وابيض

واصفر وغيره وكانت تغطي القبة وتتدلى على الجوانب واحضروا لنا عربة ركبنا فيها البيكباشي (المقدم) محمد علي افندي وكاتب السطور والملازم لطفي افنـدي وخصص مقدار عشرة من الجنود بلباسهم الرسمي مركبين الحراب فى رؤوس البنادق ومعهم رئيسهم السپيدار (سپاه دار) وكلهم مسلحون وقد ركب معنا بالعربه السپيدار فصرنا اربعة فخرج الموكب من الثكنه على الهيئة الآتيه النعش وقد حمله الجنود المذكورين آنفاً بالملابس الاهليه والباقون منهم يمشون وراءه ثم عربتنا تحوطها الجنود الرسميون مع بنادقهم فضننا ان سنمشي على هذه الصوره الى المقبره ثم نرجع فى اسرع وقت ولكننا بعد ان ابعدنا عن الثكنه بمقدار عشرين متراً تقريباً واذا بالجماهير الغفيرة من الهنود اكتنفت العش والوجوه والاغنياء منهم احتاطوا بعربتنا والجنود وضعوا الحراب في اغمادها والبنادق تحت آباطهم وكلما مشينا خطوه ازدادت الجماهير الى ان وصلنا بعد قليل الى مسجد القصاب وبعد ان صلينا على الجنازة رفعت واستمر السير وكان عرض الشارع خمسة عشر متراً تقريباً فكنت أرى الناس ممتده على طول الشارع وبإزدحـام شديـد فقدرنا الموجود فى حينه بعشرة الآف نسمه دون مبالغه وقد اجتمع العلماء والقراء وبدأو يقرأون المولـد النبوي منهم قرآء ومنهم مرددون يتلون القصائد وغيرها ولا أظن ان هذا الموكب يقل عن اي كبير عندهم وحسب الذي سمعناه بعد ذلك ان قسماً كبيراً منهم كان قد اتى من بومبي وعندما ساد الظـلام لأنا كنا خرجنا قبل الغروب بقليل وكانت مصابيح اللوكس تعد بالعشرات محموله كل واحده على صندوق مربع الشكل فوق الرؤوس على مسافات متساوية ومتقاربه كافيه ان تجعل الليل نهاراً فكانت الشبكه ذات الازهار تلمع لمعاناً يبهر الابصار .

فبقى الموكب يسير على هذه الصوره اذا صح ان نسميه سيراً لأنه كان يمشي خمسة ثواني ويقف عشرة دقائق تقريباً وهكذا الى أن وصلنا المقبره فى ستة ساعات كامله كل هذه المده والنعش محمول على الاعناق وقراءة المولود مستمره والنفوس فى نفس الحماس لا يسأمون ولا يضجرون ولم يفارق الموكب احداً ونحن في عربتنا كنا شبه الجالسين فى غرفه نتحادث فيما بيننا .

عند اول خروجنا من الثكنه وبعد قطع ثلثمائة متر تقريباً تقدم شرطي انكليزي قليـلا نحو وسط الشارع ولاأدري ما كان قصده فهجم عليه الهنود ودفعوه وأخرجوه فخرج ورجعوا وهم مستبشرين ضاحكين .

مساكين الهنود لم يبق لديهم مايعتزون به غير المواكب الدينيه عالمين ان الانكليز لايعارضوهم بها ولا يرضون بتدخل موظفيهم ولهذا تراهم تشجعوا وأخرجوا هذا الشرطي وفي غير ذلك مطأطئي الرؤوس .

كان معنا بالبصره في الزمن الاخير مهندس هندي فى بلدية البصره اسمه امير الدين كان عنده خادم من اهالي كوت رزنه ذكر امامه هندي آخر كان موظفاً في الصحه ولقبه بالصاحب فغضب امير الدين وقال له لماذا تلقب هذا بالصاحب وهذا ليس بصاحب انما اصحاب لقب الصاحب هم النصارى (يريد الانكليز) فلم اصبر على سوء فهم هذا الهندي وجبنه الى هذا الحد فقلت له لماذا لا ترضى ان يلقب احد ابناء جنسك بالصاحب ولفظة الصـاحب عربيه ومستعمله عندكم قبل ان يحتل الانكليز بلادكم كان اجدادكم يلقبون بها وجهائكم وكل من يريدون مجاملته واحترامه ولا ترضى ان يلقب بها هندى مثلك فهذا هو الصاحب وانت الصاحب ثم قلت له ليس غريباً ان تكون هذه فكرتك لأن كل الموجودين الآن من الهنود مولودون في زمن احتلال الانكليز فشبوا على هـذه المسكنه فسكت ولم يحر جواباً ولكنه بقى في تفكير عميق فتركته ومضيت.

لنعد الى الصدد فنقول كنا لم نأكل شيئاً في الثكنه لعلمنا انا سنرجع بعد ساعه على اعظم تقدير وكان الذي يحيطون بالعربه يقدمون لنا النامليت والسكاير فقط لعلمهم ان هـذا ليس وقت طعام خصوصاً ان الوضع لا يساعد على ذلك فبقينا جائعين .

وبعد الوصول الى المقبره وجدنا القبر لم يجهز بعد لأن الارض صخريه وهم لايحفرون وانما ينحتون الصخر نحتاً فبقينا هناك ما يقارب الساعه من الزمن فقالوا لنا أخيراً ربما يحضر القبر بعد ثلاثة او اربعة ساعات اخرى وكلفونا بالرجوع خصوصاً المأمور بنا الاسپدار يهمه ان يرجعنا الى الثكنه ويسلمنا ليستريح .

فرجعنا في نفس العربه وما هي الا ربع ساعه بالضبط حتى وصلنـا الثكنه ففتشنا عن طعام مايسد الرمق استعجالاً للنوم ونمنا ، فأخبرنا الهنود وكذا السپدار بانه يجب علينا زيارة القبر فى اليوم الثالث وفهمنا ان هذه العاده عندهم جاريه فقلنا للسبيدار هذه في عهدتك يجب ان نطلب الأذن وتأتي بنا للزياره فوعد بذلك ووفى بوعده ، فذهبنا معه فى صباح اليوم الثالث بدون اي جندي فزرنا القبر ، فوجدنا العلماء وجمهوراً آخر من وجهاء الاهالي مجتمعين في المقبره وقد احضروا

شبكة اخرى ملأى بالأزهار ايضاً غير تلك التي كانت على النعش لأن الازهار كانت طريه وفرشوها بحضورنا فوق القبر الذي كان مسنماً بالتراب فقط ، ثم احضروا مقدار عشرين سله مملوءه بأنواع الفواكه كالموز والعنب وغيرها ثم اصطف الجميع حول القبر ونحن معهم وقرأة الادعيه وفي آخرها الفاتحه على روح الفقيد وقد اتوا بطلاب مدرسه للايتام عندهم فأصطفوا على طول السلال المذكوره وقرأوا الادعيه ثم الفاتحه فأمروهم ان يتناولوا ما فى السلال وتقاسموه بينهم .

ثم اخذ بيدنا بعض اعيانهم وتوجهوا بنا داخل المقبره وطلبوا منا ان ننتخب شكلا نرتضيه من انواع البنايات التي فوق القبور ليشيدوا قبر الفقيد مثله فقلت لهم اي شكل توافقون عليه



تصوير المؤلف بلباسه الملكي وهو أسير فى معتقلات الانكليز في پونه - الهند .

فنحن نرضى فقال لي البيكباشي (المقدم) دعنا نجاريهم بالاهتمام بذلك فتذاكرنا بهذا الخصوص وأخيراً قر رأينا على نوع منها وشكرناهم على صنيعهم من الاول الى الآخر ، وطلب منا السيدار اذا كنا نريد ان نصلي الجمعه يوم غد فى مسجد القصاب قلنا يا حبذا لو حصل لنا الأذن بذلك ولكن ليس لدينا ما يليق من اللباس حيث كنا اوصينا احد الخياطين بعمل البسه ولكن ليس موعد اتمامها اليوم فوافق ان يذهب بنا الى الخياط فعرفناه اسمه هو (سكارام توكارام) فتمكن من ايجاد محله بالسؤال عنه فرجا منه ان يحضرها لنا صباح اليوم التالي اذا امكنه فوعد وبر بوعده ، ثم ذهبنا الى الثكنه وبتنا تلك الليله واذا بدق على باب غرفتنا فجلسنا واذا بالظلام لم يزل ولم يسفر الصبح بعد فرأينا امامنا الخياط المذكور ومعه الالبسه جاهزه وحاجات اخرى كنا اوصيناه بشرائها ، ولكن لم نوفق للذهاب الى الجامع .

كان الحراس علينا في الثكنه هنوداً غير مسلمين ثم ابدلوا بمثلهم من المسلمين اذكر احدهم كان اسمه عبد الرحمن رجا منا قبول ضيافته فقلنا له هل من الممكن الخروج من هذا معك قال لا ولكن آتي به اليكم هنا فقبلنا منه ذلك ، فانتظرنا وقت الغروب وبعده بقليل فلما لم يأت اكلنا طعامنا وبعد مقدار ساعه تقريباً اتى بالطعام المذكور وكنا نبهناه ان لا يكون كثير الفلفل فكان طعامنا نفيساً شرقياً ارز مطبوخ على طريقة (البرياني) وصحن آخر فيه اللحم قطع صغيره ومعه المعدنوس فما نعمل والوقت لا يساعد على حفظه للصباح ذقناه فقط وحفظناه لا اتذكر اكلنا منه شيأ وقد اكله في الصباح خدامنا ، نحن اسرى مسلمون يجمعنا مع الهنود المسلمين الدين فما الذي يخشى من اكرام مسلم لمسلم في اي حالة كانت فالمدفعيون الهنود حصلت عندهم من الشجاعه ما امكنهم ان يطلبوا من قائدهم اكرامنا ونحن فى اول اسرنا عندما كنا فى معسكرهم في كوت الزين وهؤلاء لو طلبوا ذلك لما عارض الانكليز ولكنهم لم يتجاسروا على ذلك حتى انهم اتوا بالطعام بعد ان اختلط الظلام تماماً واظن ان الانكليز استخبروا بهذه الضيافه وانها اتت الينا ليلا بواسطة جواسيسهم من الجنود المسلمين انفسهم فأبدلو الحراس الهنود بحراس انكليز .

اذكر لما كنا في العربه خلف جنازة شوكت افندي ركب معنا بجانب السائق شخص قدموه لنا بأنه ابن قاضي پونه ثم قالوا لنا خلسة انه جاسوس . فهذا الذي مكن الانكليز من استدامة الاحتلال البعض يتجسس لهم والبعض الآخر يتغامز عليه فقط ولا يسعه عمل شئ .

(الفصل الخامس)

الرجوع من بونه الى بومبي والانتقال الى الباخرة تونغوا

وبعد مضي عشرين يوماً كامله لوجودنا في هذه الثكنه في پونه صدر الامر بسفرنا فذهبنا يوم ١٧ كانون أول ١٣٣٠ (٣٠ كانون أول ١٩١٤) جميعاً ايضاً الضباط والجنود الى المحطه مرة ثانيه ولكن نحن الضباط في عربة هذه المره وركبنا القطار وسرنا مخترقين الانفاق وصادفنا نفس الشخص الذي قـدم لنا الفطور في مجيئنا فسألنا عن ما نريـد للافطار ووقته فقلنا كما قلنا في المجيىء فقدمه لنا بيده كما فعل أولا ووصلنا بومبي ووقف القطار في محل من المدينه ولكن بقي ينتقل من خط الى خط مدة ستة ساعات كامله قيل انه يعمل مانوره ولكن اي مانوره هذه بين كل تبديل خط بآخر مقدار نصف ساعه او اكثر الى ان ضجرنا وبعد ذلك امرونا بالخروج منه والذهـاب الى الباخره لأنا حسب ما قيل لنا سنذهب الى بورما والبعض يقول الى رانكون ولم نتذكر مادرسناه في الجغرافيه عن بورماورانكون وفهمنا بعد ذلك ان رانكون هي ميناء بورما وبورما مقاطعه كبيره تقع بين الهند والهند الصينيه وقد احتلها الانكليز قبل عشرين سنة او اكثر.

وعند توجهنا الى الباخره ونحن نمشي على الرصيف قابلنا عن بعد شخص انكليزي ببزة عسكرية وبيده آلة تصوير هو يمشي ونحن نمشي الى ان تلاقينا وبالمسافة التي يمكن اخذ الصور فيهـا وقف وأشار لنا بالوقوف بكل تلطف وابتسـام فأخذ تصويرنا ثم تقرب فصافحنا فإذا هو صاحبنا الذي كان يقدم لنا طعام الفطور في القطار ورتبته قول آغاسي (رئيس اول) فانظر الى حسن ادب هذا وقايسه بذاك الذي جعلنا نمشي من المحطه الى الثكنه في پونه .

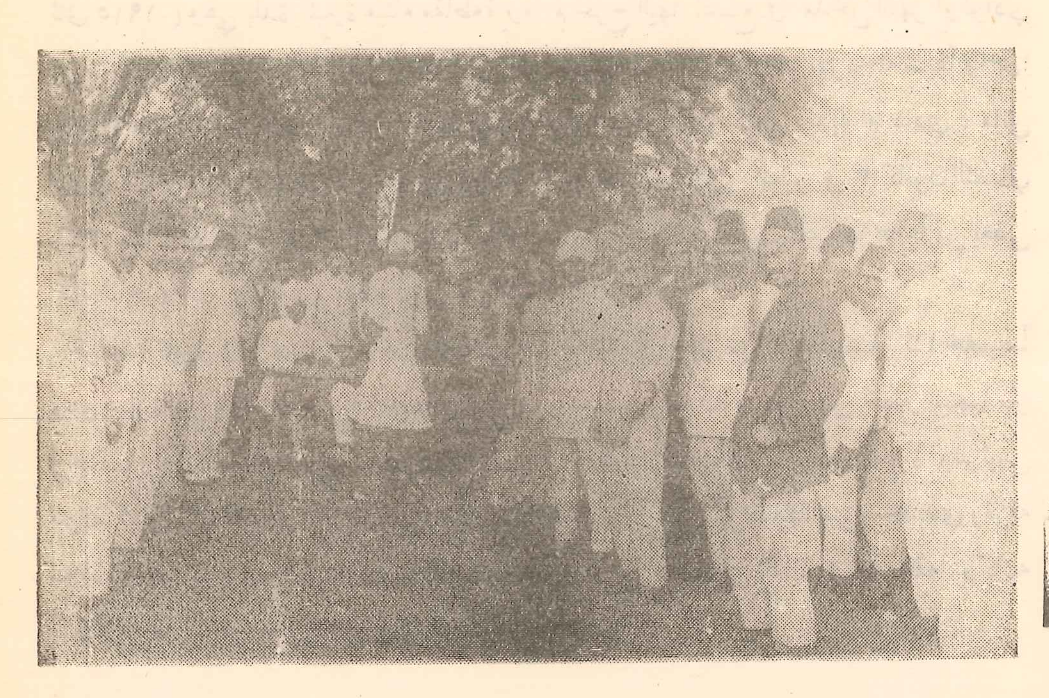
لقد اجتهـدت كثيراً لأرسل خبراً لأهلي في بغـداد عن اسري وصحتي ليطمئنوا وتشبثت بأنواع الصور فلم افلح وفي بونه ايضـاً طلبنا ان نرسل كتباً لأهالينا فوافقوا واعـطونا ورق وظرف فكتبنا ما أردناه باللغة العربية ومرة ثانيه باللغة التركيه وثالثه بالافرنسيه لأني تصورت انهم هنا ينبغي ان يجدوا من يعرف اللغة العربيه او التركيه ليفهموا ما في الكتاب ثم يرسلوه وفي النتيجه لم يرسل ولا واحد .

ثم ركبنا الباخرة وكان اسمهـا تونغوا (No: 28 S. SThongwa)

(الفصل السادس)

السفر من بومبي الى رانكون ثم تتميو

وجدنا فى الباخرة الأسرى المأخذوين في واقعة القورنه التي احتلها الانكليز فى ٢٦ تشرين ثاني ١٣٣٠ (٩ كانون الاول ١٩١٤) ومعهم قائد منطقة البصرة وواليها المير لاي (الزعيم) صبحي باك ومن الضباط ٣٨ ضابطاً وجنوداً عددهم ٩٨٩ كان منهم ٦٤٠ مسلح والباقون بدون سلاح عندما اسروا فى القرنه فاندمجنا معهم .



صورة الأسرى في الهند للحرب العالميه الاولى
اخذت الصوره فى رانكون من قبل المؤلف
نظراً لهوايته في التصوير
أما بقية التصاوير والزجاج فقد تلف نظراً لمرور خمسون عاماً عليها

وعند حصولنا فى الباخرة وجدنا الضباط جميعاً فى حيرة من امر اخبار أهاليهم عن اسرهم ونحن كذلك كنا فى شك من ارسال كتبنا فيما سبق والجميع راجعنا القائد صبحي بك فتشبث لدى الانكليز بأن يرسلوا برقية بأسمائنا الى بغداد ليطمئن أهلونا فوافقوا وأنجزوا ما وعدوا فقد ارسلت البرقيه بإسم مركز قوماندانی(آمر الانضباط)وفهمنا بعد ذلك ان آمر الانضباط فى ذلك الوقت نسخ صور منها وعلقها فى محل من القشله ليراها جمع الناس وبذا أخبرنا أهلونا .

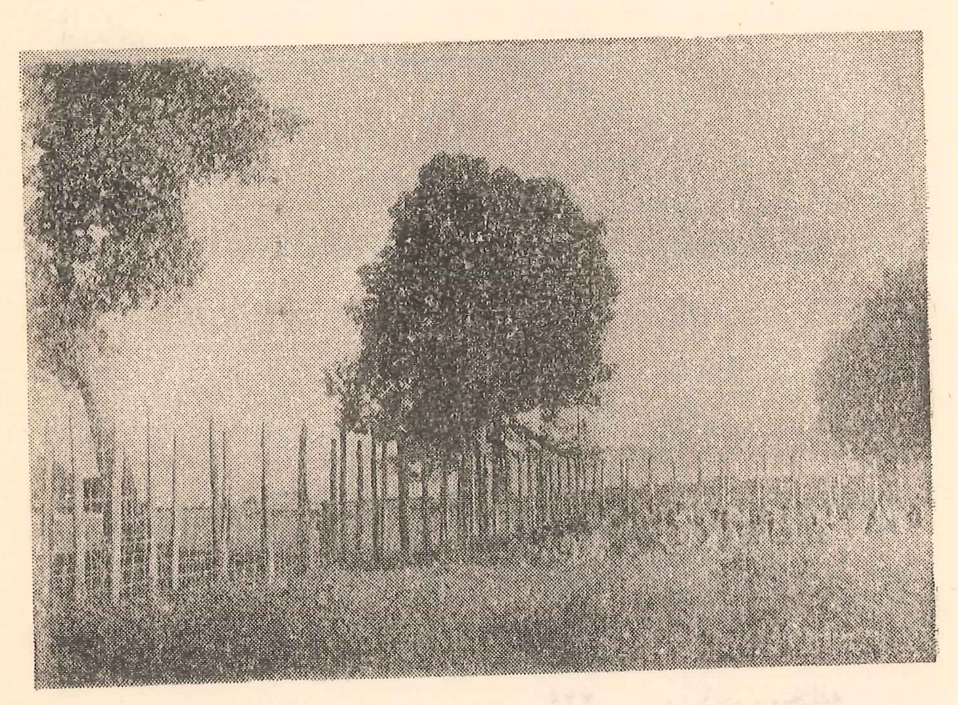
وبعد مسيرة عشرة ايام كامله وصلنا رانكون (Rangoon) في ٢٩ كانون أول ١٣٣٠ (١١ كانون ثانی ١٩١٥) وهي بلدة كبيرة ميناء مقاطعة برما لم نخرج اليها تقع فى مدخل النهر ايراوادي (Irawadi) فانتقلنا من الباخره تونغوا الى باخره نهريه مثل اكبر بواخر نهر دجله سابقاً واسمها چاينا (China) ومعها دوبتان ارقامها (115.144) وبعد مرورنا على ديديه او دادي ، مانلي دنوبي ، بياو ، مياو ، وپروم (prome) وصلنا (Thayetmyo) تتميو في ٣ كانون الثاني ١٣٣٠ (١٦ كانون الثاني ١٩١٥) وهذه الاسماء لم نتأكدها جيداً حيث تلقيناها سماعاً من بعض عملة الباخره اذ ربما البعض منهم ليس من هذه البلاد .

فوصلنا تتيمو وخرجنا من الباخره الى محل خارج المدينه وبعيد من النهر أعد لنا خصيصاً وهو عبارة عن بنكلات متفرقه محاطه بمربع من الاسلاك الشائكه مزدوج على خطين بينهما متر ونصف وأحد اضلاع المربع يساوي ٢٥٠ متر تقريباً فاعطوا كل ملازم غرفة صغيرة وللرئيس غرفة كبيرة وللمقدم غرفتين كبيره وصغيره فاحتليناها وأعطى لكل ضابط سرير حديدي وفوقه دوشك وبطانيتين ومخدة واورتي غطاء ومنضده وكرسي وخصص للقائد ومرافقه وكاتبه بنكله مربعة الشكل تحتوي على عدة غرف وأروقه .

(الفصل السابع)

مدة البقاء في تتميو سنة واحده

كانوا يعطون لكل منا ارزاق نفر انكليزي نأخذه غير مطبوخ وخصصوا لنا موائدفى الطابق الاسفل من احد البناكل . والبناكل هذه كانت خشبيه كلها ذات طابق فوقاني فقط مرتكزة على اعمده متعدده مركزة فى الارض وبينهما خال بحيث اذا نظر الانسان من اي جهة يرى الجهات الاخرى جميعاً وفى طرفي البنكاله سلمان من الخشب يصعد بواسطتهما الى الطابق الفوقاني ونحن خصصنا من جنودنا مقدار أربعه او خمسه طباخ ومساعدين فينظمون المائده



تصوير الاسرى العرب والاتراك في واقعة كوت الزين والقرنه في تتميو - الهند وتجدهم جالسين امام الحراس الانكليز والهنود بالقرب من الاسلاك الشائكه بالمعتقل الذي خصص لنا

ويخبروننا فنحضر للاكل وما هي المائدة عباره عن لون واحد هي البطاطا مع اللحم وقت الظهر وهي هي مع الارز وقت المغرب وهذه لم تـدم حيث عنـد ما بدأوا يعطوننا راتباً قطعوا عنا الارزاق المذكوره فاشترك كل اثنين او اكثر الى السته تقريبـاً باحضـار طعامهم بواسطـة خدامهم .

وكانوا يعطون للجنود في بادىء الامر تعييناً (ارزاقاً) مثل ارزاقنا اي تعيين نفر انكليزي ثم بعد مـدة قليله في ١٩ تشرين اول ١٣٣١ (١ تشرين ثاني ١٩١٥) جعلوهـا نوعين تعيين اوربائي وتعيين آسيائي خصصوا الاوربائي بالجنود الاتراك والآسيائي بالجنود العرب المقادير الآتيه لكل جندي :-

أوربائي	آسيائي	
غرام	غرام	
٢٢٤	٠	خبز
١٦٨	٠	لحم
١٦٨	٠	مخضرات
١٨	٠	ملح
٠٣ر٥	٠	بهارات
٢٨	٠	شكر
٧	٠	چاي
٠	٤٤٨	طحين)
	٣٢٤	طحين) بومبي
٠	١٦٨	ارز
	٢٢٤	من ذخيره مختلفه
٠	٠٢٨	دهن

فترى مما تقدم ان رزق الاوربائي فيه اللحم ولايوجد منه في الآسيائي ولكن الارز والدهن

كثير في الآسيائي ولايوجد منه فى الاوربائي فاحتاج الاتراك للارز والدهن فقرر ضابط الاتراك ان يأخذوا من العرب مقداراً من الارز والدهن ويعطوهم مقابله لحماً فحصل عدم توازن بالأخذ والاعطاء فاقترح بعض الضباط ان يدمج الجميع ويقسم بنسبه عدد افراد كل فريق حتى لا يحصل غبن لأحد حيث ان حكومتنا لم يكن عندها هذا التفريق فلم تحصل موافقة في هذا الاقتراح ايضاً .

اما القائد صبحي بك لم يوافق هو ايضاً على هذا الاقتراح الاخير ترضية للضباط الاتحاديين الذين كان يروق لهم هذا التفريق ويرون فيه امتياز الترك على العرب وإن صبحي بك رحمه الله ما أراد ذلك في ضمير ولم يرضى بالتفريق . فترك الحال وشأنه ، فكان الجنود العرب يزيد عندهم الارز والدهن وحتى الطحين فيبيعونه على الضباط ويشتروا بما يتجمع عندهم من الدراهم لحماً من متعهد الارزاق واحياناً يبادلون ببعضه الجنود الاتراك بصورة خصوصيه وغير منتظمة .

اما الضباط فقد قطع عنهم التعيين لأنه تقرر اعطاء الراتب لهم والاكتفاء به فقط . وفى تتميو ايضاً بدأ يسجلون الضباط والجنود ويأخذون طولهم ووزنهم وهلم جرا فعلوا ذلك مرتين (فى ٢٨ كانون الثاني وفي ٨ شباط سنه ١٩١٥) فكنت في الاولى ١٥٣ وفى الثانيه ١٥٥ باوند(ليبره) كما سبق ان عملوا لنا ذلك فى الباخرة الاولى فكنت ١٨٠ ليبره .

وبعد مدة جائنا اسرى جدد وعددهم ٦٣ وهم موظفوا الباخرة العثمانيه المسماة قره دكز (البحر الاسود) العائده الى (شركة مخصوصه) وهي تجارية محضه كانت آتيه الى بومبي وقد اخرجت بعض الاشخاص في بومبي ليبثوا الدعايه للحكومة العثمانيه فى الهند .

ففهم الانكليز ذلك فأسروها وضبطوها واسلوا منتسبيها الى المعتقل الذي نحن فيه فى تتميو ولا ندري ماذا حدث من تعقبهم من خرج منها ثم جيئ بأسرى آخرين وهم تجار وموظفون مع مقدار آخر من الاهالي وكلهم من البصره منهم الحاج عبدالوهاب چلبي الخضيري وأخوه هاشم چلبي الخضيري والحاج محمود وكيل آل الخضيري الآخرين والحاج علي افندي الشواف ومعروف افندي معلم فى المدرسة الاعداديه الملكيه فى البصره وهو الذي عرف بإسم جيادوك فيما بعد والسيد احمد چلبي وكيل آل الشابندر وغيرهم وحصلت حادثه كنت دونتها في مفكرتي بوقتها

بعنوان حادثة الماء وذلك في ٢٢ كانون ثاني ١٣٣٠ (٤ شباط ١٩١٥) لا أذكر تفاصيلها الآن ولكنها وقعت بين الجنود بسبب استقاء المـاء والجنود ترك وعرب كما لا يخفى فتحزب العرب لأخوانهم وتحزب الترك لأخوانهم وكادت تفضي الى شر لا يعلم مـداه ولكن اخمدت بفضل الضباط والقائد صبحي بك وأزيل سوء التفاهم .

وفي احد الايام اخبرنا الانكليز ان ثلاثة اشخاص من مسلمي رانكون وهم جمال وعبد السلام وعبد الكريم يريدون ان يتبرعوا بهدايا للأسرى ولكنهم لا يعلمون ما هو احتياجهم في الحال الحاضر فاخبرناهـم على ان الحاجه هي صابون وسكائر وملابس داخليه وقسم من الموظفين



اخذت هـذه الصوره من قبل المؤلف بعـد استحصاله موافقة الانكليز على شراء كامره وقـد التقـط تصوير زملائه الضباط العرب من الاسـرى في منطقة سمر پور كانون الاول سنة ١٩١٥

لامعـــاش لهـم فهي في حاجـه الى المعونه وبينا لهـم عـــدد الجنود والموظفـين فأتتنا هكذا من احدهم قمصان لكل نفر قيص واحد (سكائر) لكل نفر سبعة علب ونصف (صابون) لكل نفر اربعة قوالب (دولكه للماء) واحده لكل ثمانية انفار ، ومن الثاني ١٠٠٠ روبيه للموظفين الملكيين اصاب كل واحد منهم ٢٥ روبيه وأما الثالث فقد تبرع بانشاء مقبرة للأسرى وبناء قبور من توفي منهم الى ذلك الحين .

وفي الشهر الثاني من وصولنا الى تتميو كان الانكليز قد وردهم الامر باعطائنا راتباً فجعلوا للمير لاي (الزعيم) ٢٥٥ روبيه وللبيكباشي (المقدم) ١٧٥ روبيه ولليوزباشي (الرئيس) ١٢٠ روبيه وللملازم الاول ٧٠ روبيه وللملازم الثاني ٥٠ روبيه وبعد اخذ راتبين او ثلاثة على هـذه الصورة صدر الامر بتعديل الرواتب حسب القرار العـام بين الدول المحاربه جميعاً ان يكون للرئيس فما فوق الى الزعيم ٣ روبيات وست آنات يومياً وللملازمين الاول والثاني ٣ روبيات يومياً فيكون الراتب على درجتين فقط ونذكر هنا الراتب الشهري لكل من الدرجتين فيما اذا كان الشهر ٣١ أو ٣٠ أو ٢٩ أو ٢٨ يوماً اليك الجدول الآتي :ـ

الايام	٣١	٣٠	٢٩	٢٨
الدرجه الاولى	١٠٤/١٠	١٠١/٤	٩٧/١٤	٩٤/٨
الدرجه الثانيه	٩٣/٠	٩٠/٠	٨٧/٠	٨٤/٠

فبهذا خسر القائد (الزعيم) خسارة كبيرة ويليه في ذلك (المقدمون) واستفاده(الملازمان) فائدة كبيرة واما (الرؤساء) فخسارتهم قليله . وقد استقطعوا ما اخـذناه زائداً في الاشهر الماضيه من الاشهر الاخرى التي تلتها .

وكانت الغرف التي نسكنها لا يوجد فيها مغسله للوجه والرأس فجاؤونا بنجارين من اهالي الصين فعملوا في كل غرفه منضده متصله بجدار الغرفه بواسطـة نرمادات تطوى الى الاسفل فتلتصق بالجدار ثم تنصب بمساند من تحتها ووسط المنضده مثقوب لوضع اللكن فيه .

هؤلاء النجارون كانوا شخصين فلما صار وقت الغداء ذهب احدهما فأتى به ، كانت المائده (صينيه او تبسي) فالمعروف عندنا وعليها اواني كصحون الشاي او اكبر بقليل فى احـداها سمك علب(مقدد) وفي الآخر مخلل(طرشي) وفى الثالث يقطين مطبوخ وغير ذلك ثم بالدي(سطل) كبير ملآن من الأرز المطبوخ بدون سمن (چاول) ويوجد مغرفه موضوعه في السطل وكاسه

صغيرة مثل كاسات المخلل عندنا فأخذها احدهم بيده وملأها من الارز بواسطة المغرفه ومسكها بيده قريبة من فمه ثم اخذ عودين من خشب الابنوس اسود اللون طول كل منها قدم وربع تقريباً ومقطعهما بشكل مربع ولكن الرأس الواحد غليظ يقرب من السنتيمتر مربع الرأس الآخر بمقدار ربع سنتيمتر مربع فأمسكها بين اصابعه من محل الثلث من طولهما يكون الثلث الغليظ من فوق والثلثين من التحت ممدودة في الكاسة المملآنه من الارز فيقرب حافة الكاسه من شفته السفلى و بدأ يحرك العودين جارفاً الارز بواسطتهما الى داخل فمه الى ان انتهت الكاسه والبلع مستمر خلال ذلك طبعاً وبعد ذلك اخذ برأس هذين شيئاً يسيراً من احد الصحون الصغيرة او من اثنين منها من الايدام بقدر ذبابة فيضعه في فمه بينما رفيقه قد احضر له الكاسه ملأى من الارز فاخذها وعمل بها كما عمل باختها من قبل وهكذا الى ان التهم نصف الارز ثم اعطى الباقي لرفيقه فعمل مثل عمله وبعد ان انتهى الاثنان من الاكل نظرت الى التبسي فرأيت الصحون كأنها لم تمس فارجعت كما اتت اما بالذي الارز فقد صار في خبر كان .

وفي يوم ١٤ نيسان ١٣٣١ (١ نيسان ١٩١٥) كان يوم جلوس السلطان فبعد موافقة الانكليز امر القائد صبحي بك فاجتمعت الجنود والضباط صفوفاً في محل بالقرب من البنكله التي يقيم فيها القائد المشار اليه ثم نزل هو متقلداً سيفه (لأن الانكليز كانوا قد اجازوا بقائه عنده وان يتقلده متى شاء) وحضر احد العلماء وهو الحاج علي افندي الشواف لأنه كان اسيراً مع جماعة الاهالي الذين ذكرناهم قبل هذا وقرأ الدعاء المعتاد بالعربية بدوام عز السلطان وطول عمره وبعدها هتف الجنود بادامة حياة السلطان قائلين (بادشاهم چوق يشا) ثلاثة مرات ثم انفض الجميع .

كان احد الضباط الاتراك المدعو جاويد بك وهو المرافق للقائد (المقدم) عرفان بك يتصل احياناً بالضباط الانكليز بحكم مراجعته ببعض الشؤون ففي احد الايام في ١٨ أيلول ١٣٣١ (١ تشرين الاول) ١٩١٥ دعا الضابط الانكليزي الضباط الاسرى بواسطته للحضور والتفرج على لعبة البولو على الخيل (الكرة والصولجان التي كان الخليفه هارون الرشيد يلعبها مع مقربيه على الخيل) فاخبر رفقائه الاتراك ولم يخبر احداً من العرب فاجتمع رفقاءه وخرجوا من المعتقل وانا معهم حيث فهمت ذلك ولم اكن رأيت هذه اللعبة قبل ذلك .

وكان عندنا في المعتقل بقال بالاسم ولكنه لديه كل شيء من المأكولات والادوات الاخرى

(بالخردوات) ثم استحدث دكاناً آخراً لديه مثل ما للاول فسمع بذلك شركة (Row & co) فى رانكون وهي شركة كبيرة مثل اوردي باك بموجب ما سمعناه فأرسلت لها شعبة تبيع جميع الخردوات الا المأكولات .

ويظهر ان ذلك استفز حسد الانكليز فإذا في يوم من الايام نصبت منضده تحت احد البناكل واحيطت بسياج من الحبال وبجانب المنضدة ضابط انكليزي شاب ببدلته العسكرية وفوق المنضده انواع المواد قيل ان هذا الضابط يبيع فعجبنا غاية العجب .

وفي ٢١ مايس ١٣٣١ (٣ حزيران ١٩١٥) اتانا اسرى الشعيبه وهم ٢٠ ضابط و ٢٨٠٠ نفر وفى ٢٢ حزيران ١٣٣١ (٥ تموز ١٩١٥) اتانا اسرى العماره وهم ١٠٠ ضابط و ١١٠٠ نفر وفى (١٠ آب ١٩١٥) حصلت المساعدة للأطباء بالخروج والتجوال فى اسواق المدينة .

وفى ١٩ منه منعوا من ذلك ومنحوا التجوال بجانب الاسلاك الشائكة من الخارج فقط (وفى ٢١ أيلول ١٩١٥) حصلت هذه المساعده الأخيرة للضباط الآخرين ايضاً من الساعة ١٠ الى الساعة عربيه ١١/٣٠ مساء فقط .

وفى يوم من الايام اخبرنا القائد الانكليزي ان احد اللاعبين وهو انكليزي يريد ان يرينا العابه ويطلب من كل واحد نارو بية واحدة اوروبيه ونصف لااتذكر ذلك جيداً وأرسل لنا صوراً تبين تلك الالعاب فجمعنا له ما أراد وفي الميعاد المضروب اتى ومعه صبي هندي وامرأة معمولة من الخشب وعليها ملابس فمن كثرة عرضها واللعب عليها كانت الملابس قد تعتقت والاقسام الخشبية الظاهرة منها قد تآكلت وتوسخت فأوقف المرأة فى جانب ووضع كرسي ووقف عليه هو وكرسي آخر وقف عليه تلميذه الهندي وبدأ يكلمه بالانكليزيه وذاك يخالفه فيما يريد فيضحك واهم ما في هذه الالعاب انه اغتاظ على تلميذه فنزع طاقيته عن رأسه (عرقچين) وحفظها في سله الى جانبه ثم التفت اليه فوجده قد وضع فوق رأسه طاقية اخرى اخرجها من جيبه فغضب وأخذها ورماها الى السله وعندالتفاته اليه رآه قد اخرج ثالثة ووضعها فوق رأسه فأخذها ايضاً وهكذا الى المرة العاشرة او اكثر هذا يأخذ الطاقيه وذاك يضع غيرها .

ثم بدأ يكلم زوجته الخشبيه او لا أدري ما يسميها هو ثم يضع رأسه فوق رأسها ويقلب نفسه الى جهة ظهرها مرات والعاب اخرى كلها حركات بلا معنى وكلام فارغ وهكذا ذهب بربوياتنا (عين تضحك وعين تبكي) .

(الفصل الثامن)

السفر من تتميو الى بومبي ثم الى سمر بور

في ٧ تشرين ثاني ١٣٣١ (٢٠ تشرين ثاني ١٩١٥) صدر الامر بتفريق الضباط والجنود العرب وسوقهم الى محل آخر وابقاء الاتراك فقط في تتميو ولم نفهم السبب في ذلك وكلما حاولنا فهمه لم نأخذ جواباً شافياً فكان احد الاجوبه هو ان المحل ضاق بالاسرى ويراد ارسال قسماً منهم الى معتقل آخر فقلنا اذا كان هذا هو القصد فخذوا قسماً منا مخلوطاً تركاً وعرباً ويبقى هنا ترك وعرب وصممنا على ان لا نقبل بهذا التفريق ولكن القوة فوق كل شيء فسجلوا اسمائنا نحن العرب مع جنودنا وفي هذه عدة الضباط والجنود الاكراد ايضاً عرب وكان معنا ضباط چچان وهم معدودون من بغداد لأن عوائلهم في بغداد ودرسوا في مدارس بغداد فأبوا هؤلاء ان يحسبوا اتراكاً فقالوا نحن مع اخواننا يجري علينا ما يجري عليهم فسافرنا من هناك الى النهر حيث ركبنا في الباخرة النهريه (Panhay) ومعنا الدوبه (130 Ifc) في نهر ايروادي كما جئنا من قبل سافرت بنا يوم ٨ تشرين ثاني ١٣٣١ (٢١ تشرين ثاني ١٩١٥).

ومما يجب ذكره هنا لما كنا نأخذ رواتبنا اوراق هندية ذوات العشرة روبيات والخمسه كان احد رفقانا المدعو عبد الرزاق افندي كان يقول كيف اعتبر الورق فلوساً وكان يستبدل الاوراق التي معه بالروبيات الفضيه يضعها في صندوقه ولا يبقي معه اوراقاً مطلقاً فعند السفر لم يشاء تركها في صندوقه بل عمل لها كيساً وضعها فيه وحملها ولكن انى له ان يحملها وهي ثقيلة فصار يلتمس منا ان نحملها معه مناوبه قلنا وما ذنبنا نحن الذنب ذنبك الا ترانا كل قد ربط اوراقه ووضعها في جيبه قال ماعدت بعد هذا اعمل ما عملت فاغفروها لي هذه المره فاذكر اننا اعناه بحملها طالما كنا نمشي على ارجلنا الى ان وصلنا الى الباخرة .

وفي هذه السفرة امر الضابط الانكليزي الموظف علينا ان نعمل طعام الجنود في البر عندما ترسو الباخرة مساء فيخرج ضابط واحد منا وهو مدحت افندي حيث كان يحسن التكلم بالانكليزيه احسن من غيره اللذين درسوا في الأسر ومعه بضعة جنود فينصبون القدور على الساحل ويطبخون وهنا تبدلت الوضعيه فقد بوشر باعطاء اللحم بينما كنا محرومين منه لما كنا في المعتقل مع

الاتراك وبعد ان يكملوا الطبخ يوزعونه على الجنود فيتناولونه داخل الباخرة وهكذا فهي تمشي النهار كله وترسو عند المساء ويجري طبخ الطعام كما تقدم .

وكانت الباخرة ترسو في المدن في محل خال واذكر في احدى القرى عندما رست الباخرة وخرج مدحت افندي كلمه بعض الهنود المسلمين بأنهم يريدون اهداءنا مقدار من الدجاج ولكنه لم يتجاسر على ذلك خوفاً من الانكليز وطلب اليه ان يستأذن لهم هو من الانكليزي عن ذلك فخاطب الضابط الانكليزي فوافق هذا لكنه سأل لماذا يقدمون لكم مثل هذه الهدايا وهم لا علاقة لهم معكم ولم تكن بينكم معرفة من قبل قال له ان المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تحنوا بعضها على بعض وان لم تكن بينهم سابق معرفة وهذه التي بقيت في ايدينا .

انظر الى هؤلاء المسلمين المستضعفين كيف انهم لم يتجاسروا حتى في تقديم هديه لإخوانهم وهم لو استأذنوا الضابط الانكليزي في تقديمها لأذن لهم ولكن الضعف والخوف هذا هو الذي مكن الانكليز من ادامة الاحتلال .

وفي احدى القرى كان مدحت افندي قد تحادث مع رئيس العرفاء الانكليزي الموظف بإعطاء ارزاق الجنود وحصل على موافقته وان يأخذنا معه الى التجوال في المدينه هو وكاتب السطور وضابط آخر فاستأذن رئيس العرفاء من الضابط الانكليزي واخذنا معه في كفالته فصرنا ندور في المدينه الى ان جئنا الى معبد فدخلناه ورأينا معبودهم (بوذا) وهو من ذهب جالساً على دكه وحجمه ليس بالطبيعي بل قدر اربعة رجال تقريباً والناس واقفون امامه يتلون اقوالا لانفهمها ثم ينحنون ويجلسون ثم يقومون كأنهم يصلون وبجانب غرفة هذا الصنم غرفتان على الجانبين ملئتا من التماثيل الاخرى وهي بحجم طبيعي والبعض اصغر من الطبيعي ثم طلبنا اليه ان يأخذنا الى التياترو (التمثيل والرقص) فوافق فذهبنا الى هناك فاتونا بكراسي جلسنا عليها في محل مناسب والعاده عندهم ان المتفرجين يجلسون على الارض كل يأتي بأولاده وزوجته فيفرشون حصيراً يأتون بها معهم والاولاد يبولون هناك ولا من يبالي بهم وربما يتغوطون وينامون صغاراً وكباراً ثم يستيقضون فترى القوم بأوضاع شتى منهم نيام ومنهم قعود والتمثيل يجري والراقصات ترقص على حد قول الشاعر :-

قام يجلوها وفي الاجفان غمض والندامى نوم بعض وبعض

اما المسرح فهو كان كالمسارح المألوفه عندنا، الممثلون والممثلات في حلل بديعه مزركشه تمثل ملابس اهل برما القدماء وقد مثلوا روايه لم نفهم منها شيئاً ولكن تبين لنا انها تمثل خبـلاء ملوكهم السابقين وابطالهم وامرهم ونهيهم .

ثم ظهرت الراقصات يرقصن واحده فواحده واثنتان فاثنتان قد لبسن التنوره وفوقها مثل اليلك (الصدريه) فيه ازرار من الامام ولكن اطرافه السفلى بدل ان تكون متدليه فهي قائمه قـد شكلت مع البدن زاوية قائمه فهي حين ترقص لم تكتفي بهذه الاهـداب حول خصرها فتدلي يديها وتثني كفيها الى فوق بحيث تكون موازيه للاهداب المذكوره نتؤشر بيديها وتحرك جسمها بحركات الى الامام والى الخلف والى الجانبين وقليلا ماتثب والحاصل لا يشبه الرقص المألوف عندنا بوجه من الوجوه ويشبه الرقص السوداني ولكن هـذا فيه وثبات جميله نوعاً ، لم اكن رأيت الرقص السوداني بواسطـة اربابه وانما كان عندنا تلميذ في المدرسة الحربيه من افريقيا الشماليه كنا نطلب اليه احياناً ان يمثل رقص الزنوج فيفعل .

فترى الستارة لا ترفع ولا تنسدل بالفاصله المألوفه ولكنها تبقى مفتوحه اكثر من نصف ساعه او مسدوله كذلك وعند فتحها فيها اشخاص او خاليه والناس لا يبالون بها فهم يتحادثون او ينامون كأن القوم قد جاؤوا هنا لقتل الوقت ويستمتعون بالحريه التي ترزي لكل حريه وإلا فما بعده هذه الحريه التي ينامون فيها ويقعدون هم واولادهـم ويبكي الاولاد ويصرخون وربما يبولون ايضاً او يتغوطون والتمثيل جار .

ناهيك بالجوق الموسيقي المشكل من الطبول والصفارات والنقارات فهي تصم الآذان بضرب موجع اذا اردنا تشبيهه مجازاً . كان قصدنا من هذه الزيارة الاطلاع على عادات القوم وكم من مره اراد رفقائي القفول عن هناك فالتمس منهم وأبقيهم ريثما يحصل الاكتفاء من اخذ صوره كامله عن حياة هؤلاء البشر .

وهكذا سرنا مارين بالبلاد بروم (ميميو - ماينماو) دنوبيو ، ياندون ، موبن (ديديه - دريه) الى ان وصلنا رانكون وهنا جرى تبخير الباخره ومن فيها مع الامتعه ثم انتقلنا منها الى الباخرة الاخرى النهريه ايضاً واسمها (Pekin) بكين وقد رأينا رانكون عن بعد واذا هي مدينة عظيمة الشأن لا تقل عن بومبي اهمية .

رأينا فى الساحل عربات تكفي لنفر واحد فقط ذات دولابين يجرها انسان وليس حيوان واقفة هناك تنتظر ركاباً ثم انتقلنا منها الى الباخرة البحرية الكبيرة (S. S. Ellenga) (آلينكا) فواصلنا السير من مصب اروادي الى بومبي في مدة عشرة ايام لم نصادف خلالها شيئاً ولم تقف مطلقاً بل تسير ليلا ونهاراً ولم يحدث بالباخرة ما يستحق الذكر فوصلنا بومبي وركبنا عربات القطار فسار بنا قاصداً احمد آباد ثم من هناك الى محطة توقفنا بها وكنا جائعين فطلبنا من الضباط الانكليزي طعاماً حيث لم نر شيئاً في المحطة لنشتريه وكنا تحت الحفظ فبعد المطالبة والالحاح امر فعملوا لنا مرق بطاطا مع اللحم والخبز فقط فسدينا به الرمق وللجنود خبزاً وتمراً فقط وسترى عندما اخذونا من سمر پور الى بومبي قصدوا ارسالنا الى الحجاز - كيف خدمونا وقدموا لنا أنواع الطعام وسرنا من هناك الى محطة ارينپورا ثم نزلنا من القطار وسرنا على اقدامنا مسافة خمسة اميال الى ان وصلنا قرية سمر پور (Sumerpur) وهي على طريق ارينپورا وقبلها المعدة لإقامتنا اما امتعتنا فنقلت فى عربات الحمل تجرها الخيل او الثيران بعد ذلك فاستلمناها فى اليوم التالي على ما أذكر .

وقد صادفنا فى طريقنا فى رأس كل ميل او نصف ميل لا أذكر ذلك بالضبط غرفة صغيرة منفردة في الخلاء فيها رجل وهو ساعي البريد يقوم من محله راكضاً بأسرع ما يستطيع حاملا كيس البريد على كتفه وقبل ان يصل الغرفة الاخرى بمسافة يهز الجرس الذي بيده فيخرج الثاني متأهباً للركض فيأخذ الكيس ويركض بدوره الى ان يصل قرب الغرفة الثانية فيهز الجرس فيخرج الآخر وهكذا وهذه الطريقة تستعمل فى نقل اكياس البريد اسرع من البغال او الحيوانات الاخرى.

ومن العربات التي تجرها الخيل وهي مستعملة من القديم في الهند فقد ذكرها ابن بطوطه في رحلته تفصيلا حول سنة ٧٠٠ هـ .

آنه	روبية	
٠٠	٦١٠	الرواتب التي اخذناها فى تتميو .
آنه	روبية	الرواتب التي اخذناها في سمر پور .

٢٠   ٢٦ كانون اول   ١٣٣١   الموافق   ٨ كانون ثاني   ١٩١٦

٢٠	١	كانون ثاني	١٣٣١	الموافق	١٤	كانون ثاني	١٩١٦
٢٠	٨	=	=	=	٢١	=	=
٢٠	١٥	=	=	=	٢٨	=	=
٢٠	٢٢	=	=	=	٤	شباط	=
٢٠	٣٠	=	=	=	١٢	=	=
٢٠	٥	شباط	=	=	١٨	=	=
٢٠	١٢	=	=	=	٢٥	=	=
٢٠	١٩	=	=	=	٣	مارت	=
٢٠	٢٦	=	=	=	١٠	=	=
٢٠	٤	مارت	١٣٣٢	=	١٧	=	=

٢٢٠ المجموع

٤٠	١٨	=	=	=	٣١	=	=
٤٠	٢	نيسان	=	=	١٥	نيسان	=
٤٠	١٦	=	=	=	٢٩	=	=
٤٠	٤	مايس	=	=	مايس	=	=
٤٠	١٨	=	=	=	٣١	=	=
٤٠	٤	حزيران	=	=	١٧	حزيران	=
٥٠	١٥	=	=	=	٢٨	=	=
٤٠	٥	تموز	=	=	١٨	تموز	=

٥٥٠ المجموع

٥٠	١٨	تموز	=	=	٣١	تموز	=
٤٠	٤	اغسطس	=	=	١٧	آب	=

٥٠ ١٨ اغسطس ٣٣٢ الموافق ٣١ كانون ثاني ٩١٦

٨ ١٠٤ ٥ أيلول = = ١٨ أيلول = راتب شهر آب

٤ ١٠١ ٣ تشرين اول = = ١٦ تشرين اول =

٠ ١٣١ ٤ = = = ١٧ = =

---

١٢ ١٠٢٦ الرواتب التي اخذناها في سمر پور .

٠٠ ٦١٠ الروتب التي اخذناها في تتميو .

---

١٢ ١٦٣٦ روبيه مجموع الرواتب فى تتميو وسمر پور .

(الفصل التاسع)

مدة البقاء في سمر بور سنة واحدة

سمر بور هذه قريه قداخليت من ساكنيها وخصصت لهم ارض بالقرب منها عملوا فيها سقائف سكنوا فيها وقد احيطت القريه بسياج من الاسلاك الشائكه مضاعفة بين الخط الواحد والآخر متران تقريباً على بعد قريب من القريه وان مساحة المربع من السياج هو ربع ميل مربع اي طول كل ضلع منه نصف ميل .

والقريه عباره عن شارعين كبيرين متعامدين ومتلاقيين في رأسيهما يحتويان على دكاكين في كل من جبهتيهما وكل دكان يوجد خلفه دار وصاحب الدار هو الذي يشغل الدكان وللـدار بابان احدهما على الدكان والثانيه من الخلف فخصصوا لكل اثنين او ثلاثة منا دكاناً مـع الدار التي خلفه والصحيح انهم لم يعتنوا بنا فى هذا المحل بل نحن تقاسمنا الاماكن المذكورة فيما بيننا وكنا لا نطلع على الاخبار مطلقاً في تتميو اما هنا في سمر بور كان احد العرفاء الانكليز يأتينا بجريدة التيمس الانكليزية التي تصدر فى الهند (الاوقات الهنديه) (Times of India) خفية على ما نزعم ولكن بصورة متقطعة يظهر انه كان يأتينا بالنسخ التي فيها ظفر الانكليز وحلفائهم او انكسار الالمان وحلفائهم ليحصل عندنا اليأس ولكي يظفروا منا ببغيتهم اي بأخذنا الى صفهم وخدمتهم يوماً من الايام ونحن كلنا عرب واكراد فى هذا المعتقل الا قليلا جداً وهذا القليل هم موظفون .

وفي هـــذا المعتقل كنا اكثر حرية من معتقل تتميو حيث فى الأخير كان التفتيش (اليوقلمه) علينا كل يوم وفى معتقل سمر بور لا تفتيش مطلقاً الا ان الضابط الانكليزي آمر المعتقل طرق سمعنا بالواسطه طبعاً اننا نتكلم في هذا الموضوع واننا مسرورون لعدم ازعاجنا فى هذا المعتقل فخاف ان ينتهز بعضنا الفرصه ويفر فجعل التفتيش يومـــاً واحـــداً في الاسبوع فكنا نحضر للتفتيش يوم الاربعاء من كل اسبوع . وكان يأذن لنا في الاسبوع مرتين ان يخرج قسم منا يقيدون اسمائنا فقط ما بين الثلاثين الى الاربعين ضابطاً مع ضابط هندي برتبة جمعدار او اسبيدار وثلة من الجنود بدون سلاح يمشون معنا فنذهب الى بلدة اخرى قريبة تدعى ارينپور افيصرفونا الى داخلها ويطلبون منا الاجتماع فى محل معين في اول البلده بعد ساعتين من الزمن فكنا نتجول في اسواق المدينة وأزقتها وكل محل فيها بدون رقيب وكنا نشتري ما نحتاجه منها ونرجع فى الوقت المعين

ونسير مجتمعين الى المعتقل مع الجنود والضابط الهندي فبعض من جنودنا كانوا يوصون بعض الضباط لشراء بعض الحوائج ايضاً والمسأله توسعت حتى صارت تجاره فبـدأ بعض الضباط يأتي معه بأكياس السكر وصناديق الشاي وصناديق السيجار الكبيرة محملة على العربات فشكى البقال الموجود في المعتقل الحالة الى الانكليز وقال انه لم يبق له شغل مادامت الاشياء تأتي من الخارج بهذه الكميات الهائله فعلى من يبيع هو اذن فمنع الانكليز خروج الضبـاط بصورة باته فراجع الضباط فلم يفد وبالنتيجة ساعدوا على خروج ضابط واحد وهو مدحت افندي ليأتي للضباط بما يريدونه من الضروريات الجزئيه التي لا توجد عند البقال اضف هذه المساعده (التي او لم تعرقل لدامت) الى المساعدات الاخرى الخاصة بهذا المعتقل وهي الاولى عدم التفتيش والثانيه الإتيان بالجريدة والثالثه الخروج الى المدينة وكلها لحاجة في نفس يعقوب وإن لم تظهر بعـد.

وبعد مدة اشيع بأن الحكومة الانكليزية والحكومة العثمانية اتفقتا على تبادل الاسرى الصحيين وهم الاطباء والصيادله والجراحين ومايتبعهم من التيمارجيه (المضمدين) وغيرهم من الجنود الخاصين بالخدمة الصحيه ففرح هؤلاء حيث سيستردون حريتهم في بلادهم وخاصة انهم قسم صحي لايدخلون الحرب فتحققت المسألة بعد مدة وظهرت بوادرها فبدأوا يقيدون المعروفين منهم اما الجنود فطلبوا منهم وثائق من ضباطهم تنبىء بأنهم منسوبون الى قسم الصحه فبـدأ الجنود يلتمسون ضباطهم ان يعطوهم وثائق وبعضهم لم يكن منسوباً الى الصحه فتردد الضباط في ذلك إلا أنهم اخيراً رأو أن ذلك ليس فيه شيء من الغبن ولا من المسؤولية اذا ذهب من هنا جندي محارب بإسم الصحه فالحكومة تستفيد منه ولم يفطن الجنود لهذه النقطة يظنون انهم اذا ذهبوا بإسم الصحه يشتغلون هناك كذلك وما دروا ان حكومتنا تحقق عنهـم وتستخدمهـم محاربين كما كانوا وأخيراً سافروا في ٦ مايس ١٩١٦ وكانت المسـألة صحيحة لا غبار عليها وسمعنا بوصولهم الى وطنهم أما من جهة استخدام الجنود فلا ندري هل استخدموا كصحيين ام محاربين.

وكان الموجود في سمر بور كما يلي من الضباط :-

بيكباشي (مقدم) ٥

يوزباشي (رئيس)	٤٣
ملازم اول	٤٤
ملازم ثاني	٣٥
طابور كاتبى (كاتب فوج)	٧
اصحاب صنائع	٥
ضابط وكيلي (وكيل ضابط)	٧
ضابط نامزدي (مرشح ضابط)	٤
مجموع للعسكريين	١٥٠
الملكيون	٣١
مجموع الضباط والموظفين كافه	١٨١
ومن الجنود بما فى ذلك من الدرجات المختلفه مثل رئيس العرفاء والعريف ونائب العريف	٣٧١٢
المجموع بصورة عامه	٣٨٩٣

وهؤلاء جميعاً يسكنون هذه القريه فاجتماعهم يقتضي اعمال اخرى بطبيعة الحال فقد كان فى القرية ١٣٠ مقهى وبضعة دكاكين لبيع السجاير .

وحدث ان اتى مكتوب من البصره لأحد الأسرى وفيه يعدد اشخاص معلومين مقـدار اثنا عشر شخصاً ويقول انهم ذهبوا الى رحمة الله ومن جملتهم عبد الجبار چلبي الخضيري وعندما فهم ذلك ابناء عمه عبد الوهاب وهاشم الخضيري لم يستقر لهم قرار وبدأنا نفسر جملة (ذهبوا الى رحمة الله لأن المكاتيب التي كانت تأتي تابعة للسانسور (للمراقبة) ويجتهد مرسلوها ان يلمحوا فيها عن بعض الاشياء لئلا تحذف من قبل المراقبة لهذا كان معقولا ان نجتهـد في التفسير ولكنا لم نقف على حل غير انهم ماتوا .

وعندها تشبث الخضيريان المشار اليهما ان يرسلا برقية الى البصرة بواسطة الانكليز يستفسران فيها عن صحة عبد الجبار الخضيري فأخذا جواباً اطمأنا اليه بأنه يتمتع بالصحة التامه وبعـد

المخابرة البريديه بشأن الباقين ظهر انهم كلهم فى قيد الحياة ولا ندري ماذا كان يقصد مرسل ذلك الكتاب .

وعلى اطمئنانهم عمل حفلة أنس وطرب ودعوا جميع الاسرى من ضباط وملكيين فاجتمعنا فى قاعة كان الانكليز قد اعدوها كنادي لنا والقصد من هذا النادي سنبينه فيما بعد فقدموا لنا الشاي والقهوة والسجاير وكان في المعتقل من يحسن الضرب على بعض الآلات الموسيقيه وكانت لديهـم تلك الآلات فعملوا چالغي بغدادي فغنى بعض الجنود مقام ابراهيمي ضمنه زهيري (موال) (أولاد برخ البروخ المطلـحين احنا ورقابنا كنطره للي يسـامحنا وسيوفنا باتره للي يقابحنا) فكانت المسألة مضحكة للغايه حيث كنا غير مطلقين بل اسرى وقد قابحنا الانكليز ولم نغلبهم بسيوفنا البازه بل جعلنا رقابنا قنطرة لهم بدون ان يسامحونا .

(الفصل العاشر)

كيفية تلقي نبأ الثورة الحجازية والتدابير التي اتخذت لإرسال الاسرى الى هناك

استغل الانكليز مسألة الثورة الحجازيه وبدأوا يشيعون بأنه توجـد مبادله اخرى للمرضى فكان الطبيب الهندي عندما يراجعه احد المرضى من الضبـاط والجنود يقول له انك تحتاج لتغيير الهواء ويقيد اسمه فبدأت المراجعات تجري الى الطبيب والتمارض يجد سوقاً رائجة الى ان كثرت الطلبات وأخيراً تركت هذه المسـألة وكانت من قبيل جس النبض فما دام كثير من الاسرى يريدون الرجوع الى اوطانهم فطبعاً سوف يندمجون بالجيوش ويتقدمون للحرب مرة اخرى فربما يوافقون على الالتحاق بالحجاز وهلم جرا.

وكان قد اتانا فى ١ آذار ١٩١٦ شاب اسمه حسين يدعونه سي حسين (سيـدي حسين) بلغة مصر وعلى رأسه البرنيطه بإسم ترجمان وكان بعض الضباط يترددون عليه.

كنا نظن ذلك بحكم المراجعة لأجل شراء بعض المواد من الخارج لأنه بدأ يتوسط بجلب الكتب لمن يريدها وقد اعطى البعض منا فهرساً للكتب يعود الى مكتبة غلام رسول السورتي الهندي في بومبي فكنا نطالعها ونطلب منها بعض الكتب وغير ذلك من المواد .

في يوم من الايام قالوا انهم يريدون تسفير المدفعية لأجل المبادله فسافر ٩ ضباط و(١٢٤) جندي وهم جميع المدفعيه التي معنا في المعتقل في ١ تموز ١٩١٦ وكان السـفر الى الحجاز وفهمنا بعد ذلك ان خمسة من الضباط قبلوا البقاء في الحجاز وهـم الرئيس رشيـد بغـداد والملازمون الثانون سعيد بغداد الذي عرف بعد ذلك بسعيد المدفعي وابراهيـم الراوي ومحمد حلمي بغداد وراسم شام والاربعة الباقون لم يقبلوا البقاء فأخذوا الى مصر فأدمجوا بالأسـرى هناك وهم الملازمان الاولان عبد الوهاب بغداد وسيد حسن سامراء والملازم الثاني محمد كمال بغداد ووكيل الضابط ماهر ريزه اما الجنود عن من التحق منهم ومن بقي ولابد ان ذهب الباقون الى معتقل الجنود فى مصر .

ثم رأى الانكليز ان بعض الضباط يبثون الروح العثمانيه فيعرقلون سفر من يريد الالتحـاق

فأرسلوهم الى تتميو في ١٧ تموز ١٩١٦ وهم ستة المقدمان حسين شلال ورؤوف الجيبه چي والرئيسان سيد حسين كركوك وحكمت سليمانيه والرئيسان البحريان توفيق بصره وابراهيم بصره .

ثم جرى تسفير ١٧ ضابط و ٥٠٠ نفر الى ديسه (موقع في الهند) فى ٤ أيلول ١٩١٦ ومن هناك الى الحجاز وهم الرؤساء عبدالكريم ورشيد حلمي معروف وشاكر وعبد الرزاق الخوجه البغداديون وحسن فهمي شام والملازمون الاولون عبد اللطيف نوري وشاكر وعبد الحميد وبرقي وجمال وشاكر البغداديون والملازمون الثانون مكي مكه وحامد وجميل الراوي ورشيد البغداديون ووكيل الضابط عبد المنعم قدس وضابط نامردي نسيب شام وقد رجع من الجنود (٢٩٤) من ديسه في ٢٦ أيلول ١٩١٦ أما الضباط فلم يرجع منهم واحد .

ثم في ١٣ أيلول ١٩١٦ جرى تسفير ضابطين و٣٧ جندي و٨ مأمورين ملكيه وهم الرئيس رؤوف يحيى والملازم الاول الشيخ عبد الجبار البغداديان أما الملكيه فهم مصطفى بوليس من البصرة ومصطفى معلم دار المعلمين في البصرة وأحمد (بن محمد افندي رئيس جاندارمه) مفتي ناحية المجر في لواء العماره ومختار مدعي عمومي لواء العماره وغابرئيل وبودوساكي طبيبان لبنانيان وصيدلي(فاتني معرفة إسمه) وبشير (اسمه المستعار توفيق) وهو سوري او مصري وفى ١٩ أيلول رجع المأمورون الملكيون ثم سافروا بعد مدة وجيزه لم أسجل ذلك بوقته .

اما كيفية تلقي نبأ الثورة فتختلف بإختلاف ثقافة وعقلية الضباط الذين كانوا هناك فى معتقل سمر بور منهم من حبذها والتحق فيها .

(الفصل الحادي عشر)

مطالعاتي الخاصة في الالتحاق من عدمه

الواجب والعاطفه يتعارضان اذا كانا قويين فاذا ضعف احدهما وقوى الآخر فيجب تقديم القوي على الضعيف فالعاطفه هي طلب العرب الانفصال من الدولة العثمانيه اذا تهيأت أسبابه وكان التوفيق مرجحاً على الفشل فهو يتقدم .

والواجب هو البقاء على العهد وهو الاصل ولكن هذا الاصل اذا بات ضعيفاً وكان ينتابه الضرر وضياع الفرصه فالعاطفه تصبح واجباً اكيداً وهذا ما قام به الملك حسين رحمه الله اراد انتهاز الفرصه والاحتفاظ بكيان العرب قبل ان يكون نهباً مقسماً .

فلنعد الآن الى هذا الطلب هل أصبح واجباً وهل يجب انتهاز الفرصه وهل تهيأت أسباب هذا الطلب اللهم لا ! من وجوه وهي : -

اولا - المالية الكافيه غير موجوده .

ثانياً - الواجب اجتماع قادة الفكر جميعهم فى الحجاز لا بعد تقتيل ٨٤ شخصاً منها في سوريا وتشريد ونفي القسم الآخر الى الاناضول قلب الحكومة العثمانيه .

ثالثاً - ان يكون جميع الضباط العرب على رأي واحد بخصوص الالتحاق بالحجاز لا ان يكون اكثرهم منتمين أما الى حزب الاتحاد أو الى بعض الاشخاص التركيه او خائفين على عوائلهم المتفرقه في البلاد العثمانيه التي لم تزل تحت سيطرة الاتراك .

رابعاً - تشريد القابضين على دفة الحكم فى البلاد العثمانيه وأقل حكم لهم هو الاعدام فقد أعدموا كثيراً من الجنود الفارين اما من ضيق الحالة المذبذبه والناشئة من قلة المواد الحربيه والإعاشه وغيرها او من إضمار السوء لهم من قبل المسيطرين والملجأ لهم اذا قلنا الحجاز فبأي مال وأي واسطه يصلون اليها .

كان يجب أن توجد هيئات تصرف عليهم وترسلهم الى هناك مأمونين وهذه الهيئات معدومه .

خامساً - لم تتقدم الحركه جمعيات قويه يعتمد العرب عليها وكل ما هناك الجمعية التي كانت فى باريس وهي مركبة من الموجودين هناك وجلهم كان هناك يدرس وهم شبان لم

يجابهوا الحياة الفعليه ولم يكونوا معروفين بدرجة يؤثروا على الامه العربيه .

سادساً - كان يجب ان تكون الفكرة هذه سائدة حتى فى زوايا البلاد في جميـع المدن والعشائر والكل متهيأ بقولها لاتنقصه إلا الأمر بالحركه .

سابعاً - ان تكون هيئات للتجنيد في بعض المراكز تجهز الرجال بالأسباب الكامله وترسلهـم الفوج تلو الفوج من طرق أمينه .

ثامناً - ان تكون هناك وسائط نقل ولو ابتدائيه تحت اليد وحاضره لتلبية الطلب .

تاسعاً - ان تكون بلاد العرب كلها متحدة ومشتركه بالفعل لا ان يقوم الحجاز وحـده وأعني رؤساء الحكومات او المشيخات او ما شئت فقل او المتزعمين مثل رؤسـاء حكومات اليمن وعسير والكويت ونجد وقطر الذين كانوا تحت سيطرة الحكومه العثمانيه دع الباقين منهم كمصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وحضرموت ومسقط والبحرين الى ما بعد الموفقيه .

عاشراً - حتى اذا كانت تركيه هي الغالبه مع حليفتها المانيا فتكونا منهوكتين لا قبل لها بمقابلة العرب ورأيها العام . فتعطي العرب استقلالا ادارياً على الاقل لا ان يكون القيام ناقصاً فتجري المحاكمات ونتيجتها التقتيل والتشريد .

ثم جرت هذه الحركه بالاتفاق مع الانكليز وهؤلاء لهم مصالح وسياسات لا ندركهـا نحن الشرقيون وهم لا ينظرون الى التعهدات إلا من جهة واحـدة فقـط فإذا كان الوفاء مضراً بصالحهم تملصوا منها على اهون سبيل بعذر مزوق هو ابرد من البنج .

هذا اذا كان مع دوله استقـلالها مصدق ومضمون فكيف بقيام رعايا على دولتهـا وهي لم تمدهم بما وعدتهم إلا بالمطالبه والالحاح وبالقليل منها بعد القليل وفي نظرها انها تستخدمهم لأغراضها وتنفق عليهم من مالها فاذاً هم مأجورون ! ثم من الذي يضمن مضمون التعهـد فيما لو توفقوا بعد الحرب ؟ لا أحد ! وهذا ما حدث بعد الحرب .

ومسألة اتفاقهم مع فرنسا على تقسيم البلاد العربيه وخاصة سوريا والعراق معلوم ولا يغرنك نشرهم فرنسا وانكلترا التعهد بتأسيس حكومات وطنيه في العراق وسوريا ومساعـدة هـذه الحكومات فارجو من القـارئ ان ينظر الى تلك التعهـدات مرة اخرى فيرى ان ذلك يعني ان

تكون تلك الحكومات تحت سيطرتهم سوريا لفرنسا والعراق للانكليز ولا ادخل فى هذا الباب فهو معلوم للجميع لأن الباقى منها لهم فيها مصـــالح اخرى مضمونه كحضرموت ومسقـــط والبحرين ولا فائده لهم منها كنجد او يعلقون نصب الفخ لها بالمستقبل وهي اليمن .

فبقى الحجاز وحده ارادوا اعطائه اســتقلالا لأنه محذور عليهــم دخوله ولأنه (قبلة العالم الاسلامي) يريدون اكثره فلم يقبل الملك حسين بهذا الجزء وحده وكان ماكان مما لست اذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر !

هذه الاسباب وغيرها جعلت القسم الاعظم من الضباط العراقيين وغيرهم من اسرى الحرب لا يشتركون في هذه الحركه وتوجد أسباب اخرى اهمها هي : -

أولا - قد ارسل البعض فى الأسر عن التحقق من الضباط كتاب الى بغداد وفيه اسماء من التحقق الى احد اصدقائه ليخبر السلطات هناك عنهم .

ثانياً - انقطـــاع الاخبار عنا ونحن في الأسر فلا ندري القوى الراجحه في اي طرف . يأتوننا بجرائـــد انكليزيه منقطعه وبصورة غير رسميه بواسطة رئيس عرفاء انكليزي وما فيها يرجح كفتهم .

ثالثاً - معرفتنا بتاريخ الامه الانكليزيه ودراستنا لشخصياتها في الأسر ولو قليلا .

رابعاً - اعتقادنا بأن اذا كان الالمان وهو الغالب والعثمانيون معهم فيطلبونا من الانكليز بأسمائنا ولا تتردد الحكومه الانكليزيه فى تسليمنا . واذا توغلنا فى الجزيره العربيه نبقى مشردين .

خامساً - من دراستنا للانكليز ونكتهم المشهوره مـــع نابليون وخدعهم لبعض مشايخ العرب والخوف الشديد من الحكومة العثمانيه وخاصة الاتحاديين لأنهـــم كانوا يعدمون لأقل سبب تافه في بلادنا فكيف بعد الخيانه العظمى فى نظرهم ومعرفتنا لقانون الجزاء العســـكري وهو من يلتحق بمعسكر العدو جزائه الاعدام ومن يحارب في صف العدو جزائه الاعدام ايضا.

وحسب المسموع ان الضباط الذين ذهبوا اولا بدل ان يأخذوا اماناً من الانكليز على حمايتهم من الاتراك فيما لو توفقوا وطلبوهم بعد الحرب . اخذ الانكليز منهـــم توقيعاً خطياً بأنهـــم التحقوا من تلقاء انفسهم وأنهم حاضرون للخدمه اياً كان نوعها وفى اي محل أريد . فقد القوا زمام امورهم بيد الانكليز .

يقول احد اصحابنا ان هذه بئر لا يعرف قرارها فكيف نرمي انفسنا بها .

ويقول آخر بعد الي شغل بالدنيا ولهذا لا اذهب وان الانكليز كفار واعداء الدين الاسلامي ثم اطلاعنا على التبشير الذي يجرونه في بلادنا يريدون محوا المسلمين (راجع القسم الثاني من الفصل الاول السفر من بغداد الى الاحساء ووصولنا مستشفى الامريكان في البحرين) ثم لم ننسى الحروب الصليبيه ودستورهم العملي هو ان الغايه تبرر الواسطه .

كنا نود تشكيل حكومة عربيه من صميم قولوبنا ولكن عن غير واسطة الانكليز مع العلم ان قوائم اسماء الضباط والجنود ارسلت الى اسطنبول كما وأن الذي كان يطرد من الحجاز او يرفض العمل هناك يأتى به الى الاسرى . وكل من يتمرد على حكومته اذا كان التوفيق حليفه يقال له بطل واذا خاب قيل له خائن مارد .

ماذا يكون مصير واشنغتون ومصطفى كمال والشريف حسين ودي فالبرا وياور سلطان سليم لو انهم خابوا فى قيامهم ؟ اليس الاعدام لهم ومن ايديهم ؟

فالجماعه اجتهدوا والحرب لا تكون مضمونة الكفه الرجحه فيه ولكن استعداداته ما دامت متوقفه على الاسرى العثمانيين فغير كافيه فحينئذ غير مصيبين فى اجتهادهم اما جهم العرب وتشكيل حكومة عربيه بغير اعداد العده الكافيه لها غير كاف وان اصابوا بعد ذلك فهذه الاصابه والنصر الحقيقى حالف ذوي القبعات ذات الحافة البارزه (الامريكيين) خدموا الفرنسيين خدمة بخدمه وتبجح لنا ويلسون بالبنود الاربعة عشر التي لم تطبق بتاتاً .

وعلى كل حال هم مخطئين في التحاقهم ومصيبين في وجهة تشكيل حكومة عربية ونحن مصيبين في عدم التحاقنا ولا نادمين الى الآن . ولسنا اقل حباً منهم بتشكيل حكومة عربيه .

والدليل على ذلك ممن لم يلتحق واتى الى العراق اخيراً واشتغل بكل اخلاص فى الحكومة العراقيه مما يدل على ان حب استقلال العرب كامن في فؤاد كل عربي .

(الفصل الثاني عشر)

سفر الضباط والجنود للعرب الى بومبي

في يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩١٦ دعونا لأخذ رواتبنا فادخلونا واحداً فواحداً الى قاعة فيهـا مقدار من الكتبه يذهب الواحد منا الى منضدة فيستلم مبلغاً من الدراهم ثم يرشدونه الى منضدة اخرى بالجانب الآخر فيعطوه مقداراً آخر وهكذا ولم تفطن لشيء ولكن الخارجين منا يتساءلون فيما بينهم يا ترى لماذا جعلوني اوقع في محلين واقبض هذا المقدار من الدراهم مع انهم كانوا يعطون الراتب اسبوعياً ثم جعلوه نصف شهري وهـذا راتب الشهر الماضي فلا بأس ولكن ما هذه الدراهم الاخرى .؟

ثم رأينا ان البعض يدخل فيأخذ مبلغاً من المنضدة الاولى ولا يسوقونه الى الثانيه او اذا اراد ان يذهب الى الثانية على منوال رفقائه يصرفونه ولا يعطونه شيئاً .

فبينما نحن نريد ان نحل القضيه كان قد تم دخول وخروج أكثر من نصف الضباط ولما حللنا القضيه فهمنا ان الذي اخذ من محل واحد هم الاكراد والذي اخذ من محلين هم العرب وحتى انهم كانوا يخطئون احياناً في معرفة بعض المدن العراقيه هل سكانها اكراد ام عرب من ذلك ان احد الضباط كان من خانقين فحشروه مع العرب والبعض الآخر اكثر سكان بلـده عرب حشروه مع الاكراد فراجع البعض اخيراً وأثبت ان بلده عرب أو اكراد فصحح القيد.

والنتيجة ان محل التوزيع الاول كان راتب الشهر الماضي فأخذه الجميع ومحل التوزيـع الثاني كان للمدة الماضيه من الشهر الحالي (قسط اليوم) فأخذه العرب وفهمنا ان القصد من ذلك ارسال العرب الى جهة غير معلومة ولكن كيف تكون غير معلومه وللقضية سوابق وهي السـفر الى الحجاز فاستفسرنا فتجاهلوا فالححنا فقالوا لا ندري فكتبنا عريضة مشتركـه فاجابوا شفهياً تذهبون الى بومبي فسألنا عن السبب فماطلونا فصحنا وصرخنا واجتهدنا بكل مالنا من قوة فلم يفد شيئاً واخيراً سافرنا الى القطار وكلنا في حالة يأس شديد .

فهذه المرة اركبونا عربات وقطعنا بها الاميال الخمسة التي مشيناها على اقدامنا عنـد مجيئنا لأن هذه المرة غير تلك المره (لهم عندنا شغل) ثم ركبنا القطار وسار بنا الى ان جئنا الى محطة

أحمد آباد التي لم نحصل على الغداء البسيط فيها عند المجيئ (الخبز ومرق البطاطه مع اللحم) الا بعد المطالبة والالحاح واذا فى هذه المرة نصبت الموائد وصفت الكراسي ووضعت الملاعق والشوكات والسكاكين وكل شيء يجب وضعه على المائده لا حاجة للوصف (مائدة من الطراز الاول) ناهيك بالالوان المختلفه من اللحوم والاسماك والبيض والحلويات حتى الدوندرمه .

قلنا (اي شيء هذا يا جماعه هذه موبلاش مو بخير امهم وابوهم اكو وراها شيء) ثم سافرنا ووصلنا بومبى فظل القطار يمشي في ازقة بومبي الى ان جاء الى محل قرب الساحل فوقف واذا بالباخرة تنتظرنا وبين القطار والساحل بنايات (بنكلات) يصعد اليها بواسطة الاسانسور (المصعد) فقالوا لنا تفضلوا اخرجوا ـ الى اين ـ الى الباخره ـ ولماذا انتم قلتم الى بومبى وهذه بومبي وهنا بقيت المسأله بين اخذ ورد تجاهل من قبلهم ومحاولة معرفة السبب واصرار على عدم الذهاب من قبلنا كل ذلك والجنود لم تزل فى عربات القطار .

(الفصل الثالث عشر)

الاحوال التي جرت في بومبي

امانحن الضباط فنزلنامن القطار ووقفنا بالطريق اخيراً ارسلوااالينا ضابط برتبة ميرلاي (زعيم) طلب الينا ان نذهب الى الباخره ولماسألناه السبب قال لا ادري الا اني امرت بذلك وبعد تداول البحث قال لماذا لا تعتمدون علينا قلنا لسنا فى صدد الاعتماد او عدمه وإنا لم نجـد مصلحة لنا فى هذا الاعتماد واخيراً ذهبنا الى الجنرال وكان واقفاً على بعد وهو اكثر دهاءاً وبروداً .

فقال احد اخواننا على سبيل المداعبه (هـذا مشغول تحته خمسين إسكلة حطب) يريـد انه مطبوخ (داهيه) فقبل ان يبادرنا بالكلام قلنا له لماذا لا تقولوا لنا الى اين نحن ذاهبون يمكنكم وضعنا فى محل آخر فى الهند بل احبسونا في السجن ولا مبرر لإرسالنا عبر البحر فقال تذهبون الى مصر قلنا انكم تقصدون ارسالنا الى الحجاز وسوف لا تستفيدون منا لأنا لا نريد الاشتراك فى الثورة الحجازيه فعملكم هذا عبثاً فمن شاء منا ان يذهب خذوه ودعوا الباقين لاتقلقوا راحتنا .

اخيراً قال لنا اقول لكم (بشرفي) انتم تذهبون الى مصر ثم قال (بشرف انكلترا) واعطيكم ورقة بذلك قلنا له اننا لا نرى وجه عذر تجاه انفسنا طالما لم نر ضرورة ماسه لنقلنا هذه المسافة الطويله والبعيده فسكت .

وبقينا بالاخذ والرد النهار كله . كل ذلك والقطـار فى المحطه وكانوا قـد اخرجوا الجنود وصفوهم على طول الطريق بجانب القطار اربعة اربعة وامروهم بالسير فلم يتحركوا بينما كنا نحن في اول نزولنا من القطار.

ولما انتهت المحاوره ارجعوا الجنود واصعدوهم الى القطار مرة اخرى فحصل الاضطرار لوضع سطلات (بالدي) تحت ثقوب المراحيض ثم ترفع السطلات من قبل الهنود وتنظف ثم توضع كذلك. واماالضباط فأمرونا بالصعود الى الطابق الاعلى فى البنكله وهناك وجدنا قاعة واسعة وأمروا حالا فوضعت المراحيض السياره مع الستائر حولها . واذا بالمطبخ فى الجانب الآخر يجهز الاطعمه الفاخره لنا وعند نضوجها نصبت الموائد فأكلنا ووزعوا بعض المأكولات على الجنود وهم بالقطار .

فجائنا بعض الضباط يتكلم بالافرنسيه فقال لماذا لم تأمروا الجنود ليخرجوا من القطار ويدخلوا البنكله الطابق التحتاني ليستريحوا كما انكم وجدتم كل اسباب الراحه هنا . (وهذه الخدمه حملونا منتها بالقول ايضاً) اليس لكم نفوذ عليهم قلنا اما الآن فلا نفوذ لنا عليهم لأنهم اسرى كما انا لا نقدر على منعهم من اجراء تريدون تطبيقه عليهم لا نقدر ان نرغمهم على أمر هم لا يريدونه .

فدونكم واياهم لانتداخل فى شىء من ذلك . كان المتكلم من اول الامر الى آخره كاتب هذه المذكرات ومدحت افندي لأنا كنا نحسن التكلم بالانكليزيه قليلا ام كثيراً .

وحسبما فهمنا ان الجنرال قد خابر المركز فى سيملا (الهند) فصدر الامر بارجاعنا الى محلنا ثم صدر أمر آخر باركابنا بالقوة .

وكان الهنود يأتونا بالسكاير ويعطوها للجنود خلسة وكانت كثيرة جداً وكيفية اتيانهم بها بما ان البنكله فيها اموال تجاريه يظهر انهم استحصلوا موافقة من لهم سجاير بها . ثم فتحوا الصناديق الكبيرة واخرجوها بشكل كروسات (gross) فكانوا ايتناولونها من يد الى يد بسرعة الى بسرعة الى القطار من شباك واحد فى احدى العربات ويجرى توزيعها من قبل الجنود لأخوانهم من عربة الى اخرى الى ان اصاب جميع العربات مقدار كاف .

فيشكرون على حسياتهم هذه فنعذرهم هنا على عدم جرأتهم علناً لأنهم لو استأذنوا الانكليز لما اذنوا لهم لأنه يعد تشجيعاً صامتاً لعصياننا ولا يمكن ان يتصوروا ذلك اكراماً لنا لأجل خاطرهم .

فالانكليز ادهى من ان يخدعوا لأن الوضعيه كانت لا تحتمل ذلك الاكرام من هنود مسلمين ولو كانت فى غير هذه الوضعيه للمنا الهنود على تخوفهم هذا .

وهم اي الهنود كانوا فرحين مستبشرين لأمتناعنا هذا وكانوا يشجعوننا على الاصرار بعيونهم فقط . وطرق سمعنا من احد الضباط الانكليز انا سنرجع من حيث اتينا فبتنا تلك الليله وفى الصباح التالي امرونا بالصعود الى القطار والجنود لا يزالون فيه فسار القطار الى الجهة التي اتينا منها فظننا انا راجعون ولكن بعد مسافة ليست قليله دار الى اليمين ورجع من طريق آخر فى نفس البلده الى ان اتى الى الساحل وهناك الباخره والمحل هذا خال من العماره ومن الاهالي .

(الفصل الرابع عشر)

الانتقال الى الباخره (قره دكز) والتوقف في رابغ في طريقها الى مصر

فلما رأينا ذلك اسقط في ايدينا ولكننا اصررنا على عدم الخروج من القطار مهما كلفنا الامر فجاء بعض الضباط الانكليز ومعه موظف القطار يفتحون ابواب العربات لأنهم كانوا اغلقوها قبل الحركه ففتحوا اولا العربه التي فيها البيكباشيه (المقدمون) وهم علي غالب ورفعت وعبدالقادر فطلب اليهم الضابط ان يخرجوا وبما انهم لا يعرفون الانكليزيه لم يتفاهموا معه طبعاً فجاء الضابط الى العربات الاخرى واحده فواحده يكلفهم بالنزول حتى اذا رأى من يعرف الانكليزيه تكلم معه وربما اقنعه بالنزول فجاء الى العربه التي فيها كاتب السطور (المؤلف) وطلب منا النزول فلم نقبل وقلنا له ان يذهب الى عربة المقدمين اولا .

فقال هم لا يفهمون الانكليزيه تعال معي لنكلمهم فقلت له العربه مقفله وكان الموظف الذي بيده المفاتيح قد ذهب الى جهة اخرى .

فساعدني هو على النزول من الشباك فذهبت معه وصرت أؤدي وظيفة الترجمان وبعد المحاوره قال انا ليس فى يدي شيء فان شئتم واجهوا الجنرال وهو هنا فنزلنا جميعاً وذهبنا مشياً الى الجنرال الذي كان واقفاً فى رأس القطار عند الباخره في الساحل وعند وصولنا لم نره فهو قد قفز حالا قبل وصولنا وصعد الى الباخره فرأينا الجنود الهنود يسحبون جنودنا من العربات وهم يصرخون بأعلى اصواتهم ولكن الضابط الذي معنا ساقنا امامه لصرف اذهاننا عن هذه المأساة قائلا ذاك هو الجنرال فى الباخره لنذهب اليه.

ولكن قد سبق السيف العذل لم يبق لنا شغل عند الجنرال فصعدنا الباخره واذا بنا نفهم ان (سلمان افندي جيجان) قد ضرب بخاصرته بحربة البندقيه وفي يده وجرح جرحاً بليغاً لأنه عاند ولم ينزل .

وبعد هذه الواقعة بدأو بإنزال الجنود كما ذكرنا جرت هذه كلها اثناء محاورتنا مع الضابط ونزولنا ووصولنا الى الساحل ثم خرج بقية الجنود والضباط وصعدوا الى الباخره .

وفى اثناء ذلك كان الاهالي الجنود فى الجانب الآخر مقابل القطار يؤشرون لنا بأيديهم وبكل جرأة ان نذهب ونصعد الى الباخرة لأنهم رأو الجد من الانكليز . وكنت واقفاً فى اعلى الباخرة متكئاً على سياجها وبجانبي بعض الرفاق من الضباط رأيت ضابطاً انكليزياً شاباً بالقرب من متكآي على السياج ايضاً فكلمته بحده وبكل شده قلت له انكم عذبتمونا هذا العذاب وتدعون انكم متمدنون فهذا العمل لايعمله حتى متوحشي افريقيا ألاتخافون الله وقلت انكم تعيشون بالحيل فالذي يعيش بالحيله يموت بالفقر هذا مثل مشهور ولكن ما من مجيب فهو ينظر الي تارة والى البحر اخرى .

وعند ما استقر الجميع فى الباخره كان الجنود فى الانابير والضباط وزعونا على المقاصير وفى هذا الاثناء جائني الزعيم الذي واجهناه اول مرة عند الوصول الى بومبي في اليوم الفائت قال لي بأن اقول للضباط انهم لا بأس عليهم وقد امرنا ان يعدوا لهم ما يريدونه من المسكرات فقلت له نحن مسلمون وهذا حرام لا تبيحه لنا الشريعه ولانريد منكم هذا الاكرام ثم طلب ان اذهب معه لرؤية الجنود فى الانابير فيما اذا كانوا مسترحين وما يجب تدبيره لتأمين راحتكم فنزلنا الى أول انبار فقال لي قل لهم هل هم مستريحون وماذا يحتاجونه فلما قلت لهم ذلك بدأو يصرخون في وجهه صراخاً عالياً حتى تعذر عليه ان يسمعني كلاماً آخر فأخذ بيدي وصعدنا ونحن في السلم قلت له أهذا الذي اردتم فما كان منه إلا ان ضغط على يدي ولسان حاله يقول ارجوك لاتكلمني في هذا الموضوع .

ثم أكد لنا مرة اخرى بأنا سوف نذهب الى مصر لنكن مطمئنين فجرت بنا الباخرة وذلك فى ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٦ وكلنا يأسين وتعبين من المجادلات والمحاورات بيننا وبين الانكليز وترديد ذلك فيما بيننا فاسترحنا كل في محله في الباخره وبقيت تمخر عباب بحر عمان فوصلنا باب المندب فى ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٦ ثم دخلنا البحر الاحمر واستمرت جارية فيه .

وفى صباح يوم ٢ كانون الاول ١٩١٦ واذا بالباخره بدلت استقامتها واخذت في عمل زاويه حاده الى جهة اليمين وقد لفت نظرنا لذلك (هادي قبطان) وهو قبطان عثماني وهذه صناعته قال لا يكون هذا التبديل إلا للحجاز وفى الاخير وصلت الى رابغ في ذلك اليوم ورست هناك بعيده عن الساحل البعد الضروري لمرسى البواخر .

الفصل الخامس عشر

الاحوال التي جرت فى رابغ

صرنا تجاه الحجاز وفي ميناء رابغ فأين اذن قولهم سوف تذهبون الى مصر فأين (شرف الجنرال) وأين شرف (حكومته) اليس الانكليز هم الذين اسروا نابليون فى جزيرة القديسه هيلانه بعد اعطائه المواثيق والعهود بلسان احد قباطينهم المدعو متلاند قائـد البارجه (بلير وفون) اذن فهذه القضيه ليست الاولى من نوعها فاذا اجيب بأنهم اتوا بنا الى هنا لأنا لم نصدقهم فى باىء الامر بالذهاب الى مصر وعملنا مقاومه فأتوا بنا الى هنا مرغمين اقول ان الانكليز ليسوا صبياناً ليلعبوا معنا هذه اللعبه فيعاندونا كما عاندناهم فاذا كانت حقيقة الى مصر لماذا وقفوا بنا فى رابغ واذا كانت النيه التوقف هنا فهم لا يتركونها ابداً نعم بعد التوقف في رابغ ذهبنا الى مصـر ولكنهم استعملوا الخدعه في قولهم تذهبون الى مصر ولم يقولوا سوف لا تذهبون الى الحجاز ونيتهم ارسال ما يبقى منا الى مصر بعـد اخراج ما يمكن اخراجه في رابغ لكنهم تيقنوا بأنه سوف لاينزل منا فى الحجاز احد للعمل الذي عملناه فى بومبي وندموا على مافعلوا ونحن فى بومبي ولكن ارجاعنا كان صعباً عليهم للمصاريف التي صرفوها اولا ولسوء تأثير ذلك فى الهنود ثانياً ولما عسى ان يتمكنوا من اخراج قسم منا ثالثاً ثم سوف لا نرجع الى محلنا لأن المصرف يكون اكثر . ومن رابغ الى مصر اقل ولهذا تداول أولوا الامر في (سيملا) القضيه من جميع وجوهها وعمدتهم الاقتصاد والربح فالاقتصاد فصلناه اعلاه والربح ما سيرجوه بخروج ولو قسـم منا وفي عنادنا في بادىء الأمر ظنوا وهم آثمون في ظنهم هذا ان اكثرنا سوف يوافق على الخروج والذي لم يوافق بتاتاً هم المتكلمون عن غيرهم والمتحمسون ضد هذه الفكره .

ولكن عند اركابنا الباخره تيقنوا القضيه وفهموها تماماً وفي النتيجه لم يحصلوا منا غير ضابط من مجموع بضعة وستين ضابطاً وهو (رشدي قبطان) (ضابـط بحري) فصـار فى الحجاز مأمور الميناء وملازم ثاني وهو رضوان من (القنيطره من سوريا) ومن الجنود مقـدار ضئيل بين العشرين والثلاثين على ما أذكر من مجموع ٢٩٠٠ نفر ولكن خروج هذا النزر اليسير ايضاً ما كان بالهين بل بصعوبه كبيره كما سيجيىء .

فاول مباشرة كانت باستدعاء البيكباشي (المقدم) علي غالب من قبل ضابط انكليزي كبير اظنه مير الاي (زعيم) الى محله من الصالون فبعد المداوله معه افهمه المقدم ان الضباط لا يريدون الخروج ومن اراد منهم ذلك لا يمنعه احد وليس بيننا هنا امرة كبير على صغير ثم فكر الانكليز بجلب بعض الضباط من الحجـاز من الذين التحقوا قبلا فلعلهـم يتمكنون من اقناع رفقائهم والرفيق يمكنه اقناع رفيقه فجاؤا باثنين منهم او اكثر وهؤلاء استدعوا من لهم بهـم معرفة وصداقه من قبل واجتهدوا في اقناع ولو واحد او اثنين منهم فلم يفلحوا فرجعوا .

ثم اتوا بشخص حجازي لا اعرف من هو واستدعوا له بعض الضباط فخطب فيهم خطبة تتناسب والوضعيه حينئذ فلم يوافق احد فيئسوا من الضباط بالكليه وهم كانوا يظنون ان البعض منا لم يخرج حياء وجذراً من الباقين ولكن هنا الباخره كبيره وزواياها كثيره كان كل منا يمكنه ان يتجول بها وخصوصاً الذين استدعوهم لمواجهة من واجهوه فيخرجون من هناك .

وامتعتهم يمكن اخراجها لهم بسهوله ولا يمكن الباقون ان يعترضوا كما كنا في الحقيقة صريحين مع بعضنا ولا حياء يحرجنا من اي موقف نريده فلما يئسوا من الضباط فكروا في الجنود وظنوا بأنا نحن الذين كنا نمنعهم من الخروج فصدر الامر للضباط جميعاً ان ينزلوا الى قارب كبير اعد لنا لنذهب الى باخرة اخرى كانت راسيه هناك ايضاً فسألنا السبب قالوا لا لشيء وتبقون هناك الى العصر فقط ثم ترجعون فأردنا ان نعاند فقال البيكباشي علي غالب ما داموا لا يجبرونا على الخروج فعنادنا ليس له معنى وقصدهـم اخراج الجنود فلنذهب ولا بأس علينا فنزلنا الى القارب وسار بنا الى الباخره الاخرى فصعدنا اليها وإذا بنا نرى الحراس الانكليز مصطفين على الجانبين فمشينا من بينهـم طبعاً ولا مفر تابعين وضعيتهـم بين اروقة الباخره الى ان صرنا في منتهاها واذا بهم يأمرونا بالدخول . الى اين ؟

الى غرفة خشبية طويله كالتي خصصوها لنا في الباخرة اورماريا (راجـع الفصل الاول من هذا القسم) وسعة الغرفه تكفي لربط عشرة احصنه تقريبا وهو محل خاص بالخيل عرضه يكفي لطول حصان واحد وطوله لعشرة أحصنه كما تقدم ارضها خشب يابسه ونحن سبعون ضابطاً تقريباً .

كيف يسعنا هذا المكان فجلسنا القرفصاء متراصين الواحد بالآخر ما هـذه القضيه باجماعه !

فلم يتكلم احد لأن الوضعيه نفسها كانت ناطقه بدون كلام . طيب لنرى ماسيكون ؟ وبعد ساعتين جائنا هندي ومعه خبز وعلب فيها لحم وشاي فقط . الخبز قطع رقاقاً يتكون من القطعه الواحده لقمه واحده واللحم مهروء من الحفظ لم نتعود على اكله والشاي موضوع في بالدي (سطل) ومعه الحليب والسكر ولكن الحليب قد مر من جانب الشاي وقال له اذكرني عند الملمات فتكدر الشاي واصبح اسمر اللون كأنه ماء قد غسلت فيه الاطباق فوضعوا البالدي (السطل) بيننا وبجانبه مقداراً يسيراً من اكواب المعدن (دولكه صغيره) قلنا ياالخوان السكين وصلت الى العظم فيئسنا يأساً ما عليه من مزيد وقليل منا من اكل قطعة خبز بقدر اصبعين والبعض الآخر لم يأكل شيئاً والشاي شرب منه البعض وتركه الكثيرون .

وعند العصر اتانا ضابط انكليزي يتفقدنا فطلبنا منه الرجوع فقال ليس لي امر بهذا الخصوص وربما تبقون الليله هنا ثم اتانا طبيب الباخره وكان يعرف العربيه وسأل اذا كنا محتاجين اليه فقلنا له لسنا في حاجه اليه الآن وحاجتنا ان تخبر من ارسلنا بأنا تأخرنا عن ما أريد بنا ان نبقى والمده تجاوزت وانت ترى وضعيتنا فوعدنا خيراً ومضى .

فمن شدة التفكير والكدر اصيب احدنا وهو كاتب الفوج (علي رضا افندي بالفالج) وفي النتيجه ارسل الى المستشفى عند وصولنا السويس وسمعنا خبر وفاته ونحن في مصر .

ثم تمرض الثاني اليوز باشي (الرئيس) عارف افندي حصل له الم في فؤاده وفي معدته واخذ يتألم فاستدعينا الطبيب بواسطة الحراس الذين كانوا مكتنفين هذه الغرفه التاريخيه فجاء فعرضنا عليه المريضين اذكر انه ارسل لهم شيئاً من الدواء وشكونا وضعيتنا له وذكرنا انا اذا بقينا في هذه الحاله ربما يتمرض آخر وآخر وكان الوقت بعد غروب الشمس بقليل .

وبنتيجة مساعي الطبيب جائنا الامر بالخروج والذهاب الى الباخره الاصليه فذهبنا اليها وكان وقت طعام المساء فذهبنا الى المائده كالعاده وجائتنا المأكولات المعتاده ومن النكته ان احد خدام المائده سألنا عن بعض الاطعمه هل يقدمها لنا ام لا قال احد الرفاق بالعربيه كل ماعندك هات الآن نأكل حتى عيونكم ؟

لنرى الآن ماذا عملوا بعدنا فالذي فهمناه انهم توفقوا وحصلوا على بضعة وعشرين نفراً كما قدمنا وقد اخرجوا (العرفاء ورؤساء العرفاء) الى الساحل فتلقاهم الضباط الذين التحقوا اولا

بالترحاب وكانوا معدين لهم ضيافة فاخرة فجلسوا للطعام(كما وصفوا القضيه لنا عند رجوعهم الى الباخره) والضباط المذكورون واقفون على رؤوسهم بالخدمه والموسيقى العسكريه تصدح بالنغمات المفرحه وبعد الطعام بدأ الضباط فى اقناعهم فلم يتمكنوا ثم اخذوهم الى محل الامير علي (الملك علي رحمه الله) فخطب بهم وشرح لهم القضيةالعربيه فصدقوه بكل ما قال ولكنهم قالوا ان لهم عائلات في البلاد التي لم تزل تحت سيطرة الحكومة العثمانيه فلا يجرأون على الالتحاق لئلا يقع عليهم شر واختصروا المسأله بهذا الوجه ورجعوا .

أما مسألة الموسيقى العسكريه هي التي اسرها الملك حسين وبقيت هناك مع ان افرادها كانوا اتراكاً لا عرب ولكنهم ارغموا على البقاء بدل الذهاب الى اسر الانكليز لأن كل من كان يؤسر فى الحجاز يكون اسراً عند الانكليز وينقل الى مصر ثم سافرنا من هناك الى السويس .

وقبل ان نختم هذا البحث نقول برد السؤال الآتي على الخاطر وهو كيف عمل الانكليز هذه الحركه واختاروا هذه المصاريف الكثيرة .

قطار خاص من مفرق سمر پور الى بومبي . باخرةخاصةمن بومبي الى الحجاز ثم الىالسويس لنقل الباقي فيما اذا بقى احد منا ولم يخرج الى الحجاز وهم لم يتأكدوا من قبولنا الالتحاق او عدم القبول .

فالجواب على ذلك حسب ما شاع بيننا حتى ونحن في بومبي ولا اعرف مصدر هذه الاشاعة انهم عملوا هذه الحركة بناء على التقرير الذي قدمه لهم الترجمان السيد حسين افنان لأنه ظن ان سفر الضباط الاولين وعددهم تسعة عشر الى الحجاز كانت بقوة اقناعه هو وفكر مادام هؤلاء وافقوا بهذه السهوله فلا حاجه لإرسال الباقين وجبات متعدده بل مرة واحدة وكان قد فهم ولا ادري كيف فهم ان جميع الضباط مستاؤون من حكومتهم ولأجل الحاقهم بالحجاز يكفي ايصالهم الى هناك فقط .

وفاته ان الضباط الاولين كانت لهم هذه الفكره وهم في قطعاتهم قبل الحرب بكثير وانها اختمرت الفكره هناك ولهم رأيهم وتفكيرهم طبعاً وان البعض منهم كان قريب البعض الآخر والبعض كان قد سئم من الاسر وذهب لمجرد التحرر من المعتقل الذي كان فيه ولم يفكر في العواقب . (انظر الفصل العاشر من هذا القسم .)

الفصل السادس عشر

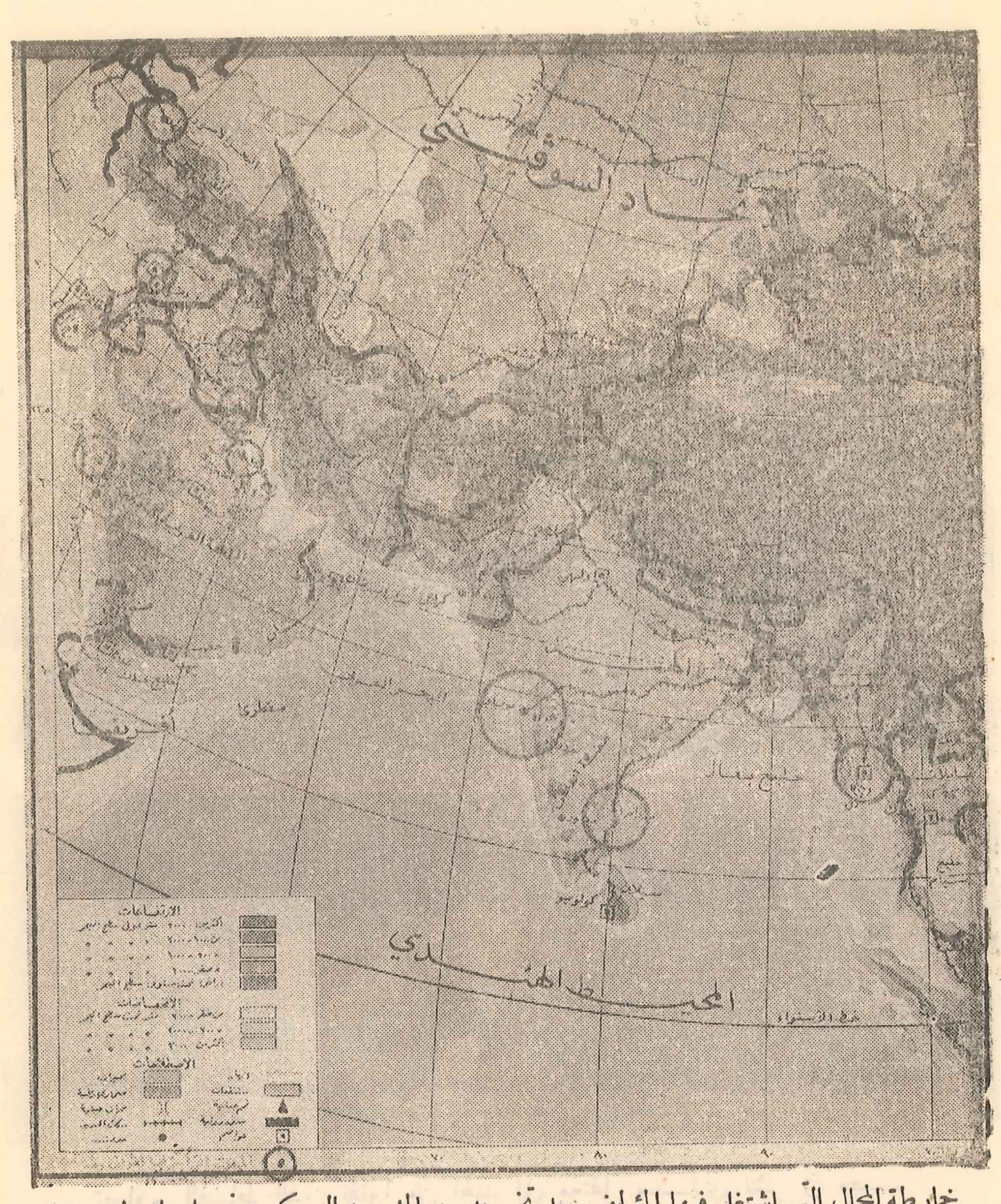
الاستمرار في السفر الى السويس ومنها الى سيدي بشر

تحركت الباخرة من رابغ فوصلت السويس وخرجنا من الباخره الى القـطار فسار بنا ماراً بالمحطات الآتيه (سوق النمسا ، المحطه الكبرى ، نغيشه ، اسماعيليه ، التل الكبير ، زقازيق . بنها طنطا ، كفر الزيات تل برود ، دمنهور ، ثم سيدي جابر .)

وسيدي جابر هذه بلدة لا اعلم سعتها لأنا نزلنا في جانب خارجي منها فرأينا هناك مقهى منتظمه ونظيفة للغايه والجالسين فيها جلهم من الافنديه فيمكن تقديرهـا بأنها تقابل احـد الاقضيه الكبيره العامره عندنا .

وهناك قد احضروا لوريات متوسطة الحجم مغطاة وللفتحة الخلفيه ستاره وفي جانبي اللوري مقاعد خشبيه جلسنا عليها على صفين الواحد مقابل الآخر وفي آخر كل صف من جهة الخلف جلس جندي انكليزي بسلاحه فكان في كل لوري جنديان وانزلت الستاره فمشت اللوريات العديده التي حملتنا نحن الضباط جميعاً الواحـد خلف الآخر لمـدة يسيره وهناك نزلنا ودخلنا بنكله ففتشوا جيوبنا واخذوا كل ما وجدوا من النقود الورق والمعدن ووضعوا ما وجدوه مـع كل شخص في ظرف كبير على حده وكتبوا فوقه اسم صاحبه وبعد يومين او ثلاثة فتحوها واحداً واحداً بحضور صاحبه وعدوا ما فيه من الدراهم واعطونا بها وصولات وحفظوها معهـم ثم جائت امتعتنا ففتشوها كذلك واخذوا منها كل ما وجدوه من امواس الحلاقه والسكاكين وغير ذلك .

ثم قسمونا على الخيم كل اثنين في خيمه ولكل واحد قريوله (سرير حديـدي) فوقه مندر بقطعتين يسمونه كل قطعه بسكت وهي على هيئة البسكت الكبيره العسـكريه المربعه وبطانيات كذلك ثلاثة واحده لفرشها فوق المنادر واثنتين للغطاء ومخاديد كذلك .



خارطة المحال التي اشتغل فيها المؤلف بعد تخرجه من المدرسه العسكريه فى استانبول برتبة ملازم ثاني وخوضه الحرب العالميه الاولى بثلاثة وقائع أسر بالاخيره منها وهو برتبة يوزباشي (رئيس اول) ونقل اسيراً الى البلدان الهنديه ومصر وقد اشرة المحال بدوائر في الخارطه ثم اطلق سراحه من الاسر فى البصره بتاريخ ٨ نيسان ١٩١٩ م :

الفصل السابع عشر

مدة البقاء في سيدي بشر سنتين ونصف

هذا المحل يسمى سيدي بشر لوجود جامع بالقرب منه فيه مرقد لبعض الصالحين اسم (بشر) وهو جامع وحوله مقبرة وهذا الجامع منفرد فى الصحراء وعلى ساحل البحر . وقد انشأوا هناك معتقلا أسموه سيدي بشر محاطاً بأسلاك شائكه كبقية المعتقلات .



تصاوير الضباط الذين نقلوا من الهند الى معتقل سيـدي بشر فى مصـر والواقع على البحر الاحمر والبقاء في هذا المعتقل سنتين ونصف إبتـداءاً من ٢٩ كانون الاول ١٩١٦ لغاية ٢٨ شباط ١٩١٩ م

كنا نذهب الى البحر عندما كنا في هذا المعتقل كل يوم وقت العصر جمله من الضباط بالمناوبه ومعنا ضابط انكليزي للاستحمام بماء البحر وبما اني لا احسن السباحه كنت اذهب معهم فاستنفع بالماء الضحل قرب الساحل والبعض منا كان يعوم لمسافة ما ثم يرجع وبما ان ماء البحر فيه ملوحه يتكون على الجلد منه طبقة دبقة وعندما نرجع الى المعتقل نغتسل مرة اخرى بماء النهر الذي كان يأتينا بالانابيب فلما رأيت هذه الكلفه تركت الذهاب الى البحر .

وبعد البقاء في هذا المعتقل مدة قصيرة انتقلنا الى معتقل اكبر منه بعيداً عن البحر وفيه بناكل (بنكلات) كثيرة كانت لم تزل في دور الانشاء فاقمنا في الخيم ايضاً الى ان تم انشائها فتحوها الينا فكل بنكله قسموها بفواصل من الخشب والحصران وجعلوها غرفاً مربعة وضعوا في كل منها بيكباشي (مقدم) واحد او ثلاثة من الرؤساء او اربعة من الملازمين وخصصوا لكل فرد من الضباط منضده يضع عليها اوازمه .

ومسألة الطعام ليست كما في المعتقلات الاخرى بل كان هناك متعهد يأتينا بالمواد اللازمه للطعام فيطبخ، البعض من جنودنا ممن لهم خبرة في الطبخ وتنظيم المائده وما اشبه .

وقد خصصوا لنا بنكله جعلت مطبخاً مع مخزن للمؤنه واخرى جعلت مطعماً وفيها الموائد والكراسي والاطباق وكل ما يقتضي للمائدة من درجة ثانيه (Secondglass) وترتيب ذلك ان الانكليز يقطعونه من راتبنا عن كل يوم عشرة قروش صاغ مصريه لنا ان تشتري بها ما نريد واذا فضل منها شيء يبقى في ذمة المتعهد الى اليوم الثاني وكان الناظر على الاعاشه احد الضباط من بيننا اما بالمناوبه او من يرضى عنه الجميع والتبديل يكون اما عن استقاله او اقاله حسب الوضع واللزوم ولزيادة الايضاح نقول مثلا اذا كان الموجود مائة ضابط فلناظر الاعاشه ان يطلب من المتعهد ارزاق من اللحم والخبز والخضروات وغيرها حتى الفلفل والملح وكل شيء (الا الوقود فمجاناً من الانكليز) حسب ما يقتضي لطبخ الالوان التي يراد احضارها في ذلك اليوم بقدر الف قرش صاغ باعتبار عشرة قروش عن كل ضابط ولديه اسعار المواد وهي محدودة الا ما يغيره المتعهد من بعضها بين الحين والآخر بزيادة او نقصان ففي ذلك اليوم مثلا حصل الاكتفاء بصرف ٩٠٠ قرش فتبقى ١٠٠ قرش لليوم الثاني وهكذا تجمع الفضلات وتصرف كلها او بعضها اضافة على الاستحقاق عندما يشتهي الضباط او ينسبه موظف الاعاشه اكلة سمينه

وادوات المطبخ والمائده جميعها من المتعهد وراتب الطباخ ومساعديه كذلك منه (إلا الضابط الناظر فبدون راتب) باعتبار ان المتعهد هو الذي يجهز الطعام فبدلا من ان يطبخ ونشتري منه الطعام مطبوخاً عمل هذا الترتيب فهو يستفيد من الاسعار تعويضاً لما يصرفه من الرواتب وقيمة الصحون والملاعق وغيرها والنقليات وما أشبه .

فالطعام كان لا بأس به إلا ان السمن كان مغشوشاً لعدم الامكان الحصول عليه سالماً من الغش فكان سبباً لمرض المعده لكثير من الضباط . وكان من جملة الاسرى اطباء ملكيه كانوا مستخدمين في الجيش العثماني فاعتبروا عسكريين طبعاً فاستخدمهم الانكليز لتطبيب الاسرى وخصصوا لهم راتباً اضافياً لهذه الخدمه فكنا نراجعهم عند الحاجه . ولما رأوا ان اكثر الامراض خاصة بالمعده فهوا السبب فمن جملة تدبيرهم انهم اجتهدوا لمنع الذباب من الطعام فصار الطعام لا يجهز إلا بعد ان يجلس المتناول ويأخذ مقعده من المائده ولكن هذا لم يكفي وبقي مرض المعده ملازماً للكثير منا الى ان اطلقنا من الاسر وسببه كان السمن حسب تقريرنا .

ورواتب الضباط هنا كان يومياً (للرئيس فما فوق الى الزعيم) ٢٢ قرشاً وللملازمين ١٩/٥ قرشاً فيؤخذ من كل الضباط عشرة قروش يومياً لافرق بين الضباط من النوع الاول اومن النوع الثاني ويعطى لنا الباقي في آخر الشهر .

كنا في الاسبوع مرة واحده يوم الثلاثاء على ماأذكر نخرج جميع امتعتنا من الغرف الى خارجها بواسطة خدمنا وبعد كنسها ورشها يأتي مأمورو الصحه فيرشونها بالآسيد فنيك المخفف بالماء وتبقى الى مابعد الغروب بقليل ثم ندخل المواد اليها .

الرواتب التي قبضتها في سيدي بشر

قروش					يوم القبض
٥٢٨	بقية رواتب شهر كانون الاول	عن	٢٤ يوم	٢٩	كانون الاول سنة ١٩١٦
٦٨٢	= راتب كانون ثاني	=	٣١ يوم	٣١	كانون ثاني = ١٩١٧
٦١٦	= = شباط	=	٢٨ =	٢٧	شباط = ١٩١٧
٦٨٢	= = مارت	=	٣١ =	٣١	مارت = ١٩١٧

قرش					يوم القبض
٦٦٠	بقية راتب نيسان	عن	٣٠ يوم	٤ مايس	سنة ١٩١٧
٦٨٢	= = مايس	=	٣١ =	٣١ مايس	= ١٩١٧
٦٦٠	= = حزيران	=	٣٠ =	٣٠ حزيران	= ١٩١٧
٦٨٢	= = تموز	=	٣١ =	٣١ تموز	= ١٩١٧
٦٨٢	= = آب	=	٣١ =	٣١ آب	= ١٩١٧
٦٦٠	= = أيلول	=	٣٠ =	٣٠ أيلول	= ١٩١٧
٦٨٢	= = تشرين أول	=	٣١ =	٢ تشرين ثاني	= ١٩١٧
٦٦٠	= = تشرين ثاني	=	٣٠ =	٣٠ تشرين ثاني	= ١٩١٧
٦٨٢	= = كانون أول	=	٣١ =	٣١ كانون أول	= ١٩١٧
٦٨٢	= = كانون ثاني	=	٣١ =	١ شباط	= ١٩١٨
٦١٦	= = شباط	=	٢٨ =	٢ مارت	= ١٩١٨
٦٨٢	= = مارت	=	٣١ =	٣٠ مارت	= ١٩١٨
٦٦٠	= = نيسان	=	٣٠ =	١ مايس	= ١٩١٨
٦٨٢	= = مايس	=	٣١ =	١ حزيران	= ١٩١٨
٦٦٠	= = حزيران	=	٣٠ =	١ تموز	= ١٩١٨
٦٨٢	= = تموز	=	٣١ =	١ تموز	= ١٩١٨
٦٨٢	= = آب	=	٣١ =	آب	= ١٩١٨
٦٦٠	= = أيلول	=	٣٠ =	أيلول	= ١٩١٨
٦٨٢	= = تشرين اول	=	٣١ =	تشرين اول	= ١٩١٨
٦٦٠	= = تشرين ثانى	=	٣٠ =	تشرين ثاني	= ١٩١٨
٦٨٢	= = كانون اول	=	٣١ =	كانون اول	= ١٩١٨
٦٨٢	= = كانون ثاني	=	٣١ =	كانون ثاني	= ١٩١٩
٦١٦	= = شباط	=	٢٨ =	شباط	= ١٩١٩
١٧٨٨٦					

ولما كان ورود الاسرى لاينقطع معينه واكثرهم من فلسطين اضطروا الى معتقل آخر بجانب معتقلنا وبحجمه ثم آخر وآخر فصارت اربعه الواحد متصل بالآخر باستقامة واحده اي عرضها متساوي وبين كل معتقل وآخر باب فعندالعصر من كل يوم تفتح الابواب كلها فيتزاور الجميع ثم تنتهي المده فتغلق الابواب .

وكان في وسط كل معتقل بنكله صغيره جعلت كدكان فيها جميع انواع الخردوات مما يحتاج اليه الضباط من ادوات الحلاقه والزينه والملابس والاحذيه اي كل ما يوجد فى المدن ويستعمله الناس ومعها الفواكه بأنواعها والنقل وحتى الدفاتر والاقلام والكتب ففي بداية الامر كان واحد ومتعهد شخص آخر غير متعهد الطعام فصارت اربعة دكاكين وكلها لمتعهد الطعام اي انه صار متعهداً لكل شئ يدخل المعتقلات هذه وقد نسب الانكليز ان يستخدم للدكاكين الاربعه وكلاء له من ضمن الاسرى وهم وكلاء الضباط والملكيين يتقاضون راتباً من المتعهد لأنهم ليس لهم راتب رسمي من الانكليز .

فجميع الاشياء مقيده عليهم في دفاتر بالعدد والسعر المعين فهم يبيعون ويتحاسبون مع المتعهد وفضلا عن ذلك فقد كانوا يقيدون فى ورقه على حده يومياً المواد المطلوبه منهم التي لم توجد فى دكاكينهم يذكرون اسم الشئ وبجانبه اسم طالبه فكل يوم تقدم اربعة اوراق للمتعهد وهو بعد ان يعرضها على قائد المعتقل يأتي بالمواد المذكورفيهابعد يومين من استلامها ولقائد المعتقل ان يحذف منها ما يراه غير موافق لسياسته فمثلا طلب مرة احدهم ان يأتيه المتعهد بطيور حمام فكتب عليها القائد (Not alive) غير حيه اي اذا كانت مذبوحه فتدخل وإلا فلا خوفاً من ان يكتب الاسرى كتاباً يشدونه فى اجنحتها ويرساونها وامثال هذه وعلى ذكر منع الحمام كان في المعتقل اسرى ملكيين جائوا بهم من الحجاز كان لأحدهم ابن فعمل له طيارة ورق وارسلها في الهواء بواسطة الخيط فمنعوها خوفاً من ان يكتبوا فيها او معها كتاب ويرسلوهافتسقط خارج المحل فيلتقطها من يلتقطها .

وكان فى وسط كل معتقل بنكله خاصه جعلت جامعاً وفرشت بالحصر فكنا نصلي فيها ونتذاكر بعض الدروس الدينيه فيها كان التفتيش يجري علينا مرتين فى اليوم في الصباح وفي المساء كان يوجد بعض الاشخاص يتجولون بيننا احياناً بإسم ترجمان وكلهم او جلهم من

الارمن لهم رتب عسكريه يظهر انها وقتيه كنا اذا اردنا كتاباً نجلبه بواسطتهم فكنت اجلب بعض الكتب الفرنسيه لتقضية الوقت وتقوية اللغه والاطلاع على اساليبها كما كنت اشتري جريدة (la-Bourse Egyptionne) يومياً وطاب اصدقائي الي ان ارجم البرقيات الي فيها الى التركيه لمدة من الزمن كانت تعلق في البنكنه التي اتخذت مقهى فيقرأها من يريد .

اما تمضيتنا الوقت هناك فكان البعض يشتغل بتقوية اللغه الافرنسيه والبعض الآخر تتعلم الانكليزيه او الالمانيه او يتعلم الضرب على آلة موسيقية كالكمان والماند ولين وقد تشكل هناك حقوق موسيقى لا بأس به ثم رتب البعض الآخر جمعية تمثيل وآخرون قره كوز (خيال الظل) وغيرهم جميعة سينما .

اما اصحاب التمثيل فطلبوا من الانكليز بنكله خاليه لهذا الغرض ورتبوا فيها المسرح على قدر الامكان ومقاعد كذلك واستأجروا بعض الملابس من الخارج ومثلوا لنا رواية فتح الاندلس عن يد طارق بن زياد واخرى عن قيام سلطان جم على اخيه السلطان بازيد وعاقبته الاليمه .

وخيال الظل روايات مسليه ومضحكه (انظر مادة التمثيل في الفصل الرابع من القسم الاول اما اصحاب السينما فاستأجروا ماكنة وشرائط وعملوا الشاشة البيضاء من البز الابيض وحصلوا على مقاعد وكراسي وكل من قام بهذه الاعمال لم يقصد الربح بل التلهي والترفيه عن اخوانهم الاسرى فكانوا يأخذون من كل ضابط غرشين صاغ وهذة لتسديد المصاريف فقط .

التشبث بالهروب - هرب مرة بعض الضباط وهم اثنان او ثلاثة ولا اتذكر كيفية خروجهم من المعتقل الا انهم قبض عليهم وارجعوا بعد مدة قصيره ثم تشبث آخرون وهم سته وكيفية خروجهم ان ليله من الليالي كانت مظلمه والقمر في المحاق والضباب شديد جداً بحيث لايمكن للشخص ان يرى امامه اكثر من نصف متر وكانت المسافه بين كل حارس وآخر على طول الاسلاك الشائكه من الخارج لايقل عن خمسين متر وربما اكثر والحراس كل منهم واقف فوق قلبه يشرف منها على المسافه التي بينه وبين الآخر من الجهتين وتحت كل قلبه ضياء كهربائي فني الضباب المذكور لم يعد الضياء ينتشر الى اكثر من مترين على اكثر تقدير وفي منتصف المسافه بين الحارسين كان الظلام حالكاً ولما كانت ارض المعتقل رمليه فقد ازاحوا الرمل وحبوا على

بطونهم منحنين الرمل بأيديهم من امامهم ومن جانبيهم وخرجوا واحداً فواحداً بصمت عظيم وحسب ماسمعناه وشاع بيننا انهم ذهب ثلاثة منهم الى الاسكندريه والقاهرة والاولى ارجح فسكنوا في فندق بأسماء مستعاره وكانوا لا يخرجون الا قايلا فاشتبه صاحب الفندق بسلوكهم فأخبر عنهم فقبض عليهم والثلاثة الآخرين تمكنوا من الوصول الى ساحل البحر فوجدوا قارباً شراعياً ليس معه أحد فركبوا مستعملين الشراع وقصدهم الوصول الى ساحل فلسطين فكانت زوبعة مزقت الشراع وأشرفوا على الغرق فرجعوا الى الساحل حوالي (دمياط) وكان الوقت فجراً فكشفت دخيلتهم وقبض عليهم فجاؤوا بهم الى مركز شرطه ولما رأوا انهم سيهانون ويضربون اعترفوا بأنهم اسرى وقد هربوا من معتقل سيدي بشر فلم يصابوا بأذى بل حصلوا على مساعده من الملبس والمأكل وغيره ثم اعتقلوا مع الثلاثة الاولين في محل آخر ولم يعيدوهم الينا.

وكان كلما هرب احد يعمل الانكليز تشديدات على الباقين فابدلوا نقودنا الورقيه التي كانت معنا بنقود من الزنك عملوها خصيصاً لتستعمل في داخل المعاقل كنا نعطيها الى اصحاب الدكاكين ونشتري بها مانريد وهم يأخذونها ويعطونها للمتعهد فيستبدلها عند الانكليز بورق صحيح وعندما يعطونهارو تبعاتنا منهاوهي قطعتان شكلهما مربع ذات المائة قرش اي الجنيه المصري وذات الخمسين قرش نصف الجنيه إلا ان الاول اكبر.

وثلاثة قطع اخرى شكلها مدور الواحده اكبر من الاخرى ذوات العشرين والعشره والخمسة قروش اماما يقل عن الخمسة قروش فقد ابقوا السكه الحقيقيه نتداولها وهي ذوات القرشين من الفضه وذات القرش ونصف القرش والملمين والمليم وكلها من النيكل.

وذلك لئلا تكون في ايدينا دراهم فيسهل لنا الهروب.

وفي المثل البغدادي (انه في الشر ويشتر) اي يطلب شراً آخر فمثلا هو في السجن ويسرق او يعتدي على غيره.

وذلك حسب ما قيل ان بعض الالمان هناك قلدوا ذات الخمسين قرشاً بقطعهم ذات العشرة قروش من اطرافها وجعلها مربعة بقدر ذات الخمسين والرقم (10) حولوا الواحد منه الى (5) وهكذا تداولت فلما أحس بها الانكليز جمعوا كل ذات الخمسين وابدلوها لنا بغيرها وصرفوا النظر عنها.

تشبث الالمان بالهروب :ـ

ان بناكل الضباط الالمان الواحده بجانب الاخرى وعلى خط واحد وأظهرها الى جهة الاسلاك الشائكه الخارجيه بينهما لا يزيد على عشرة أمتار على اكثر تقدير فهم لا يتعاشرون مع الضباط العثمانيين الا خارج غرفهم وبصوره نادره الا ان ضابطاً عثمانياً يظهر انه من اصل غير تركي وغير عربي طبعاً من الروم ايلي يعرف الافرنسـيه والانكليزيه وبعض الالمانيه كان يتداخل معهم ويذهب الى غرفهم احياناً .

فالالمان بدأو يذمون وضع الكازينو وقالوا انها لا تتبع نظاماً فطلبوا ان يديروها هم انفسهم ورتبوا لها جمعيه فاشترك الكثير بها وجمعوا الدراهم ورتبوا الكراسي واخذوا مانقصهـم من من الانكليز ثم رأوا ان المناضـد في المقهى قليله فطلبوا من البعض منا منضدته بالثمن وهي ليست لنا ولكنهم يشترون حق الاستفاده منها بمبلغ اقل من قيمتها وهي بيت القصيد كما سيأتي وعملوا جمعية اخرى للبليارد فالمشترك فيها له امتياز على من لم يشترك وهلم جرا وقد نقشوا على جدران الكازينو من الداخل صور معبودات المصريين القدماء متنوعه وابدوا معنا مجامـلات اكثر من الاول .

ثم اخذوا يحفرون فى احدى غرفهم بجانب الجدار الخلفي ليـلا وربما ان الارض رمليه الى عمق كبير فهم ينقلون الرمل وينشرونه خارج الغرف يضيفونه الى الرمل من جنسه ولا يعرف اذا زاد الرمل او نقص في النهايه يضعون البيانو الذي كانوا اشتروه ويعزفون عليه كل يوم فوق فوهة الحفره بحيث لا يمكن رؤيتها وعندما يأتي اليوم الذي يخرجون امتعتهـم فيه لأجل رشها بالآسيد فنيك فهم لا يخرجون البيانو ويسمح لهم بابقائه في محله لثقله ولكنهم يزحزحونه ليـلا ويحفرون كما تقدم ولما كان الرمل ينهار كلما فرغ جانب منه يضعون منضده في المحل المحفور ويسـندون طرفيها بأكياس من الخام (البز) يشترونه من احد الدكاكين ملأى بالرمل وفمها مخيط .

ثم يحضرون من تحت المنضـده ويخرجون الرمل فاذا مافرغ قدر منضـده اخرى يدفعون المنضده الاولى الى الامام مع اكياسها الجانبيه ويضعون منضده اخرى بعـدها ويسـندونها بالاكياس ايضاً ومنضده ثالثه وهكذا فيتحصل من ذلك طريق متصل من تحت المناضد طرفاه

كالجدار بواسطة الاكياس فاذا ماتم الطريق بعد ان يصرفوا له مايكفي من المناضد بحيث يخرجون به من تحت الاسلاك الى الخارج فيخرجون منه جميعهم في ليلة مظلمه وذات ضباب يختارونها فاتصل الخبر بالانكليز قيل بواسطة ذلك الضابط الذي كان يتصل بهم كثيراً فجاء الانكليز ورأو الوضعيه كما فصلناها آنفاً فدفنوا الغار المعمول واخرجوا المناضد وجعلوهم يخرجون البيانو عند اجراء التنظيفات وقبل ان يرشوا الآسيد فنيك يأتون بعمود خشبي غليظ يدقون به ارض الغرف جميعها حتى اذا كان تحت الارض حفره يحس بها وصاروا يمنعون شراء البز من المتعهد إلا بطلب تحريري ولا يوافقون إلا بعد ان يتأكدوا من ضرورته للطالب وبمقدار محدود ثم بدأو يأخذوننا للنزهه من العصر الى غروب الشمس في المزارع التي حوالي المعتقل بالمناوبه كل يوم اربعون ضابطاً تقريباً ومعنا ضابط انكليزي وجندي غير مسلح بعد ان يأخذوا تواقيعنا بأنا لا نهرب مقسمين بشرفنا العسكري يمشي الضابط اولا ثم نحن وبعد ذلك الجندي يمشي بصورة مبعثره وبكل حريتنا وتكون قافلتنا طولها نحو مائة متراً او اكثر وفى رجوعنا فما نصل المعتقل إلا والليل قد ارخى سدوله .

ثم مضت مده طويله لم تقع خلالها حوادث هروب واخيراً تمكن ضابط من اهل اليمن من الهروب ونجا وتفصيل ذلك لما كانت دراهمنا من الزنك (التوتيا) الى حد الخمسة قروش فقد باشر بجمع ذوات القرشين بالتدريج وهي خفيفه الحمل ويمكن الاستفاده منها فى الخارج وقد جمع منها مقدار ثمانمائه فيكون مجموعها جنيه وستمائة مليم اي مائة وستون قرشاً مصرياً ثم اشترى بزاً ابيض وخاطه ثوباً طويلا (دشداشه) وعمل منه غتره (كفيه) وبقى يمشي حافي القدمين مدة طويله بحجة الرياضه الى ان توسخت قدماه وتقشرت فصارت تشبه اقدام الفلاحين وهو لونه اسمر يشبه الاعراب وبعد ما اتقن كل شيء خرج للنزهه مع من خرج من الضباط وعند الصوره تأخر بين النخيل واختباء وبعد مرور رفقائه والضابط الانكليزي والجندي قام مستفيداً من ظلام الليل وترك البسته ولبس الهيئه العربيه وذهب الى حيث لا يعلم . ولا ندري كيف هرب المومى اليه وهو لا بد وقد وقع على الورقه مقسماً بشرفه العسكري انه لا يهرب وفى اواخر المده اذن الانكليز للبيكباشيه (المقدمين) واليوزباشيه (الرؤساء) ان يستعملوا المسكر فللمقدمين قنينه كل يوم وللرؤساء واحده كل اربعة ايام او غير هذه الفترات لااتذكر ذلك جيداً . وهنا فى سيدي بشر كان قد احد موزعي الجرائد يأتي كل صباح الى ابواب المعتقلات نشتري منه الجرائد المصريه وهي اثنتان بيه المقطم والاهرام وواحده افرنسيه (la bourse Egyptienne) واخرى انكليزيه (Egypt)

(الفصل الثامن عشر)

التشبثات التي جرت في معتقل سيدي بشر لارسال ضباط آخرين الى الحجاز

ثم اجتهدوا ان يأخذوا من الضباط من سيدي بشر فلم يفلحوا ولم يلتحق احد ولا ضابط واحد اما الجنود الذين اتوا معنا الى مصر فلم يأتوا بهم معنا الى سيدي بشر بل اخذوهم الى معتقل آخر خاص بالجنود يسمى (المعادي) وبعد مدة حسب ما سمعناه ارجعوهم الى الهند الى سمر پور معتقلهم الاول .

وقد اتى الى معتقل سيدي بشر مرة جعفر باشا العسكري وتواجه مع البيكباشي (المقدم) علي غالب اكبرنا رتبة وسناً وتذاكر معه بشأن الالتحاق فافهمه انه لا يريد الالتحاق وجميع الضباط كذلك فلا فائده من الكلام معهم اصلا فرجع وجاء مرة غيره فلم تفلح كل التشبثات بهذا الخصوص فتركونا وشأننا وبدأو يقنعون الضباط قبل ان يأتوا بهم الى المعتقل فمن وافق اخذوه من هناك وجاؤنا بمن لم يوافق بتاتاً كأنهم ادركوا خطأهم وفهموا ان الروح العثمانيه هي السائدة في المعتقل فلا يمكن اخذ احد منه بعد ان يختلط برفقائه وخطأهم الثاني ان يرجعوا من اخذوه من بين رفقائهم اما الذي يؤخذ قبل الاختلاط فلا يعرف عنه شيئاً ومن طرد اورفض من الحجاز لا يأتون به الينا مطلقاً .

(الفصل التاسع عشر)

السفر من سيدي بشر الى البصره والخروج في البصره

انتهت الحرب ووقعت الهدنه بين انكلترا وتركيه . قرأنا في الجرائد ان من جملة شروط الهدنه ان يكون اسرى حكومة تركياً تحت تصرف الانكليز فسجلوا اسمائنا نحن العراقيين لارسالنا الى العراق الا من فضل البقاء للالتحاق بالحكومة العثمانيه وهم ثلاثة ضباط على ما اذكر وعندئذ عمل لنا الضباط الترك حفلتين تبودلت فيها عبارات التودد والمجامله والخطب فقدم لنا خطيب الترك الشكر الجزيل لما قمنا به من الواجب نحو حكومتنا وبقائنا اوفياء لها الى آخر لحظه من انتسابنا لها وطلب الينا ان نبقى اخواناً رغم فصل السياسه بيننا كيف لا وبجمعنا الدين والتقاليد وانهم سيبقون مخلصين للعراق لاحتوائه على المراقد المقدسه للأئمه الكرام فى النجف الاشرف وكربلاء وبغداد وسامراء فقابلناهم بمثل ذلك بأنا نحافظ على هذه الاخوه ولاننسى الذكريات للمده الطويله التي عشناها سوية وكل ما جرى او يجري من الامور لا يؤثر باخوتنا ثم سافرنا واثناء سفرنا سمعنا عن الثوره فى مصر بأنها قائمة على قدم وساق لطلب الاستقلال ثم ركبنا القطار من سيدي جابر ووصلنا السويس وهناك بقينا في معتقل عمل خصيصاً لأجل انتظار من يسافر فى البواخر او القادم من البحر وينتظر القطار من الاسرى لا اذكر انا بتنا فيه ثم ركبنا الباخره وإسمها (Ormonde) وقطعنا البحر الاحمر وبحر العرب الى مومبي فمررنا بالمدينة مشياً على الاقدام الى معتقل موقت في محله بعيده فى جانب نائي من البلده وبتنا هناك ليلة او ليلتين ثم ركبنا بناء على طلبنا اللوريات وقلنا إن المسافه بعيده لا نقدر على قطعها سيراً ثم ركبنا الباخرة (Varela) اقلتنا الى البصره ـ وفى البصره خرجنا الى معتقل قد عمله الانكليز في المحل المسمى المكينه بقينا فيه ليلتين فسجل من اراد الخروج فى البصرة اسمه وأنا منهم وكنا اكثر من عشرة ضباط والباقون انتظروا في هذا المعتقل ثم ارسلوهم الى بغداد وفي هذه السفره خوفاً من ان يفاجئنا لغم سيار في البحر اعطوا كلا منا لباساً خاصاً يقينا الغرق فكنا نلبسه كل يوم صباحاً ونحضر التفتيش فينظرون اذا كنا قد اتقنا استعماله ام لا وكنا نضعه بجانب منامنا ونحافظ عليه وكان خروجنا في البصره يوم ٨ نيسان سنة ١٩١٩ .

القسم الخامس

حياتي الاهليـــه

الفصل الاول

اشتغالي بائع تحافية (نواعم) خرده فروش ثم صاحب مكتبه بإسم المكتبه الادبية

عندما حللت بالبصره استأجرت دكاناً واشتريت المـواد التي كانت فيه حسب الموافقه مـع مستأجره السابق لأنه يريد تبديل تجارته هذه بغيرها صرت مكانه فكنت ابيع من المواد وكلما تجمع عندي شيء من الدراهم اشتري بها ما ينقص من الحاجيات ولما كان ربحي يكاد يسد المصاريف الضرورية حصلت لي فرصه طلب بعض التجار كاتباً يقوم بتنظيم دفاتره فاشتغلت عنده براتب معين وبعت الحوائج التي كانت باقيه في الدكان وسديت بها بعض الديون فتبين لي اني استهلكت قسماً كبيراً من رأس المال ولم يبق بيدي غير شيء يسير وبعد دوامي في الكتابه لـدى التاجر المذكور مده خمسة اشهر تركته لا لسـبب مهم سوى عدم تحديـد اوقات العمل لأنه يريـد الكاتب ان يشتغل طول النهار وبعض الليل كما هو دأب تجارنا الشرقيين وفضلا عن ذلك جعلني آلة صماء لا افهم من العمل شيئاً .

ثم فهمت ان دائرة الاوقـاف فى حاجة الى مهندس فقدمت طلباً بذلك فطلبوا مني تقديـم الفحص وقد جرى بواسطة مهندس البلديه (المستر ثورن) وهو انكليزي فجزته بسلام وبقى أمر تعييني فقيل لي ان ذلك يكون بعد تصديق الوظيفه من قبل الوزارة المختصة ولما طال الامد على ذلك وتجاوزت المـدة الشهرين اقترضت مبلغاً من الدراهـم وفتحت بها دكاناً مرة ثانيه واشتغلت كعملي الاول لمدة تقرب من الثمانية اشهر ثم مر بخاطري ان اشتغل ببيع الكتب لأني احبها وكم مره نهاني اصدقائي بأن ليس للكتب رواج فى هذه البلده ولا راغب لها سواي فإن شئت ان اشتغل بها فيجب ان ابيعها على نفسي .

بهذا وامثاله كانوا يثنون عزمي فتريثت مده ثم غلبت علي فكرتي الاولى فطلبت من مصـر ارساليه بسـيطه فجائتني فبعتها بسرعه وبقيمة اكثر من ثلاثة اضعافها وطلبت غيرها وغيرها الا اني في يوم من الايام راجعت دائرة الاوقاف مرة اخرى فطلب مني الفحص مرة ثانيه .

وذلك بدوامي بالوظيفه لمدة شهر كامل بدون راتب حتى اذا رأتني الدائره اهلا فانهاتوظفني نهائياً ولما وافقت ارادوا ان يكتبوا الى بغداد بهذه ايضاً فمللت هذا التماطل . وكانت المشافهة هذه بواسطة مهندس البلديه .

واخيراً عرض علي ان اشتغل عنده في البلديه فوافقت فعينني واشتغلت معه ومع غيره لمـدة عشرة سنوات كامله بعنوان ملاحظ (Overeer) من ١ كانون الاول ١٩٢١ إلى ٣٠ تشـرين ثاني ١٩٣١ .

الفصل الثاني

اشتغالي في هندسة بلدية البصرة كملاحظ لمدة عشرة سنوات كامله

امرني المهندس المستر ثورن في بداية الامر ان أخذ خريطة قرية قريبه من البصره تسمى (كوت رزنه) فباشرت بها بالبلان تيبل (plane Table) وبعـــد مضي شهر واحد لم اتمهـــا وهي



بناية رئاسة بلدية البصره

حيث اشغل المؤلف وظيفة ملاحظ في لمدة عشرة سنوات ابتداء من سنة ١٩٢١ الى ١٩٣١ وقد أشرف على بناية البلدية المذكوره للقســم الامامي وهي البناية القديمة اما القسم الخلفي العالي والذي يشاهد بهذه الصوره فقد أنشأ حديثاً بالمحل الخالي بخلف البنايه

أخذت الصوره سنة ١٩٧١

تحتاج الى شهر آخر فصرف النظر عنها وأجل اكمالها الى وقت آخر واكتفى بما عملت منها بعد ان اخذت الشوارع الرئيسيه الباقيه فصارت نصفها كاملة التفاصيل والنصف الآخر يحتاج الى املاء التفاصيل ما بين الشوارع الرئيسيه فيسهل ذلك عند مس الحاجه .

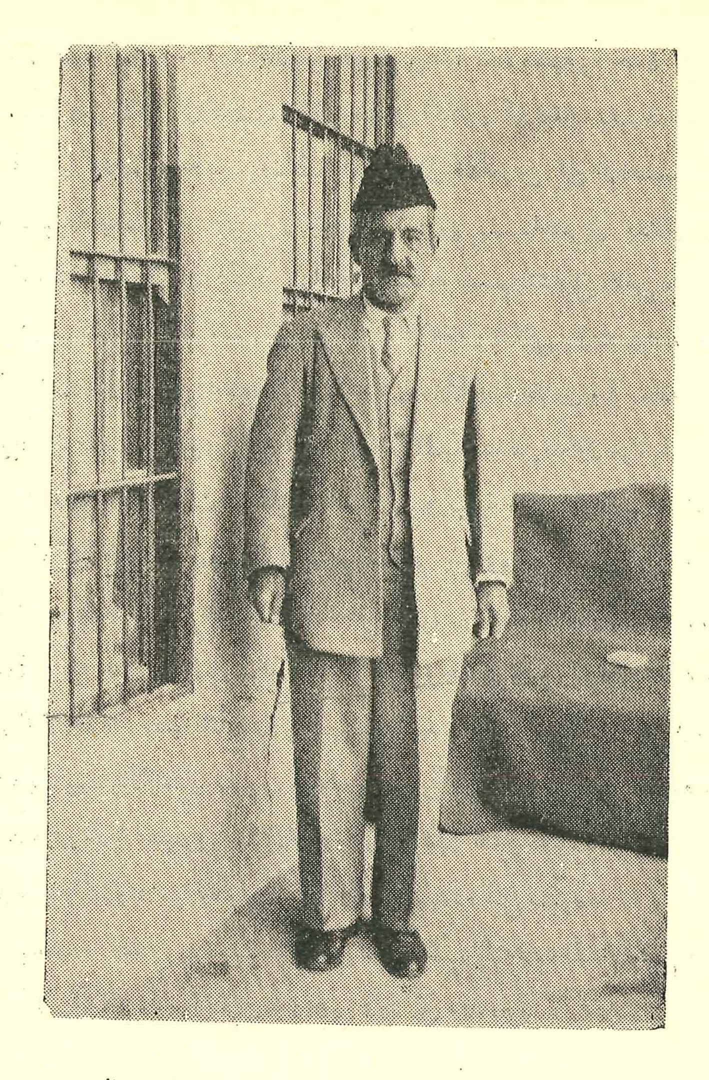
ووجه الي وظيفة كشف المباني التي يراد تشييدها او ترميمها وتصدير اجازات البناء بهـا وتطبيق الانظمه التي كان معمولا بها حينذاك وفي خلال ذلك كنت اعمل بعض الخرائط الصغيره واجراء التسوية لبعض الشوارع والمحال لمعرفة درجة ارتفاعها وانخفاضها بواسطة الآله (level) ثم اجراء التسويه الترابيه لها بواسطة العمال وبدأنا تبليط طرق البصره والعشار مع اكسائها بالقير فاكملنا ما هو ضروري منها للمرور ولم يبق إلا الطرق الصغيره والتي لا يمر منها سوى من يريـد الذهاب الى بيته .

وبعد اشتغالي مدة اربع سنوات تقريباً طلبت رخصه لمدة شهرين اتمتع بها في بغداد وذهبت خلالها الى بعقوبه لزيارة اخي امضيت عنده بضعة ايام ولا يمكن وصف بلدة بعقوبة حيث المده القصيرة لا تكفي لمعرفة احوالها وكان معي فى اعمال البلديه فى بداية الامر موظفون كثيرون لهم وجائب مختلفه فبوشر باقالتهم الواحد بعد الآخر وكانوا كلهم من الهنود فبقيت وحدي .

ولما كان سراي الحكومه قديماً فأخذ يتداعى شيئاً فشيئاً للسقوط . قررت دائرة البلديـه ان تقيم فى دار بالاجره وهكذا فقد انتقلنا منه الى دار على جهة النهر قريباً من السراي ثم الى آخر لا يبعد عنه كثيراً ثم قررت البلديه ان تنشيء لها بناية خاصة من مالها فطلبت الارض التي تبني عليها وبعد المخابره مع المتصرفيه منحت ارض السجن الموجودة فى السراي لأن السجن كان قد نقل الى بناية خاصة انشأت فى باب الزبير فعملنا لذلك خريطة وبعد المداولة بيني وبين المهندس واسترشادنا الواحد بالآخر عرضها على دائرة هندسة دائرة الاشغال فى بغداد فاجريت فيها بعض الاصلاح وتقرر شكلها ثم اشتغلنا في تقرير اقيام البناء (Estemate) ثم اعطيت بالتعهـد فكانت نصيب (صيون الياهو) المتعهد بالمباني وتقديم المواد لاشغال البلدية والدوائر الحكومه الاخرى فشيدت واوكلت تحت اشرافنا وصارت احسن بنايه من نوعها بالعراق وتضاهي امثالهـا فى البلاد المتمدنه ثم انتهت مدة مقاولة المهندس المستر ثورن وجددت لمدة اخرى ذهب فى اولها بالاجازه الى انكلترا لمدة خمسة اشهر باشر العمل خلالها بالوكالة (الميجر بوفر) وعند عودة

المهندس واكمال مدته الثانيه جاء بدء المستر دومن وهذا كان مشهوراً بحدة المزاج خلافاً لما عرف به الانكليز من الاعتدال فكنت انا الوحيد فى الدائره كما تقدم بعد ما كنا ثمانية وكان كلما يقال منهم واحد يضاف عمله الى الآخرين الى ان اصبحت اقوم بجميع الاعمال وكلما بينت له ضرورة تعيين آخرين يساعدوني يعدني ولا من ينفذ الوعد اما الذي قبله المستر ثورن فكان يساعدني بنفسه ثم بتشغيل اناس من البنائين يقومون بالامور الثانويه التي لا تحتاج الى خبرة فنيه وكانت الاشغال تمشي بتؤدد وصبر وتنجز بالسرعه المطلوبه كما لو كانت تدار من قبل عندما كانت الدائره ملأى بالموظفين ولم يحدث ما يكدر صفو العلاقات بيني وبين المهندس المومى اليه . اما الاخير المستر دومن فكان مرتبكاً في اعماله ولم يلاحظ تفاصيل العمل فادى ذلك الى تقديم استقالتي وكيفية ذلك اني طلبت رخصه لمدة شهرين فلم يسعف طلبي وكان قصدي منهم ان استجم افكري وبدني لكي يمكنني استئناف العمل عند انتهائها من جديد وطبعاً سوف يجري تعيين احد غيري فى هذه المده حيث لايمكن ادارة العمل بواسطته وحده فاذا رجعت سوف ارى قد تغير كل شيء وحصل لي في الوقت نفسه مساعد لأعمالي فرفض اعطائي الاجازه رفضاً باتاً وبدأ يطلب من البلديه تعيين موظفين آخرين اثنين او ثلاثه فلم يسعف طلبه وبقيت بالانتظار شهرين كاملين واخيراً قلت اذا لم يعين احد بعد ايام معدوده ولم اعط الرخصه فارجوا اعتباري مستقيلا منذ اول الشهر التالي فقبلت فسافرت الى بغداد وانتهت القضية . اما الشهادات فالمستر ثورن اعطاني شهادة قبل سفره .

والمستر دومن بعد ما حصل بيننا من المشادة بسبب طلب الرخصه فقد انصفني واعطاني شهاده مثل الاولى تقريباً . إلا انه مدح اخلاقي ونزاهتي فيها الى حد بعيد .



صورة المؤلف عندما استقال من رئاسة بلدية البصرة
وسفرة وأفراد عائلته الى بغداد وسكناه دار والده في محلة باب الشيخ
طريق فضوة عرب وتعيينه بعد ذلك بوظيفة مهندس
مشرف لانشاء مخفر فى قرية شينكل ـ بارزان
سنة ١٩٣٢

صعب جداً الحجاره هنا ملساء بالصعوبه الكليه ان يحافظ البغل نفسه بدون راكب وبدون اي ثقل فوقه وفي بعض الاماكن كنا نجلس ونزحف حتى صرنا فى اسفله رأينا وادياً ضيقاً جـداً لأنه يكتنفه من الجانب الآخر جبل يسـمى (كوري هوري) وهو اعلى من كل الذي مررنا بهما قبله فكانت الطبيعه عملت نسبة بين هذه الجبال وجعلتها مندرجه فى الصـعود فالوادي بالنسبه الى ارتفاع الجبال عن جانبه تراه في غاية الضيق عرضه يساوي (٢٠٠٠) متر تقريباً وهذا فى اوسع محل منه والافقي بعض الاماكن لا يزيد على خمسمائة متر ثم مشينا فى هذا الوادي مسافة ساعتين تقريباً فوصلنا القريه التي تسمى شينكل وهي التي امرت ان أنشىء مخفراً فيها .

وعندما كنا نسير فقال احد الاخوان (قال الله تعالى في قرآنه الكريم وجعلنا الجبال اوتاداً) ولكن هنا وتد بجانب وتد آخر بينما العراق الجنوبي محروم من اي وتد وفي بعض الاماكن نسأل الطريق فيقال لنا انه دشت بمعنى صحراء لا جبال فيها ولما اخترقناها رأيناها جبال صـغيرة بالنسبه للباقى ولو وضعت هذه الجبال الصغيره في اطراف بغداد لفاخرة اهلها الارض جميعاً بأن ارضهم جبليه لا يوجد اعلى منها جبالا فعبرنا هذا الدشت ووصلنا الى مركز الناحيـه قبل الظهر وهو وادي هناك وفيها انواع الفواكه والماء الزلال وفي الليل فى سقيفة عملت للمدير ريثما ينتهي انشاء المخفر وقد انهيت انشاء المخفر في شينكل بمدة اربعة أشهر .

اما قرى بارزان فكثيره جداً لم يبق ببالي اسمائها وانها تحتوي على خيرات عديده من الفاكهة الجوز ، والعنب ، الفستق ، البندق ، الرمان ، العرموط وغيره وهناك بعض المكانات التي لايصلها الانسان فالاشجار تحمل ويسقط حملها تحتها وهكذا لسنين عديده .

وبعد ان سلمت المخفر الى الجهات المختصه سافرت وعدت عن نفس الطريق الى الموصل ثم بغداد .

افندي وكان الفوج الخامس فى مركز القضاء وسرية منه في بروش وكان ضباط السريه يجتمعون معنا الرئيس زكي بك والملازم الاول حمدي سردست فقضينا معهم ثلاث ليالي ما كان احلاها فى النهار نزل اي وسط هذا السفح فوجدنا عين ماء فتغدينا عندها واسترحنا ثم بدأنا بالمسير ومن هنا بدأنا نمشي لأن التسلق هنا غير ميسور حيث اثر الطريق يقطع على حافـة الصخور تماماً والساقط من هنا لا يأخذ نفسه إلا فى اسفل الجبل بعد ان يكون قد تمزق قطع ثم هذا النزول



صورو المؤلف : وهو جالس أمام العريش المعد له

بوظيفة مهندس مشرف لإنشاء مخفر للشرطه

في قرية شينكل ـ بمقاطعة بارزان بشمال العراق

على حساب دائره الاشغال العامه ببغداد

في ٢ ربيع الاول سنة ١٣٥١ هـ الموافق ـ ٥ تموز سنة ١٩٣٢ م

الارتقاء إلا وبدأنا بالنزول .

وقمته كحد السيف لا اكثر ولا اقل وعندها قال لنا افراد الشرطه ولايمكننا الانحدار منه ونحن فوق البغال مطلقاً بل يجب ان ننزل وننحدر وهم نزلوا ايضاً فسرنا نحن والدواب كل يمشي لنفسه فنزلناه بساعتين وسرنا بالوادي .

وهذا الوادي اعلى من الوادي الذي صعدنا منه فرأينا هنا مشرب شاي (شايخانه) فجلسنا هناك مدة نصف ساعه شربنا الشاي خلالها واسترحنا وغسلنا ايدينا ووجوهنا من ساقية تجري من وسط القهوه ماؤها كأنه البلور وبارد كماء الخريف في بغداد .

وذلك اليوم كان يوم ٨ تموز ثم ركبنا واقترح علينا احد المحافظين الشرطه ان نقضي القيلوله في قرية بنفس هذا الوادي تبعد مقدار عشرة دقائق عن محل القهوه فنتغدى خلالها ثم نسافر فوافقنا على اقتراحه ونزلنا في القرية المذكورة وتسمى (دينارته) وسكانهانصارى والعادة هناهي ان المسافرين ينزلون فيها للاستراحه ضيوفاً على احد الدور وعند استئناف السفر يعطونهم شيء من الدراهم كاكرام فتقوم ربة الدار بما يلزم لإستراحتهم فتقدم لهم الماء والشاي والغذاء بعد ان تسألهم ما يشتهونه من الطعام ولو ان في منطقة الجبال هذه لا يوجد شيء ولكن في هذه القرية كل شيء حاضر استعداداً للزائرين فالمحل الذي نزلنا فيه كانت ربة الدار تدعى (صونه) فبعد ان تغدينا واسترحنا سرنا ووجهتنا جبل (بيرس) وهو اعلى من الاول بكثير فتسلقناه وصرنا في قمته بمدة قليله ولكن لاتسل عن النزول ففي نزولنا صرنا اوطأ من وادي عقرة بكثير لأن في الصعود ساعتين وفي النزول خمسة ساعات تقريباً ورأينا في الوادي الجديد هذا نهر الزاب يجري من وسطه فعبرناه وتوجهنا الى دار الحكومه وهي منفرده في وسط منبسط من الارض وهذا هو المحل الوحيد المنبسط ولا يوجد غيره بسعته مطلقاً ونزلنا ضيوفاً على القائممقام ناجي بك الهرمزي فوجدناه ذو اخلاق طيبه جداً وعمل لنا كل تسهيل ومساعده لمهمتنا ولشؤوننا الخاصه فسافرنا في الصباح التالي من مركز القضاء الى مركز الناحيه ومركز القضاء يدعى زيبار ومركز الناحيه يدعى بروش ثم ابدل بكلمة بارزان لأن بروش اسم عام لتلك المنطقه اما بارزان فاسم للقريه الموجوده في مركز الناحيه وذلك وقعاً للالتباس الذي يحصل احياناً مع ناحية مبروز وذلك في المخابرات البرقية فالمسافه من مركز القضاء الى مركز الناحيه ساعتين ونصف تقريباً فنزلنا ضيوفاً على المدير يونس

للمحافظه تعشينا عنده ثم ذهبنا للمنام بجانب حوائجنا كل على سريره (قريوله) الى الصباح .

وعقره هذه واقعه في سفح جبل يسمى جبل عقره ووضــع الدور فيها طبقه فوق اخرى الى ان تصل الى قرب القمة ولما قاربنا عقره رأينا امامنا جبــلا عالياً ولم نزل في اقتراب اليه وتجري بنا السياره فوق تلول والطريق ملتو ننزل وادي ثم نصعد تل وهكذا ولما ننزل الى الوادي يخال لنا ان الطريق قد ســد ولا يمكن الخروج منه ثم نرى ان قد التوت الســياره ودخلت في واد آخر وصعــدت الى آخر اعلا منه وصرنا نرى الطريق امامنا كخــط ابيض ملتوي عن يميننا وأحياناً عن يسارنا وتعودنا على هذا السير وكلما رأينا خطاً مثل هذا علمنا إنا نصله ونمر عليه الى ان وصلنا الى عقره وتحادثنا مع بعض الشرطه هناك في دار باب الحكومه وسألناهــم عن الطريق الذي سنسلكه الى بارزان قالوا لنا من هنا واشاروا الى الجبل فرأيته جبلا عالياً كالجدار فهمنا بعد ذلك ان ارتفاعه عن سطح البحر أربعة آلاف قدم .

وكنا ونحن جالسين امام دار الحكومه نرى الناس والحيوانات على سفحه في ارتفاعات مختلفه كالنمل ولم نصدق أنا سنرتقي فوقه وعند الصباح قدموا لنا الدواب لكل منا جوادين الواحد لركوبه والثاني لأمتعته فطلبت من المكاري ويقال له (خربنده) ان يخصص افقرهما لركوبي فنلت بغيتي فمشيت البغال امامنا وعولت انا وصديقي بأن لا نركب مطلقاً . بدأنا نصعد تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال بشكل حلزوني وبعد ان مشينا مقدار نصف ساعه وجدنا عين ماء فوقفنا عندها قليلا ثم سرنا فقال لنا احد اهالي البلده الذي كان يرافقنا لا لشيء سوى انه كان يتمشى كما يتمشى البعض في بغــداد من سيد سلطان علي الى الباب الشرقي فقــال لنا يجب ان نركب الآن لأن الطريق طويل وسوف نتعب والحقيقه إنا لسنا سوف نتعب بل تعبنا فعلا ولم يبق لنا قدرة على المسير فأريناه إنا قبلنا نصيحته فركبنا وبقيت الدواب ترتقي وتمشي بشكل حلزوني فهي كلما تأتي الى منعطف تدور حول نفسها ولا حاجه لتدوير رأسهــا ونحن ليس لنا وظيفه سوى ضبط اجسامنا عليها ومسك العنان حسب العاده لا لإستعماله مطلقاً فحياتنا كانت معلقه بإرادة البغل بل بحياته لأنه في صعوده يلاحظ حياته اكثر وحياتنا تبع له وكان يرافقنا اربعــة أفراد شرطة خياله للمحافظه فتسلقنا هذا الجبل ووصلنا الى قمته بثلاث ساعات فلما صرنا في قمته ظننت أنا سنمشي فوقه بصورة أفقيه مقــدار من الزمن ولو خمسة دقائق ولكننا لم نكمل

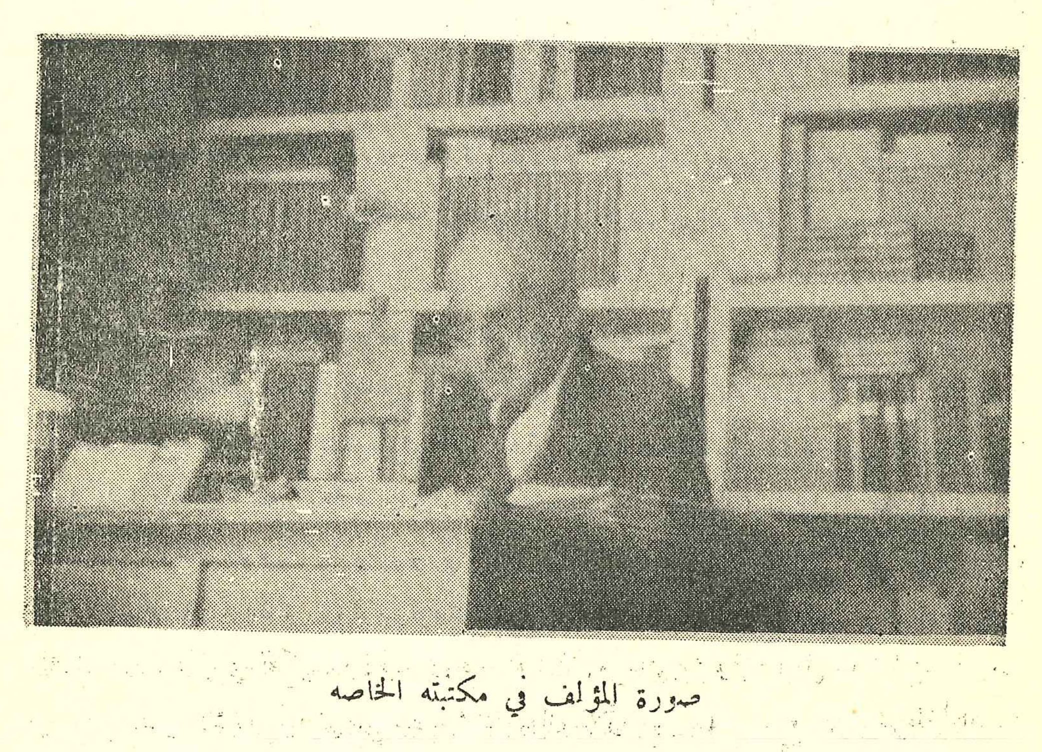
تحركت منها الى الموصل .

أما رفيقاي فبما انهما أتيا للنزهه كانا يريدان يتمتعا بمناظر كركوك اكثر وأما أنا فكان علي ان اصل الموصل ساعة اقدم لاثبات الوجود وإستلام العمل الذي أرسلت من اجله وفي السياره مررنا في طريقنا على التون كبرى تقع على الزاب الصغير والكوير على الزاب الكبير فنزلنا في كل منهما للاستراحه ونتناول شيء من الطعام ثم ازمنا طريقنا فوصلنا الموصل الساعه عشره ونصف قبل الظهر وبما أني لم ارى الموصل قبل هذا وكان برفقتنا شاب معلم في احد المدارس اوصاه صديق لي في كركوك ان يدلني على محل للمبيت فيه وعند وصولنا جاء معي وبصحبتنا الحمال بحل امتعتي فأوصلني الى اوتيل الصلاح فاحتليت غرفة فيه تطل على الشارع وقد التمست من المعلم المذكور ان يتفضل بالرجوع الي مرة اخرى لإيناسي وارشادي عن بعض المحال على الاقل فلم يأت لعل له عذر في ذلك وهو غير ملوم فبعد غلق الغرفه اخذت المفتاح معي وذهبت تواً الى دائرة مديرية الاشغال العامه في الموصل وطلبت مواجهة المدير فلم أره لأنه حسبما فهمت كان قد سقط من البغل وكسرت يده عند ذهابه للكشف على المحال التي تصلح نشاء مخافر في منطقة بارزان فراجعت المحاسب ورأيته الأمر الذي معي فطلب مني ان آتية يوم السبت لأن ذلك اليوم كان يوم الخميس فطلبت منه ان يدلني على دار المدير فبدأ يصف لي المحل فقلت له إنني صرفت مدة من الزمن الى ان وصلت الى هذه الدائره فكيف بي ان اصل الى بيت المدير ولم أره الموصل قبل هذه الدقيقه.

فكلفني ان آتيه يوم الجمعه صباحاً فيرسل معي احداً وسألته عن المحل الذي سأرسل اليه فقال شيكل (شينكل) فقلت وما هي شينكل فقال هي عباره عن جنة عدن فلما كان يوم الجمعه وصلت الى دار المدير وهو صديقاً حميماً لي ورفيقي في المدرسه محمد علي بك فرحب بي ورأيته يحمل يده معلقة في عنقه برباط فقال لي يوم السبت نهيئ لك واسطة توصلك الى محلك فرجعت الى المحاسب وكان قد هيأ أسباب السفر لي ولمهندس آخر اسمه كامل عبد النور يذهب الى سيلكي فركبنا الساعه ٢ بعد الظهر الى عقره فوصلناها عند الغروب الساعه سته ونصف فوضعنا امتعتنا بجانب باب السراي للحكومه وذهبنا الى دار القائمقام مردان بك وقدمنا كل منا الكتاب المرسل اليه من مدير الاشغال في الموصل ليهيئ لنا البغال اللازمه ويرسلنا مع افراد شرطة كافيه

حفروها هي اغرز ماده من غيرها وقد جعل فوقها بناية مربعة كالقبه وقد كتب عليها البئر رقم (١) قيل لما حفرت هذه البئر انبثق النفط منها وملأ الوادي جميعه فلم يتمكنو من سده وأخيراً جعلوا لمن يتمكن من تدوير اللولب لسدها كل دورة بعشرة روبيات فلم يتمكن احد وأخيراً جاء رجل وغطس في النفط وأدار اللولب دورات كثيرة الى أن تمكن من سده اذ أعطي له مائتين روبيه ورأينا الوادي وحواليه كأن الارض تنطق بما داخلها من النفط الغزير لأن التراب كأنه احمر كلون القهوه ورطب .

ثم مررنا على الارض التي تشتعل من نفسها لما في ترابها من الكبريت وقد امتزج به بنسبة الثلثين لأنا جربنا في تحريك التراب بالسكين فلم نقدر إلا شيئاً يسيراً لصلابته واشعلنا عوداً وأدنيناه منه فاشتعل الحفر الصغير التي لم تزل مشتعلة ليل نهار وقد رأى هذه الظاهره ابن بطوطه الرحالة الشهير يذكرها . فرجعنا الى المدينه وبتنا ليلتنا وعند الصباح الساعة السابعة صباحاً



صورة المؤلف في مكتبته الخاصه

عاريه وانفصل السوقان وذلك في سنة ١٩٤٠ تقريباً .

وكان مرورنا بها ليلا ولم نخرج اليها ولكن رأيتها غير مره قبل هذه السفره وبعدها ثم ابو جسره يقول عنها صاحب معجم البلدان با جسرا بلدة في شرقي بغداد تبعد عشرة فراسخ عنها وهي عامره كثيرة النخل والأهل .

لم نقف عندها ولم نرها منذ شهران ، منصورية الجبل ، غره داغه ، قزرباط ، مفرق قرغان ومنه يتفرق خط آخر يذهب الى خانقين وقفنا عند المفرق المذكور وقفة طويله استغرقت ساعه او اكثر من ساعه ثم استأنف القطار السير فنمنا اثناء مروره على المحطات الاخرى قره تبه، اسكي كفري ، سليمان بك ، منازل شركة النفط ثم استيقظنا وكان قد انبلج الصبح فمررنا على طوز خرماتو ، افتخار ، علي سراي ، بشير .

وكلها لم يكن نصيبنا منها إلا رؤيتها من بعيد ونحن جلوس في عربة القطار نمتع انظارنا في هذا السهل الجميل وكانت الشمس ترسل اشعتها الفضيه فتنير الحقول فتبدو لطيفة خضراء

ثم وصلنا كركوك في الساعة الثامنه من صباح اليوم التالي وهو يوم ٣ ربيع الاول ١٣٥١ هـ الموافق ٦ تموز سنة ١٩٣٢ م فركبنا السيارة الى كركوك وبعد مضي أقل من ربع ساعه صرنا في المدينه فنزلنا في خان قد اسموه أوتيل سنترال وهو لا بأس به وبعد ان وضعنا امتعتنا فيه نزلنا للتجوال في البلد لأنا لم نكن رأيناها من قبل فمررنا بالقسم الجديد منها وهو في سهل فسيح اما المدينه القديمه فهي فوق تل سيأتي الكلام عنه في هذا القسم الجديد تجد شوارع واسعه منظمه قد فرشت بالنفط الخام الاسود فبدت كأنها مبلطه وفي هذا القسم سراي الحكومه وبيوت الوجهاء والمخازن التجاريه الجميله وحديقة البلديه ثم المقاهي والمطاعم وغيرها وفيها الثكنه العسكريه القديمه ثم صعدنا الى المدينه العتيقه وهي على تل عالي وآخر اعلى منه فالاخير يسمى القلعه ولم يبق من سورها غير قسم قليل وخاصة الباب فرأيناها تدل على القدم وعليها كتابة لم نتمكن من قراءتها قد غيرها الزمن .

وفي هذه القلعه الآبار العميقه قد تكون بعمق اكثر من خمسة عشر متراً فأكثر وصادفنا هناك احد الاصدقاء فأخبرنا بأنه يجب علينا مشاهدة آبار النفط في بابا كركر وإلا فما رأينا شيئاً من كركوك فذهبنا صحبته في عربة فنزلنا الى الوديان ورأينا آبار النفط فوقها العلامات وأول بئر

الفصل الثالث

(السفر الى بغداد والبقاء فيها سبعة أشهر بدون عمل ثم السفر الى بارزان والعودة منها)

سافرت الى بغداد وبعد تقديم العريضه تلو العريضه لوزارة الداخليـــه للحصول على وظيفة قائمقامية احد الاقضيـــة ولما لم تحصل طلبت حتى مديرية ناحية وليس لي واسطـــة سوى اعتقادي آهليتي لهـذه الوظائف واكبر منها وبا لنسبه لرتبتي العسكريه.

واخيراً توسط لي بعض الاصدقاء للحصول على وظيفة مهندس في وزارة الاشغال وبعد اجراء اختباري في فرع التسويه والمساحه ثم في هندسة المباني جرى تعييني ملاحظاً فنياً لمراقبة انشـــاء احد المخافر التي ارفعت الحكومه انشاأها في منطقة (بارزان) من لواء الموصل .

فاستلمت الامر وتأهبت للسفر في اليوم الثاني وهو ٢ ربيع الاول ١٣٥١ (٥ تموز ١٩٣٢) في القطار ومعي رفيقاً السفر السـيد محمود القدسي امام جامـــع خوجة محمود في البصرة ومحمد شكري المفتي احد مدرسي مدرسة السيمر الابتدائية الاميريه بالبصره .

فقمنا من محطة جنوبي بغداد (باب الشيخ) فما أزفت الساعه الثامنة مساء الا واخذ القطار يجري رويداً رويداً ثم أخذ ينهب الارض فمررنا على المحطات الآتيه كاسل يوست (موضع القصر) وهي صحراء خاليه ليس فيها قصراً ولا غيره وقد حققنا ذلك فقيل لنا ان في هـــذا المحل كان يوجد في القديم قصراً واندرس منذ مدة غير معلومه .

ثم محطة خان بني سعد ثم بعقوبه يقول عنها ياقوت في معجم البلدان بعقوبا ويقال لها باعقوبا أيضاً قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وهي كثيرة الانهار والبساتين راكبه على نهر ديالى من جانبه الغربي، ونهر جلولاء يجري في وسطها (الآن يسمى نهر خريســـان) وعلى جنب النهر سوقان وعليه قنطره وعلى ظهر القنطره يتصل بين السوقين كمـــا يعرف بعقوبه من رآها في الايام التي مررنا بها . من هنا يتبين ان الوضع هذا لن يتغير منـــذ سنة ٦٢٦هجريه وهي الســـنة التي توفى فيهـــا. أما الآن فقد رفعت الدكاكين التي على جانبي الجسر وظهرت القنطره

(الفصل الرابع)

اشتغالي في امانـة العاصمه سنتين ونصف ـ فتح شارع الملك غازي من الباب الشرقي الى الى باب الشيخ كمرحلة اولى . بوظيفة معاون مهندس

ابتداء من ١٦ كانون ثاني سنة ٩٣٢ ٢١ تموز سنة ٩٣٥

بعد وصولي بغداد والبقاء فيها مدة شهر واحد للراحه والاستجمام من اتعاب السفر فى شمال الموصل كما بينا ذلك .

كلفت ان اشتغل بوظيفة معاون مهندس فى امانة العاصمـه والتابعين لشعبتي يسـمون (كوند كتور) فوافقت وباشرت عملي بالشعبه الاولى حيث ان بغداد كانت مقسمه بالنسبه الى امانة العاصمه الى ثلاثة شعب الشعبة الاولى والشعبة الثانيه والشعبة الثالثه .

فالشعبة الاولى وهي المختصة بالاستقامات للطرق الرئيسيه والبناء للدور والعمارات وما شاكل ذلك بما فيها إجازات البناء :

كنا نتلقى العمل من رئيس الشعبة المسؤول الذي لديه ستة ملاحظين كل مختص بجهـة من جهات بغداد فيوزع العمل صباحاً وكل منا يأخذ عملة المحال اليه لاجراء الكشوفات الموقعيـه وعمل التصاميم للبناء المراد بنائه فبمراجعة اصحاب العلاقه يذهب معهم الملاحظ لاجراء اللازم وتقديـم موافقته من عدمه للملك الذي طالب تشييده وهكـذا كان العمل يجري بصورة اتوماتيكيه وسريعه ولا توقف فيه مطلقاً ثـم قامت امانة العاصمه بفتـح شارع الملك غازي وكنت احد المسؤولين لتنفيذ الاستقامه وهو يبتدى من باب الشرقي وينتهي في باب الشيـخ ويشبه نصف الدائره من هذه الجهه فقد كان أمين العاصمه قد نفذ ذلك سنة ١٩٣٢ .

وبينما أنا اقوم بأعمالي وإذا بأمين العاصمه يزورني بالعمل بعـد ان اتممت ما امرت به وقد بلغني السيد أرشد العمري بتوجيه سؤاله الي هل استلمتم الامر ـ وأي أمر ـ قال بترقيتكم الى رئيس الشعبة الاولى فشكرته كثيراً جداً .

باشرت عملي بكل اخلاص وامانه مدة سنتين ونصف وقبل انتهاء هـذه المده عين صبحي الدفتري أميناً للعاصمه بدلا من السيد أرشد العمري .

وفي يوم من الايام صدر أمر بتعيين موظف رئيس للشعبة الاولى بدلي ولم يشر الأمر بما اقوم به لوظيفة أخرى بل ظل شايراً للتعيين فقط فبقيت بدون عمل مدة شهرين منتظر اصدار امراً لأكون على بينة بالموضوع ولكن دون جدوى كنت اتقاضى الراتب عند انتهاء الشهر الاول والثاني .

وبعدها رأيت ان الموضوع مستهان فيه ؟ تركت الدائره دون فصل ولا عزل ولا احاله الى التقاعد وذهبت الى دائرة الاشغال العامه .

وإن موضوع الاحاله الى التقاعد بعد مرور سنتين ونصف تقريباً وبعد انهاء خدماتي من دائرة الاشغال العامه وطلبت احالتي الى التقاعد وذلك بعد ان قدمت طلباً فى ذلك - عند ذلك كانت مديرية التقاعد العامه قد طلبت اسباب عدم صدور امر لمدة السنتين والنصف ففي هذه الحاله وعدم اصدار امر بالموضوع اعتبرت باقى على ملاك امانة العاصمه وبعد مفاتحة صبحي الدفتري وكان آنذاك مديراً للبلديات العامه فقداصدر أمر انهاء خدماتي من الوظيفه بالتاريخ الذي طلبت فيه مديرية التقاعد العامه السبب في هذه الحاله اعتبراني علي ان اطالب في رواتبي للمدة المذكوره ولكن بما اني لم ابقى بدون وظيفه لذلك تنازلت عن اقامة الدعوى لدى لجنة إنضباط موظفي الدوله وتركت ذلك .

وأن كل ما اعرضه برحلتي هذه من هذه المعلومات فهي ثابته وان الاوراق والمستمسكات مربوطه بالاضباره فى مديرية التقاعد العامه .

(تبديل اسماء بعض الشوارع بتاريخ ٢١ شوال ١٣٥٩ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٠ - وتسمية بعض الشوارع والساحات)

قرر مجلس الامانه فى جلسته المنعقده بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٠ تسمية الساحات والشوارع الآتيه : -

١ - الساحة التي ينتهي فيها شارع السعدون والواقعه قرب نادي العلويه والذي يقع عليها جامع الملك فيصل الاول تسمى بساحة الفردوس .

٢ - الشارع الذي يبتدئ من الساحة المبحوث عنها فى الفقره (١) ماراً نحو الجنوب وعرضه ٤٠ متراً وينتهي بساحة مفرق الهنيدي الذي تمت تسميتها وفق الفقره (٣) من هذا القرار سمي

بشارع خالد ابن الوليد .

٣- الساحة التي ينتهي فيها شارع خالد ابن الوليد المبحوث عنها في الفقره (٢) بساحة الفتح .

٤- الساحة المطله عليها بناية المركز العام لجمعية الطيران والذي سيبتدىء منها شارع الامير غازي تسمى ساحة الطيران .

٥- شارع الامير غازي وعرضه (٣٠) متراً ويبتدىء من ساحة الطيران وينتهي في الساحة التي تمت تسميتها بموجب الفقره (٦) أدناه.

٦- الساحة المبحوث عنها في الفقره (٥) والتي تتكون عند موقع سوق السعدون القديم تسمى بساحة ابن خلدون .

٧- شارع عرضه (٣٠) متراً مبتدىء من ساحة ابن خلدون وينتهي في الساحه الكبيره التي كونت في مدخل دور العلويه التي تمت تسميتها وفق الفقره (٨) يسمى شارع المثنى .

٨- الساحة المبحوث عنها بالفقره (٧) والتي تبتدىء من نهاية محلة السعدون حتى مفرق العلويه تسمى ساحة ابن رشد .

٩- الشارع الذي عرضه (٣٠) متراً بين ساحة ابن رشد وساحة الفتح يسمى شارع موسى ابن . نصير .

١٠- الشارعان اللذان يتفرعان من ساحة الفتح احدهما ينتهي بمعسكر الرشيد وعرضه (٣٠) متراً يسمى شارع طارق بن زياد والثاني يسير نحو الجنوب بخط مستقيم الى ساحل النهر وعرضه (٣٠) متراً يسمى شارع سعد بن ابي وقاص .

١١- الحدائق الواقعه على ساحل النهر المعبر عنها سابقاً بحدائق المسبح تسمى حدائق الشريف الرضى .

١٢- الشارع الذي يوازي حدائق الشريف الرضى ويبتدىء من نقطة انتهاء شارع سعد بن ابي وقاص ويستمر نحو الجنوب الغربي موازياً الى سدة النهر يسمى شارع ابي العتاهيه..

١٣- الشارع الموازي الى حديقة غازي والمسمي قبل هـذا بشارع سعد تثبتت تسميته نهائياً بشارع ابى تمام .

١٤- الشارع الموصل بين الرشيد والساحة الواقعه امام بناية مديرية الشرطه العامه والمسمى سابقاً

بشارع خالد بن الوليد تثبتت تسميته نهائياً بشارع حسان بن ثابت .

١٥- الساحة الواقعة امام مديرية الشرطة العامه ومديرية الاوقاف العامه تسمى بساحة اليرموك .

١٦- ساحة محل بيع البنزين في الباب الشرقي تثبتت تسميتها بساحة الباب الشرقي .

١٧- الساحة الواقعة عليها مكتبة الاوقاف العامه تثبتت تسميتها بساحة باب المعظم وفيها ينتهي شارع الرشيد .

١٨- الساحة الواقعة امام مدرسة الحقوق تسمى بساحة الحقوق .

٢٠- الساحة الكبيرة الواقعة امام البلاط الملكي تسمى بساحة التاجي .

تبديل اسماء شوارع

قرر مجلس الامانه في جلستة المنعقده بتاريخ ٢٥/١١/١٩٤٠ تسمية الشوارع الآتيه :-

١- شارع الكراده الذي عرضه ٣٠م ويبتدىء من شارع خالد بن الوليد وينتهي في الشارع المبحوث عنه فى الفقره (٢) أدناه ويسمى شارع المهدي .

٢- الشارع الذي يبتدىء من ساحل النهر عموداً عليه قرب مركز مديرية ناحية الكرادة الشرقيه في شارع المهدي ومنه معقباً السده المعروفه بإسم سدة ابي خضوري (والذي استبدل اسمها بهذا القرار) ويسير نحو الساحل الواقعه عليه مكائن مياه الشرب للكرادة الشرقيه يسمى شارع حذيفه اليماني .

٣- الشارع المعروف عنه بشارع سبع قصور والذي يبتدىء من ساحل النهر ويسير عمودياً عليه نحو الجنوب وعرضه المقرر (٣٠) متراً وينتهي فى ساحل النهر من الجهة الجنوبيه لشبه جزيره الكراده الشرقيه يسمى شارع الناصر لدين الله .

٤- الشارع الموازي الى النهر دوما من وسط المدرسه الحربيه والمستشفى العسكري في الكراده الشرقيه والذي يبتدىء من شارع الناصر لدين الله وينتهي في موقع الزويه يسمى شارع الحارث .

الفصل الخامس

التعيين على حساب دائرة الاشغال لبناء مستشفى حلبجه ودائرة البريد واصطبل ملحق بسراي الحكومه مع وصف بلدة حلبجه ابتداء من ١٦ آب سنة ١٩٣٥ لغاية ٢٢ حزيران ١٩٣٧

بعد ان استلمت الامر الاداري سافرت من بغداد بطريق القطار الى كركوك وقد واجهت مدير المنطقه لدائرة الاشغال وأخذت الخرائط والامر اللازم تحركت بعد ثلاث أيام الى السليمانيه ومنها الى حلبجه وبقيت هناك أنفذ ما طلب مني فى بناء مستشفى كامل من جميع الوجوه يقع أمام دار الحكومه ودائرة البريد واصطبل الملحق بدار الحكومه هناك وقد اكملت هذه البنايات خلال سنتين تقريباً وان المستشفى يحتوي على ١٢ سرير .

وصف بلدة حلبجه :-

ان هذا البلد واقع في منخفض تحيط به الجبال القليلة الارتفاع وبعدها تحيط به الجبال العاليه جداً وتشكل حلبجه الحدود الفاصله بين العراق والحدود الايرانيه فيها شارع واحد مبلط إلا انه يحتاج لإعادة تبليطه وتنقسم حلبجه بهذا الشارع الى نصفين بصورة شاقوليه الاول يخص محلة اليهود والثاني محلة الاسلام .

المباني :-

لا توجد مباني عامره كالتي تجدها في بغداد وبقية الالويه والاقضيه وانما بنائهم من الطين واللبن وأحسن المباني هي ابنية الدوائر الحكوميه وقسم من الدور يستعمل الحجر في البناء وفيها نادي تصله قسم من الجرائد والمجلات العربيه والكرديه والتركيه مثل جريدة كركوك التي تصدرها دائرة بلدية كركوك باللغه التركيه والكرديه والعربيه وجميع المباني بسيطه للغايه فالبناء بالطين واللبن كما ذكرنا ومنها بالحجر وهي اربعه احدها للمالك عثمان باشا والثانيه الى حامد بك ابن محمد بك والثالثه الى الحاج محمد علي والد رئيس البلديه الحاج توفيق افندي والرابعه للحاج ملا علي .

المقــاهي :-

توجد اربعة عشر مقهى صغيره كالتي فى بغداد فى المحلات تسمى شاي خانه وجميع هــذه المقاهي تستعمل الفون غراف والاسطوانات الكرديه يبدأ سماعها من الصباح الباكر الى ما بعد الغروب وتعاد وتكرر مراراً وان قسم من المقاهي الكبيره وأهمها مقهى كبيره واحــده معلقه وهي فى الطابق الفوقاني فى جانب احد القيصريتين تطل على السوق وتقابل الحمام الكبير واخرى فى وسط السوق اما الباقيه فلا اهميه لها .



صورة سراي حلبچه حيث أضيف الى السراي
المذكور ، مضجع للشرطه واصطبل ودائرة برق وبريد
على حساب دائرة الاشغال العامه بإشراف المؤلف
ابتداءاً من ٦ آب سنة ١٩٣٥ لغاية ٢٢ حزيران سنة ١٩٣٧

المساجد :-

يوجد مسجدين فقط وتورات واحده لليهود .

المدارس :-

مدرسه ابتدائيه واحده خارج ابنية القضاء بالطريق الذاهب الى السليمانيه واخرى للبنات .

الزي :-

زي الاكراد شيء معلوم عبارة عن لفه برأسه وسروال برجليه ولفه على بطنه مع السبحه الخنجر والبلك .

الالعاب :-

طفره واحده فى الربيع فقط والدبكه الشماليه فقط وذلك عند خروجهم خارج البلد في موسم الربيع حيث تكثر الاوراد والرياحين الطبيعيه ذات الرائحه الزكيه فيلعبون بعض الالعاب من جملتها الطفره الواحد .

وسائل النقل :-

السيارات من حلبجه الى السليمانيه والى القرى والنواحي التي لاتصلها السياره الخيل والبغال والحمير .

إسالة ماء القضاء :-

ان ينابيع الماء فى الجبال تدخل الى مجاري تحت الارض بصورة طبيعيه وتسمى كهاريز فتصل الى القضاء بالساقيه المعروفه ينابيعها لديهم ذلك بالنسبه لانخفاض وارتفاع الاراضي .

فقد عينت احدى المجاري في الارض وجعل لها حفرة كبيره انشأت بألاسمنت كالحوض المرتفعه التي تبنى من الحديد وغيره في بغداد فبنيت هذه الارض وجعلت متصله بساقيه الكهريز لملئها دوماً بالماء ومن جهة هذا الخزان الجهة اليسرى فى مبدأه جعلت فتحه فبعد ان يمتلأ الخزان بصورة طبيعيه والفائض من الماء يستمر بدخوله الى المجرى الطبيعي وكل هذا العمل تحت الارض فتجد الخزان مملوءاً دوماً ودائماً ومن الخزان تذهب الانابيب الى البيوت والمحلات العامه والحكوميه وغيرها فتجد ضغط الماء يرتفع وبصورة قويه ويعلو بإرتفاع اكثر

من عشرة أمتار فيما اذا ضغط انبوب مطاطي للرش وما شاكل ذلك ولا يحتاج هذا المشروع الى مواد التصفيه كالشب والكلورين وما شاكل ذلك وقد جرى الاحتفال بإفتتاح إسالة ماء حلبچه فى ١٤ آب سنة ١٩٣٦ .

الصحــه :ـ

لا يوجد سوى طبيب واحد للبلد مركزه المستشفى والصيدليه العائده له .

البلديــه :ـ

واجباتها كنس الشوارع ووضع الزيت للفوانيس فى الطرق الرئيسيه والفرعيه ورفعهما صباحاً



تصوير مستشفى قضاء حلبچه أنشأ بإشراف
المؤلف بصفته (مهندس مشرف) على حساب
وزارة الاشغــال العامه ببغــداد ابتدأ العمل فيه
من ٦ آب سنة ١٩٣٥ لغاية ٢٢ حزيران سنة ١٩٣٧

ووضعهما مساء واستعمال الفوانيس العاديه التي كانت تستعمل في بيوت بغداد وليس كالتي ثابته في شوارع بغداد .

اللغـه :-

الكرديه والعربيه ولليهود الكلدانيه الكرديه والعربيه .

الكراجات :-

توجد ثلاثة كراجات للسيارات احداهما قرب احدى القيصريتين وقد صار مطل على الجاده الجديده الآن والثاني في وسط الطريق بين المقهى المعلقه وبين محمد بك والثالث بالقرب من دار حامد بك وهو مالك له وقد ترك الاثنان الاولان والآن يستعمل الاخير فقط لوقوعه في وسط البلده ولوجود فسحه كبيره امامه .

الامطـار :-

الامطار غزيره جداً في اول سنه حللت في حلبجه وقد سقط الوفر (الثلج) بكثره حتى صار ارتفاعه ثلاثة اقدام وتجد الطرق بين هذه الثلوج ملتويه وصغيره حسب سير الماره .

التصوير :-

في بعض الاحيان يزور القضاء مصور فوري يأتي من السليمانية

الامـراض :-

تكثر في الموسم المعين الملاريا بصورة فظيعة

الزلزال

حدثت هزه ارضية في ايران اثرت تأثيراً واضحاً في حلبجة حيث خرجوا الناس من دكاكينهم وبيوتهم الى الساحات الكبيرة ولم تحدث اضرار . طالت ما يقارب الربع ثانية وتكررت مرتين

المطاعم

يوجد فيها مطعمين فقط وانهما بدائيين

الحمامات

يوجد فيها حمامين الكبير والحمام الصغير، الكبير كنت قد دخلت فيه وهـو تحت الارض

تماماً لم يظهر منه الا القعادة المدور فى اعلاه بالطريق المؤدي الى دور عثمان باشا وهو من ضمن بنايته ومن الغريب ان احـــدى اللاواوين جمع ليوان مختص لغـــسل الموتى وتكفينهم بدل من غسلهم وتكفينهم فى الجامع

الصنايع

الحياكه والصباغة والخياطة وعمل الاحذية وعمل الكلاشات والكالات ويوجد قندرجي واحد فقط

المقاييس

ذراع حلب وذراع شاه والحقه تساوي ٥ر١١ حقه اعشاري

اسم حلبجه

تصغير حلب (حلب الصغيرة)

البساتين والمزارع

تقع في طرفها الجنوبي الغربي من بلدة حلبجه فهم يزرعون كلـــما نحن نزرع فى الجنوب الخضروات والفواكه على اختلاف انواعها وزيادة على ذلك زرع التتن وانواعه العديده

الحيـــوانات

الحمير والبغال والخيل والقطط والكلاب والدجاج الهندي والبط والاوز والفيران والعقارب والحياة الكبـــيرة في اثناء الربيـــع والبق والبرغوث والفـــراش ذات الشرارة (حباحب) وطير الحيه وهو طير رأسه رأس افعى .

الاسواق

الدكاكين محصورة في سوقين وتسمى قيصرية وتغلق القيصريتين مساء كل يوم وتفتح صباح كل يوم

المنـــاخ

حارة صيفاً وباردة شتاء ابرد من بغداد والسليمانية

المقابـــر

مقبرة ابي عبيدة ابن مسعود الثقفي وفيها قبره وقد شاهدته وهو بحجم قبر طلحه فى البصـــرة

القديمه وتزار في اكثر الاحيان ومقبرة بير محمد .

مكائن الطحن

الطحن الهبيش فالطواحين الموجودة المحليه هي المائيه فقط واربعة منها في نفس البلدة وأربعين طاحونة في النواحي والقرى وجميعها تشتغل بجريان الماء

القضاء وتوابعه

قضاء حلبجه وناحية ابيارة والطويلة والقرى عبابيله التي يقـع فيها قبر اثر عبيده ابن مسعود الثقفي وقرية عنب وبريس وغيرها من القرى

اماكن الحكومه

السراي وقد عمرته دائرة الاشغال في سنة ١٩٣٣ واضافـة اليه قسم اخر في سنة ١٩٣٤ وشيدة بجانبه مخفر للشرطة الخيالة ودائرة للبريد والبرق والهاتف في سنة ١٩٣٥ واضافة اليه اضافـة اخرى (اصطبل ومضجع فوقاني وغرفتين للتبن والشعير) في سـنة ١٩٣٦ وكنت ملاحظاً فنياً للنظارة على انشاء مخفر شرطة للخيالة ودائرة البريد والقسم الاضافي الاخير والمضجع وبنـاء المستشفى الذي سمي مستشفى الملك غازي .

ويوجد في المباني القديمه للحكومة السـراي القديم المستعمل الان مدرسة ابتدائية للبنات ودائرة البلدية وتستعمل للبلديه ومستوصف للبيطرة ويوجد مستوصف للاهالي يديره طبيب ومضمد مشغول بالايجار وابنيته تعود الى حامد بيك ودائرة الكمرك وهي بالايجار ايضاً وتعود الى حاج محمد علي ونادي الموظفين الذي سبق ان بينا عنه في فقره سابقه وهو ملك الى حامد بيك وحلبجه قضاء يديرها قائمقام .

الحوادث :-

فتح الجاده الجديده التي تخترق البلده - بوشر في معاملات التخطيط والاستمـلاك في زمن القائمقام احمد فخري بيك وبوشر بفتحها في زمن وكيل القائمقام محمد سعيد القزاز في سنة ٩٣٦ تشرين الاول .

عدد الدور :-

تبلغ عدد دور مدينه حلبجه ٣٥٠ داراً تقريباً .

التشكيلات الاداريه :-

اقضاء حلبجه عدا المركز ثلاثة وهم خورمال وبنجوين ودارماوا ولهم من القرى ٣٢٦ قريه منها ٨٧ قريه تعود الى المركز مباشرة و٨٨ إلى خرمال وواحد وتسعون الى بنجوين وستون الى دارماوا والمهم من هذه القرى ابا عبيده تعود الى المركز وبياره وطويله تعودان الى خورمال .

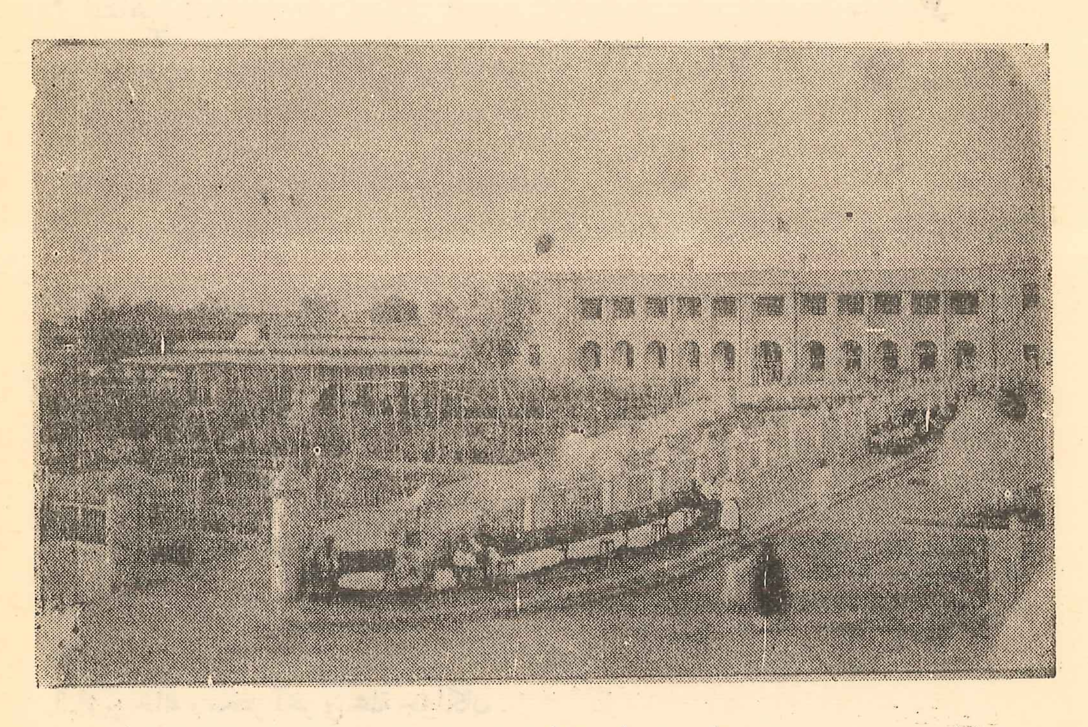
وعند انتهائي من عمل البناء للمستشفى ودائرة البريد والملحق بهما تلقيت امراً بالذهاب الى السليمانيه للاشراف على البنايه المراد انشائها في قرية بكره جو (المزرعة الملكيه) .

الفصل السادس

وصف بلدة السليمانيه والاشتغال فيها

بلدة السليمانيه محاطة بجبال شاهقه وهي تكون فى وسط مجمع هـذه الجبال تقريباً فى وادي يحيطه الجبال . وأهالي السليمانيه والمساره يتنحون بسرعه من الطريق عند رؤية السياره اصحابها سفهاء يعفطون كما فى بغداد اكثر الاهالي يحسنون العربيه كثيراً ام قليلا .

المدينه عند القدوم اليها تراها كأنها صغيره (من المباني فيها سراي الحكومه وفندق واحـد وبعض المغائز الحديثه وما عدى ذلك فالجميع بناء قروي قديـم طرازه . ويوجـد فيها نادي



منظر عام لمدينة السليمانيه مع السراي
الحكومي والحديقه العامه ومقاهي الاهالي

السليمانيه والنادي العسكري وكل شيء يستورد لها من بغداد بفضل الطريق المعبد من كركوك اليها . واقعه في وادي تكتنفه الجبال كما ذكرنا من جميع الجهات يجلبون الثلوج على البغال من الجبال المذكوره كأنها احمال قطن مندوف الباله الواحده بطول ١ر٧٥ متراً وعرض ٧٥ سم تقريباً . ينادون على سلعهم وهم فى دكاكينهم يختصرون الكلام ويسرعون به .

اسماء المحـــلات :-

ملكندي وكوبره ودركزين وسرسقام وكاني آسكـــان صابون كران وكله جي وجوار باغ وجولكان وكاوران ودشت احمـــد صاغه وسركول وبير مسور وكرك شيخـــان وسركهيز وشالوم آوا .

المقاهي :-

اشهر ما هو موجود من المقاهي سبعة مقاهي كبيره مشهوره وأكثر من مائه صغيره .

الفنادق :-

اربعة فنادق لابأس بها وأهمها فندق السعاده .

الكراجات :-

توجد فيها اربعة كراجات فقط .

المباني :-

شكلها قديم وبنائها من الحجر واللبن والطين .

اماكن الحكومه :-

الســـراي الحكومي وهو بناية ضخمه وقديمه والمستشفى كذلك (ومستوصت يشغل بناية المدرسه الرشيديه العسكريه القديمه) ديو عسكري . وهو النادي العسكري الآن وهذا هو محل العسكريه القديم اما الثكنات العسكريه الحاليه فهي فى جهة كان اسكان ومخفر شرطة بجانب البانزين خانه ومخفر آخر في محلة جولكان .

التكايا :-

خمسة تكايا في مدينة السليمانيه والمعروف منها تكية الشيخ معروف .

المدارس :-

المدرسه المتوسطه (مدرسة الخالديه ومدرسة الايوبيه والمدرسه الفيصليه ومدرسـة غازي) للبنين وللبنات مدرستين وروضة اطفال واحده واكثر من خمسين كتاب (الملا) .

الـزي :-

زي الاولاد والاطفال كالكبار تماماً .

الافـراح :-

تذهب النساء للخطبه اولا ثم الرجال لأبيها ويقرأون الفاتحه ويعطي للحاضرين (كلة شكر) لكل منهم وثمنها من العريس والمهر يعقـد كما فى بغداد بالتمام إلا انه بحضور اشخاص قليله ولا يوزع فيها الشربت والكنفاني يأتون بالعروس كما فى بغداد نساء ورجال والعريس يأتي بعد صلاة العشاء مع اشخاص قليله بصورة اعتياديه ولا اعرف ماجري بعد ذلك داخل الدار حيث لم ابق فيها مدة كافيه .

المـآتم :-

يشيعون العلماء والشهداء وكل انسان فارق الحياة بالاعلام والدفوف مع الذكر والباقين بدون اعلام ولا دفوف وفى الدار الفاتحه كوضع بغداد بالتمام ويرسلون مع الجنازه مأكولات ومعها ماء مثلج وغير ذلك توزع عند القبر كل على قدر حالته وربما يأتون بالاطعمه المطبوخه الى القبر ايضاً فيأكل منها الغني والفقير وفى الاعياد التي تلي الوفاة يجلسون للفاتحه ايضاً يوماً واحداً .

الالعـاب :-

سي باز (ثلاثة طفرات ، كرزه كوره ، آشه تبكوره ، اكره فله مرادي .

وسائل النقل

اللوريات ، السيارات للخارج وتوجد عربات فى الداخل وهي قليله لا تتجاوز السبعة عربات والحجز الاشخاص فى بعض النقليات وتستعمل للجبال الخيل والبغال والحمير للمسافات القليله

الحوادث :-

فتح شارع جديد في السليمانيه فقط .

المطاعم :ـ

فيها عشرة مطاعم لا بأس بها .

التجاره :ـ

رائجه تماماً والاستيراد من بغداد .

الحمامات :ـ

عشرة حمامات فقط .

الصنائع :ـ

مكارين ، تنكچي ، سراج ، دباغين ، عمل الاحذيه عمل الكالات ، الكلاشات ، الحياكـــه قماش صوف محلي ، جاجيم محلي عمل الخناجر والسيوف والسكاكين ، نجارين .

القيصريات :ـ

دكاكين عديده للأقمشه والمحلات الكبيره وهي اربعة قيصريات فقط .

الخانات :ـ

خمسة خانات تجاريه فقط .

الغناء :ـ

يسمى عندهم كوران وله اسماء خاصـــه مثل شرقي ، سيكاه (آمي باي) جوان ، الله ويس وغيره والبعض من هؤلاء نغم لطيف ورقيق .

تأسيس السليمانيه :ـ

محلة ملكندي وهي اول محلـه في السليمانيه كانت السليـــمانيه قريه بهـــذا الاسم قبل تأسيس السليمانيه الحاليه ولما اسست بقيت هذه وجعلت محله منها يوجـــد فيها من المباني القديمه الشيء الكثير .

ماكنة الطحين :ـ

توجد فيها ثلاثة مكائن طحين وتهبيش وتوجد فيها طواحين مائيه مقدار ٢٠ طاحونـــه في اواخر البلد .

المقابـــر :-

عددها ستة مقابر واقعات فى الشرق الجنوبي فوق تلال مرتفعه :

الحاصلات :-

تأتيها من القرى الخارجيه فى اطرفها الحنطه والشعير والارز وسائر المخضـرات والحبوب وانواع الفاكهه عـدا الليمون وفصيلته والتمر وانواعه ويوجـد فيها بكثره العرموط والعسل واللوز والجوز وحبة الخضراء والباصورك والحمص والتتن والكلاز والبلوط والعلك والعفص وغيره من الانواع العديده .

الحيوانات :-

الغنم والماعز والخيل والبغال والكـلاب والسلوقي والصقر والشاهين والحـدباء والبرغوث والميش والفاره والقطط وطير ابابيل والعقرب والافعى والضفادع والنمل والدجاج والدجـاج الهندي والاوز والبط والكوكلك والسمك قليل جداً .

الملالي :-

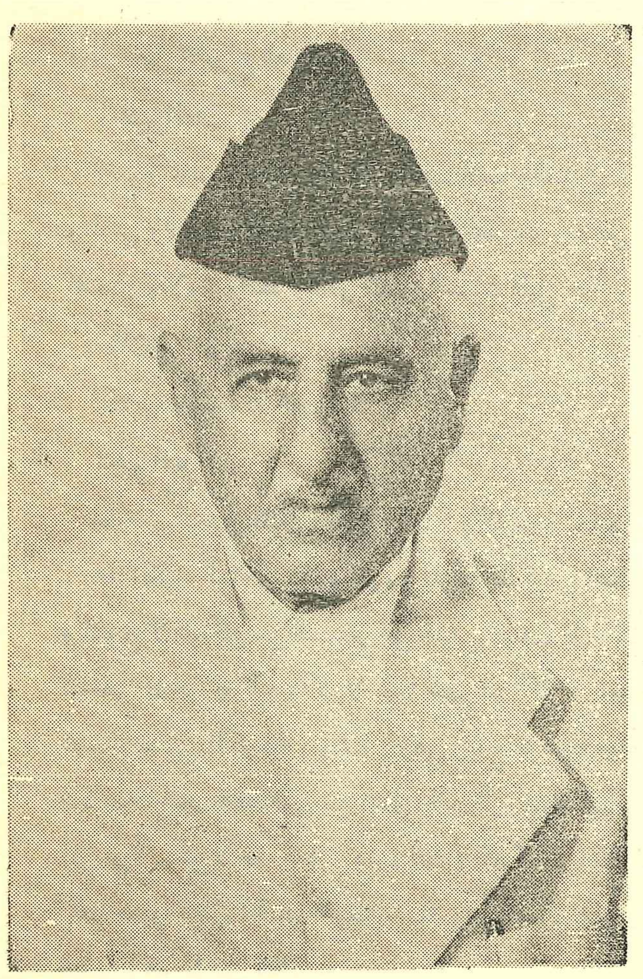
الكتاب ويسمونه حجرة .

الجوامع :-

جامعين كبيرين اثنين وتكيه واحده وكنيسه و حده لليهود .

بعد أكملت البناء فى بكره جوه (المزعه الملكيه) اصابني مرض الروماتيزم فبقيت ايام البرد والثلوج لا اتمكن من السـير على قدمي اضف الى ذلك ان العاده المتبعه فى بلد السليـمانيه كل شخص يدخر لعائلته مأكولا لمدة شهر او اكثر عندما تهب فى موسم الشتاء وهذه الرياح تكون شديده تسمى بالكرديه (وشبا) وهي رياح مزعجه جداً حيث تقذف بالحصو والرمل وبقية المواد الكلسيه الحجريه الصغيره من اعالي الجبال الى بلدة السليمانيه وتطول هذه الرياح مدة ٢٠ يوماً ففي هذا الموسم لايمكن لأحد مغادرة داره للمدة المذكورة هذا اضافة الى الهواء بارد جداً بواسطة الثلوج المكدسه في اعالي الجبال المحيطه بالبلد ومن اصابه هذا الحجر في عينه بصورة خاصه فهو يفقد البصر وهو مؤذي للغايه .

ولما كان ألمي قد زاد علي فأضطررت الى تقديم طلب بالاحاله الى التقاعد وقد حسبت خدماتي واجرى تعقيب المعامله ولدي السيد أحمد وهو أكبر أولادي فأنجزها واستلمت دفتر التقاعـد محسوباً على لواء السليمانيه في سنة ١٩٣٨ وسافرت الى بغداد للراحه والاستجمام وراجعت لاطباء وبعدها قررت سكناي لواء البصـره حيث احببتها وفتحت مكتبتي القديمه في سوق السيف المسماة المكتبه الادبيه وبهذا اعتبر كتابي لمراحل الحياة قد إنتهى تأليفه وتصميمه والسلام عليكم ورحمـة الله وبركاتـه .



تصوير المؤلف فى كهولته

حيث سبق له ان طلب الاحاله الى التقاعد فى سنة ١٩٣٨ م واختار سكناه البصره وكرس بقية حياته بالتأليف الى سنة ١٩٦٥ م حيث وافاه الاجل المحتوم في ٥/١١/٦٥م ومرقده فى مقبرة الحسن البصري بالزبير رحمـه الله وأسكنه جناة خلده إنه سميـع الدعـاء .

٦٦ الفصل الرابع المجازر ، الدور والدكاكين ، أماكن الحكومه الدكرمان .

٦٧ « « الاكمكخانه ، السراي ، القشله .

٦٨ الفصل الرابع التحميص خانه ، المطبخ العسكري ، المدرسه الاعداديه العسكريه، قشلة الضبطيه حرم الوالي ، المدرسه الرشديه العسكريه ، المدرسه الرشديه الملكيه ، القلعه .

٦٩ « « الكرنتينه ، دائرة الخياله ، الطلسم ، البارود خانه ، دائرة الرديف التنباكخانه ، الدبخانه ، العبخانه .

٧٠ « « معمل الثلج وإسالة الماء ، مكتب الصنايع ، الخسته خانه العسكريه (المستشفى العسكري) ، خسته خانة الغرباء ، القـوللغات (المخافر) الدمير خانه ، الكمرك ، الرسومات .

٧١ « « قشلة البحريه ، التمغة ، القيصريه ، مطبعة الولايه .

٧٢ « « محال العباده ، الجوامع ، جامع مرجان ، جامع القيلانيه ،جامع الوزير جامع الكبابچيه (الوفائيه) جامع المولد خانه (الآصفيه) جامع الصياغ او جامع الخفاقين) ، جامع الحيدر خانه ، جامع السيد سلطـان علي جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ، جامع الراويه .

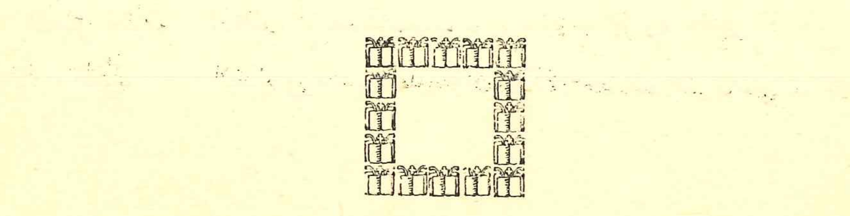
٧٣ « « جامع الاحمديه ، جامع الخاصه كي،جامع سراج الدين جامع حسن باشا جامع الفضل ، جامع العاقوليه جامع الخاتون (نازنده) جامع الخاتون (منور) ، جامع التكيه جامع حمام المالح .

٧٤ التكيه الخالديه وهي جامع ، جامع سوق الغزل ، جامع النعمانيه ،جامع الأزبك ، جامع علي افندي ، جامع الشيخ عمر السهروردي ، جامـع الحاج فتحي ، جامع قنبر علي ، جامع المصرف ، جامع النعماني ،جامع حسين باشا ، جامع خضر بك .

٧٥ جامع بنات الحسن ، جامع حنان ، جامع خضر الياس ، جامع سليمان جامع الشيخ صندل ، جامع الشيخ بشار ، جامع عطا ، جامع القمريه

كافة المراسلات ترسل بعنوان مطبعة البصره - بصره - العراق

الناشر السيد أحمد محمد رؤوف طه



رقم الايـداع في المكتبه الوطنيه ببغـداد ٣٤٢ لسـنة ١٩٧٠

مطبعة البصره - بصره

درجة المطبعه (٣)

سجل بالسجل المختص تحت عدد ٤/١٠٠٠

انتهى الطبع فى يوم الاحد الموافق ١٩٧٢/٤/٣٠

السعر ٧٥٠ فلساً